٨١٣

فهـــــرست

الجـــزء الرابع

مـــن

تفسـير الامام ابن جرير الطـبرى

﴿تنبيـــــه﴾

وقع بالجزء الثالث من هذا الكتاب خطأ وصوابه كالآتى

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٥٤	١٨	علمت	عملت
« « «	« «	علمت	عملت
« « «	١٩	علمت	عملت

(فهرست الجزء الرابع من تفسير الامام ابن جرير الطبرى)

﴿تم فهرست الجزء الرابع من تفسير ابن جرير﴾

(فهرست الجزء الرابع من تفسير النيسابوري الموضوع بهامش الجزء الرابع من تفسير ابن جرير)

(تم فهرست الجزء الرابع من النيسابورى)

الجــــزء الرابع

من كتاب جامع البيان في تفسير القرآن تأليف
الامام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت
الأمة على تقدمه في التفسير أبي جعفر
محمد بن جرير الطبري المتوفى
سنة ٣١٠ هجريه رحمه
الله وأثابه رضاه
آمين

﴿ وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان للعلامة نظام الدين
الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري قدست أسراره ﴾

«في كشف الظنون» قال الامام جلال الدين السيوطي في الاتقان وكتابه «أي الطبري
أجل التفاسير وأعظمها فانه يتعرض لتوجيه الاقوال وترجيح بعضها على بعض والاعراب
والاستنباط فهو يفوق بذلك على تفاسير الأقدمين * وقال النووي أجمعت الامة على أنه
لم يصنف مثل تفسير الطبري * وعن أبي حامد الاسفرايني أنه قال لو سافر رجل الى الصين
حتى يحصل له تفسير ابن جرير لم يكن ذلك كثيرا اه

﴿ تنبيــــه ﴾

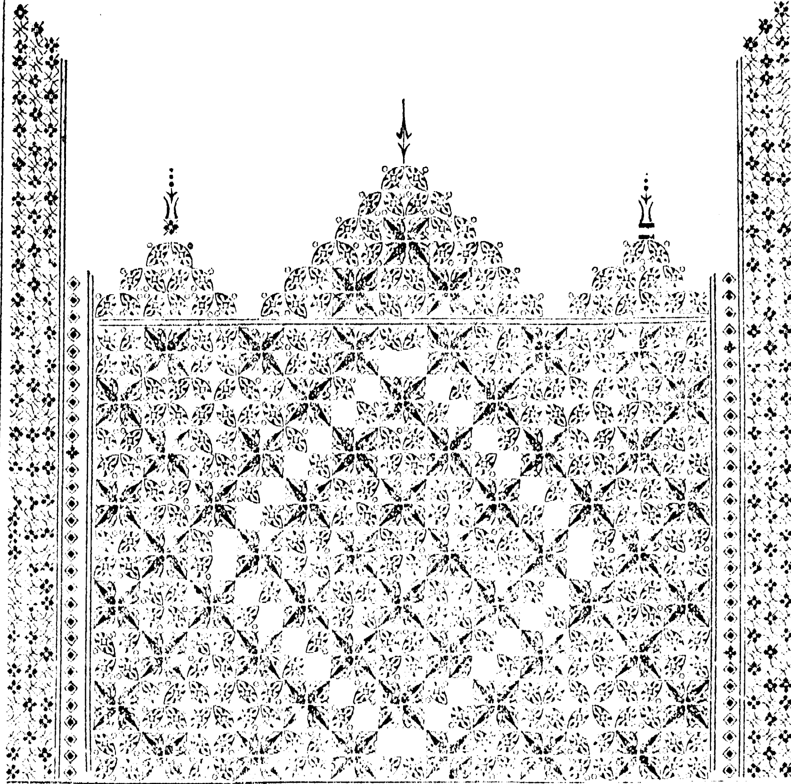
طبعت هذه النسخة بعد تصحيحها على الاصول الموجودة في خزانة الكتبخانة
الخديوية بمصر بالاعتناء التام نسأل الله تعالى حسن الختام

طبع هذا الكتاب على نفقة حضرة السيد عمر الخشاب الكتبي الشهير بمصر ونجله
حضرة السيد محمد عمر الخشاب حفظهما الله ووفقنا واياهما لما يحبه ويرضاه

﴿ الطبعة الأولى ﴾

بالمطبعة الكبرى الأميريه ببولاق مصر المحميه

سنة ١٣٢٥ هجريه



(بسم الله الرحمن الرحيم)

القول فى تأويل قوله (كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين) يعنى بذلك جل ثناؤه أنه لم يكن حرم على بنى اسرائيل وهم ولد يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن شيأ من الاطعمة من قبل أن تنزل التوراة بل كان ذلك كله لهم حلالا الا ما كان يعقوب حرمه على نفسه فان ولده حرموه استنانا بأبيهم يعقوب من غير تحريم الله ذلك عليهم فى وحى ولا تنزيل ولا على لسان رسول له اليهم من قبل نزول التوراة ثم اختلف أهل التأويل فى تحريم ذلك عليهم هل نزل فى التوراة أم لا فقال بعضهم لما أنزل الله عز وجل التوراة حرم عليهم من ذلك ما كانوا يحرمونه قبل نزولها ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين قالت اليهود انما نحرم ما حرم اسرائيل على نفسه وانما حرم اسرائيل العروق كان يأخذه عرق النسا كان يأخذه بالليل ويتركه بالنهار فحلف لئن الله عافاه منه لا يأكل عرقا أبدا فحرمه الله عليهم ثم قال قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين ما حرم هذا عليكم غيرى ببغيكم فذلك قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم فتأويل الآية على هذا القول كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فان الله حرم عليهم من ذلك ما كان اسرائيل حرمه على نفسه فى التوراة ببغيهم على أنفسهم وظلمهم لها قل يا محمد فأتوا أيها اليهود ان أنكرتم ذلك بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أن الله لم يحرم ذلك عليكم فى التوراة وأنكم انما تحرمونه لتحريم اسرائيل

(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شئ فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) القراآت أن تنزل خفيفا ابن كثير وأبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالتشديد حج البيت بكسر الحاء يزيد وحمزة وعلى وخلف وعاصم غير أبى بكر وحماد الباقون بفتحها الوقوف تحبون ط عليم ه تنزل التوراة ط صادقين ه الظالمون ه حنيفا ط المشركين ه للعالمين ه ج لأن ما بعده يصلح حالا واستئنافا مقام ابراهيم ج للابتداء بالشرط مع الواو ولأن

اياه على نفسه * وقال آخرون ما كان شئ من ذلك عليهم حراما ولا حرمه الله عليهم فى التوراة وانما هو
شئ حرموه على أنفسهم اتباعا لابيهم ثم أضافوا تحريمه الى الله فكذبهم الله عز وجل فى اضافتهم ذلك
اليه فقال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل لهم يا محمد ان كنتم صادقين فأتوا بالتوراة
فاتلوها حتى ننظر هل ذلك فيها أم لا ليتبين كذبهم لمن يجهل أمرهم ذكر من قال ذلك حدثت عن
الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله
الا ما حرم اسرائيل على نفسه اسرائيل هو يعقوب أخذه عرق النسا فكان لا يثبت الليل من وجعه
وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل نزول التوراة على موسى فسأل
نبى الله صلى الله عليه وسلم اليهود ما هذا الذى حرم اسرائيل على نفسه فقالوا نزلت التوراة بتحريم
الذى حرم اسرائيل فقال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين الى
قوله فاولئك هم الظالمون وكذبوا وافتروا لم تنزل التوراة بذلك وتأويل الآية على هذا القول كل
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة وبعد نزولها الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل أن تنزل التوراة بمعنى لكن اسرائيل حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة بعض ذلك
وكأن الضحاك وجه قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه الى الاستثناء الذى تسميه النحويون الاستثناء
المنقطع * وقال آخرون تأويل ذلك كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه
من قبل أن تنزل التوراة فان ذلك حرام على ولده بتحريم اسرائيل اياه على ولده من غير أن يكون الله
حرمه على اسرائيل ولا على ولده ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى
عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه فانه حرم على نفسه العروق وذلك انه كان يشتكى عرق النسا فكان لا ينام
الليل فقال والله لئن عافانى الله منه لا يأكله لى ولد وليس مكتوبا فى التوراة وسأل محمد صلى الله عليه
وسلم نفرا من أهل الكتاب فقال ما شأن هذا حراما فقالوا هو حرام علينا من قبل الكتاب فقال الله
عز وجل كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل الى ان كنتم صادقين حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس أخذه يعنى اسرائيل عرق النسا فكان
لا يبيت بالليل من شدة الوجع وكان لا يؤذيه بالنهار فحلف لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا وذلك قبل
أن تنزل التوراة فقال اليهود للنبى صلى الله عليه وسلم نزلت التوراة بتحريم الذى حرم اسرائيل على
نفسه قال الله لمحمد صلى الله عليه وسلم قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين وكذبوا ليس فى
التوراة * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول من قال معنى ذلك كل
الطعام كان حلا لبنى اسرائيل من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه من غير
تحريم الله ذلك عليه فانه كان حراما عليهم بتحريم أبيهم اسرائيل ذلك عليهم من غير أن يحرمه الله
عليهم فى تنزيل ولا بوحى قبل التوراة حتى نزلت التوراة فحرم الله عليهم فيها ما شاء وأحل لهم فيها
ما أحب وهذا قول قالته جماعة من أهل التأويل وهو معنى قول ابن عباس الذى ذكرناه قبل ذكر
بعض من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كل الطعام
كان حلا لبنى اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة واسرائيل هو
يعقوب قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين يقول كل الطعام كان حلا لبنى اسرائيل
من قبل أن تنزل التوراة الا ما حرم اسرائيل على نفسه فلما أنزل الله التوراة حرم عليهم فيها ما شاء
وأحل لهم ما شاء حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن قتادة بنحوه واختلف أهل
التأويل فى الذى كان اسرائيل حرمه على نفسه فقال بعضهم كان الذى حرمه اسرائيل على نفسه

الأمن من الآيات آمنا ط سبيلا ط
العالمين ه بآيات الله ط قد قيل
والوجه الوصل لأن الواو للحال تعملون
ه شهداء ط تعملون ه كافرين
ه رسوله ط لتناهى الاستفهام الى
الشرط مستقيم ه ❁ التفسير انه
سبحانه لما ذكر أن الانفاق لا ينفع
الكافر البتة علم المؤمنين كيفية
الانفاق الذى ينتفعون به فى الآخرة
وهو الانفاق من أحب الاشياء اليهم
وههنا لطيفة وهى أنه سبحانه وتعالى
سمى جوامع خصال الخير برا فى قوله
تعالى ولكن البر من آمن بالله الآية
وذكر فى هذه الآية لن تنالوا البر
حتى تنفقوا مما تحبون فالمعنى أنكم
وان أتيتم بكل الخيرات لم تفوزوا
باحراز خصلة البر ولم تبلغوا حقيقتها
حتى تكون نفقتكم من أموالكم
التى تحبونها وتؤثرونها وكان السلف
رحمهم الله اذا أحبوا شيأ جعلوه لله
يروى أنها لما نزلت جاء أبو طلحة
فقال يا رسول الله حائط لى بالمدينة
يعنى بيرحاء وهو أحب أموالى الى
صدقة فقال صلى الله عليه وسلم بخ بخ
ذاك مال رابح وانى أرى أن تجعلها
فى الأقربين فقال أبو طلحة افعل
يا رسول الله فقسمها صلى الله عليه
وسلم فى أقاربه وروى أنه صلى الله
عليه وسلم جعلها بين حسان بن
ثابت وأبى بن كعب وروى أن زيد
ابن حارثة جاء عند نزول الآية بفرس
له كان يحبه وجعله فى سبيل الله
فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لاسامة بن زيد فوجد زيد فى نفسه
وقال انما أردت أن أتصدق به فقال

رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ان الله قد قبلها منك وكتب عمر الى أبي موسى الاشعرى أن يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت

العروق ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن
يوسف بن ماهك قال جاء أعرابي الى ابن عباس فقال انه جعل امرأته عليه حراما قال ليست عليك
بحرام قال فقال الأعرابي ولم والله يقول في كتابه كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه قال فضحك ابن عباس وقال وما يدريك ما كان اسرائيل حرم على نفسه قال ثم
أقبل على القوم يحدثهم فقال اسرائيل عرضت له الانساء فأضنته فجعل لله عليه ان شفاه الله منها
لا يطعم عرقا قال فلذلك اليهود تنزع العروق من اللحم حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال
ثنا شعبة عن أبي بشر قال سمعت يوسف بن ماهك يحدث أن أعرابيا أتى ابن عباس فذكر رجلا
حرم امرأته فقال انها ليست بحرام فقال الأعرابي أرأيت قول الله عز وجل كل الطعام كان حلا
لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه فقال ان اسرائيل كان به عرق النسا فحلف لئن عافاه
الله أن لا يأكل العروق من اللحم وانها ليست عليك بحرام حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا
ابن علية عن سليمان التيمي عن أبي مجلز في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم
اسرائيل على نفسه قال ان يعقوب أخذه وجع عرق النسا فجعل لله عليه أو أقسم أو قال لا يأكله
من الدواب قال والعروق كلها تبع لذلك العرق حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن
قتادة قال ذكر لنا أن الذي حرم اسرائيل على نفسه أن الانساء أخذته ذات ليلة فأسهرته فتألى ان الله
شفاه لا يطعم نسا أبدا فتتبعت بنوه العروق بعد ذلك يخرجونها من اللحم حدثت عن عمار قال ثنا
ابن أبي جعفر عن أبيه عن قتادة بنحوه وزاد فيه قال فتألى لئن شفاه الله لا يأكل عرقا أبدا فجعل بنوه
بعد ذلك يتتبعون العروق فيخرجونها من اللحم وكان الذي حرم على نفسه من قبل أن تنزل التوراة
العروق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا
ما حرم اسرائيل على نفسه قال اشتكى اسرائيل عرق النسا فقال ان الله شفاني لأحرمن العروق
فحرمها حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا سفيان الثوري عن حبيب
ابن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت وله
زقاء فجعل الله عليه ان شفاه أن لا يأكل العروق فأنزل الله عز وجل كل الطعام كان حلا لبني
اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال سفيان له زقاء يعني صياح حدثني محمد بن عمرو قال
ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال كان
يشتكي عرق النسا فحرم العروق حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي
نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال حدثنا جرير عن منصور عن حبيب بن أبي ثابت
عن ابن عباس في قوله كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن
تنزل التوراة قال كان اسرائيل يأخذه عرق النسا فكان يبيت وله زقاء فحرم على نفسه أن يأكل
عرقا * وقال آخرون بل الذي كان اسرائيل حرم على نفسه لحوم الابل وألبانها ذكر من قال
ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عبد الله بن كثير قال
سمعنا أنه اشتكى شكوى فقالوا انه عرق النسا فقال رب ان أحب الطعام الي لحوم الابل وألبانها فان
شفيتني فاني أحرمها علي قال ابن جريج وقال عطاء بن أبي رباح لحوم الابل وألبانها حرم اسرائيل
حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله كل الطعام
كان حلا لبني اسرائيل قال كان اسرائيل حرم على نفسه لحوم الابل وكانوا يزعمون أنهم يجدون
في التوراة تحريم اسرائيل على نفسه لحوم الابل وانما كان حرم اسرائيل على نفسه لحوم الابل
قبل أن تنزل التوراة فقال الله فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فقال لا تجدون في التوراة

مدائن كسرى فلما رآها أعجبته فقال
ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى
تنفقوا مما تحبون فأعتقها ولم يصب
منها ونزل بأبي ذر ضيف فقال للراعي
ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة
فقال خنتني فقال وجدت خير الابل
فحلها فذكرت يوم حاجتك اليه
فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم أوضع
في حفرتي * وفي تفسير البر قولان
أحدهما ما به يصيرون أبرارا ليدخلوا
في قوله ان الابرار لفي نعيم فيكون
المراد بالبر ما يصدر منهم من الاعمال
المقبولة المذكورة في قوله ولكن
البر من آمن وجعلها التقوى لقوله
أولئك الذين صدقوا وأولئك هم
المتقون والثاني الجنة أي لن تنالوا
ثواب البر وقيل المراد بر الله أولياءه
وإكرامه اياهم من قول الناس برني
فلان بكذا وبر فلان لا ينقطع عني
وقال تعالى أن تبروا وتتقوا ومن في
قوله مما تحبون للتبعيض نحو أخذت
من المال ويؤيده قراءة عبد الله بن
مسعود بعض ما تحبون وفيه أن
انفاق كل المال غير مندوب بل غير
جائز لمن يحتاج اليه والمراد بما تحبون
قال بعضهم هو نفس المال لقوله
تعالى وانه لحب الخير لشديد وقيل
هو ما يكون محتاجا اليه كقوله
ويطعمون الطعام على حبه ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة
وقيل هو أطيب المال وأرفعه كما
مر وعن ابن عباس أراد به الزكاة
أي حتى تخرجوا زكاة أموالكم
ورد عليه أنه لا يجب على المزكي أن
يخرج أشرف أمواله وأكرمها
وقال الحسن هو كل ما أنفقه المسلم
من ماله يطلب به وجه الله ونقل
الواحدي عن مجاهد والكلبي انها منسوخة بآية الزكاة وضعف بان ايجاب الزكاة لا ينافي الترغيب في بذل المحبوب

لوجه الله ومن في من شيء للتبيين يعني من أي شيء كان طيب أو خبيث (فان الله به عليم) فيجازيكم يحسبه أو يعلم الوجه الذي لأجله

تحريم اسرائيل على نفسه (٣) الالحم الابل حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيي بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثنا حبيب بن أبي ثابت قال ثنا سعيد عن ابن عباس أن اسرائيل أخذه عرق النسا فكان يبيت بالليل له زقاء يعني صياح قال فجعل على نفسه لئن شفاه الله منه لا يأكله يعني لحوم الابل قال فحرمه اليهود وتلا هذه الآية كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين أي ان هذا قبل التوراة حدثنا أبو كريب قال ثنا يحيي بن عيسى عن الاعمش عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم العروق ولحوم الابل قال كان به عرق النسا فاكل من لحومها فبات بليلة يزقو فحلف أن لا يأكله أبدا حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن جابر عن مجاهد في قوله الا ما حرم اسرائيل على نفسه قال حرم لحوم الأنعام * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب قول ابن عباس الذي رواه الأعمش عن حبيب عن سعيد عنه ان ذلك العروق ولحوم الابل لان اليهود مجمعة الى اليوم على ذلك من تحريمهما كما كان عليه من ذلك أوائلها وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ذلك خبر وهو ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن ابن عباس أن عصابة من اليهود حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا أبا القاسم أخبرنا أي الطعام حرم اسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدكم بالذي أنزل التوراة على موسى هل تعلمون أن اسرائيل يعقوب مرض مرضا شديدا فطال سقمه منه فنذر لله نذرا لئن عافاه الله من سقمه ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام اليه لحمان الابل وأحب الشراب اليه ألبانها فقالوا اللهم نعم وأما قوله قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فان معناه قل يا محمد للزاعمين من اليهود أن الله حرم عليهم في التوراة العروق ولحوم الابل وألبانها ائتوا بالتوراة فاتلوها يقول قل لهم جيئوا بالتوراة فاتلوها حتى يتبين لمن خفي عليه كذبهم وقيلهم الباطل على الله من أمرهم أن ذلك ليس مما أنزلته في التوراة ان كنتم صادقين يقول ان كنتم محقين في دعواكم أن الله أنزل تحريم ذلك في التوراة فأتونا بها فاتلوا تحريم ذلك علينا منها وانما ذلك خبر من الله عن كذبهم لانهم لا يجيئون بذلك أبدا على صحته فأعلم الله بكذبهم عليه نبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اعلامه اياه ذلك حجة له عليهم لأن ذلك اذ كان يخفى على كثير من أهل ملتهم فمحمد صلى الله عليه وسلم وهو أمي من غير ملتهم لولا ان الله أعلمه ذلك بوحي من عنده كان أحرى أن لا يعلمه فكان في ذلك له صلى الله عليه وسلم من أعظم الحجة عليهم بانه نبي الله صلى الله عليه وسلم اليهم لان ذلك من أخبار أوائلهم كان من خفي علومهم الذي لا يعلمه غير خاصة منهم الا من أعلمه الذي لا يخفى عليه خافية من نبي أو رسول أو من أطلعه الله على علمه ممن شاء من خلقه * القول في تأويل قوله (فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون) يعني جل ثناؤه بذلك فمن كذب على الله منا ومنكم من بعد مجيئكم بالتوراة وتلاوتكم اياها وعدمكم ما ادعيتم من تحريم الله العروق ولحوم الابل وألبانها فيها فأولئك هم الظالمون يعني فمن فعل ذلك منهم فأولئك يعني فهؤلاء الذين يفعلون ذلك هم الظالمون يعني فهم الكافرون القائلون على الله الباطل كما حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن زكريا عن الشعبي فأولئك هم الظالمون قال نزلت في اليهود * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد صدق الله فيما أخبرنا به من قوله كل الطعام كان حلا لبني

(٣) الاظهر أن لفظ الا زائد من الناسخ كما يدرك من السابق واللاحق اه مصححه

تنفقون من الاخلاص أو الرياء * ثم انه سبحانه بعد تقرير الدلائل الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وبعد توجيه الالزامات الواردة على أهل الكتاب في هذا الباب أجاب عن شبهة للقوم وتقرير ذلك من وجوه أحدها أنهم كانوا يعولون في انكار شرع محمد صلى الله عليه وسلم على انكار النسخ فأورد عليهم أن الطعام الذي حرمه اسرائيل على نفسه كان حلالا ثم صار حراما عليه وعلى أولاده وهو النسخ ثم ان اليهود لما توجه عليهم هذا السؤال زعموا أن ذلك كان حراما من لدن آدم ولم يحدث نسخ فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بان يطالبهم باحضار التوراة الزاما لهم وتفضيحا ودلالة على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لانه كان أميا فامتنع أن يعرف هذه المسئلة الغامضة من علوم التوراة الا بخبر من السماء وثانيها أن اليهود قالوا له انك تدعي أنك على ملة ابراهيم فكيف تأكل لحوم الابل وألبانها وتفتي بحلها مع أن ذلك كان حراما في دين ابراهيم فاحتجوا بان ذلك كان حلالا لابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب الا أن يعقوب حرمه على نفسه بسبب من الاسباب وبقيت تلك الحرمة في أولاده فأنكروا ذلك فأمروا بالرجوع الى التوراة * وثالثها لما نزل قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر الى غير ذلك من الآيات الدالة على أنه انما حرم عليهم كثير من الاشياء جزاء لهم على بغيهم وظلمهم غاظهم ذلك واشمأزوا وامتعضوا من قبل أن ذلك يقتضي وقوع النسخ ومن قبل انه سجل عليهم بالبغي والظلم وغير ذلك من مساويهم فقالوا لسنا أول [illegible] حرمت هي عليه وما هو الا تحريم قديم فنزلت كل

اسرائيل وان الله لم يحرم على اسرائيل ولا على ولده العروق ولا لحوم الابل وألبانها وأن ذلك انما كان شيأ حرمه اسرائيل على نفسه وولده بغير تحريم الله اياه عليهم في التوراة وفي كل ما أخبر به عباده من خبر دونكم أنتم يا معشر اليهود الكذبة في اضافتكم تحريم ذلك الى الله عليكم في التوراة المفترية على الله الباطل في دعواكم عليه غير الحق فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين يقول فان كنتم أيها اليهود محقين في دعواكم أنكم على الدين الذي ارتضاه الله لانبيائه ورسله فاتبعوا ملة ابراهيم خليل الله فانكم تعلمون أنه الحق الذي ارتضاه الله من خلقه دينا وابتعث به أنبياءه وذلك الحنيفية يعني الاستقامة على الاسلام وشرائعه دون اليهودية والنصرانية والمشركة وقوله وما كان من المشركين يقول لم يكن يشرك في عبادته أحدا من خلقه فكذلك أنتم أيضا أيها اليهود فلا يتخذ بعضكم بعضا أربابا من دون الله تطيعونهم كطاعة ابراهيم ربه وأنتم يا معشر عبدة الاوثان فلا تتخذوا الاوثان والاصنام أربابا ولا تعبدوا شيأ من دون الله فان ابراهيم خليل الرحمن كان دينه اخلاص العبادة لربه وحده من غير اشراك أحد معه فيه فكذلك أنتم أيضا فأخلصوا له العبادة ولا تشركوا معه في العبادة أحدا فان جميعكم مقرون بان ابراهيم كان على حق وهدى مستقيم فاتبعوا ما قد أجمع جميعكم على تصويبه من ملته الحنيفية ودعوا ما اختلفتم فيه من سائر الملل غيرها أيها الاحزاب فانها بدع ابتدعتموها الى ما قد أجمعتم عليه أنه حق فان الذي أجمعتم عليه أنه صواب وحق من ملة ابراهيم هو الحق الذي ارتضيته وابتعثت به أنبيائي ورسلي وسائر ذلك هو الباطل الذي لا أقبله من أحد من خلق جاءني به يوم القيامة وانما قال جل ثناؤه وما كان من المشركين يعني به وما كان من عددهم وأوليائهم وذلك أن المشركين بعضهم من بعض في التظاهر على كفرهم ونصرة بعضهم بعضا فبرأ الله ابراهيم خليله أن يكون منهم أو نصرائهم وأهل ولايتهم وانما عنى جل ثناؤه بالمشركين اليهود والنصارى وسائر الاديان غير الحنيفية قال لم يكن ابراهيم من أهل هذه الاديان المشركة ولكنه كان حنيفا مسلما ۞ القول في تأويل قوله (ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه مباركا وهدى للعالمين الذي ببكة قالوا وليس هو أول بيت وضع في الارض لانه قد كانت قبله بيوت كثيرة ذكر من قال ذلك حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن خالد بن عرعرة قال قام رجل الى علي فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع في الارض فقال لا ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت خالد ابن عرعرة قال سمعت عليا وقيل له ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة هو أول بيت كان في الارض قال لا قال فأين كان قوم نوح وأين كان قوم هود قال ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا وهدى حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء قال سأل حفص الحسن وأنا أسمع عن قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال هو أول مسجد عبد الله فيه في الارض حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي قال ثنا ضمرة عن ابن شوذب عن مطر في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال قد كانت قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للعبادة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن قوله ان أول بيت وضع للناس يعبد الله فيه للذي ببكة حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا قال وضع للعبادة * وقال آخرون بل هو أول بيت وضع للناس ثم اختلف

اسم لكل ما يطعم ويؤكل وعن بعض أصحاب أبي حنيفة انه اسم البر خاصة ويرد عليه أن المستثنى في الآية من الطعام كان شيأ سوى الحنطة وما يتخذ منها قال القفال لم يبلغنا انه كانت الميتة مباحة لهم مع أنها طعام وكذا القول في الخنزير فيحتمل أن يكون المراد الأطعمة التي كان يدعي اليهود في وقت نبينا صلى الله عليه وسلم أنها كانت محرمة على ابراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى هذا يكون اللام في الطعام للعهد لا للاستغراق والحل مصدر كالعز والذل ولذا استوى فيه الواحد والجمع قال تعالى لا هن حل لهم والوصف بالمصدر يفيد المبالغة وأما الذي حرم اسرائيل على نفسه فروى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أن يعقوب مرض مرضا شديدا فنذر لئن عافاه الله ليحرمن أحب الطعام والشراب اليه وكان أحب الطعام والشراب اليه لحمان الابل وألبانها وهذا قول أبي العالية وعطاء ومقاتل وقيل كان به عرق النسا فنذر ان شفاه الله أن لا يأكل شيأ من العروق وجاء في بعض الروايات أن الذي حرمه على نفسه زوائد الكبد والشحم الا ما على الظهر * وههنا سؤال وهو أن التحريم والتحليل خطاب الله تعالى فكيف صار تحريم يعقوب سببا للحرمة فأجاب المفسرون بان الاطباء أشاروا اليه باجتنابه ففعل وذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء وأيضا لا يبعد أن يكون تحريم الانسان سببا لتحريم الله كالطلاق والعتاق في تحريم المرأة والجارية

قالوا ذلك فى صفة وضعه أول فقال بعضهم خلق قبل جميع الارضين ثم دحيت الارضون من تحته
ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبيد الله بن موسى قال أخبرنا شيبان عن
الاعمش عن بكير بن الأخنس عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله البيت قبل الارض بألفى
سنة وكان اذ كان عرشه على الماء زبدة بيضاء فدحيت الارض من تحته حدثنى محمد بن
عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال سمعت مجاهدا
يقول ان أول ما خلق الله الكعبة ثم دحى الارض من تحتها حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ان أول بيت وضع للناس كقوله كنتم
خير أمة أخرجت للناس حدثنى محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ان أول بيت
وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين أما أول بيت فانه يوم كانت الارض ماء كان زبدة
على الارض فلما خلق الله الارض خلق البيت معها فهو أول بيت وضع فى الارض حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ان أول بيت وضع للناس للذى
ببكة مباركا قال أول بيت وضعه الله عز وجل فطاف به آدم ومن بعده * وقال آخرون موضع
الكعبة موضع أول بيت وضعه الله فى الارض ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة ذكر لنا أن البيت هبط مع آدم حين هبط قال أهبط معك بيتى يطاف حوله كما
يطاف حول عرشى فطاف حوله آدم ومن كان بعده من المؤمنين حتى اذا كان زمن الطوفان زمن
أغرق الله قوم نوح رفعه الله وطهره من أن يصيبه عقوبة أهل الارض فصار معمورا فى السماء ثم ان
ابراهيم تتبع منه أثرا بعد ذلك فبناه على أساس قديم كان قبله * والصواب من القول فى ذلك ما قال
جل ثناؤه فيه ان أول بيت مبارك وهدى وضع للناس للذى ببكة ومعنى ذلك ان أول بيت وضع للناس
أى لعبادة الله فيه مباركا وهدى يعنى بذلك ومآبا لنسك الناسكين وطواف الطائفين تعظيما لله
واجلالا له للذى ببكة لصحة الخبر بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك ما حدثنا به محمد بن
المثنى قال ثنا ابن أبى عدى عن شعبة عن سليمان عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر قال قلت
يا رسول الله أى مسجد وضع أول قال المسجد الحرام قال ثم أى قال المسجد الاقصى قال كم بينهما
قال أربعون سنة فقد بين هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن المسجد الحرام هو أول
مسجد وضعه الله فى الارض على ما قلنا فأما فى وضعه بيتا بغير معنى بيت للعبادة والهدى والبركة
ففيه من الاختلاف ما قد ذكرت بعضه فى هذا الموضع وبعضه فى سورة البقرة وغيرها من سور
القرآن وبينت الصواب من القول عندنا فى ذلك بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما قوله للذى
ببكة مباركا فانه يعنى للبيت الذى بمزدحم الناس لطوافهم فى حجهم وعمرهم وأصل البك الزحم يقال
منه بك فلان فلانا اذا زحمه وصدمه فهو يبكه بكا وهم يتباكون فيه يعنى به يتزاحمون ويتصادمون
فيه فكان بكة فعلة من بك فلان فلانا زحمه سميت البقعة بفعل المزدحمين بها فاذا كانت بكة
ما وصفنا وكان موضع ازدحام الناس حول البيت وكان لا طواف يجوز خارج المسجد كان معلوما
بذلك أن يكون ما حول الكعبة من داخل المسجد وأن ما كان خارج المسجد فمكة لا بكة لانه لا معنى
خارجه يوجب على الناس التباك فيه واذ كان ذلك كذلك كان بينا بذلك فساد قول من قال بكة
اسم لبطن مكة ومكة اسم للحرم ذكر من قال فى ذلك ما قلنا من أن بكة موضع مزدحم الناس
للطواف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن حصين عن أبى مالك الغفارى فى قوله ان

أن يكون للانبياء منها نصيب أوفر لا سيما ومعارفهم أكثر وعقولهم أنور وأذهانهم أصفى (٧) وتوفيق الله وتسديده معهم أوفى ثم اذا حكموا
بحكم بسبب الاجتهاد يحرم على
الامة مخالفتهم فى ذلك الحكم كما أن
الاجماع اذا انعقد عن الاجتهاد فانه
يحرم مخالفته والأظهر أن ذلك
التحريم ما كان بالنص والا لقيل
الا ما حرمه الله على اسرائيل فلما
نسب الى اسرائيل دل على أنه
باجتهاده كما يقال الشافعى يحلل لحم
الخيل وأبو حنيفة يحرمه وقال الاصم
لعل نفسه كانت تتوق الى هذه الانواع
فامتنع من أكلها قهرا للنفس كما
يفعله الزهاد فعبر عن ذلك الامتناع
بالتحريم وزعم قوم من المتكلمين
أنه يجوز من الله تعالى أن يقول
لعبده احكم فانك لا تحكم الا
بالصواب فلعل هذه الواقعة كانت
من هذا الباب ومعنى قوله (من قبل
أن تنزل التوراة) ان هذا الاستثناء
انما كان قبل نزول التوراة أما بعده
فلم يبق كذلك بل حرم الله عليهم أنواعا
كثيرة بدليل قوله تعالى فبظلم من
الذين هادوا حرمنا الى آخر الآية ثم ان
القوم نازعوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم فى اخباره عن الله تعالى
فأمروا بالرجوع الى كتابهم كما سبق
تقريره فروى أنهم لم يجسروا على
اخراج التوراة فبهتوا فلزمت الحجة
عليهم وظهر اعجاز النبى صلى الله
عليه وسلم وصدقه فلهذا قال (فمن
افترى على الله الكذب من بعد ذلك)
الذى ظهر من الحجة الباهرة (فأولئك
هم الظالمون) الواضعون الباطل فى
موضع الحق والكذب فى مقام
الصدق والعناد فى محل الانصاف
وأيضا ان تكذيبهم وافتراءهم
ظلم منهم لانفسهم ولمن يقتدى بهم
من أشياعهم (قل صدق الله) فى
جواب الشبه الثلاث وفيه تعريض بكذبهم (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهى التى عليها محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه حتى تخلصوا من

أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال بكة موضع البيت ومكة ما سوى ذلك حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن أبي جعفر قال مرت امرأة بين يدي رجل وهو يصلي وهي تطوف بالبيت فدفعها قال أبو جعفر انها بكة يبك بعضها بعضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الصمد قال ثنا شعبة قال ثنا سلمة عن مجاهد قال انما سميت بكة لان الناس يتباكون فيها الرجال والنساء حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حماد عن سعيد قال قلت لأي شيء سميت بكة قال لانهم يتباكون فيها قال يعني يتزاحمون حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن الاسود بن قيس عن أخيه عن ابن الزبير قال انما سميت بكة لانهم يأتونها حجاجا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وان الله بك به الناس جميعا فيصلي النساء قدام الرجال ولا يصلح ببلد غيره حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة بكة بك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن فضيل بن مرزوق عن عطية العوفي قال بكة موضع البيت ومكة ما حولها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يحيى بن أزهر عن غالب بن عبيد الله أنه سأل ابن شهاب عن بكة قال بكة البيت والمسجد وسأله عن مكة فقال ابن شهاب مكة الحرم كله حدثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء ومجاهد قالا بكة بك فيها الرجال والنساء حدثني عبد الجبار بن يحيى الرملي قال قال ضمرة بن ربيعة بكة المسجد ومكة البيوت * وقال بعضهم بما حدثني به يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة قال هي مكة وقيل مباركا لان الطواف به مغفرة للذنوب فاما نصب قوله مباركا فانه على الخروج من قوله وضع لأن في وضع ذكرا من البيت هو به مشغول وهو معرفة ومبارك نكرة لا يصلح أن يتبعه في الاعراب وأما على قول من قال هو أول بيت وضع للناس على ما ذكرنا في ذلك قول من ذكرنا قوله فانه نصب على الحال من قوله للذي ببكة لان معنى الكلام على قولهم ان أول بيت وضع للناس البيت ببكة مباركا فالبيت عندهم من صفته الذي ببكة والذي بصلته معرفة والمبارك نكرة فنصب على القطع منه في قول بعضهم وعلى الحال في قول بعضهم وهدى في موضع نصب على العطف على قوله مباركا القول في تأويل قوله (فيه آيات بينات) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه قراء الامصار فيه آيات بينات على جماع آية بمعنى فيه علامات بينات وقرأ ذلك ابن عباس فيه آية بينة يعني بها مقام ابراهيم يراد بها علامة واحدة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله فيه آيات بينات وما تلك الآيات فقال بعضهم مقام ابراهيم والمشعر الحرام ونحو ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم والمشعر حدثنا اسحق ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة ومجاهد فيه آيات بينات مقام ابراهيم قالا مقام ابراهيم من الآيات البينات * وقال آخرون الآيات البينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله فيه آيات بينات قال مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا * وقال آخرون الآيات البينات هو مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله فيه آيات بينات مقام ابراهيم أما الآيات البينات فمقام ابراهيم وأما الذين قرؤا ذلك

لابراهيم ولمن يقتدي به (وما كان من المشركين) وفيه تنبيه على أن محمدا صلى الله عليه وسلم على دين ابراهيم في الفروع لما ثبت ان الذي حكم صلى الله عليه وسلم بحله حكم ابراهيم بحله وفي الاصول لان محمدا وابراهيم كليهما صلى الله عليهما وسلم لا يدعوان الا الى التوحيد والبراءة عن كل معبود سوى الله تعالى خلاف اليهود والنصارى وخلاف عبدة الاوثان والكواكب * قوله سبحانه (ان أول بيت وضع للناس) قال مجاهد هو جواب عن شبهة أخرى لليهود وذلك أنهم قالوا بيت المقدس أفضل من الكعبة لانه مهاجر الأنبياء وأرض المحشر وقبلة الانبياء فكان تحويل القبلة منه الى الكعبة كالطعن في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل ان الآية المتقدمة سيقت لجواز النسخ وان أعظم الأمور التي أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم نسخها هو القبلة فذكر عقيب ذلك ما لاجله حولت القبلة الى الكعبة وقيل لما انجر الكلام في الآية المتقدمة الى قوله فاتبعوا ملة ابراهيم وكان الحج من أعظم شعائر ملته أردفها بفضيلة البيت ليفرع عليها ايجاب الحج وقيل زعم كل من اليهود والنصارى أنه على ملة ابراهيم فبين الله تعالى ما يدل على كذبهم من حيث ان حج البيت كان من ملة ابراهيم وأهل الكتاب لا يحجون قالت العلماء الاول هو الفرد السابق فلو قال أول عبد أشتريه فهو حر فلو اشترى عبدين في المرة الاولى لم يعتق واحد منهما لفقد قيد الفرد ولو اشترى في المرة الثانية عبدا واحدا لم يعتق أيضا لفقدان قيد السابق ومعنى كونه موضوعا للناس انه جعل متعبدهم وموضع طاعتهم

ذلك فيه آية بينة على التوحيد فانهم عنوا بالآية البينة مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد (١) فيه آيات بينات قال قدماه فى المقام آية بينة يقول ومن دخله كان آمنا قال هذا شئ آخر حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد فيه آية بينة مقام ابراهيم قال أثر قدميه فى المقام آية بينة * وأولى الاقوال فى تأويل ذلك بالصواب قول من قال الآيات البينات منهن مقام ابراهيم وهو قول قتادة ومجاهد الذى رواه معمر عنهما فيكون الكلام مرادا فيه منهن فترك ذكره اكتفاء بدلالة الكلام عليها فان قال قائل فهذا المقام من الآيات البينات فما سائر الآيات التى من أجلها قيل آيات بينات قيل منهن المقام ومنهن الحجر ومنهن الحطيم وأصح القراءتين فى ذلك قراءة من قرأ فيه آيات بينات على الجماع لاجماع قراء أمصار المسلمين على أن ذلك هو القراءة الصحيحة دون غيرها وأما اختلاف أهل التأويل فى تأويل مقام ابراهيم فقد ذكرناه فى سورة البقرة وبينا أولى الاقوال بالصواب فيه هنالك وأنه عندنا المقام المعروف به فتأويل الآية اذا ان أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين للذى ببكة فيه علامات بينات من قدرة الله وآثار خليله ابراهيم منهن أثر قدم خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم فى الحجر الذى قام عليه ﴿ القول فى تأويل قوله (ومن دخله كان آمنا) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله الخبر عن أن كل من جر فى الجاهلية جريرة ثم عاذ بالبيت لم يكن بها مأخوذا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا وهذا كان فى الجاهلية كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب فأما فى الاسلام فانه لا يمنع من حدود الله من سرق فيه قطع ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ومن قتل فيه قتل وعن قتادة أن الحسن كان يقول ان الحرم لا يمنع من حدود الله لو أصاب حدا فى غير الحرم فلجأ الى الحرم لم يمنعه ذلك أن يقام عليه الحد ورأى قتادة ما قاله الحسن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ومن دخله كان آمنا قال كان ذلك فى الجاهلية فأما اليوم فان سرق فيه أحد قطع وان قتل فيه قتل ولو قدر فيه على المشركين قتلوا حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا خصيف عن مجاهد فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال يؤخذ فيخرج من الحرم ثم يقام عليه الحد يقول القتل حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن حماد مثل قول مجاهد حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا هشام عن الحسن وعطاء فى الرجل يصيب الحد ويلجأ الى الحرم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فتأويل الآية على قول هؤلاء فيه آيات بينات مقام ابراهيم والذى دخله من الناس كان آمنا بها فى الجاهلية * وقال آخرون معنى ذلك ومن يدخله يكن آمنا بها بمعنى الجزاء كنحو قول القائل من قام لى أكرمته بمعنى من يقم لى أكرمه وقالوا هذا أمر كان فى الجاهلية كان الحرم مفزع كل خائف وملجأ كل جان لانه لم يكن يهاج به ذو جريرة ولا يعرض الرجل فيه لقاتل أبيه وابنه بسوء قالوا وكذلك هو فى الاسلام لان الاسلام زاده تعظيما وتكريما ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عبد الملك بن أبى الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مجاهد قال قال ابن عباس اذا أصاب الرجل الحد قتل أو سرق فدخل الحرم لم يبايع ولم يؤو حتى يتبرم فيخرج من الحرم فيقام عليه الحد قال فقلت لابن عباس ولكنى لا أرى ذلك أرى أن يؤخذ برمته ثم يخرج من الحرم فيقام عليه الحد فان الحرم لا يزيده الا شدة حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن

أول أن يكون بيت المقدس مثلا ثانياله ولا مشاركا فى وجوب الحج والاستقبال وغيرهما من الخواص ثم ان كونه أول بيت وضع للناس يحتمل أن يكون المراد أنه أول فى البناء والوضع ويحتمل أن يراد أنه أول فى الوضع وان كان متأخرا فى البناء فلا جرم حصل فيه للمفسرين قولان الاول انه أول فى بنائه ووضعه جميعا روى الواحدى رحمه الله فى البسيط باسناده عن مجاهد أنه قال خلق الله هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارضين وفى رواية أخرى خلق الله موضع هذا البيت قبل أن يخلق شيأ من الارض بألفى سنة وان قواعده لفى الارض السابعة السفلى وروى أيضا عن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عن آبائه قال ان الله تعالى بعث ملائكة فقال ابنوا لى فى الارض بيتا على مثال البيت المعمور وأمر الله تعالى من فى الارض أن يطوفوا به كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور وهذا كان قبل خلق آدم وقد ورد فى سائر كتب التفسير عن عبد الله بن عمر ومجاهد والسدى انه أول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق الارض والسماء وقد خلقه الله قبل الارض بألفى عام وكان زبدة بيضاء على الماء ثم دحيت الارض من تحته وعن الزهرى قال بلغنى أنهم وجدوا فى مقام ابراهيم ثلاثة صفوح فى كل صفح منها كتاب فى الصفح الاول أنا الله ذو بكة وضعتها يوم وضعت الشمس والقمر وحففتها بسبعة أملاك حنفاء وباركت لأهلها فى اللحم واللبن وفى الثانى أنا الله ذو بكة خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمى من وصلها وصلته ومن قطعها قطعته

(١) الظاهر الافراد كما هى قراءة مجاهد وكما هو أصل المدعى تأمل. كتبه مصححه

ادريس قال ثنا عبد الملك عن عطاء قال أخذ ابن الزبير سعدا مولى معاوية وكان فى قلعة بالطائف فأرسل الى ابن عباس من يشاوره (١) فيهم انهم لنا عين فأرسل اليه ابن عباس لو وجدت قاتل أبى لم أعرض له قال فأرسل اليه ابن الزبير ألا نخرجهم من الحرم قال فأرسل اليه ابن عباس أفلا قبل أن تدخلهم الحرم زاد أبو السائب فى حديثه فأخرجهم فصلبهم ولم يصغ الى قول ابن عباس حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن عطاء عن ابن عباس قال من أحدث حدثا فى غير الحرم ثم لجأ الى الحرم لم يعرض له ولم يبايع ولم يكلم ولم يؤو حتى يخرج من الحرم فاذا خرج من الحرم أخذ فأقيم عليه الحد قال ومن أحدث فى الحرم حدثا أقيم عليه الحد حدثنا أبو كريب قال ثنا ابراهيم بن اسمعيل بن نصر السلمى عن ابن أبى حبيبة عن داود بن حصين عن عكرمة عن ابن عباس أنه قال من أحدث حدثا ثم استجار بالبيت فهو آمن وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شئ الى أن يخرج فاذا خرج أقاموا عليه الحد حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن عطاء عن ابن عمر قال لو وجدت قاتل عمر فى الحرم ما هجته حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال ثنا ليث عن عطاء أن الوليد بن عتبة أراد أن يقيم الحد فى الحرم فقال له عبيد بن عمير لا تقم عليه الحد فى الحرم الا أن يكون أصابه فيه حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال أخبرنا مطرف عن عامر قال اذا أصاب الحد ثم هرب الى الحرم فقد أمن فاذا أصابه فى الحرم أقيم عليه الحد فى الحرم حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن فراس عن الشعبى قال من أصاب حدا فى الحرم أقيم عليه فى الحرم ومن أصابه خارجا من الحرم ثم دخل الحرم لم يكلم ولم يبايع حتى يخرج من الحرم فيقام عليه حدثنا سعيد بن يحيى الأموى قال ثنا عبد السلام بن حرب قال ثنا عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير وعن عبد الملك عن عطاء بن أبى رباح فى الرجل يقتل ثم يدخل الحرم قال لا يبيعه أهل مكة ولا يشترون منه ولا يسقونه ولا يطعمونه ولا يؤونه عد أشياء كثيرة حتى يخرج من الحرم فيؤخذ بذنبه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ان الرجل اذا أصاب حدا ثم دخل الحرم أنه لا يطعم ولا يسقى ولا يؤوى ولا يكلم ولا ينكح ولا يبايع فاذا خرج منه أقيم عليه الحد حدثنى المثنى قال ثنى حجاج قال ثنا حماد عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال اذا أحدث الرجل حدثا ثم دخل الحرم لم يؤو ولم يجالس ولم يبايع ولم يطعم ولم يسق حتى يخرج من الحرم حدثنى المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله ومن دخله كان آمنا فلو أن رجلا قتل رجلا ثم أتى الكعبة فعاذ بها ثم لقيه أخو المقتول لم يحل له أبدا أن يقتله * وقال آخرون معنى ذلك ومن دخله يكن آمنا من النار ذكر من قال ذلك حدثنا على بن مسلم قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا رزيق بن مسلم المخزومى قال ثنا زياد بن أبى عياض عن يحيى بن جعدة فى قوله ومن دخله كان آمنا قال آمنا من النار * وأولى الاقوال فى ذلك عندنا بالصواب قول ابن الزبير ومجاهد والحسن ومن قال معنى ذلك ومن دخله من غيره ممن لجأ اليه عائذا به كان آمنا ما كان فيه ولكنه يخرج منه فيقام عليه الحد ان كان أصاب ما يستوجبه فى غيره ثم لجأ اليه وان كان أصابه فيه أقيم عليه فيه فتأويل الآية اذا فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن يدخله من الناس مستجيرا به يكن آمنا مما استجار منه ما كان فيه حتى يخرج منه فان قال قائل وما منعك من اقامة الحد عليه فيه قيل لاتفاق جميع السلف على أن من كانت

(١) كذا فى النسخ بضمير الجمع فلعل سعدا كان معه جماعة هو رئيسهم أو عريفهم تأمل اه مصححه

وفى الثالث أنا الله ذو بكة خلقت الجن والانس فطوبى لمن كان الخير على يديه وويل لمن كان الشر على يديه وقد يستدل على صحة هذا القول بما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال يوم فتح مكة ألا ان الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والارض وتحريم مكة لا يمكن الا بعد وجودها ولانه تعالى سماها أم القرى وهذا يقتضى سبقها على سائر البقاع ولان تكليف الصلاة كان ثابتا فى أديان جميع الانبياء وأيضا قال تعالى فى سورة مريم أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم الى قوله خروا سجدا وبكيا والسجدة لا بد لها من قبلة فلو كانت قبلتهم غير الكعبة لم تكن هى أول بيت وضع للناس هذا محال خلف القول الثانى روى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن أول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس فسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن على أن رجلا قال له هو أول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واعلم أن الغرض الاصلى من ذكر هذه الاولية بيان الفضيلة وترجيحه على بيت المقدس ولا تأثير لاولية البناء فى هذا المقصود وان كان الارجح ثبوت تلك الاولية أيضا كما روينا آنفا فى سورة البقرة أيضا من الاخبار والآثار فمن فضائل البيت أن الآمر ببنائه الرب الجليل والمهندس جبرائيل والبانى ابراهيم الخليل وتلميذه ابنه اسمعيل ومنها انه محل اجابة الدعوات ومهبط الخيرات والبركات ومصعد الصلوات والطاعات ومنها مقام ابراهيم كما يجىء ومنها قلة ما يجتمع من حصى الجمار فيه فانه منذ آلاف سنة يرمى فى كل سنة خمسمائة ألف انسان كل واحد منهم سبعين حصاة ثم لا يرى هناك الا ما لو اجتمع

جريرته في غيره ثم عاذ به فانه لا يؤخذ بجريرته فيه وانما اختلفوا في صفة اخراجه منه لاخذه بها فقال بعضهم صفة ذلك منعه المعاني التي يضطر مع منعه وفقده الى الخروج منه وقال آخرون لا صفة لذلك غير اخراجه منه بما أمكن اخراجه من المعاني التي توصل الى اقامة حد الله عليه معها فلذلك قلنا غير جائز اقامة الحد عليه فيه الا بعد اخراجه منه فأما من أصاب الحد فيه فانه لا خلاف بين الجميع في أنه يقام عليه فيه الحد فكلتا المسئلتين أصل مجمع على حكمهما على ما وصفنا

* فان قال لنا قائل وما دلالتك على أن اخراج العائذ بالبيت اذا أتاه مستجيرا به من جريرة جرها أو من حد أصابه من الحرم جائز لاقامة الحد عليه وأخذه بالجريرة وقد أقررت بان الله عز وجل قد جعل من دخله آمنا ومعنى الآمن غير معنى الخائف فيما هما فيه مختلفان قيل قلنا ذلك لاجماع الجميع من المتقدمين والمتأخرين من علماء الامة على أن اخراج العائذ به من جريرة أصابها أو فاحشة أتاها وجبت عليه بها عقوبة منه ببعض معاني الاخراج لاخذه بما لزمه واجب على امام المسلمين وأهل الاسلام معه وانما اختلفوا في السبب الذي يخرج به منه فقال بعضهم السبب الذي يجوز اخراجه به منه ترك جميع المسلمين مبايعته واطعامه وسقيه وايواءه وكلامه وما أشبه ذلك من المعاني التي لا قرار للعائذ به فيه مع بعضها فكيف مع جميعها وقال آخرون منهم بل اخراجه لاقامة ما لزمه من العقوبة واجب بكل معاني الاخراج فلما كان اجماعا من الجميع على أن حكم الله فيمن عاذ بالبيت من حد أصابه أو جريرة جرها اخراجه منه لاقامة ما فرض الله على المؤمنين اقامته عليه ثم اختلفوا في السبب الذي يجوز اخراجه به منه كان اللازم لهم ولامامهم اخراجه منه بأي معنى أمكنهم اخراجه منه حتى يقيموا عليه الحد الذي لزمه خارجا منه اذا كان لجأ اليه من خارج على ما قد بينا قبل وبعد فان الله عز وجل لم يضع حدا من حدوده عن أحد من خلقه من أجل بقعة وموضع صار اليها من لزمه ذلك وقد تظاهرت الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال اني حرمت المدينة كما حرم ابراهيم مكة ولا خلاف بين جميع الامة أن عائذا لو عاذ من عقوبة لزمته بحرم النبي صلى الله عليه وسلم يؤاخذ بالعقوبة فيه ولولا ما ذكرت من اجماع السلف على أن حرم ابراهيم لا يقام فيه على من عاذ به من عقوبة لزمته حتى يخرج منه ما لزمه لكان أحق البقاع أن تؤدى فيه فرائض الله التي ألزمها عباده من قتل أو غيره أعظم البقاع الى الله كحرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم ولكنا أمرنا باخراج من أمرنا باخراجه من حرم الله لاقامة الحد لما ذكرنا من فعل الامة ذلك وراثة فمعنى الكلام اذ كان الامر على ما وصفنا ومن دخله كان آمنا ما كان فيه فاذا كان ذلك كذلك فمن لجأ اليه من عقوبة لزمته عائذا به فهو آمن ما كان به حتى يخرج منه وانما يصير الى الخوف بعد الخروج أو الاخراج منه فحينئذ هو غير داخله ولا هو فيه

﴿القول في تأويل قوله (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) يعني بذلك جل ثناؤه وفرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل الى حج بيته الحرام الحج اليه وقد بينا فيما مضى معنى الحج ودللنا على صحة ما قلنا من معناه بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف أهل التأويل في تأويل قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا وما السبيل التي يجب مع استطاعتها فرض الحج فقال بعضهم هي الزاد والراحلة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد ابن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال أخبرنا ابن جريج قال قال عمرو بن دينار الزاد والراحلة حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن أبي خباب عن الضحاك عن ابن عباس في قوله من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والبعير حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني

واحدة لكان غير كثير وليس الموضع الذي يرمى اليه الجمرات مسيل ماء أو مهب رياح شديدة وقد جاء في الآثار أن كل من كانت حجته مقبولة رفعت جمرته الى السماء ومنها أن الطيور تترك المرور فوق الكعبة وتنحرف عنها البتة اذا وصلت الى محاذاتها ومنها أن الحيوانات المتضادة في الطبائع لا يؤذي بعضها بعضا عنده كالكلاب والظباء ومنها أمن سكانها فلم ينقل البتة أن ظالما هدم الكعبة أو خرب مكة بالكلية وأما بيت المقدس فقد هدمه بختنصر بالكلية وقصة أصحاب الفيل سوف تجيء في موضعها ان شاء العزيز ومنها انه تعالى وضعها بواد غير ذي زرع لفوائد منها انه قطع بذلك رجاء أهل حرمه وسدنة بيته عمن سواه حتى لا يتوكلوا الا على الله ومنها أنه مع كونه كذلك يجبى اليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة خليله ابراهيم صلى الله عليه وسلم وانه من أعظم الآيات ومنها أن لا يسكنها أحد من الجبابرة لانهم يميلون الى طيبات الدنيا فيبقى ذلك الموضع المنيف والمقام الشريف مطهرا عن لوث وجود أرباب الهمم الدنية ومنها أن لا يقصدها الناس للتجارة بل يأتون لمحض العبادة والزيارة ومنها أنه تعالى أظهر بذلك شرف الفقر حيث وضع أشرف البيوت في أقل المواضع نصيبا من الدنيا فكأنه تعالى يقول جعلت الفقراء في الدنيا أهل البلد الامين لأجعلهم في الآخرة أهل المقام الامين ومنها كأنه قيل كما لم أجعل الكعبة الا في موضع خال عن جميع نعم الدنيا فكذا لا أجعل كعبة المعرفة الا في قلب خال عن محبة الدنيا (للذي ببكة) للبيت الذي ببكة قال في الكشاف وهي علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان كراتب وراتم وضربة لازم ولازب مما يعتقب فيه الميم والباء وقيل مكة البلد وبكة موضع

معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا والسبيل أن يصح بدن العبد ويكون له ثمن زاد وراحلة من غير أن يجحف به حدثنا خلاد بن أسلم قال ثنا النضر بن شميل قال أخبرنا اسرائيل عن أبي اسحق عن أبي عبد الله البجلي قال سألت سعيد بن جبير عن قوله من استطاع اليه سبيلا قال قال ابن عباس من ملك ثلثمائة درهم فهو السبيل اليه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو عاصم عن ابن اسحق بن عثمان قال سمعت عطاء يقول السبيل الزاد والراحلة حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما من استطاع اليه سبيلا فان ابن عباس قال السبيل راحلة وزاد حدثني المثنى وأحمد بن حازم قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن محمد بن سوقة عن سعيد بن جبير من استطاع اليه سبيلا قال الزاد والراحلة حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال أخبرنا الربيع بن صبيح عن الحسن قال الزاد والراحلة حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحسن قال قرأ النبي صلى الله عليه وسلم هذه الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا فقال رجل يارسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة * واعتل قائلو هذه المقالة بأخبار رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو ما قالوا في ذلك ذكر الرواية بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابراهيم ابن يزيد الخوزي قال سمعت محمد بن عباد بن جعفر يحدث عن ابن عمر قال قام رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم الخوزي عن محمد بن عباد عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله عز وجل من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الى الحج الزاد والراحلة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا يونس وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس عن الحسن قال قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قالوا يارسول الله ما السبيل قال الزاد والراحلة حدثنا أبو عثمان المقدمي والمثنى بن ابراهيم قالا ثنا مسلم ابن ابراهيم قال ثنا هلال بن عبد الله مولى ربيعة بن عمرو بن مسلم الباهلي قال ثنا أبو اسحق عن الحرث عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ملك زادا وراحلة تبلغه الى بيت الله فلم يحج فلا عليه أن يموت يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله عز وجل يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن قال بلغنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال له قائل أو رجل يارسول الله ما السبيل اليه قال من وجد زادا وراحلة حدثنا أحمد بن الحسن الترمذي قال ثنا (١) شاذ بن فياض البصري قال ثنا هلال بن هشام عن أبي اسحق الهمداني عن الحرث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ملك زادا وراحلة فلم يحج مات يهوديا أو نصرانيا وذلك أن الله يقول في كتابه ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا الآية حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا حماد بن سلمة عن قتادة وحميد عن الحسن أن رجلا قال يارسول الله ما السبيل اليه قال الزاد والراحلة حدثنا محمد بن بشار قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا حماد عن قتادة عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله * وقال آخرون السبيل التي اذا استطاعها المرء كان عليه الحج الطاقة للوصول اليه قال وذلك قد يكون بالمشي وبالركوب وقد يكون مع وجودهما العجز عن الوصول اليه بامتناع الطريق من العدو الحائل وبقلة الماء وما أشبه ذلك قالوا فلا بيان في ذلك أبين مما بينه الله عز وجل بأن يكون مستطيعا اليه السبيل وذلك الوصول اليه بغير مانع ولا حائل بينه وبينه وذلك

(١) شاذ بن فياض هو بالذال المعجمة واسمه هلال اهـ خلاصة كتبه مصححه

المسجد وفي الصحاح بكة اسم لبطن مكة وأما اشتقاق بكة فمن قولهم بكه اذا زحمه ودفعه وعن سعيد بن جبير سميت بكة لانهم يتباكون فيها أي يزدحمون في الطواف وهو قول محمد بن علي الباقر ومجاهد وقتادة قال بعضهم رأيت محمد بن علي الباقر يصلي فمرت امرأة بين يديه فذهبت أدفعها فقال دعها فانها سميت بكة لانه يبك بعضهم بعضا تمر المرأة بين يدي الرجل وهو يصلي والرجل بين يدي المرأة وهي تصلي ولا بأس بذلك في هذا المكان ويؤكد هذا قول من قال ان بكة موضع المسجد لان المطاف هنالك وفيه الازدحام ولا شك أن بكة غير البيت لان الآية تدل على أن البيت حاصل في بكة والشيء لا يكون ظرفا لنفسه وقيل سميت بكة لانها تبك أعناق الجبابرة أي تدقها لم يقصدها جبار بسوء الا اندقت عنقه وأما مكة فاشتقاقها من قولك امتك الفصيل ضرع أمه اذا امتص ما فيه واستقصى فسميت بذلك لانها تجذب الناس من كل جانب وقطر أو لقلة مائها كأن أرضها امتصت ماءها وقيل ان مكة وسط الارض والعيون والمياه تنبع من تحتها فكأن الارض كلها تمك من ماء مكة ثم انه تعالى وصف البيت بكونه مباركا وهدى للعالمين أما انتصابه فعلى الحال من الضمير المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه معنى الاستقرار وأما معناه فالبركة اما النمو والتزايد وكثرة الخير واما البقاء والدوام وكل شيء ثبت ودام فقد برك ومنه برك البعير اذا وضع صدره على الارض والبركة شبه الحوض لثبوت الماء فيها وتبارك الله لثبوته لم يزل ولا يزال والبيت مبارك لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب قال صلى الله عليه وسلم صلاة

قد يكون بالمشي وحده وان أعوزه المركب وقد يكون بالمركب وغير ذلك ذكر ذلك من قال ذلك
حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن خالد بن أبي كريمة عن
رجل عن ابن الزبير بقوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال على قدر القوة حدثنا
يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله من استطاع اليه سبيلا
قال الزاد والراحلة فان كان شابا صحيحا ليس له مال فعليه أن يؤاجر نفسه بأكله وعقبه حتى يقضي
حجته فقال له قائل كلف الله الناس أن يمشوا الى البيت فقال لو أن لبعضهم ميراثا بمكة أكان تاركه
والله لانطلق اليه ولو حبوا كذلك يجب عليه الحج حدثنا محمد بن بشار قال ثنا محمد بن بكر قال
أخبرنا ابن جريج قال قال عطاء من وجد شيأ يبلغه فقد وجد سبيلا كما قال الله عز وجل من استطاع
اليه سبيلا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال ثنا سهل بن عامر عن هذه
الآية ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل ما يسره الله حدثني محمد بن
سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن من وجد شيأ يبلغه فقد استطاع اليه سبيلا
* وقال آخرون السبيل الى ذلك الصحة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن حميد ومحمد بن عبد الله
ابن عبد الحكم والمثنى بن ابراهيم قالوا حدثنا أبو عبد الرحمن المقري قال ثنا حيوة بن شريح وابن
لهيعة قالا أخبرنا شرحبيل بن شريك المعافري أنه سمع عكرمة مولى ابن عباس يقول في هذه الآية
ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال السبيل الصحة * وقال آخرون بما حدثني
يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع
اليه سبيلا قال من وجد قوة في النفقة والجسد والحملان قال وان كان في جسده ما لا يستطيع الحج
فليس عليه الحج وان كان له قوة في مال كما اذا كان صحيح الجسد ولا يجد مالا ولا قوة يقولون لا يكلف أن
يمشي وأولى الاقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال بقول ابن الزبير وعطاء ان ذلك على قدر
الطاقة لان السبيل في كلام العرب الطريق فمن كان واجدا طريقا الى الحج لا مانع له منه من زمانة أو
عجز أو عدو أو قلة ماء في طريقه أو زاد وضعف عن المشي فعليه فرض الحج لا يجزيه الا أداؤه فان لم
يكن واجدا سبيلا أعني بذلك فان لم يكن مطيقا الحج بتعذر بعض هذه المعاني التي وصفناها عليه فهو
ممن لا يجد اليه طريقا ولا يستطيعه لان الاستطاعة الى ذلك هو القدرة عليه ومن كان عاجزا عنه
ببعض الاسباب التي ذكرنا أو بغير ذلك فهو غير مطيق ولا مستطيع اليه السبيل وانما قلنا هذه المقالة
أولى بالصحة مما خالفها لان الله عز وجل لم يخصص اذ ألزم الناس فرض الحج بعض مستطيعي السبيل
اليه بسقوط فرض ذلك عنه فذلك على كل مستطيع اليه سبيلا بعموم الآية فأما الاخبار التي رويت
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بانه الزاد والراحلة فانها أخبار في أسانيدها نظر لا يجوز
الاحتجاج بمثلها في الدين واختلف القراء في قراءة الحج فقرأ ذلك جماعة من قراء أهل المدينة والعراق
بالكسر ولله على الناس حج البيت وقرأ ذلك جماعة أخر منهم بالفتح ولله على الناس حج البيت وهما
لغتان معروفتان للعرب فالكسر لغة أهل نجد والفتح لغة أهل العالية ولم نر أحدا من أهل العربية
ادعى فرقا بينهما في معنى ولا غيره غير ما ذكرنا من اختلاف اللغتين الا ما حدثنا به أبو هشام
الرفاعي قال قال حسين الجعفي الحج مفتوح اسم والحج مكسور عمل وهذا قول لم أر أهل المعرفة
بلغات العرب ومعاني كلامهم يعرفونه بل رأيتهم مجمعين على ما وصفت من أنهما لغتان بمعنى واحد
والذي نقول به في قراءة ذلك أن القراءتين اذ كانتا مستفيضتين في قراءة أهل الاسلام ولا اختلاف
بينهما في معنى ولا غيره فهما قراءتان قد جاءتا مجيء الحجة فبأي القراءتين أعني بكسر الحاء من الحج أو
فتحها قرأ القارئ فمصيب الصواب في قراءته وأما من التي مع قوله من استطاع فانه في موضع

في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه الا المسجد الحرام وقال صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة ولو
استحضر العاقل في نفسه أن الكعبة
كالنقطة وصفوف المتوجهين اليها
في الصلوات في أقطار الارض
وأكنافها ولعمري انها غير محصورة
كالدوائر المحيطة بالمركز ولا شك أنه
يحصل فيما بين هؤلاء المصلين
أشخاص أرواحهم علوية
وقلوبهم قدسية وأسرارهم
نورانية وضمائرهم ربانية علم أنه اذا
توجهت تلك الارواح الصافية الى
كعبة المعرفة واستقبلت أجسادهم
هذه الكعبة الحسية اتصلت أنوار
أولئك الارواح بنوره وعظم لمعان
الاضواء الروحانية في سره قال
القفال يجوز أن تكون بركته
ما ذكر في قوله يجبى اليه ثمرات
كل شيء فيكون كقوله الى الارض
المقدسة التي باركنا فيها وان فسرنا
البركة بالدوام فلا شك أنه لا تنفك
الكعبة من الطائفين والعاكفين
والركع السجود واذا كانت الارض
كرة وكل آن يفرض فانه صبح لقوم
ظهر لآخرين وعصر لغيرهم أو
مغرب أو عشاء فلا تخلو الكعبة عن
توجه قوم اليها البتة وأيضا بقاء
الكعبة على هذه الحالة ألوفا من
السنين دوام وأما كونه هدى
للعالمين فلانه قبلتهم ومتعبدهم أو
لانه يدل على وجود الصانع وصدق
محمد صلى الله عليه وسلم بما فيه من
الآيات والاعاجيب أو لانه يهدي
الى الجنة ومعنى هدى هاديا أو ذا
هدى قاله الزجاج ويجوز أن يكون
محله رفعا أي وهو هدى (فيه آيات
بينات) يحتمل أن يراد بها ما عددنا
من بعض فضائله ويكون قوله مقام
ابراهيم غير متعلق بما قبله فكأنه
قيل فيه آيات بينات ومع ذلك فهو مقام ابراهيم وموضعه الذي اختاره وعبد الله فيه وقال الاكثرون ان الآيات بيانه وتفسيره قوله مقام

خفض على الابدال من الناس لان معنى الكلام ولله على من استطاع من الناس سبيلا الى حج البيت
حجه فلما تقدم ذكر الناس قبل من بين بقوله من استطاع اليه سبيلا الذى عليه فرض ذلك منهم لان
فرض ذلك على بعض الناس دون جميعهم ۞ القول فى تأويل قوله (ومن كفر فان الله غنى عن
العالمين) يعنى بذلك جل ثناؤه ومن جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته فأنكره وكفر به فان الله غنى
عنه وعن حجه وعمله وعن سائر خلقه من الجن والانس كما حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن
قال ثنا عبد الواحد بن زياد عن الحجاج بن أرطاة عن محمد بن أبى المجالد قال سمعت مقسما عن ابن
عباس فى قوله ومن كفر قال من زعم أنه ليس بفرض عليه حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا
هشيم قال أخبرنا الحجاج عن عطاء وجويبر عن الضحاك فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين
قالا من جحد الحج وكفر به حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا هشيم عن الحجاج بن
أرطاة عن عطاء قال من جحده حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا عمران القطان
يقول من زعم أن الحج ليس عليه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن
فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من أنكره ولا يرى أن ذلك عليه حقا فذلك كفر
حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال من
كفر بالحج حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن أبى بشر عن ابن أبى نجيح
عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال من كفر بالحج كفر بالله حدثنى المثنى
قال ثنا يعلى بن أسد قال ثنا خالد عن هشام بن حسان عن الحسن فى قول الله عز وجل ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من لم يره عليه واجبا حدثنى المثنى
قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ومن كفر قال بالحج * وقال
آخرون معنى ذلك أن لا يكون معتقدا فى حجه أن له الاجر عليه ولا أن عليه بتركه اثما ولا عقوبة
ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن جريج قال ثنى
عبد الله بن مسلم عن مجاهد فى قوله ومن كفر فان الله غنى عن العالمين قال هو ما ان حج لم يره برا وان
قعد لم يره مأثما حدثنا عبد الحميد بن بيان قال أخبرنا اسحق بن يوسف عن ابن جريج عن مجاهد
قال هو ما ان حج لم يره برا وان قعد لم يره مأثما حدثنى أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مطر
عن أبى داود نفيع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه
سبيلا ومن كفر فان الله غنى عن العالمين فقام رجل من هذيل فقال يا رسول الله من تركه كفر
قال من تركه ولا يخاف عقوبته ومن حج ولا يرجو ثوابه فهو ذاك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله
ابن صالح قال ثنى معاوية عن على عن ابن عباس ومن كفر فان الله غنى عن العالمين يقول
من كفر بالحج فلم ير حجه برا ولا تركه مأثما * وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بالله واليوم الآخر
ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد قال سألته عن قوله
ومن كفر فان الله غنى عن العالمين ما هذا الكفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثنا ابن بشار
قال ثنا عبد الرحمن بن مهدى قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد فى قوله ومن كفر قال من
كفر بالله واليوم الآخر حدثنا يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك
فى قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا قال لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم أهل الاديان كلهم فقال يا أيها الناس ان الله عز وجل كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة
واحدة وهى من صدق النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا
نصلى اليه ولا نستقبله فأنزل الله عز وجل ومن كفر فان الله غنى عن العالمين حدثنى أحمد بن حازم

قال

ابراهيم اماما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لانه معجز رسول وكل معجز ففيه دليل أيضا على علم الصانع وقدرته وارادته
وجماله وتعاليه عن مشابهة
المحدثات فلقوة هذا الدليل عبر عنه
بلفظ الجمع كقوله ان ابراهيم كان
أمة واما ان يجعل المقام مشتملا على
آيات لان أثر القدم فى الصخرة
الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين
آية وإلانة بعض الصخرة دون
بعض آية وابقاء هذا الاثر دون آثار
سائر الانبياء آية لابراهيم خاصة
وحفظه مع كثرة أعدائه من
المشركين وأهل الكتاب والملاحدة
الوفا من السنين آية قال الزجاج
قوله ومن دخله كان آمنا من تتمة
تفسير الآيات وهذه الجملة وان
كانت من مبتدإ وخبر أو من شرط
وجزاء الا أنها فى تقدير مفرد من
حيث المعنى فكأنه قيل فيه آيات
بينات وأمن من دخله كما لو قلت فيه
آية بينة من دخله كان آمنا كان
معناه فيه آية بينة أمن من دخله
وهذا التفسير بعد تصحيحه مبنى
على أن الاثنين جمع كما قال صلى الله
عليه وسلم الاثنان فما فوقهما
جماعة وفى القرآن هذان خصمان
اختصموا وقيل ذكر آيتان وطوى
ذكر غيرهما دلالة على تكاثر
الآيات كأنه قيل فيه آيات بينات
مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير
سواهما ومنه قوله صلى الله عليه
وسلم حبب الى من دنياكم ثلاث
الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى
الصلاة ومنهم من تمم الثلاثة فقال
مقام ابراهيم وأمن من دخله وان
لله على الناس حجه وقال المبرد مقام
مصدر فلم يجمع والمراد مقامات
ابراهيم هى ما أقامه من المناسك
فالمراد بالآيات شعائر الحج وقرأ ابن
عباس وأبى ومجاهد وأبو جعفر المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد قاله فى الكشاف وفيه توكيد

قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا أبو هانئ قال سئل عامر عن قوله ومن كفر قال من كفر من الخلق فان الله غني عنه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا سفيان عن ابراهيم عن محمد ابن عباد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم في قول الله ومن كفر قال من كفر بالله واليوم الآخر حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن عكرمة مولى ابن عباس في قول الله عز وجل ومن يبتغ غير الاسلام دينا فقالت الملل نحن مسلمون فأنزل الله عز وجل ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين فحج المؤمنون وقعد الكفار * وقال آخرون معنى ذلك ومن كفر بهذه الآيات التي في مقام ابراهيم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين فقرأ ان أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا فقرأ حتى بلغ من استطاع اليه سبيلا ومن كفر قال من كفر بهذه الآيات فان الله غني عن العالمين ليس كما يقولون اذا لم يحج وكان غنيا وكانت له قوة فقد كفر (١) بها وقال قوم من المشركين فانا نكفر بها ولا نفعل فقال الله عز وجل فان الله غني عن العالمين * وقال آخرون بما حدثني ابراهيم بن عبد الله بن مسلم قال أخبرنا أبو عمر الضرير قال ثنا حماد عن حبيب بن أبي بقية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين قال من كفر بالبيت * وقال آخرون كفره به تركه اياه حتى يموت ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما من كفر فمن وجد ما يحج به ثم لم يحج فهو كافر * وأولى التأويلات بالصواب في ذلك قول من قال معنى ومن كفر ومن جحد فرض ذلك وأنكر وجوبه فان الله غني عنه وعن حجه وعن العالمين جميعا وانما قلنا ذلك أولى به لان قوله ومن كفر بعقب قوله ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا بان يكون خبرا عن الكافر بالحج أحق منه بان يكون خبرا عن غيره مع أن الكافر بفرض الحج على من فرضه الله عليه بالله كافر وان الكفر أصله الجحود ومن كان له جاحدا ولفرضه منكرا فلا شك ان حج لم يرج بحجه برا وان تركه فلم يحج لم يره مأثما فهذه التأويلات وان اختلفت العبارات بها فمتقاربات المعاني ﴿ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون) يعني بذلك يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم من سائر من ينتحل الديانة بما أنزل الله عز وجل من كتبه ممن كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وجحد نبوته لم تجحدون بآيات الله يقول لم تجحدون حجج الله التي آتاها محمدا في كتبكم وغيرها التي قد ثبتت عليكم بصدقه ونبوته حجته وأنتم تعلمون يقول لم تجحدون ذلك من أمره وأنتم تعلمون صدقه فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم متعمدون الكفر بالله وبرسوله على علم منهم ومعرفة من كفرهم وقد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله أما آيات الله فمحمد صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات والله شهيد على ما تعملون قال هم اليهود والنصارى ﴿ القول في تأويل قوله (قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر يهود بني اسرائيل وغيرهم ممن ينتحل التصديق بكتب الله لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تضلون عن طريق الله ومحجته التي شرعها لانبيائه وأوليائه وأهل الايمان من آمن يقول من صدق بالله ورسوله وما جاء به من عند الله تبغونها عوجا يعني تبغون لها عوجا والهاء والالف اللتان في قوله تبغونها عائدتان على السبيل وأنثها لتأنيث السبيل ومعنى قوله تبغون لها عوجا من قول الشاعر وهو سحيم عبد بني الحسحاس

(١) لعل لفظ بها زائد من الناسخ تأمل

لكون مقام ابراهيم وحده بيانا وأما حديث أمن من دخله فقد مر اختلاف العلماء فيه في سورة البقرة في قوله واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا وقيل كان آمنا من النار لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه صلى الله عليه وسلم الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (ولله على الناس حج البيت) لما ذكر فضائل البيت أردفه بايجاب الحج وفيه لغتان الفتح لغة الحجاز والكسر لغة نجد وكلاهما مصدر كالمدح والذم والذكر والعلم وقيل المكسور اسم للعمل والمفتوح مصدر ومحل من استطاع خفض على البدل من الناس والمعنى ولله على من استطاع من الناس حج البيت وقال الفراء يجوز أن ينوي الاستئناف بمن والخبر أو الجزاء محذوف لدلالة ما قبله عليه والتقدير من استطاع اليه سبيلا فلله عليه حج البيت وقال ابن الانباري يحتمل أن يكون محله رفعا على البيان كأنه قيل من الناس الذين عليهم لله حج البيت فقيل هم من استطاع والضمير في اليه للبيت أو الحج واستطاعة السبيل الى الشيء هي امكان الوصول اليه واحتج أصحاب الشافعي بالآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشرائع لان الناس يعم المؤمن والكافر وعدم الايمان لا يصلح أن يكون معارضا ومخصصا لهذا العموم لان الدهري مكلف

بغالك وما تبغيه حتى وجدته * كأنك قد واعدته أمس موعدا

يعنى طلبك وما تطلبه يقال ابغنى كذا اى ابتغه لى فاذا أرادوا أعنى على طلبه وابتغه معى قالوا أبغنى بفتح الالف وكذلك يقال احلبنى بمعنى اكفنى الحلب وأحلبنى أعنى عليه وكذلك جميع ما ورد من هذا النوع فعلى هذا وأما العوج فهو الاود والميل وانما يعنى بذلك الضلال عن الهدى يقول جل ثناؤه لم تصدون عن دين الله من صدق الله ورسوله تبغون دين الله اعوجاجا عن سننه واستقامته وخرج الكلام على السبيل والمعنى لاهله كأن المعنى تبغون لاهل دين الله ولمن هو على سبيل الحق عوجا يقول ضلالا عن الحق وزيغا عن الاستقامة على الهدى والمحجة والعوج بكسر أوله الاود فى الدين والكلام والعوج بفتح أوله الميل فى الحائط والقناة وكل شئ منتصب قائم وأما قوله وأنتم شهداء فانه يعنى شهداء على أن الذى تصدون عنه من السبيل حق تعلمونه وتجدونه فى كتبكم وما الله بغافل عما تعملون يقول ليس الله بغافل عن أعمالكم التى تعملونها مما لا يرضاه لعباده وغير ذلك من أعمالكم حتى يعاجلكم بالعقوبة عليها معجلة أو يؤخر ذلك لكم حتى تلقوه فيجازيكم عليها وقد ذكر أن هاتين الآيتين من قوله يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والآيات بعدهما الى قوله فأولئك لهم عذاب عظيم نزلت فى رجل من اليهود حاول الاغراء بين الحيين من الاوس والخزرج بعد الاسلام ليراجعوا ما كانوا عليه فى جاهليتهم من العداوة والبغضاء فعنفه الله بفعله ذلك وقبح له ما فعل ووبخه عليه ووعظ أيضا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ونهاهم عن الافتراق والاختلاف وأمرهم بالاجتماع والائتلاف ذكر الرواية بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى الثقة عن زيد بن أسلم قال مر شاس بن قيس وكان شيخا قد عسا فى الجاهلية عظيم الكفر شديد الضغن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الاوس والخزرج فى مجلس قد جمعهم يتحدثون فيه فغاظه ما رأى من جماعتهم وألفتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذى كان بينهم من العداوة فى الجاهلية فقال قد اجتمع ملأ بنى قيلة بهذه البلاد والله ما لنا معهم اذا اجتمع ملؤهم بها من قرار فأمر فتى شابا من اليهود وكان معه فقال اعمد اليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم بعاث وما كان قبله وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار وكان يوم بعاث يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين على الركب أوس بن قيظى أحد بنى حارثة بن الحرث من الاوس وجبار بن صخر أحد بنى سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئتم والله رددناها الآن جذعة وغضب الفريقان وقالوا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة والظاهرة الحرة فخرجوا اليها وتحاور الناس فانضمت الاوس بعضها الى بعض والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهلية فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين من أصحابه حتى جاءهم فقال يا معشر المسلمين الله الله أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ هداكم الله الى الاسلام وأكرمكم به وقطع به عنكم أمر الجاهلية واستنقذكم به من الكفر وألف به بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح من أيديهم وبكوا وعانق الرجال من الاوس والخزرج بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس وما صنع فأنزل الله فى شاس بن قيس وما صنع يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية وأنزل الله عز وجل فى أوس بن قيظى وجبار بن صخر ومن كان معهما

بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم مع أن شرط صحة الايمان بمحمد غير حاصل والمحدث مكلف بالصلاة مع أن الوضوء الذى هو شرط صحة الصلاة ليس بحاصل واحتج جمهور المعتزلة بالآية على أن الاستطاعة قبل الفعل لانها لو كانت مع الفعل لكان من لم يحج لم يكن مستطيعا للحج فلا يتناوله التكليف المذكور وذلك باطل بالاتفاق أجاب الاشاعرة بان هذا أيضا لازم عليكم لان القادر اما أن يكون مأمورا بالفعل قبل حصول الداعى الى الفعل وهو محال لانه تكليف بما لا يطاق أو بعد حصوله وحينئذ يكون الفعل واجب الحصول فلا يكون فى التكليف به فائدة واذا كانت الاستطاعة منتفية فى الحالين وجب أن لا يتوجه التكليف والحق أن وجوب الفعل بالقدرة والارادة لا ينافى توجه التكليف اليه * واعلم أن الحج لا يجب بأصل الشرع فى العمر الا مرة واحدة لما روى عن ابن عباس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا أيها الناس ان الله كتب عليكم الحج فقام الاقرع بن حابس فقال أفى كل عام يا رسول الله فقال لو قلتها لوجبت ولو وجبت لم تعملوا بها الحج مرة فمن زاد فتطوع وقد يجب أكثر من مرة واحدة لعارض كالنذر والقضاء ولصحة الحج على الاطلاق شرط واحد وهو الاسلام فلا يصح حج الكافر كصومه وصلاته ولا يشترط فيها التكليف بل يجوز للولى أن يحرم عن المجنون وعن الصبى الذى لا يميز وحينئذ يصح حجهما لما روى عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم مر بامرأة وهى فى محفتها فأخذت بعضد صبى كان معها فقالت ألهذا حج فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم ولك أجر وعن جابر قال حججنا مع النبى صلى الله عليه وسلم ومعنا النساء والصبيان فلبينا

من قومهما الذين صنعوا ما صنعوا اما أدخل عليهم شاس بن قيس من أمر الجاهلية يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الى قوله أولئك لهم عذاب عظيم وقيل انه عنى بقوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله جماعة يهود بنى اسرائيل الذين كانوا بين أظهر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام نزلت هذه الآيات والنصارى وان صدهم عن سبيل الله كان باخبارهم من سألهم عن أمر نبى الله محمد صلى الله عليه وسلم هل يجدون ذكره فى كتبهم أنهم لا يجدون نعته فى كتبهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا كانوا اذا سألهم أحد هل تجدون محمدا قالوا لا فصدوا عنه الناس وبغوا محمدا عوجا هلاكا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله يقول لم تصدون عن الاسلام وعن نبى الله من آمن بالله وأنتم شهداء فيما تقرؤن من كتاب الله أن محمدا رسول الله وأن الاسلام دين الله الذى لا يقبل غيره ولا يجزى الا به تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله قال هم اليهود والنصارى نهاهم أن يصدوا المسلمين عن سبيل الله ويريدون أن يعدلوا الناس الى الضلالة فتأويل الآية على ما قاله السدى يا معشر اليهود لم تصدون عن محمد وتمنعون من اتباعه المؤمنين به بكتمانكم صفته التى تجدونها فى كتبكم ومحمد على هذا القول هو السبيل تبغونها عوجا تبغون محمدا هلاكا وأما سائر الروايات غيره والاقوال فى ذلك فانه نحو التأويل الذى بيناه قبل من أن معنى السبيل التى ذكرها فى هذا الموضع الاسلام وما جاء به محمد من الحق من عند الله

القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين) اختلف أهل التأويل فيمن عنى بذلك فقال بعضهم عنى بقوله يا أيها الذين آمنوا الاوس والخزرج وبالذين أوتوا الكتاب شاس بن قيس اليهودى على ما قد ذكرنا قبل من خبرهم عن زيد بن أسلم * وقال آخرون فيمن عنى بالذين آمنوا مثل قول زيد بن أسلم غير أنهم قالوا الذى جرى الكلام بينه وبين غيره من الانصار حتى هموا بالقتال ووجد اليهودى به مغمزا فيهم ثعلبة بن غنمة الانصارى ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قال نزلت فى ثعلبة بن غنمة الانصارى كان بينه وبين أناس من الانصار كلام فمشى بينهم يهودى من قينقاع فحمل بعضهم على بعض حتى همت الطائفتان من الاوس والخزرج أن يحملوا السلاح فيقاتلوا فأنزل الله عز وجل ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين يقول ان حملتم السلاح فاقتتلتم كفرتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمان عن حميد الاعرج عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب قال كان جماع قبائل الانصار بطنين الاوس والخزرج وكان بينهما فى الجاهلية حرب ودماء وشنآن حتى منّ الله عليهم بالاسلام وبالنبى صلى الله عليه وسلم فأطفأ الله الحرب التى كانت بينهم وألف بينهم بالاسلام قال فبينا رجل من الاوس ورجل من الخزرج قاعدان يتحدثان ومعهما يهودى جالس فلم يزل يذكرهما أيامهما والعداوة التى كانت بينهم حتى استبا ثم اقتتلا قال فنادى هذا

عن الصبيان ورميا عنهم واصحة المباشرة شرط زائد على الاسلام وهو التمييز فلا تصح مباشرة الحج من المجنون والصبى الذى لا يميز كسائر العبادات ويصح من الصبى المميز أن يحرم ويحج باذن الولى ولا يشترط فيهما الحرية كسائر العبادات ولوقوعه عن حجة الاسلام شرطان زائدان البلوغ والحرية لقوله صلى الله عليه وسلم أيما صبى حج ثم بلغ فعليه حجة الاسلام وأيما عبد حج ثم عتق فعليه حجة الاسلام والمعنى فيه أن الحج عبادة عمر لا تتكرر فاعتبر وقوعها فى حالة الكمال ولان التكليف تابع للتمييز فشرط هذا الحكم اذن يعود الى ثلاثة الاسلام والتكليف والحرية ولو تكلف الفقير الحج وقع حجه عن الفرض كما لو تحمل الغنى خطر الطريق وحج وكما لو تحمل المريض المشقة وحضر الجمعة ولوجوب حجة الاسلام شرط زائد على الثلاثة المذكورة آنفا وهو الاستطاعة بالآية والاستطاعة نوعان استطاعة مباشرته بنفسه واستطاعة تحصيله بغيره النوع الاول يتعلق به أمور أربعة أحدها الراحلة والناس قسمان أحدهما من بينه وبين مكة مسافة القصر فلا يلزمه الحج الا اذا وجد راحلة سواء كان قادرا على المشى أو لم يكن لما روى أنه صلى الله عليه وسلم فسر استطاعة السبيل الى الحج بوجود الزاد والراحلة نعم لو كان قادرا على المشى يستحب له ان لا يترك الحج وعند مالك القوى على المشى يلزمه الحج ويعتبر مع وجدان الراحلة وجدان المحمل أيضا ان كان لا يستمسك على الراحلة ويلحقه مشقة شديدة ثم العادة جارية بركوب اثنين فى المحمل فان وجد مؤنة محمل أو شق محمل ووجد شريكا يجلس فى الجانب الآخر لزمه الحج وان لم يجد الشريك فلا القسم الثانى من ليس بينه وبين مكة مسافة القصر فان كان قويا على المشى لزمه الحج والا فلا يجب الا مع الراحلة أو معها ومع المحمل كما فى حق البعيد والمراد بوجود الراحلة أن يقدر على [illegible]لها ملكا أو استئجارا بثمن المثل أو باجرة المثل

قومه وهذا قومه فخرجوا بالسلاح وصف بعضهم لبعض قال ورسول الله صلى الله عليه وسلم شاهد يومئذ بالمدينة فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يمشي بينهم الى هؤلاء والى هؤلاء ليسكنهم حتى رجعوا ووضعوا السلاح فأنزل الله عز وجل القرآن في ذلك يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب الى قوله عذاب عظيم فتأويل الآية يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم من عند الله ان تطيعوا جماعة ممن ينتحل الكتاب من أهل التوراة والانجيل فتقبلوا منهم ما يأمرونكم به يضلوكم فيردوكم بعد تصديقكم رسول ربكم وبعد اقراركم بما جاء به من عند ربكم كافرين يقول جاحدين لما قد آمنتم به وصدقتموه من الحق الذي جاءكم من عند ربكم فنهاهم جل ثناؤه أن ينتصحوهم ويقبلوا منهم رأيا أو مشورة ويعلمهم تعالى ذكره أنهم لهم منطوون على غل وغش وحسد وبغض كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين قد تقدم الله اليكم فيهم كما تسمعون وحذركم وأنبأكم بضلالتهم فلا تأتمنوهم على دينكم ولا تنتصحوهم على أنفسكم فانهم الأعداء الحسدة الضلال كيف تأتمنون قوما كفروا بكتابهم وقتلوا رسلهم وتحيروا في دينهم وعجزوا عن أنفسهم أولئك والله هم أهل التهمة والعداوة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم) يعني بذلك جل ثناؤه وكيف تكفرون أيها المؤمنون بعد ايمانكم بالله وبرسوله فترتدوا على أعقابكم وأنتم تتلى عليكم آيات الله يعني حجج الله عليكم التي أنزلها في كتابه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وفيكم رسوله حجة أخرى عليكم لله مع آي كتابه يدعوكم جميع ذلك الى الحق ويبصركم الهدى والرشاد وينهاكم عن الغي والضلال يقول لهم تعالى ذكره فما وجه عذركم عند ربكم في جحودكم نبوة نبيكم وارتدادكم على أعقابكم ورجوعكم الى أمر جاهليتكم ان أنتم راجعتم ذلك وكفرتم وفيه هذه الحجج الواضحة والآيات البينة على خطأ فعلكم ذلك ان فعلتموه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله الآية علمان بينان وجدان نبي الله صلى الله عليه وسلم وكتاب الله فأما نبي الله فمضى صلى الله عليه وسلم وأما كتاب الله فأبقاه الله بين أظهركم رحمة من الله ونعمة فيه حلاله وحرامه وطاعته ومعصيته وأما قوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم فانه يعني ومن يتعلق بأسباب الله ويتمسك بدينه وطاعته فقد هدى يقول فقد وفق لطريق واضح ومحجة مستقيمة غير معوجة فيستقيم به الى رضا الله والى النجاة من عذاب الله والفوز بجنته كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله ومن يعتصم بالله فقد هدى قال يؤمن بالله وأصل العصم المنع فكل مانع شيأ فهو عاصمه والممتنع به معتصم به ومنه قول الفرزدق

أنا ابن العاصمين بني تميم * اذا ما أعظم الحدثان نابا

ولذلك قيل للحبل عصام والسبب الذي يتسبب به الرجل الى حاجته عصام ومنه قول الأعشى

الى المرء قيس أطيل السرى * وآخذ من كل حي عصم

يعني بالعصم الاسباب أسباب الذمة والأمان يقال منه اعتصمت بحبل من فلان واعتصمت حبلا

وكذا في المحمل * المتعلق الثاني الزاد وأوعيته وما يحتاج اليه في السفر مدة ذهابه وايابه سواء كان له أهل أو عشيرة يرجع اليهم أولا لحب الوطن من الايمان وكذا الراحلة للاياب وأجرة البذرقة كل ذلك بعد قضاء جميع الديون ورد الودائع ونفقة من يلزمه نفقتهم حينئذ الى العود وبعد مؤن النكاح ان خاف العنت وبعد مسكنه ودست ثوب يليق به وخادم يحتاج اليه لزمانته أو لمنصبه ولو كان له رأس مال يتجر فيه وينفق من ربحه ولو نقص لبطلت تجارته أو كان له مستغلات يرتفق منها نفقته فالأصح عند الائمة انه يكلف بيعها لانه واجد للزاد والراحلة في الحال ولا عبرة لخوف الفقر في الاستقبال * المتعلق الثالث الطريق ويشترط فيه غلبة ظن الأمن على النفس من نحو سبع وعدو والأمن على المال من عدو أو رصدي وان رضي بشئ يسير والأمن على البضع للمرأة بخروج زوج أو محرم أو نسوة ثقات وفي البحر يعتبر غلبة السلامة وفي البر وجود علف الدابة * المتعلق الرابع البدن ويشترط فيه أن يقوى على الاستمساك على الراحلة فان ضعف عن ذلك لمرض أو غيره فهو غير مستطيع للمباشرة ولا بد للاعمى من قائد وعند أبي حنيفة لا حج عليه ويروى أنه يستنيب قال الائمة لابد مع الشرائط من امكان المسير وهو أن يبقى من الزمان بعد الاستطاعة ما يمكنه المسير فيه الى الحج به السير المعهود فان احتاج الى ان يقطع في يوم مرحلتين أو أكثر لم يلزمه الحج ولو خرجت الرفقة قبل الوقت الذي جرت عادة أهل بلده بالخروج فيه لم يلزمه الخروج معهم ووجوب الحج في العمر كالصلاة في وقتها فيجوز التراخي لكنه ان دامت الاستطاعة وتحقق الامكان ولم يحج حتى مات عصى على الاظهر وان كان شابا وقال أحمد ومالك وأبو حنيفة في رواية انه على الفور حجة الشافعي أن فريضة الحج نزلت سنة خمس من الهجرة وأخره النبي صلى الله عليه وسلم من غير مانع فانه خرج الى مكة سنة سبع لقضاء

منه

منه واعتصمت به واعتصمته وأفصح اللغتين ادخال الباء كما قال عز وجل واعتصموا بحبل الله جميعا وقد جاء اعتصمته كما قال الشاعر

اذا أنت جازيت الاخاء بمثله * وآسيتني ثم اعتصمت حباليا

فقال اعتصمت حباليا ولم يدخل الباء وذلك نظير قولهم تناولت الخطام وتناولت بالخطام وتعلقت به وتعلقته كما قال الشاعر

تعلقت هندا ناشئا ذات مئزر * وأنت وقد قارفت لم تدر ما الحلم

وقد بينت معنى الهدى والصراط وأنه معنيّ به الاسلام فيما مضى قبل بشواهده فكرهنا اعادته في هذا الموضع وقد ذكر أن الذي نزل في سبب تحاور القبيلتين الاوس والخزرج كان منه قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا حسن بن عطية قال ثنا قيس بن الربيع عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن أبي نصر عن ابن عباس قال كانت الاوس والخزرج (١) بينهم حرب في الجاهلية كل شهر فبينما هم جلوس اذ ذكروا ما كان بينهم حتى غضبوا فقام بعضهم الى بعض بالسلاح فنزلت هذه الآية وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله الى آخر الآيتين واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء الى آخر الآية القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) يعني بذلك جل ثناؤه يا معشر من صدق الله ورسوله اتقوا الله خافوا الله وراقبوه بطاعته واجتناب معاصيه حق تقاته حق خوفه وهو أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى ولا تموتن أيها المؤمنون بالله ورسوله الا وأنتم مسلمون لربكم مذعنون له بالطاعة مخلصون له الالوهية والعبادة وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان وحدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن زبيد عن مرة عن عبد الله اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن زبيد عن مرة الهمداني عن عبد الله مثله حدثنا أبو كريب وأبو السائب قالا ثنا ابن ادريس قال سمعت ليثا عن زبيد عن مرة بن شراحيل الهمداني عن عبد الله بن مسعود مثله حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال قال ثنا جرير عن زبيد عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا مسعر عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن المسعودي عن زبيد الايامي عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن زبيد عن مرة عن عبد الله مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا يحيى بن سفيان عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون اتقوا الله حق تقاته قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون نحوه حدثنا ابن المثنى قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا شعبة قال ثنا عمرو بن مرة عن مرة عن الربيع بن خثيم قال أن يطاع فلا يعصى ويشكر فلا

(١) الذي في الدر كانت الاوس والخزرج في الجاهلية بينهم شر الخ وهي واضحة فلعل فيما هنا تحريفا أو زيادة من الناسخ تأمل كتبه مصححه

العمرة ولم يحج وفتح مكة سنة ثمان وبعث أبا بكر أميرا على الحاج سنة تسع وحج هو سنة عشر وعاش بعدها ثمانين يوما * وأما النوع الثاني فهو استطاعة الاستنابة فانها جائزة في الحج وان كانت العبادات بعيدة عن الاستنابة لان المحجوج عنه قد يكون عاجزا عن المباشرة بسبب الموت أو الكبر أو زمانة أو مرض لا يرجى زواله وعن ابن عباس أن رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان أختي نذرت ان تحج وماتت قبل ان تحج أفأحج عنها فقال لو كان على أختك دين أكنت قاضيه قال نعم قال فاقضوا حق الله تعالى فهو أحق بالقضاء وعنه أن امرأة من خثعم قالت يا رسول الله ان فريضة الله تعالى على عباده في الحج أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع ان يستمسك على الراحلة أفأحج عنه قال نعم وقد تكون الاستنابة بطريق الاستئجار لانه عمل يدخله النيابة فيجري فيه الاستئجار كتفريق الزكاة وعند أبي حنيفة وأحمد لا يجوز ولكن يرزق عليه ولو استأجر كان ثواب النفقة للآمر وسقط عنه الخطاب بالحج ويقع الحج عن الحاج والحج بالرزق أن يقول حج عني وأعطيك نفقتك وهذا أيضا جائز عند الشافعي كالاجارة ولكن لا يجوز أن يقول استأجرتك بالنفقة لانها مجهولة والاجرة لا بد أن تكون معلومة فهذا جملة الكلام في الاستطاعة عند الجمهور وعن الضحاك اذا قدر أن يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج وفي الآية أنواع من التوكيد والتغليظ منها قوله ولله على الناس حج البيت أي حق واجب له عليهم لكونه الها فيجب عليهم الانقياد سواء عرفوا وجه الحكمة فيها أم لم يعرفوا فان كثيرا من أعمال الحج تعبد محض ومنها بناء الكلام على الابدال ليكون تثنية للمراد وتفصيلا بعد الاجمال وايرادا للغرض في صورتين تق[illegible]له في الاذهان ومنها ذكر

من كفر مكان من لم يحج وفيه من التغليظ ما فيه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا

ونظيره قوله صلى الله عليه وسلم من

ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها اظهار الغنى وتهويل الخطب

يكفر ويذكر فلا ينسى حدثنا المثنى قال ثنا أبو داود قال ثنا شعبة عن عمرو بن مرة قال سمعت مرة الهمداني يحدث عن الربيع بن خثيم في قول الله عز وجل اتقوا الله حق تقاته فذكر نحوه حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يطاع فلا يعصى حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ثم تقدم اليهم يعني الى المؤمنين من الانصار فقال يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون أما حق تقاته يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر حدثني المثنى قال ثنا حجاج بن المنهال قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته أن يطاع فلا يعصى قال ولا تموتن الا وأنتم مسلمون * وقال آخرون بل تأويل ذلك كما حدثني به المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته قال حق تقاته أن يجاهدوا في الله حق جهاده ولا يأخذهم في الله لومة لائم ويقوموا لله بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم ثم اختلف أهل التأويل في هذه الآية هل هي منسوخة أم لا فقال بعضهم هي محكمة غير منسوخة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي عن ابن عباس قوله اتقوا الله حق تقاته انها لم تنسخ ولكن حق تقاته أن يجاهد في الله حق جهاده ثم ذكر تأويله الذي ذكرناه عنه آنفا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن قيس بن سعد عن طاوس يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته فان لم تفعلوا ولم تستطيعوا فلا تموتن الا وأنتم مسلمون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال طاوس قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون يقول ان لم تتقوه فلا تموتن الا وأنتم مسلمون * وقال آخرون هي منسوخة نسخها قوله فاتقوا الله ما استطعتم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم أنزل التخفيف واليسر وعاد بعائدته ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه فقال اتقوا الله ما استطعتم فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعافية ويسر حدثني المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال الانماطي قال ثنا همام عن قتادة يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون قال نسخها هذه الآية التي في التغابن فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وعليها بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فيما استطاعوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قال لما نزلت اتقوا الله حق تقاته ثم نزل بعدها فاتقوا الله ما استطعتم فنسخت هذه الآية التي في آل عمران حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فلم يطق الناس هذا فنسخه الله عنهم فقال فاتقوا الله ما استطعتم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته قال جاء أمر شديد قالوا ومن يعرف قدر هذا أو يبلغه فلما عرف أنه قد اشتد ذلك عليهم نسخها عنهم وجاء بهذه الاخرى فقال فاتقوا الله ما استطعتم فنسخها وأما قوله ولا تموتن الا وأنتم مسلمون فان تأويله كما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن قيس بن سعد عن طاوس ولا تموتن الا وأنتم

مسلمون

بذكر اسم الله دون ان يقول فانه أو فاني فانه يدل على غاية السخط والخذلان ومنها وضع المظهر مقام المضمر حيث قال عن العالمين ولم يقل عنه لانه تعالى اذا كان غنيا عن كل العالمين فلأن يكون غنيا عن طاعة ذلك الواحد أولى ومن العلماء من زعم أن هذا الوعيد عام في حق كل من كفر ولا تعلق له بما قبله ومنهم من حمله على اعتقاد عدم وجوب الحج ويؤكده ما روي عن سعيد بن المسيب انها نزلت في اليهود قالوا ان الحج الى مكة غير واجب وعن الضحاك لما نزلت آية الحج جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان الستة المسلمين واليهود والنصارى والصابئين والمجوس والمشركين فخطبهم وقال ان الله تعالى كتب عليكم الحج فحجوا فآمن به المسلمون وكفرت به الملل الخمس وقالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزلت ومن كفر ومن الاحاديث الواردة في تأكيد أمر الحج قوله صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروي حجوا قبل أن لا تحجوا قبل أن يمنع البر جانبه أي يتعذر عليكم الذهاب الى مكة من جانب البر لعدم الأمن أو غيره وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت أي هلكت وعن عمر لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا أي عجل عقوبتهم ويستأصلون ثم انه سبحانه لاين أهل الكتاب في الخطاب فقال (قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله) التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بعد ظهور البينات ودحوض الشبهات أو بعد معرفة فضيلة الكعبة ووجوب الحج

مسلمون قال على الاسلام وعلى حرمة الاسلام ۞ القول فى تأويل قوله (واعتصموا بحبل الله جميعا) يعنى بذلك جل ثناؤه وتعلقوا باسباب الله جميعا يريد بذلك تعالى ذكره وتمسكوا بدين الله الذى أمركم به وعهده الذى عهده اليكم فى كتابه اليكم من الالفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لامر الله وقد دللنا فيما مضى قبل على معنى الاعتصام وأما الحبل فانه السبب الذى يوصل به الى البغية والحاجة ولذلك سمى الامان حبلا لانه سبب يوصل به الى زوال الخوف والنجاة من الجزع والذعر ومنه قول أعشى بنى ثعلبة

واذا تجوزها حبال قبيلة * أخذت من الاخرى اليك حبالها

ومنه قول الله عزوجل الا بحبل من الله وحبل من الناس وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا العوام عن الشعبى عن عبدالله بن مسعود أنه قال فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الجماعة حدثنا المثنى قال ثنا عمرو ابن عون قال ثنا هشيم عن العوام عن الشعبى عن عبدالله فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال حبل الله الجماعة • وقال آخرون عنى بذلك القرآن والعهد الذى عهد فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واعتصموا بحبل الله جميعا حبل الله المتين الذى أمر أن يعتصم به هذا القرآن حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال بعهد الله وأمره حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن شقيق عن عبد الله قال ان الصراط محتضر تحضره الشياطين ينادون يا عبد الله هلم هذا الطريق ليصدوا عن سبيل الله فاعتصموا بحبل الله فان حبل الله هو كتاب الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد بن المفضل عن أسباط عن السدى واعتصموا بحبل الله جميعا أما حبل الله فكتاب الله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد بحبل الله بعهد الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بحبل الله قال العهد حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن الاعمش عن أبى وائل عن عبدالله واعتصموا بحبل الله قال حبل الله القرآن حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال القرآن حدثنا سعيد بن يحيى قال ثنا أسباط بن محمد عن عبد الملك ابن أبى سليمن العرزمى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الله هو حبل الله الممدود من السماء الى الارض • وقال آخرون بل ذلك هو اخلاص التوحيد لله ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى العالية فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا يقول اعتصموا بالاخلاص لله وحده حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واعتصموا بحبل الله جميعا قال الحبل الاسلام وقرأ ولا تفرقوا ۞ القول فى تأويل قوله عزوجل (ولا تفرقوا) يعنى جل ثناؤه بقوله ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذى عهد اليكم فى كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والانتهاء الى أمره كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم ان الله عزوجل قد كره لكم الفرقة وقدم اليكم فيها وحذركموها ونهاكم عنها ورضى لكم السمع والطاعة والالفة والجماعة فارضوا لانفسكم ما رضى الله لكم ان استطعتم ولا قوة الا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبى

(والله شهيد على ما تعملون) فيجازيكم عليه وهذه الحال توجب أن لا تجسروا على الكفر بآياته ودلالتها على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ثم انه تعالى لما أنكر عليهم فى ضلالهم وبخهم على اضلالهم فقال (لم تصدون عن سبيل الله من آمن) قال المفسرون وكان صدهم عن سبيل الله القاء الشكوك والشبهات فى قلوب ضعفة المسلمين وانكار ان نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى كتابهم ومنع من أراد الدخول فى الاسلام بجهدهم وكيدهم أو بتذكيرهم ما كان بينهم فى الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله ومحل تبغونها عوجا أى اعوجا جانصب على الحال أو بدل وهو بكسر العين الميل عن الاستواء فى كل ما لا يرى كالدين والقول وأما الشئ الذى يرى فيقال فيه عوج بالفتح كالحائط والقناة ولهذا قال الزجاج العوج بالكسر فى المعانى وبالفتح فى الاعيان وتبغون بمعنى تطلبون ويقتصر على مفعول واحد اذا لم يكن معها اللام مثل بغيت المال والاجر فان أريد تعديته الى مفعولين زيدت اللام والتقدير تبغون لها عوجا كما تقول صدتك ظبيا أى صدت لك ظبيا والضمير عائد الى السبيل فانها تذكر وتؤنث والمعنى انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها زيغا كقولكم ان النسخ يدل على البداء وان شريعة موسى باقية الى الابد وان محمدا صلى الله عليه وسلم ليس بذلك المنعوت فى كتابنا أو المراد انكم تتبعون أنفسكم فى اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم ويحتمل أن يكون عوجا حالا بمعنى ذا عوج وذلك أنهم كانوا يدعون أنهم على دين الله وسبيله فقيل لهم انكم تبغون سبيل الله ضالين (وأنتم شهداء) أنها سبيل الله التى لا يصد عنها الا ضال مضل [illegible] ابن عباس [illegible] تشهدون ظهور المعجزات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أو أنتم شهداء بين أهل دينكم عدول يثقون لأقوالكم [illegible] تستشهدونكم فى عظائم الامور يعنى الاحبار

العالية ولا تفرقوا ولا تعادوا وعليه يقول على الاخلاص لله وكونوا عليه اخوانا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح أن الاوزاعي حدثه أن يزيد الرقاشي حدثه أنه سمع أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان بني اسرائيل افترقت على احدى وسبعين فرقة وان أمتي ستفترق على اثنين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قال فقيل يا رسول الله وما هذه الواحدة قال فقبض يده وقال الجماعة واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا حدثني عبد الكريم ابن أبي عمير قال ثنا الوليد بن مسلم قال سمعت الاوزاعي يحدث عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه حدثنا أبو كريب قال ثنا المحاربي عن ابن أبي خالد عن الشعبي (١) عن ثابت بن قطنة المزني عن عبد الله انه قال يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فانهما حبل الله الذي أمر به وان ما تكرهون في الجماعة والطاعة هو خير مما تستحبون في الفرقة حدثنا عبد الحميد بن بيان اليشكري قال أخبرنا محمد بن يزيد عن اسمعيل بن أبي خالد عن الشعبي عن ثابت بن قطنة قال سمعت ابن مسعود وهو يخطب وهو يقول يا أيها الناس ثم ذكر نحوه حدثنا اسمعيل بن حفص الآملي قال ثنا عبد الله بن نمير أبو هشام قال ثنا مجالد بن سعيد عن عامر عن ثابت بن قطنة المزني قال قال عبد الله عليكم بالطاعة والجماعة فانها حبل الله الذي أمر به ثم ذكر نحوه ۞ القول في تأويل قوله (واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) يعني بقوله جل ثناؤه واذكروا نعمة الله عليكم واذكروا ما أنعم الله به عليكم من الالفة والاجتماع على الاسلام واختلف أهل العربية في قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فقال بعض نحويي البصرة في ذلك انقطع الكلام عند قوله واذكروا نعمة الله عليكم ثم فسر بقوله فألف بين قلوبكم وأخبر بالذي كانوا فيه قبل التأليف كما تقول امسك الحائط أن يميل وقال بعض نحويي الكوفة قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم تابع قوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطعة منها والصواب من القول في ذلك عندي أن قوله اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم متصل بقوله واذكروا نعمة الله عليكم غير منقطع عنه وتأويل ذلك واذكروا أيها المؤمنون نعمة الله عليكم التي أنعم بها عليكم حين كنتم أعداء أي بشرككم يقتل بعضكم بعضا عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله فألف الله بالاسلام بين قلوبكم فجعل بعضكم لبعض اخوانا بعد اذ كنتم أعداء تتواصلون بألفة الاسلام واجتماع كلمتكم عليه كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال حدثنا سعيد عن قتادة قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم كنتم تذابحون فيها يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فآخى به بينكم وألف به بينكم أما والله الذي لا اله الا هو ان الالفة لرحمة وان الفرقة لعذاب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء يقتل بعضكم بعضا ويأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالاسلام فألف به بينكم وجمع جمعكم عليه وجعلكم عليه اخوانا فالنعمة التي أنعم الله على الانصار التي أمرهم تعالى ذكره في هذه الآية أن يذكروها هي ألفة الاسلام واجتماع كلمتهم عليها والعداوة التي كانت بينهم التي قال الله عز وجل اذ كنتم أعداء فانها عداوة الحروب التي كانت بين الحيين من الاوس والخزرج في الجاهلية قبل الاسلام يزعم العلماء بأيام العرب أنها تطاولت بينهم عشرين ومائة سنة كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق كانت الحرب بين الاوس والخزرج عشرين ومائة سنة حتى قام الاسلام وهم على ذلك فكانت حربهم بينهم وهم أخوان لأب وأم فلم يسمع بقوم كان

(١) قوله عن ثابت بن قطنة الخ كذا في النسخ بزيادة لفظ ابن ولكن الذي في الخلاصة والقاموس أن المحدث هو ثابت قطنة وقطنة لقبه كتبه مصححه

وفيه أن من كان كذلك لا يليق بحاله الاصرار على الباطل والكذب والضلال والاضلال ثم أوعدهم بقوله (وما الله بغافل عما تعملون) كقول السيد لعبده وقد أنكر طريقته لا يخفى على سيرتك ولست بغافل عنك وانما ختم الآية الاولى بقوله والله شهيد وهذه بقوله وما الله بغافل لان ذلك فيما أظهروه من الكفر بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا فيما أضمروه وهو الصد بالاحتيال والقاء الشبهة وفي تكرير الخطاب في الآيتين بقوله يا أهل الكتاب توبيخ لهم على توبيخ بألطف الوجوه وألين المقال لعلهم يتفكرون فينصرفون عن سلوك سبيل الضلال والاضلال عن عكرمة ويروى عن زيد بن أسلم وجابر أيضا أن شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين مر على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فأمر شابا من اليهود أن يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وهو يوم اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس على الخزرج ففعل وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الاشعار فتكلم القوم عند ذلك فتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيين أوس ابن قيظي أحد بني حارثة من الاوس وجبار بن صخر أحد بني سلمة من الخزرج فتقاولا ثم قال أحدهما لصاحبه ان شئت والله رددتها الآن جذعة وغضب الفريقان جميعا وقالا قد فعلنا السلاح السلاح موعدكم الظاهرة وهي الحرة فخرجوا اليها وانضمت الاوس والخزرج بعضها الى بعض على دعواهم التي كانوا عليها في الجاهلية واصطفوا للقتال فنزلت يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين الآيات فجاء النبي صلى الله عليه وسلم حتى قام بين الصفين فقرأها ورفع صوته فلما بينهم

بينهم من العداوة والحرب ما كان بينهم ثم ان الله عز وجل أطفأ ذلك بالاسلام وألف بينهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم فذكرهم جل ثناؤه اذ وعظهم عظيم ما كانوا فيه في جاهليتهم من البلاء والشقاء بمعاداة بعضهم بعضا وقتل بعضهم بعضا وخوف بعضهم من بعض وما صاروا اليه بالاسلام واتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والايمان به وبما جاء به من الائتلاف والاجتماع وأمن بعضهم من بعض ومصير بعضهم لبعض اخوانا وكان سبب ذلك ما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق قال ثنا عاصم بن عمر بن قتادة المدنى عن أشياخ من قومه قالوا قدم سويد بن صامت أخو بنى عمرو بن عوف مكة حاجا أو معتمرا قال وكان سويد انما يسميه قومه فيهم الكامل لجلده وشعره ونسبه وشرفه قال فتصدى له رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به فدعاه الى الله عز وجل والى الاسلام قال فقال له سويد فلعل الذى معك مثل الذى معى قال فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما الذى معك قال مجلة لقمان يعنى حكمة لقمان فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم اعرضها على فعرضها عليه فقال ان هذا الكلام حسن معى أفضل من هذا قرآن أنزله الله على هدى ونور قال فتلا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن ودعاه الى الاسلام فلم يبعد منه وقال ان هذا القول حسن ثم انصرف عنه وقدم المدينة فلم يلبث أن قتلته الخزرج فان كان قومه ليقولون قد قتل وهو مسلم وكان قتله قبل يوم بعاث حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى الحسين ابن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ أحد بنى عبد الاشهل أن محمود بن أسد أحد بنى عبد الاشهل قال لما قدم أبو الجيش أنس بن رافع مكة ومعه فتية من بنى عبد الاشهل فيهم اياس بن معاذ يلتمسون الحلف من قريش على قوم من الخزرج سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاهم فجلس اليهم فقال هل لكم الى خير مما جئتم له قالوا وماذاك قال أنا رسول الله بعثنى الى العباد أدعوهم الى الله أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيأ وأنزل على الكتاب ثم ذكر لهم الاسلام وتلا عليهم القرآن فقال اياس ابن معاذ وكان غلاما حدثا أى قوم هذا والله خير مما جئتم له قال فأخذ أبو الجيش أنس بن رافع حفنة من البطحاء فضرب بها وجه اياس بن معاذ وقال دعنا منك فلعمرى لقد جئنا لغير هذا قال فصمت اياس بن معاذ وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وانصرفوا الى المدينة وكانت وقعة بعاث بين الاوس والخزرج قال ثم لم يلبث اياس بن معاذ أن هلك قال فلما أراد الله اظهار دينه واعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وانجاز موعده له خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسم الذى لقى فيه النفر من الانصار يعرض نفسه على قبائل العرب كما كان يصنع فى كل موسم فبينا هو عند العقبة اذ لقى رهطا من الخزرج أراد الله لهم خيرا قال ابن حميد قال سلمة قال محمد بن اسحق فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم قالوا نفر من الخزرج قال أمن موالى يهود قالوا نعم قال أفلا تجلسون حتى أكلمكم قالوا بلى قال فجلسوا معه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الاسلام وتلا عليهم القرآن قال وكان مما صنع الله لهم به فى الاسلام أن يهود كانوا معهم ببلادهم وكانوا أهل كتاب وعلم وكانوا أهل شرك أصحاب أوثان وكانوا قد غزوهم ببلادهم فكانوا اذا كان بينهم شئ قالوا لهم ان نبيا الآن مبعوث قد أظل زمانه نتبعه ونقتلكم معه قتل عاد وإرم فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم الى الله عز وجل قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله إنه للنبى الذى يوعدكم به يهود ولا يسبقنكم اليه فاجابوه فيما دعاهم اليه بان صدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام قالوا انا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من

سمعوا صوته صلى الله عليه وسلم أنصتوا له صلى الله عليه وسلم وجعلوا يستمعون فلما فرغ ألقوا السلاح وعانق بعضهم بعضا وجثوا يبكون وفى رواية زيد بن أسلم خرج اليهم رسول الله فيمن معه من المهاجرين فقال يا معشر المسلمين أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد اذ أكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم أمر الجاهلية وألف بينكم ترجعون الى ما كنتم عليه كفارا الله الله فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين فانزل الله عز وجل الآيات قال جابر بن عبد الله ما كان من طالع أكره الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأومى الينا بيده وكففنا وأصلح الله ما بيننا فما كان شخص أحب الينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رأيت يوما قط أقبح ولا أوحش أوّلا وأحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) استفهام بطريق الانكار والتعجب والمعنى من أين يتطرق اليكم الكفر والحال أن آيات الله تتلى عليكم على لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل واقعة وبين أظهركم رسول الله يبين لكم كل شبهة ويزيح عنكم كل علة ومع هذين النورين لا يبقى لظلمة الضلال عين ولا أثر فعليكم أن لا تلتفتوا الى قول المخالف وترجعوا فيما يعنّ لكم الى الكتاب والنبى صلى الله عليه وسلم قلت أما الكتاب فانه باق على وجه الدهر وأما النبى صلى الله عليه وسلم فان كان قد مضى الى رحمة الله فى الظاهر ولكن نور سره باق بين المؤمنين فكأنه باق على أن عترته صلى الله عليه وسلم وورثته يقومون مقامه بحسب الظاهر أيضا ولهذا قال صلى الله عليه وسلم انى تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا كتاب الله وعترتى وقال ان العلماء ورثة الانبياء اللهم اجعلنا من زمرتهم بعصمتك وهدايتك وفى هذا بشارة لهذه الامة انهم لا يضلون

أبدا الى يوم القيامة ثم بين أن الكل بعصمة الله وتوفيقه فقال (ومن يعتصم بالله) يتمسك بدينه أو يلتجئ اليه في دفع شرور الكفار (فقد هدى الى صراط مستقيم) والاعتصام الاستمساك بالشئ في منع نفسه من الوقوع في آفة أما المعتزلة فحيث لم يجعلوا

الاعتصام بخلق الله وهدايته بل قالوا انه بفعل العبد تأولوا الآية بان المراد بالهداية الزيادة في الألطاف المرتبة على أداء الطاعات أو المراد الهداية الى الجنة قال في الكشاف فقد هدى أي فقد حصل له الهداية لامحالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد أفلحت كأن الهدى قد حصل له فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما أن قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده ﴿التأويل﴾ لن تنالوا البر وهو صفة الله حتى تنفقوا أحب الاشياء اليكم وهو أنفسكم ان الفراش لم ينل من نور الشمع وهو شعلته حتى أنفق مما أحبه وهو نفسه كل الطعام كان حلا الخلق ثلاثة أصناف الملك النوراني العلوي وغذاؤه الذكر وخلق للعبادة والحيوان الظلماني السفلي وغذاؤه الطعام وخلق للخدمة والانسان المركب من القبيلين وغذاؤه لروحانيته الذكر ولجسمانيته الطعام وخلق للمعرفة والخلافة وهذا الصنف على ثلاثة أقسام منهم ظالم لنفسه وهو الذي بالغ في غذاء جسمانيته وقصر في غذاء روحانيته حتى مات روحه واستولت نفسه أولئك كالانعام بل هم أضل ومنهم مقتصد وهو الذي تساوى طرفاه خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ومنهم سابق بالخيرات وهو الذي بالغ في غذاء روحانيته وهو المذكور وفرط في غذاء جسمانيته حتى ماتت نفسه وقوي روحه أولئك هم خير البرية فكان كل الطعام حلا للانسان كالحيوان الا ما حرم الانسان السابق بالخيرات على نفسه بموت النفس وحياة القلب واستيلاء الروح من قبل أن ينزل الوحي والالهام كما قيل المجاهدات تورث المشاهدات والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فمن افترى على

العداوة والشر ما بينهم وعسى الله أن يجمعهم بك وسنقدم عليهم فندعوهم الى أمرك ونعرض عليهم الذي أجبناك اليه من هذا الدين وان يجمعهم الله عليه فلا رجل أعز منك ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين الى بلادهم قد آمنوا وصدقوا وهم فيما ذكر لي ستة نفر قال فلما قدموا المدينة على قومهم ذكروا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهم الى الاسلام حتى فشا فيهم فلم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كان العام المقبل وافى الموسم من الانصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة وهي العقبة الأولى فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بيعة النساء وذلك قبل أن يفترض عليهم الحرب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن عكرمة أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم ستة نفر من الانصار فآمنوا به وصدقوه فاراد أن يذهب معهم فقالوا يارسول الله ان بين قومنا حربا وانا نخاف ان جئت على حالك هذه أن لا يتهيأ الذي تريد فوعدوه العام المقبل وقالوا يارسول الله نذهب فلعل الله أن يصلح تلك الحرب قال فذهبوا ففعلوا فأصلح الله عز وجل تلك الحرب وكانوا يرون أنها لا تصلح وهو يوم بعاث فلقوه من العام المقبل سبعين رجلا قد آمنوا فأخذ عليهم النقباء اثني عشر نقيبا فذلك حين يقول واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما اذ كنتم أعداء (١) ففي حرب فألف بين قلوبكم بالاسلام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن أيوب عن عكرمة بنحوه وزاد فيه فلما كان من أمر عائشة ما كان فتثاور الحيان فقال بعضهم لبعض موعدكم الحرة فخرجوا اليها فنزلت هذه الآية واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا الآية فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يزل يتلوها عليهم حتى اعتنق بعضهم بعضا وحتى ان لهم لحنينا يعني البكاء وسمير الذي زعم السدي أن قوله اذ كنتم أعداء عنى به حرب هو سمير بن زيد بن مالك أحد بني عمرو بن عوف الذي ذكره مالك بن العجلان في قوله

ان سميرا أرى عشيرته * قد حدبوا دونه وقد أنفوا

ان يكن الظن صادقي ببني النجار لم يطعموا الذي علقوا

وقد ذكر علماء الانصار أن مبدأ العداوة التي هيجت الحروب التي كانت بين قبيلتيها الاوس والخزرج وأولها كان بسبب قتل مولى لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له الحر بن سمير من مزينة وكان حليفا لمالك بن العجلان ثم اتصلت تلك العداوة بينهم الى أن أطفأها الله بنبيه محمد صلى الله عليه وسلم فذلك معنى قول السدي حرب ابن سمير وأما قوله فأصبحتم بنعمته اخوانا فانه يعني فأصبحتم بتأليف الله عز وجل بينكم بالاسلام وكلمة الحق والتعاون على نصرة أهل الايمان والتآزر على من خالفكم من أهل الكفر اخوانا متصادقين لا ضغائن بينكم ولا تحاسد كما حدثني بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فأصبحتم بنعمته اخوانا وذكر لنا أن رجلا قال لابن مسعود كيف أصبحتم قال أصبحنا بنعمة الله اخوانا ﴿القول في تأويل قوله﴾ (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) يعني بقوله جل ثناؤه وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم يامعشر المؤمنين من الاوس والخزرج على حرف حفرة من النار وانما ذلك مثل لكفرهم الذي

(١) لعله ففي حرب ابن سمير كما يفيده كلامه بعده تأمل

كانوا

كانوا عليه قبل أن يهديهم الله للاسلام يقول تعالى ذكره وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذى كنتم عليه قبل أن ينعم الله عليكم بالاسلام فتصيروا بائتلافكم عليه اخوانا ليس بينكم وبين الوقوع فيها الا أن تموتوا على ذلك من كفركم فتكونوا من الخالدين فيها فأنقذكم الله منها بالايمان الذى هداكم له وشفا الحفرة طرفها وحرفها مثل شفا الركية والبئر ومنه قول الراجز

نحن حفرنا للحجيج سجله * نابتة فوق شفاها بقله

يعنى فوق حرفها يقال هذا شفا هذه الركية مقصور وهما شفواها وقال فأنقذكم منها يعنى فأنقذكم من الحفرة فرد الخبر الى الحفرة وقد ابتدأ الخبر عن الشفا لان الشفا من الحفرة فجاز ذلك اذ كان الخبر عن الشفا على السبيل التى ذكرها فى هذه الآية خبرا عن الحفرة كما قال جرير بن عطية

رأت مر السنين أخذن منى * كما أخذ السرار من الهلال

فذكر مر السنين ثم رجع الى الخبر عن السنين وكما قال العجاج

طول الليالى أسرعت فى نقضى * طوين طولى وطوين عرضى

وقد بينت العلة التى من أجلها قيل ذلك كذلك فيما مضى قبل وبنحو الذى قلنا فى ذلك من التأويل قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته كان هذا الحى من العرب(١) أذل الناس ذلا وأشقاه عيشا وأبينه ضلالة وأعراه جلودا وأجوعه بطونا معكومين على رأس حجر بين الاسدين فارس والروم لا والله ما فى بلادهم يومئذ من شئ يحسدون عليه من عاش منهم عاش شقيا ومن مات ردى فى النار يؤكلون ولا يأكلون والله ما نعلم قبيلا يومئذ من حاضر الارض كانوا فيها أصغر حظا وأدق فيها شأنا منهم حتى جاء الله عز وجل بالاسلام فورثكم به الكتاب وأحل لكم به دار الجهاد ووضع لكم به من الرزق وجعلكم به ملوكا على رقاب الناس وبالاسلام أعطى الله ما رأيتم فاشكروا نعمه فان ربكم منعم يحب الشاكرين وان أهل الشكر فى مزيد الله فتعالى ربنا وتبارك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبدالله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس قوله وكنتم على شفا حفرة من النار يقول كنتم على الكفر بالله فأنقذكم منها من ذلك وهداكم الى الاسلام حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها بمحمد صلى الله عليه وسلم يقول كنتم على طرف النار من مات منكم أوبق فى النار فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فاستنقذكم به من تلك الحفرة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا حسن بن يحيى وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها قال عصبية ۞ القول فى تأويل قوله (كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) يعنى جل ثناؤه بقوله كذلك كما بين لكم ربكم فى هذه الآيات أيها المؤمنون من الاوس والخزرج من غل اليهود الذى يضمرونه لكم وغشهم لكم وأمره اياكم بما أمركم به فيها ونهيه لكم عما نهاكم عنه والحال التى كنتم عليها فى جاهليتكم والتى صرتم اليها فى اسلامكم يعرفكم فى كل ذلك مواقع نعمه قبلكم وصنائعه لديكم فكذلك يبين سائر حججه لكم فى تنزيله وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم لعلكم تهتدون يعنى لتهتدوا الى سبيل الرشاد

(١) قوله أذل الناس ذلا لعله ولاء أى أذل الناس حلفا وقوله بعد وأحل لكم به دار الجهاد ووضع لكم به من الرزق كذا فى النسخ ويظهر أن به زيادة وتحريفا فراجعه كتبه مصححه

يتخذون مع الله الها آخر ان أول بيت وضع للناس لا لله لانه غنى عن العالمين وان أنموذج بيت الله فى الانسان وهو العالم الصغير القلب الذى وضع ببكة صدر الانسان مباركا عليه وهدى يهتدى به جميع أجزاء وجوده الى الله بجوده فان النور الالهى اذا وقع فى القلب انفسح له واتسع فبه يسمع وبه يبصر وبه يعقل وبه ينطق وبه يبطش وبه يمشى وبه يتحرك وبه يسكن فيه آيات بينات يصل بها الطالب الى مطلوبه والقاصد الى مقصوده منها مقام ابراهيم وهو الخلة التى توصل الخليل الى خليله ومن دخله يعنى مقام ابراهيم ببذل المال والنفس والولد وارضاء خليله كان آمنا من نار القطيعة ومن عذاب الحجاب ثم أخبر عن وجوب زيارة بيت الخليل على الخليل ان استطاع اليه السبيل وذلك بان وجد شرائط السلوك وامكانه وآداب السير وأركانه ومنها الاحرام بالخروج عن الرسوم والعادات والتجرد عن الطيبات والمألوفات والتطهر عن الاخلاق المذمومات والتوجه الى حضرة فاطر الارض والسموات بخلوص النيات وصفاء الطويات ومنها الوقوف بعرفات المعرفة والعكوف على عتبة جبل الرحمة بصدق الالتجاء وحسن العهد والوفاء ومنها الطواف بالخروج عن الاطوار البشرية السبعية بالاطواف السبعة حول الكعبة الربوبية ومنها السعى بين صفا الصفات ومروة الذات ومنها الحلق بمحو آثار العبودية بموسى الانوار الالهية وقس سائر المناسك على هذا ومن كفر بوجدان الحق ولا

يتعرض لنفحات الالطاف ولا يترقب لجذبات الاعطاف التي توازي عمل الثقلين وهي الاستطاعة في الحقيقة فان الله غني عن العالمين لا يستكمل هو منهم وانما يستكملون هم

منه قل يا أهل الكتاب ظاهر الخطاب معهم وباطنه مع علماء السوء الذين يبيعون دينهم بدنياهم ولا يعملون بما يعلمون فيضلون ويضلون وما العصمة عن اتباع الهوى الا منه تعالى

(يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا أذى وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصرون)

وتسلكوها فلا تضلوا عنها ۞ القول في تأويل قوله (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) يعني بذلك جل ثناؤه ولتكن منكم أيها المؤمنون أمة يقول جماعة يدعون الناس الى الخير يعني الى الاسلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ودينه الذي جاء به من عند الله وينهون عن المنكر يعني وينهون عن الكفر بالله والتكذيب بمحمد وبما جاء به من عند الله بجهادهم بالايدي والجوارح حتى ينقادوا لكم بالطاعة وقوله وأولئك هم المفلحون يعني المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه وقد دللنا على معنى الافلاح في غير هذا الموضع بما أغنى عن اعادته ههنا حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا عيسى بن عمر القارئ عن أبي عون الثقفي أنه سمع صبيحا قال سمعت عثمان يقرأ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويستعينون الله على ما أصابهم حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت ابن الزبير يقرأ فذكر مثل قراءة عثمان التي ذكرناها قبل سواء حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر قال هم خاصة أصحاب رسول الله وهم خاصة الرواة ۞ القول في تأويل قوله (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه ولا تكونوا يا معشر الذين آمنوا كالذين تفرقوا من أهل الكتاب واختلفوا في دين الله وأمره ونهيه من بعد ما جاءهم البينات من حجج الله فيما اختلفوا فيه وعلموا الحق فيه فتعمدوا خلافه وخالفوا أمر الله ونقضوا عهده وميثاقه جراءة على الله وأولئك لهم يعني ولهؤلاء الذين تفرقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم عذاب من عند الله عظيم يقول جل ثناؤه فلا تفرقوا يا معشر المؤمنين في دينكم تفرق هؤلاء في دينهم ولا تفعلوا فعلهم وتستنوا في دينكم بسنتهم فيكون لكم من عذاب الله العظيم مثل الذي لهم كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات قال هم أهل الكتاب نهى الله أهل الاسلام أن يتفرقوا ويختلفوا كما تفرق واختلف أهل الكتاب قال الله عز وجل وأولئك لهم عذاب عظيم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا ونحو هذا في القرآن أمر الله جل ثناؤه المؤمنين بالجماعة فنهاهم عن الاختلاف والفرقة وأخبرهم انما هلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم قال هم اليهود والنصارى ۞ القول في تأويل قوله (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) يعني بذلك جل ثناؤه أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وأما قوله فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فان معناه فاما الذين اسودت وجوههم فيقال لهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ولا بد لأما من جواب بالفاء فلما أسقط الجواب سقطت الفاء معه وانما جاز ترك ذكر فيقال لدلالة ما ذكر من الكلام عليه وأما معنى قوله جل

۞ القراآت حق تقاته بالامالة علي ولا تفرقوا بتشديد الراء البزي وابن فليح ۞ الوقوف مسلمون ٥ ولا تفرقوا ص لعطف المتفقتين اخوانا ج لاحتمال الواو للحال والاستئناف منها ط تهتدون ٥ ثناؤه المنكر ط للعدول المفلحون ٥ البينات ط عظيم ٥ (لا) لتعلق الظرف بلهم على الاصح وقيل منصوب باضمار اذكر وتسود

وجوه ج اسودت وجوههم (لا) لان التقدير فيقال لهم أكفرتم تكفرون ٥ ففي رحمة الله ط خالدون ٥ بالحق ط للعالمين ٥ مافي الارض ط الامور ٥ وتؤمنون بالله ط خيرالهم ط الفاسقون ٥ قبل (٣٧) لا وقف عليه وعليه وقف لان المعرف لا يتصف بالجملة الأذى ط والادبار وقفة لأن ثم لترتيب الاخبار أي ثم هم لا ينصرون ولو كان عطفا لكان ثم لا ينصروا لا ينصرون ٥

التفسير انه سبحانه لما حذر المؤمنين اضلال الكفار أمرهم في هذه الآيات بمجامع الطاعات ومعاقد الخيرات فأولها لزوم سيرة التقوى عن ابن عباس لما نزلت يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته وهو أن يطاع فلا يعصى طرفة عين وأن يشكر فلا يكفر وأن يذكر فلا ينسى أو هو القيام بالمواجب كلها والاجتناب عن المحارم باسرها وأن لا يأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه أو الوالدين والأقربين شق ذلك على المسلمين فنزلت فاتقوا الله ما استطعتم والجمهور على أنها غير منسوخة لان معنى حق تقاته واجب تقواه وكما يحق أن يتقى وهو أن يجتنب جميع معاصيه ومثل هذا لا يجوز أن ينسخ والا كان اباحة لبعض المعاصي ولا يجوز أن يراد بقوله حق تقاته ما لا يستطاع من التكاليف كالصادر على سبيل الخطا والسهو والنسيان لقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها فعلى هذا لم يبق فرق بين الآيتين ولناصر القول الاول أن يقول ان كنه الالهية غير معلوم للخلق فلا يكون كمال قهره وقدرته وعزته معلوما فلا يحصل الخوف اللائق بذلك فلا يحصل حق الاتقاء واذا كان كذلك فيجوز أن يؤمر بالاتقاء الأغلظ والأخف ثم ينسخ الأغلظ و يبقى الأخف ونزول هذه الآية بعد قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها ممنوع (ولا تموتن الا وأنتم مسلمون) ليس نهيا عن الموت وانما هو نهي عن أن يدركهم الموت على خلاف حال الاسلام وقد مر في البقرة مثله ثم انه تعالى أمرهم بما هو كالأصل لجميع

ثناؤه أكفرتم بعد ايمانكم فان أهل التأويل اختلفوا فيمن عني به فقال بعضهم عني به أهل قبلتنا من المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية لقد كفر أقوام بعد ايمانهم كما تسمعون ولقد ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول والذي نفس محمد بيده ليردن على الحوض ممن صحبني أقوام حتى اذا رفعوا الي ورأيتهم اختلجوا دوني فلأقولن رب أصحابي أصحابي فليقالن انك لاتدري ما أحدثوا بعدك وقوله وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هؤلاء أهل طاعة الله والوفاء بعهد الله قال الله عز وجل ففي رحمة الله هم فيها خالدون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون فهذا من كفر من أهل القبلة حين اقتتلوا حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن حماد بن سلمة والربيع بن صبيح عن أبي مجالد عن أبي امامة فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم قال هم الخوارج * وقال آخرون عني بذلك كل من كفر بالله بعد الايمان الذي آمن حين أخذ الله من صلب آدم ذريته وأشهدهم على أنفسهم بما بين في كتابه ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا علي بن الهيثم قال أخبرنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع عن أبي العالية عن أبي بن كعب في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه قال صاروا يوم القيامة فريقين فقال لمن اسود وجهه وعيرهم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قال هو الايمان الذي كان قبل الاختلاف في زمان آدم حين أخذ منهم عهدهم وميثاقهم وأقروا كلهم بالعبودية وفطرهم على الاسلام فكانوا أمة واحدة مسلمين يقول أكفرتم بعد ايمانكم يقول بعد ذلك الذي كان في زمان آدم وقال في الآخرين الذين استقاموا على ايمانهم ذلك فأخلصوا له الدين والعمل فبيض الله وجوههم وأدخلهم في رضوانه وجنته * وقال آخرون بل الذين عنوا بقوله أكفرتم بعد ايمانكم المنافقون ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن يوم تبيض وجوه وتسود وجوه الآية قال هم المنافقون كانوا أعطوا كلمة الايمان بألسنتهم وأنكروها بقلوبهم وأعمالهم وأولى الاقوال التي ذكرناها في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن أبي بن كعب أنه عني بذلك جميع الكفار وأن الايمان الذي يوبخون على ارتدادهم عنه هو الايمان الذي أقروا به يوم قيل لهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا وذلك أن الله جل ثناؤه جعل جميع أهل الآخرة فريقين أحدهما سوداء وجوهه والآخر بيضاء وجوهه فمعلوم اذ لم يكن هنالك الا هذان الفريقان أن جميع الكفار داخلون في فريق من سود وجهه وأن جميع المؤمنين داخلون في فريق من بيض وجهه فلا وجه اذا لقول قائل عني بقوله أكفرتم بعد ايمانكم بعض الكفار دون بعض وقد عم الله جل ثناؤه الخبر عنهم جميعهم واذا دخل جميعهم في ذلك ثم لم يكن لجميعهم حالة آمنوا فيها ثم ارتدوا كافرين بعد الا حالة واحدة كان معلوما أنها المراد بذلك فتأويل الآية اذا أولئك لهم عذاب عظيم في يوم تبيض وجوه قوم وتسود وجوه آخرين فأما الذين اسودت وجوههم فيقال أجحدتم توحيد الله وعهده وميثاقه الذي واثقتموه عليه بان لا تشركوا به شيأ وتخلصوا له العبادة بعد ايمانكم يعني بعد تصديقكم به فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون يقول بما كنتم تجحدون في الدنيا ما كان الله قد أخذ ميثاقكم بالاقرار به والتصديق وأما الذين ابيضت وجوههم ممن ثبت على عهد الله وميثاقه فلم يبدل دينه ولم ينقلب على عقبيه بعد الاقرار

الخيرات واصلاح المعاش والمعاد وهو الاجتماع على التمسك بدين الله واتفاق الآراء على اعلاء كلمته فقال (واعتصموا بحبل الله جميعا) حال كونكم مجموعين وقولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به و وثوقه بعنايته

بالتوحيد والشهادة له بالألوهة وأنه لا اله غيره ففي رحمة الله يقول فهم في رحمة الله يعني في جنته ونعيمها وما أعد الله لأهلها فيها هم فيها خالدون أي باقون فيها أبدا بغير نهاية ولا غاية ﴿القول في تأويل قوله (تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين) يعني بقوله جل ثناؤه تلك آيات الله هذه آيات الله وقد بينا كيف وضعت العرب تلك وذلك مكان هذا وهذه في غير هذا الموضع فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته وقوله آيات الله يعني مواعظ الله وعبره وحججه نتلوها عليك نقرؤها عليك ونقصها بالحق يعني بالصدق واليقين وانما يعني بقوله تلك آيات الله هذه الآيات التي ذكر فيها أمور المؤمنين من أنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمور يهود بني اسرائيل وأهل الكتاب وما هو فاعل بأهل الوفاء بعهده وبالمبدلين دينه والناقضين عهده بعد الاقرار به ثم أخبر عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يتلو ذلك عليه بالحق وأعلمه أن من عاقبه من خلقه بما أخبره أنه معاقبه من تسويد وجهه وتخليده في أليم عذابه وعظيم عقابه ومن جازاه منهم بما جازاه من تبييض وجهه وتكريمه وتشريف منزلته لديه بتخليده في دائم نعيمه فبغير ظلم منه لفريق منهم بل لحق استوجبوه وأعمال لهم سلفت جازاهم عليها فقال تعالى ذكره وما الله يريد ظلما للعالمين يعني بذلك وليس الله يا محمد بتسويد وجوه هؤلاء واذاقتهم العذاب العظيم وتبييض وجوه هؤلاء وتنعيمه اياهم في جنته طالبا وضع شيء مما فعل من ذلك في غير موضعه الذي هو موضعه اعلاما بذلك عباده أنه لن يصلح في حكمته بخلقه غير ما وعد أهل طاعته والايمان به وغير ما أوعد أهل معصيته والكفر به وانذارا منه هؤلاء وتبشيرا منه هؤلاء ﴿القول في تأويل قوله عز وجل (ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور) يعني بذلك جل ثناؤه أنه يعاقب الذين كفروا بعد ايمانهم بما ذكر أنه معاقبهم به من العذاب العظيم وتسويد الوجوه ويثيب أهل الايمان به الذين ثبتوا على التصديق والوفاء بعهودهم التي عاهدوا عليها بما وصف أنه مثيبهم به من الخلود في جنانه من غير ظلم منه لاحد الفريقين فيما فعل لأنه لا حاجة به الى الظلم وذلك أن الظالم انما يظلم غيره ليزداد الى عزه عزة بظلمه اياه والى سلطانه سلطانا والى ملكه ملكا لنقصان في بعض أسبابه يتمم بما ظلم غيره فيه ما كان ناقصا من أسبابه عن التمام فأما من كان له جميع ما بين أقطار المشارق والمغارب وما في الدنيا والآخرة فلا معنى لظلمه أحدا فيجوز أن يظلم شيأ لانه ليس من أسبابه شيء ناقص يحتاج الى تمام فيتم ذلك بظلم غيره تعالى الله علوا كبيرا ولذلك قال جل ثناؤه عقيب قوله وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما في السموات وما في الارض والى الله ترجع الامور واختلف أهل العربية في وجه تكرير الله تعالى ذكره اسمه مع قوله والى الله ترجع الامور ظاهرا وقد تقدم اسمه ظاهرا مع قوله ولله ما في السموات وما في الارض فقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ذلك نظير قول العرب أما زيد فذهب زيد وكما قال الشاعر

لا أرى الموت يسبق الموت شيء * نغص الموت ذا الغنى والفقيرا

فأظهر في موضع الاضمار وقال بعض نحويي الكوفة ليس ذلك نظير هذا البيت لان موضع الموت الثاني في البيت موضع كناية لانه كلمة واحدة وليس ذلك كذلك في الآية لان قوله ولله ما في السموات وما في الارض خبر ليس من قوله والى الله ترجع الامور في شيء وذلك أن كل واحدة من القصتين مفارق معناها معنى الاخرى مكتفية كل واحدة منهما بنفسها غير محتاجة الى الاخرى كما قال الشاعر لا أرى الموت محتاج الى تمام الخبر عنه وهذا القول الثاني عندنا أولى بالصواب لان كتاب الله عز وجل لا يؤخذ معانيه وما فيه من البيان الى الشواذ من الكلام والمعاني وله في الفصيح من المنطق

باستمساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه لأن وجه الشبه وصف غير حقيقي ومنتزع من عدة أمور ويجوز أن يكون الحبل استعارة للعهد والاعتصام لوثوقه بالعهد بناء على ان في الكلام تشبيهين ويجوز أن نفرض الاستعارة في الحبل فقط ويكون الاعتصام ترشيحا لها والحاصل أن طريق الحق دقيق والسائر عليه غير مأمون أن تزل قدمه عن الجادة فيراد بالحبل ههنا ما يتوصل به الى الثبات على الحق وان كانت عبارات المفسرين متخالفة فعن ابن عباس هو العهد كما يجيء الا بحبل من الله وحبل من الناس وقيل انه القرآن كما روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أما انها ستكون فتنة قيل فما المخرج منها قال صلى الله عليه وسلم كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبل الله المتين وروى ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن حبل الله وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله حبل متين ممدود من السماء الى الارض وعترتي أهل بيتي وقيل انه دين الله وقيل انه طاعة الله وقيل اخلاص التوبة وقيل الجماعة لقوله تعالى عقيب ذلك ولا تفرقوا لأن الحق لا يكون الا واحدا وما بعد الحق الا الضلال و يد الله مع الجماعة قال صلى الله عليه وسلم ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة الناجي منهم واحد فقيل ومن هم يا رسول الله قال الجماعة وروى السواد الاعظم وروى ما أنا عليه وأصحابي قال صلى الله عليه وسلم لا تجتمع أمتي على الضلالة وقد يتمسك بالآية نفاة القياس قالوا الاحكام الشرعية ان احتيج فيها الى الدلائل والظاهر

والظاهر من المعانى المفهوم وجه صحيح موجود وأما قوله والى الله ترجع الأمور فانه يعنى تعالى ذكره الى الله مصير أمر جميع خلقه الصالح منهم والطالح والمحسن والمسىء فيجازى كلا على قدر استحقاقهم منه الجزاء بغير ظلم منه أحدا منهم ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف أهل التأويل فى تأويل قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس فقال بعضهم هم الذين هاجروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال فى كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين خرجوا معه من مكة **حدثنا** أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن قيس عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا من مكة الى المدينة **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال عمر بن الخطاب لو شاء الله لقال أنتم فكنا كلنا ولكن قال كنتم فى خاصة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صنع مثل صنيعهم كانوا خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة نزلت فى ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة وأبىّ بن كعب ومعاذ بن جبل **حدثنا** أبو كريب قال ثنا مصعب بن المقدام عن اسرائيل عن السدى عمن حدثه قال عمر كنتم خير أمة أخرجت للناس قال تكون لأوّلنا ولا تكون لآخرنا **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا اسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم الذين هاجروا مع النبى صلى الله عليه وسلم الى المدينة **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن عمر بن الخطاب قال فى حجة حجها ورأى من الناس (١) رعة سيئة فقرأ هذه كنتم خير أمة أخرجت للناس الآية ثم قال يا أيها الناس من سره أن يكون من تلك الامة فليؤدّ شرط الله منها **حدثنى** يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة يعنى وكانوا هم الرواة الدعاة الذين أمر الله المسلمين بطاعتهم * وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أمة أخرجت للناس اذ كنتم بهذه الشروط التى وصفهم جل ثناؤه بها فكان تأويل ذلك عندهم كنتم خير أمة تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله أخرجوا للناس فى زمانكم ذكر من قال ذلك **حدثنى** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن أنتم بين ظهرانيه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال يقول كنتم خير الناس للناس على هذا الشرط أن تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتؤمنوا بالله يقول لمن بين ظهريه كقوله ولقد اخترناهم على علم على العالمين **وحدثنا** ابن وكيع قال

(١) الرعة بوزن العدة الاحتشام والكف عن سوء الأدب انظر اللسان فى ورع كتبه مصححه

اليقينية امتنع الاكتفاء فيها بالقياس وان اقتصر فيها على الدلائل الظنية فالقول بجواز القياس لكل أحد يوجب التفرق والاختلاف وهو منهى عنه وأجيب بان الدلائل الدالة على وجوب العمل بالقياس مخصصة لعموم قوله ولا تفرقوا ثم انه تعالى ذكرهم نعمته عليهم وذلك أنهم كانوا فى الجاهلية بينهم الاحن والبغضاء والحروب المتطاولة فألف الله بين قلوبهم ببركة الاسلام فصاروا اخوانا فى الله متراحمين متناصحين وذلك أن من كان وجهه الى الدنيا فقلما يخلو من معاداة ومناقشة بسبب الأغراض الدنيوية أما العارف الناظر من الحق الى الخلق فانه يرى الكل أسيرا فى قبضة القضاء فلا يعادى أحدا البتة لانه مستبصر بسر الله فى القدر واذا أمر أمر برفق ناصح لا بعنف معير وكان حبه لحزب الله ونظرائه فى الدين ورفقائه فى طلب اليقين أشد من حب الوالد لولده فكانوا كالأقربين والاخوان بل كجسد واحد وكنفس واحدة وقيل يريد الاخوان فى النسب وذلك أن الاوس والخزرج كانا أخوين لاب وأم وكان بينهما العداوة والحروب وبقيا على ذلك مائة وعشرين سنة الى أن أطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله فذكرانه تعالى تلك النعمة وفيه دليل على أن المعاملات الحسنة الجارية فيما بينهم بعد الاسلام انما حصلت من الله تعالى حيث خلق فيهم تلك الداعية المستلزمة لحصول الفعل قال الكعبى ان ذلك بالهداية والبيان والتحذير والمعونة والالطاف لا بخلق الفعل وأجيب بان كل هذا كان حاصلا قبل ذلك فاختصاص أحد الزمانين بحصول الالفة والمحبة لابدأن يكون لأمر زائد على ما ذكرتم هذا شرح النعم الدنيوية عليهم ثم ذكرهم النعم الاخروية بقوله (وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها) وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتأنيث ومنه يقال أشفى على الشئ اذا أشرف عليه كأنه بلغ شفاه أى حده وطرفه وأنقذه واستنقذه

ثنا أبي عن سفيان عن ميسرة عن أبي حازم عن أبي هريرة كنتم خير أمة أخرجت للناس قال كنتم خير الناس للناس تجيئون بهم في السلاسل تدخلونهم في الاسلام حدثنا عبيد بن أسباط قال ثنا أبي عن فضيل بن مرزوق عن عطية في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال خير الناس للناس * وقال آخرون انما قيل كنتم خير أمة أخرجت للناس لانهم أكثر الامم استجابة للاسلام ذكر من قال ذلك حدثت عن عمار بن الحسين قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال لم تكن أمة أكثر استجابة في الاسلام من هذه الامة فمن ثم قال كنتم خير أمة أخرجت للناس * وقال بعضهم عنى بذلك أنهم كانوا خير أمة أخرجت للناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر قال قد كان ما تسمع من الخير في هذه الامة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول نحن آخرها وأكرمها على الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قال الحسن وذلك أن يعقوب بن ابراهيم حدثني قال ثنا ابن علية عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا انكم وفيتم سبعين أمة أنتم آخرها وأكرمها على الله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس قال أنتم تتمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم وهو مسند ظهره الى الكعبة نحن نكمل يوم القيامة سبعين أمة نحن آخرها وخيرها وأما قوله تأمرون بالمعروف فانه يعني تأمرون بالايمان بالله ورسوله والعمل بشرائعه وتنهون عن المنكر يعني وتنهون عن الشرك بالله وتكذيب رسوله وعن العمل بما نهى عنه كما حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس يقول تأمرونهم بالمعروف أن يشهدوا أن لا اله الا الله والاقرار بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله هو أعظم المعروف وتنهونهم عن المنكر والمنكر هو التكذيب وهو أنكر المنكر وأصل المعروف كل ما كان معروفا ففعله جميل مستحسن غير مستقبح في أهل الايمان بالله وانما سميت طاعة الله معروفا لانه مما يعرفه أهل الايمان ولا يستنكرون فعله وأصل المنكر ما أنكره الله ورأوه قبيحا فعله ولذلك سميت معصية الله منكرا لأن أهل الايمان بالله يستنكرون فعلها ويستعظمون ركوبها وقوله وتؤمنون بالله يعني تصدقون بالله فتخلصون له التوحيد والعبادة فان سأل سائل فقال وكيف قيل كنتم خير أمة وقد زعمت أن تأويل الآية أن هذه الامة خير الامم التي مضت وانما يقال كنتم خير أمة لقوم كانوا أخيارا فتغيروا عما كانوا عليه قيل ان معنى ذلك بخلاف ما ذهبت اليه وانما معناه أنتم خير أمة كما قيل واذكروا اذ أنتم قليل وقد قال في موضع آخر واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم فادخال كان في مثل هذا واسقاطها بمعنى واحد لان الكلام معروف معناه ولو قال أيضا في ذلك قائل كنتم بمعنى التمام كأن تأويله خلقتم خير أمة أو وجدتم خير أمة كان معنى صحيحا وقد زعم بعض أهل العربية أن معنى ذلك كنتم خير أمة عند الله في اللوح المحفوظ أخرجت للناس والقولان الأولان اللذان قلنا أشبه بمعنى الخبر الذي رويناه قبل * وقال آخرون معنى ذلك كنتم خير أهل طريقة وقال الامة الطريقة

عليه السلام ليس بي ضلالة حين قال له قومه انا لنراك في ضلال مبين أي ليس بي صغير من الضلال فكيف الكبير منه ومعنى الآية انكم كنتم مشرفين بكفركم على جهنم تشبيها لها بالحفرة التي فيها النار وتمثيلا لحياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها وفيه تنبيه على تحقير مدة الحياة وان طالت كأنه ليس بين الحياة وبين الموت المستلزم للوقوع في الحفرة الا ما بين طرف الشئ وبين ذلك الشئ قالت المعتزلة معنى الانقاذ أنه تعالى لطف بهم بالرسول صلى الله عليه وسلم وبسائر ألطافه حتى آمنوا وقال أهل السنة جميع الالطاف مشتركة بين المؤمن والكافر فلو كان فاعل الايمان هو العبد لكان العبد هو الذي أنقذ نفسه من النار لكن الآية دلت على أن الله تعالى هو المنقذ فعلم أن خالق أفعال العباد هو الله تعالى (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ارادة أن تزدادوا هدى أو لتكونوا على رجاء هداية فالاول قول المعتزلة والثاني لاهل السنة وقد مر في أوائل سورة البقرة ثم رغب المؤمنين الكاملين في تكميل غيرهم فقال (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير) وهو جنس تحته نوعان الترغيب في فعل ما ينبغي من واجبات الشرع ومندوباته والكف عما لا ينبغي من محرماته ومكروهاته فلا جرم أتبعه النوعين زيادة في البيان

فقال (ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) واختلفوا في ان كلمة من في قوله منكم للتبيين أو للتبعيض *القول فذهب طائفة الى أنها للتبيين لانه ما من مكلف الا ويجب عليه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر اما بيده أو بلسانه أو بقلبه وكف لا

وقد وصفهم الله تعالى بذلك فى قوله كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر فهذا كقولك لفلان من أولاده جند وللامير من غلمانه عسكر تريد جميع الاولاد

﴿القول فى تأويل قوله (ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره ولو صدّق أهل التوراة والانجيل من اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به من عند الله لكان خيرا لهم عند الله فى عاجل دنياهم وآجل آخرتهم منهم المؤمنون يعنى من أهل الكتاب من اليهود والنصارى المؤمنون المصدّقون رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاءهم به من عند الله وهم عبد الله بن سلام وأخوه وثعلبة بن سعيد وأخوه وأشباههم ممن آمنوا بالله وصدقوا برسوله محمد صلى الله عليه وسلم واتبعوا ما جاءهم به من عند الله وأكثرهم الفاسقون يعنى الخارجون عن دينهم وذلك أن من دين اليهود اتباع ما فى التوراة والتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم ومن دين النصارى اتباع ما فى الانجيل والتصديق به وبما فى التوراة وفى كل الكتابين صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ومبعثه وأنه نبى الله وكلتا الفرقتين أعنى اليهود والنصارى مكذبة فذلك فسقهم وخروجهم عن دينهم الذى يدّعون أنهم يدينون به الذى قال جل ثناؤه وأكثرهم الفاسقون وقال قتادة بما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ذم الله أكثر الناس ﴿القول فى تأويل قوله (لن يضروكم الا أذى)﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه لن يضركم يا أهل الايمان بالله ورسوله هؤلاء الفاسقون من أهل الكتاب بكفرهم وتكذيبهم نبيكم محمدا صلى الله عليه وسلم شيأ الا أذى يعنى بذلك ولكنهم يؤذونكم بشركهم واسماعكم كفرهم وقولهم فى عيسى وأمه وعزير ودعائهم اياكم الى الضلالة ولا يضرونكم بذلك وهذا من الاستثناء المنقطع الذى هو مخالف معنى ما قبله كما قيل ما اشتكى شيئا الا خيرا وهذه كلمة محكية عن العرب سماعا وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لن يضروكم الا أذى يقول لن يضروكم الا أذى تسمعونه منهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله لن يضروكم الا أذى قال أذى تسمعونه منهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله لن يضروكم الا أذى قال اشراكهم فى عزير وعيسى والصليب حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله لن يضروكم الا أذى الآية قال تسمعون منهم كذبا على الله يدعونكم الى الضلالة ﴿القول فى تأويل قوله (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون)﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه وان يقاتلكم أهل الكتاب من اليهود والنصارى يهزموا عنكم فيولوكم أدبارهم انهزاما فقوله يولوكم الأدبار كناية عن انهزامهم لان المنهزم يحوّل ظهره الى جهة الطالب هربا الى ملجا وموئل يئل اليه منه خوفا على نفسه والطالب فى أثره فدبر المطلوب حينئذ يكون محاذى وجه الطالب الهازمه ثم لا ينصرون يعنى ثم لا ينصرهم الله أيها المؤمنون عليكم لكفرهم بالله ورسوله وايمانكم بما آتاكم نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم لان الله عز وجل قد ألقى الرعب فى قلوب كائدكم أيها المؤمنون بنصركم وهذا وعد من الله تعالى ذكره نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم وأهل الايمان نصرهم على الكفرة به من أهل الكتاب وانما رفع قوله ثم لا ينصرون وقد جزم قوله يولوكم الأدبار على جواب الجزاء ائتنافا للكلام لان رؤس الآيات قبلها بالنون فألحق هذه بها كما قال ولا يؤذن لهم فيعتذرون رفعا وقد قال فى موضع آخر لا يقضى عليهم فيموتوا اذ لم يكن رأس آية ﴿القول فى تأويل قوله (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس)﴾ يعنى بقوله جل

والغلمان لا بعضهم ثم قالوا ان ذلك وان كان واجبا على الكل الا أنه متى قام به بعض سقط عن الباقين كسائر فروض الكفايات * وقال آخرون انه للتبعيض اما لأن فى القوم من لا يقدر على الدعوة وعلى الامر بالمعروف والنهى عن المنكر كالنساء والمرضى والعاجزين واما لان هذا التكليف مختص بالعلماء الذين يعرفون الخير ما هو والمعروف والمنكر ما هما ويعلمون كيف يرتب الامر فى اقامتهما وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم فى مذهبه وجهله فى مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ فى موضع اللين ويلين فى موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا وأيضا فقد أجمعنا على ان ذلك واجب على الكفاية فكان هذا بالحقيقة ايجابا على البعض الذى يقوم به ثم ان نصب لذلك رجل تعين عليه بحكم الولاية وهو المحتسب * واعلم أن الامر بالمعروف على ثلاثة أضرب أحدها ما يتعلق بحقوق الله تعالى وهو نوعان أحدهما ما يؤمر به الجمع دون الافراد كاقامة الجمعة حيث تجتمع شرائطها فان كانوا عددا يرون انعقاد الجمعة بهم والمحتسب لا يراه فلا يأمرهم بما لا يجوزه ولا ينهاهم عما يرونه فرضا عليهم ويأمرهم بصلاة العيد والثانى ما يؤمر به الافراد كما اذا أخر بعض الناس الصلاة عن الوقت فان قال نسيتها حثه على المراقبة ولا يعترض على من أخرها والوقت باق وثانيها ما يتعلق بحقوق الآدميين وينقسم الى عام كالبلد اذا تعطل شربه أو انهدم سوره أو طرقه أبناء السبيل المحتاجون وتركوا معونتهم فان كان فى بيت المال مال لم يؤمر الناس بذلك وان لم يكن أمر ذووا المكنة برعايتها والى خاص كمطل

ثناؤه ضربت عليهم الذلة ألزموا الذلة والذلة الفعلة من الذل وقد بينا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع أينما ثقفوا يعني حيثما لقوا يقول جل ثناؤه ألزم اليهود المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم الذلة أينما كانوا من الارض وبأي مكان كانوا من بقاعها من بلاد المسلمين والمشركين الا بحبل من الله وحبل من الناس كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وضربت عليهم المسكنة قال أدركتهم هذه الامة وان المجوس لتجبيهم الجزية حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال أذلهم الله فلا منعة لهم وجعلهم الله تحت أقدام المسلمين وأما الحبل الذي ذكره الله في هذا الموضع فانه السبب الذي يأمنون به على أنفسهم من المؤمنين وعلى أموالهم وذراريهم من عهد وأمان تقدم لهم عقده قبل أن يثقفوا في بلاد الاسلام كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الا بحبل من الله قال بعهد وحبل من الناس قال بعهدهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد عن عثمان بن غياث قال عكرمة يقول الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول الا بعهد من الله وعهد من الناس حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس فهو عهد من الله وعهد من الناس كما يقول الرجل ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم فهو الميثاق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال مجاهد أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال بعهد من الله وعهد من الناس لهم قال ابن جريج وقال عطاء العهد حبل الله حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس قال الا بعهد وهم يهود قال والحبل العهد قال وذلك قول أبي الهيثم بن التيهان لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتته الانصار في العقبة أيها الرجل انا قاطعون فيك حبالا بيننا وبين الناس يقول عهودا قال واليهود لا يأمنون في أرض من أرض الله الا بهذا الحبل الذي قال الله عز وجل وقرأ وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة قال فليس بلد فيه أحد من النصارى الا وهم فوق يهود في شرق ولا غرب هم في البلدان كلها مستذلون قال الله وقطعناهم في الارض أمما يهود حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس يقول بعهد من الله وعهد من الناس حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك مثله * واختلف أهل العربية في المعنى الذي جلب الباء في قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس فقال بعض نحويي الكوفة الذي جلب الباء في قوله بحبل فعل مضمر قد ترك ذكره قال ومعنى الكلام ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا أن يعتصموا بحبل من الله فأضمر ذلك

المديون الموسر بالدين فالمحتسب يأمره بالخروج عنه اذا استعداه رب الدين وليس له الحبس وثالثها الحقوق المشتركة كأمر الاولياء بانكاح الا كفاء والزام النساء أحكام العدد وأخذ السادة بحقوق الارقاء وأرباب البهائم بتعهدها وأن لا يستعملوها فيما لا تطيق ومن يغير هيئات العبادات كالجهر في الصلاة السرية وبالعكس أو يزيد في الأذان فيمنعه وينكر عليه ومن تصدى للتدريس والوعظ وهو ليس من أهله ولم يؤمن اغترار الناس به في تأويل أو تحريف فينكر المحتسب عليه ويظهر أمره لئلا يغتر به واذا رأى رجلا واقفا مع امرأة في شارع يطرقه الناس لم ينكر عليه وان كان في طريق خال فهو موضع ريبة فينكر ويقول ان كانت ذات محرم فصنها عن مواضع الريب وان كانت أجنبية فخف الله معها في الخلوة ولا ينكر في حقوق الآدميين كتعدي الجار في جدار الجار الا باستعداء صاحب الحق وينكر على من يطيل الصلاة من أئمة المساجد المطروقة وعلى القضاة اذا حجبوا الخصوم وقصروا في النظر في الخصومات والسوقي المختص بمعاملة النساء يختبر أمانته فان ظهرت منه خيانة منع من معاملتهن وبالجملة الايمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا اله الا الله وأدناها اماطة الاذى عن الطريق فلينظر الداعي الى الخير في حال كل مكلف وغير مكلف حتى الصبيان ليتمرنوا والمجانين كيلا يضروا ويدعوه الى ما يليق به متدرجا من الاسهل الى الاصعب في الامر والانكار كل ذلك ايمانا واحتسابا لا سمعة ورياء ولا لغرض من الأغراض النفسانية والجسمانية وذلك أن هذه الدعوة منصب النبي وخلفائه الراشدين بعده ومن ههنا ذهب الضحاك الى أن المراد من المذكورين في هذه الآية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين يتعلمون من الرسول ويعلمون الناس واستشهد

واستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر

رأتني بحبليها فصدّت مخافة * وفي الحبل روعاء الفؤاد فروق

وقال أراد أقبلت بحبليها وبقول الآخر

حنتني حانيات الدهر حتى * كأني خاتل أحنو لصيد

فاوجب اعمال فعل محذوف واظهار صلته وهو متروك وذلك في مذاهب العربية ضعيف ومن كلام العرب بعيد وأما ما استشهد به لقوله من الابيات فغير دال على صحة دعواه لان في قول الشاعر رأتني بحبليها دلالة بينة في أنها رأته بالحبل ممسكا ففي اخباره عنها انها رأته بحبليها اخبار منه أنها رأته ممسكا بالحبلين فكان فيما ظهر من الكلام مستغنى عن ذكر الامساك وكانت الباء صلة لقوله رأتني كما في قول القائل أنا بالله مكتف بنفسه ومعرفة السامع معناه أن تكون الباء محتاجة الى كلام يكون لها جالباً غير الذي ظهر وأن المعنى أنا بالله مستعين وقال بعض نحويي البصرة قوله الا بحبل من الله استثناء خارج من أول الكلام قال وليس ذلك بأشد من قوله لا يسمعون فيها لغوا الا سلاما * وقال آخرون من نحويي الكوفة هو استثناء متصل والمعنى ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا أي بكل مكان الا بموضع حبل من الله كما تقول ضربت عليهم الذلة في الأمكنة الا في هذا المكان وهذا أيضا طلب الحق فأخطأ المفصل وذلك أنه زعم أنه استثناء متصل ولو كان متصلا كما زعم لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس غير مضروبة عليهم المسكنة وليس ذلك صفة اليهود لانهم أينما ثقفوا بحبل من الله وحبل من الناس أو بغير حبل من الله عز وجل وغير حبل من الناس فالذلة مضروبة عليهم على ما ذكرنا عن أهل التأويل قبل فلو كان قوله الا بحبل من الله وحبل من الناس استثناء متصلا لوجب أن يكون القوم اذا ثقفوا بعهد وذمة أن لا تكون الذلة مضروبة عليهم وذلك خلاف ما وصفهم الله به من صفتهم وخلاف ما هم به من الصفة فقد تبين أيضا بذلك فساد قول هذا القائل أيضا ولكن القول عندنا أن الباء في قوله الا بحبل من الله أدخلت لان الكلام الذي قبل الاستثناء مقتض في المعنى الباء وذلك أن معنى قوله ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا ضربت عليهم الذلة بكل مكان ثقفوا ثم قال الا بحبل من الله وحبل من الناس على غير وجه الاتصال بالاول ولكنه على الانقطاع عنه ومعناه ولكن يثقفون بحبل من الله وحبل من الناس كما قيل وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ فالخطأ وان كان منصوبا بما عمل فيما قبل الاستثناء فليس قوله باستثناء متصل بالاول بمعنى الا خطأ فان له قتله كذلك ولكن معناه ولكن قد يقتله خطأ فكذلك قوله أينما ثقفوا الا بحبل من الله وان كان الذي جلب الباء التي بعد الا الفعل الذي يقتضيها قبل الا فليس الاستثناء بالاستثناء المتصل بالذي قبله بمعنى أن القوم اذا لقوا فالذلة زائلة عنهم بل الذلة ثابتة بكل حال ولكن معناه ما بينا آنفا ﴿ القول في تأويل قوله (وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق) يعني تعالى ذكره وباؤا بغضب من الله وتحملوا غضب الله فانصرفوا به مستحقيه وقد بينا أصل ذلك بشواهده ومعنى المسكنة وأنها ذل الفاقة والفقر وخشوعهما ومعنى الغضب من الله فيما مضى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وقوله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله يعني جل ثناؤه بقوله ذلك أي بوءهم الذي باؤا به من غضب الله وضرب الذلة عليهم بدل مما كانوا يكفرون بآيات الله يقول مما كانوا يجحدون أعلام الله وأدلته على صدق أنبيائه وما فرض عليهم من فرائضه ويقتلون الانبياء بغير حق يقول وبما كانوا يقتلون

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في أرضه وخليفة رسول الله وخليفة كتابه وعن علي أفضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنأ الفاسقين وغضب لله (٣٣) غضب الله له وكفى بقوله تعالى (وأولئك هم المفلحون) أي الاخصاء بالفلاح مدحا لهم وقد يتمسك بهذا في أن الفاسق ليس له أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لأنه ليس من أهل الفلاح وأجيب بان هذا ورد على سبيل الغالب فان الظاهر أن الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا يشرع فيه الا بعد اصلاح أحوال نفسه لان العاقل يقدم مهم نفسه على مهم الغير وقلما يتفق ممن زنى بامرأة أن يأمرها بالمعروف في انها لم كشفت عن وجهها قال بعض العلماء ان ترك ارتكاب المنهي عنه والنهي عن ارتكاب المنهي واجبان على الفاسق فبتركه أحد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن بعض السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن أنه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا أقول ما لا أفعل فقال وأينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يأمر أحد بمعروف ولا ينهى عن منكر والحق في هذه القضية ما قيل

وغير تقي يأمر الناس بالتقى * طبيب يداوي الناس وهو مريض

والقرآن ينعى عليه بقوله لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وقد سلف تقريره في البقرة وعن داود الطائي انه سمع صوتا من قبر ألم أزك ألم أصل ألم أصم ألم أفعل كذا وكذا أجيب بلى يا عدو الله ولكن انك اذا خلوت بارزته بالمعاصي ولم تراقبه قوله سبحانه (ولا تكونوا كالذين تفرقوا) في النظم وجهان أحدهما أنه تعالى ذكر في الآيات المتقدمة أنه بين في التوراة والانجيل ما دل على صحة دين الاسلام ثم ان أهل الكتاب حسدوا [illegible] فاحتالوا الالقاء الشكوك في تلك النصوص ثم انجر

أنبياءهم ورسل الله اليهم اعتداء على الله وجراءة عليه بالباطل وبغير حق استحقوا منهم القتل فتأويل الكلام ألزموا الذلة بأي مكان لقوا الا بذمة من الله وذمة من الناس وانصرفوا بغضب من الله متحمليه وألزموا ذل الفاقة وخشوع الفقر بدلا مما كانوا يجحدون بآيات الله وأدلته وحججه ويقتلون أنبياءه بغير حق ظلما واعتداء ۞ القول في تأويل قوله (ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون) يقول تعالى ذكره فعلنا بهم ذلك بكفرهم وقتلهم الانبياء ومعصيتهم ربهم واعتدائهم أمر ربهم وقد بينا معنى الاعتداء في غير موضع فيما مضى من كتابنا بما فيه الكفاية عن اعادته فأعلم ربنا جل ثناؤه عباده ما فعل بهؤلاء القوم من أهل الكتاب من احلال الذلة والخزي بهم في عاجل الدنيا مع ما ادخر لهم في الآجل من العقوبة والنكال وأليم العذاب اذ تعدوا حدود الله واستحلوا محارمه تذكيرا منه تعالى ذكره لهم وتنبيها على موضع البلاء الذي من قبله أتوا لينيبوا ويذكروا وعظة منه لأمتنا أن لا يستنوا بسنتهم ويركبوا منهاجهم فيسلك بهم مسالكهم ويحل بهم من نقم الله ومثلاته ما أحل بهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اجتنبوا المعصية والعدوان فان بهما أهلك من أهلك قبلكم من الناس ۞ القول في تأويل قوله (ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله جل ثناؤه ليسوا سواء ليس فريقا أهل الكتاب أهل الايمان منهم والكفر سواء يعني بذلك أنهم غير متساوين يقول ليسوا متعادلين ولكنهم متفاوتون في الصلاح والفساد والخير والشر وانما قيل ليسوا سواء لان فيه ذكر الفريقين من أهل الكتاب اللذين ذكرهما الله في قوله ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ثم أخبر جل ثناؤه عن حال الفريقين عنده المؤمنة منهما والكافرة فقال ليسوا سواء أي ليس هؤلاء سواء المؤمنون منهم والكافرون ثم ابتدأ الخبر جل ثناؤه عن صفة الفرقة المؤمنة من أهل الكتاب ومدحهم وأثنى عليهم بعد ما وصف الفرقة الفاسقة منهم بما وصفها به من الهلع ونخب الجنان ومحالفة الذل والصغار وملازمة الفاقة والمسكنة وتحمل خزي الدنيا وفضيحة الآخرة فقال من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون الآيات الثلاث الى قوله والله عليم بالمتقين قوله أمة قائمة مرفوعة بقوله من أهل الكتاب وقد توهم جماعة من نحويي الكوفة والبصرة والمقدمين منهم في صناعتهم أن ما بعد سواء في هذا الموضع من قوله أمة قائمة ترجمة عن سواء وتفسير عنه بمعنى لا يستوي من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وأخرى كافرة وزعموا أن ذكر الفرقة الاخرى ترك اكتفاء بذكر احدى الفرقتين وهي الامة القائمة ومثلوه بقول أبي ذؤيب

عصيت اليها القلب اني لأمرها * سميع فما أدري أرشد طلابها

ولم يقل أم غير رشد اكتفاء بقوله أرشد من ذكر أم غير رشد وبقول الآخر

أزال فلا أدري أهم هممته * وذو الهم قدما خاشع متضائل

وهو مع ذلك عندهم خطأ قول القائل المريد أن يقول سواء أقمت أم قعدت سواء أقمت حتى يقول أم قعدت وانما يجيزون حذف الثاني فيما كان من الكلام مكتفيا بواحد دون ما كان ناقصا عن ذلك وذلك نحو ما أبالي أو ما أدري فأجازوا في ذلك ما أبالي أقمت وهم يريدون ما أبالي أقمت أم قعدت لاكتفاء ما أبالي بواحد وكذلك في ما أدري وأبوا الاجازة في سواء من أجل نقصانه وأنه غير مكتف

الكلام الى انه آمر المؤمنين بالدعاء الى الخير فختم الكلام بتحذير المؤمنين من مثل فعل أهل الكتاب من القاء الشبهات في النصوص واستخراج التأويلات الفاسدة فعلى هذا (٤ ٣) تكون الآية من تتمة الآيات المتقدمة وثانيهما أنه لما أمر الامة بالأمر بالمعروف والنهي عن ضده وكان ذلك مما لا يتم الا بالقدرة على تنفيذه كيف وفي الناس ظلمة ومتغلبون فلا جرم حذر أهل الحق أن يتفرقوا ويختلفوا كيلا يصير ذلك سببا لعجزهم عن القيام بهذا التكليف وعلى هذا تكون الآية من تتمة الآية السابقة فقط قال بعضهم تفرقوا واختلفوا مؤداهما واحد والتكرير للتأكيد وقيل معناهما مختلف تفرقوا بالعداوة واختلفوا في الدين أو تفرقوا بسبب التأويلات الفاسدة للنصوص واختلفوا بأن حاول كل منهم نصرة قوله أو تفرقوا بأبدانهم بأن صار كل من الاحبار رئيسا في بلد واختلفوا بأن صار كل منهم يدعي أنه على الحق وصاحبه على الباطل ولعل الانصاف ان أكثر علماء الزمان بهذه الصفة فنسأل الله العصمة والسداد (وأولئك) اليهود والنصارى الذين اختلفوا من بعد ما جاءهم الدلالات الواضحة والنصوص الظاهرة أو أولئك الذين اقتفوا آثارهم من مبتدعة هذه الأمة (لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) وفي تعليق الظرف بقوله لهم فائدتان احداهما أن ذلك العذاب في هذا اليوم والأخرى أن من حكم هذا اليوم أن يبيض بعض الوجوه ويسود بعضها ونظير ذلك في القرآن وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة وفي أمثال هذه الالوان للمفسرين قولان أحدهما واليه ميل أبي مسلم ان البياض مجاز عن الفرح والسواد عن الغم وهذا مجاز مستعمل قال تعالى واذا بشر أحدهم بالانثى ظل وجهه مسودا ولما سلم الحسن بن علي الامر الى معاوية قال له رجل يا مسود وجوه المؤمنين وتمام الخبر سوف يجيء ان شاء الله في تفسير سورة القدر ولبعض

مكتف بواحد فأغفلوا في توجيههم قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة على ما حكمنا عنهم الى ما وجهوه اليه مذاهبهم في العربية اذ أجازوا فيه من الحذف ما هو غير جائز عندهم في الكلام مع سواء وأخطؤا تأويل الآية فسواء في هذا الموضع بمعنى التمام والاكتفاء لا بالمعنى الذي تأوله من حكينا قوله وقد ذكر أن قوله من أهل الكتاب أمة قائمة الآيات الثلاث نزلت في جماعة من اليهود أسلموا فحسن اسلامهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما أسلم عبد الله بن سلام وثعلبة بن سعية وأسيد بن سعية وأسد بن عبيد ومن أسلم من يهود معهم فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام ومنحوا فيه قالت أحبار يهود وأهل الكفر منهم ما آمن بمحمد ولا تبعه الا أشرارنا ولو كانوا من خيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره فأنزل الله عز وجل في ذلك من قولهم ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله الى قوله وأولئك من الصالحين حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس عن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت قال ثني سعيد بن جبير أو عكرمة عن ابن عباس بنحوه حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس كل القوم هلك قد كان لله فيهم بقية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج أمة قائمة عبد الله بن سلام وثعلبة بن سلام أخوه وسعية ومبشر وأسيد وأسد ابنا كعب * وقال آخرون معنى ذلك ليس أهل الكتاب وأمة محمد القائمة بحق الله سواء عند الله ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقول في قوله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة قال لا يستوي أهل الكتاب وأمة محمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قائمة وقد بينا أن أولى القولين بالصواب في ذلك قول من قال قد تمت القصة عند قوله ليسوا سواء عن اخبار الله بأمر مؤمني أهل الكتاب وأهل الكفر منهم وأن قوله من أهل الكتاب أمة قائمة خبر مبتدأ عن مدح مؤمنيهم ووصفهم بصفتهم على ما قاله ابن عباس وقتادة وابن جريج ويعني جل ثناؤه بقوله أمة قائمة جماعة ثابتة على الحق وقد دللنا على معنى الأمة فيما مضى بما أغنى عن اعادته وأما القائمة فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناها العادلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أمة قائمة قال عادلة * وقال آخرون بل معنى ذلك أنها قائمة على كتاب الله وما أمر به فيه ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وفرائضه وحدوده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمة قائمة يقول قائمة على كتاب الله وحدوده وفرائضه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس من أهل الكتاب أمة قائمة يقول أمة مهتدية قائمة على أمر الله لم تنزع عنه وتتركه كما تركه الآخرون وضيعوه * وقال آخرون بل معنى قائمة مطيعة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أمة قائمة الآية يقول ليس هؤلاء اليهود كمثل هذه الامة التي هي قانتة لله والقانتة المطيعة * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس وقتادة ومن قال

الشعراء في الشيب يا بياض القرون سودت وجهي * عند بيض الوجوه سود القرون وثانيهما أن السواد والبياض محمولان على ظاهرهما وهما النور والظلمة اذ الاصل في الاطلاق الحقيقة فمن كان من

أهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من أهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكمده واسودت صحيفته وأحاطت به الظلمة من كل جانب قالوا والحكمة في ذلك أن يعرف أهل الموقف كل صنف فيعظمونهم أو يصغرون بحسب ذلك ويحصل لهم بسببه مزيد بهجة وسرور أو ويل وثبور وأيضا اذا عرف المكلف في الدنيا انه يحصل له في الآخرة احدى الحالتين ازدادت رغبته في الطاعات وترك المحرمات قلت والتحقيق فيه أن الهيآت والاخلاق الحميدة أنوار والملكات والعادات الذميمة ظلمات وكل منهما لا تظهر آثارهما كما هي الا بعد المفارقة الى الآخرة انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا واحتج أهل السنة بالآية على ان المكلف اما مؤمن واما كافر وانه ليس ههنا منزلة بين المنزلتين لانه قسم أهل القيامة الى قسمين مبيض الوجوه وهم المؤمنون ومسودها وهم الكافرون لقوله تعالى في آخر الآية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واعترض القاضي عليه بان عدم ذكر القسم الثالث لا يدل على عدمه وأيضا لفظ وجوه نكرة فلا يفيد العموم وأيضا المذكور في الآية هم المؤمنون والذين كفروا بعد الايمان ولا شبهة ان الكافر الاصلي من أهل النار مع انه غير داخل تحت هذين القسمين فكذا القول في الفساق والجواب لم لا يجوز أن يكون المراد ان كل أحد أسلم وقت استخراج الذرية من صلب آدم فيكون الخطاب لجميع الكفار وانه أيضا جعل موجب العذاب في آخر الآية هو الكفر من حيث انه كفر لا الكفر من حيث انه بعد الايمان فان قيل لم

قدم البياض على السواد أولا وعكس أخرا فالجواب بعد تسليم افادة الواو الترتيب أنه بدأ بذكر أهل الثواب وختم بهم أيضا تنبيها على ان ارادة الرحمة أكثر من ارادة الغضب كما قال سبقت (٣٦) رحمتي غضبي ولما في ذلك من رعاية حسن المطلع والمقطع وأنه فن بديع في الفصاحة ومن

المراد بهؤلاء الذين كفروا بعد ايمانهم قال أبي بن كعب هم جميع الكفار لانهم آمنوا وقت الميثاق ورواه الواحدي في البسيط باسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المراد أكفرتم بعد ما ظهر لكم ما يوجب الايمان وهو ما نصبه الله من دلائل التوحيد والنبوة وقال عكرمة والاصم والزجاج انهم أهل الكتاب آمنوا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وكفروا به بعد بعثه وقال قتادة انهم المرتدون وقال الحسن هم المنافقون وقيل هم الخوارج الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ولما رأى أبو امامة رؤسا منصوبة على درج مسجد دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت أديم السماء وخير قتلى تحت أديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له أبو غالب أشيء تقوله برأيك أم شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو لم أسمعه الا مرة أو مرتين أو ثلاثا حتى عد سبعا ما حدثتكموه قال فما شأنك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من أهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم أخذ بيده فقال ان بأرضك منهم كثيرا فأعاذك الله منهم هذا انما أخرجه الامام أبو عيسى الترمذي في جامعه ولكن المشهور من مذهب أهل السنة أن الخروج على الامام لا يوجب الكفر البتة والاستفهام في قوله تعالى أكفرتم بمعنى الانكار قال

القاضي وفيه وكذا في قوله بما كنتم تكفرون دليل على أن الكفر منهم لا من الله وقالت المرجئة فيه دلالة على ان العذاب لا يكون الا للكافر صلاة

أما قوله ففي رحمة الله فالمراد بها الجنة التي هي محل الرحمة وموقع قوله هم فيها خالدون موقع الاستئناف كأنه قيل كيف يكونون فيها فاجيب بذلك

بقولهما على ما روينا عنهم وان كان سائر الاقوال الأخر متقاربة المعنى من معنى ما قاله ابن عباس وقتادة في ذلك وذلك أن معنى قوله قائمة مستقيمة على الهدى وكتاب الله وفرائضه وشرائع دينه بالعدل والطاعة وغير ذلك من أسباب الخير من صفة أهل الاستقامة على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ونظير ذلك الخبر الذي رواه النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم ركبوا سفينة ثم ضرب لهم مثلا فالقائم على حدود الله هو الثابت على التمسك بما أمره الله به واجتناب ما نهاه الله عنه فتأويل الكلام من أهل الكتاب جماعة معتصمة بكتاب الله متمسكة به ثابتة على العمل بما فيه وما سن له رسوله صلى الله عليه وسلم ﴿ القول في تأويل قوله (يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون) يعني بقوله يتلون آيات الله يقرؤن كتاب الله آناء الليل ويعني بقوله آيات الله ما أنزل في كتابه من العبر والمواعظ يقول يتلون ذلك آناء الليل يقول في ساعات الليل فيتدبرونه ويتفكرون فيه وأما آناء الليل فساعات الليل واحدها إنى كما قال الشاعر

حلو ومر كعطف القدح مرته * في كل انى قضاه الليل ينتعل

وقد قيل ان واحد الآناء انى مقصور كما واحد الامعاء معى واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم تأويله ساعات الليل كما قلنا ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة يتلون آيات الله آناء الليل أي ساعات الليل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال آناء الليل ساعات الليل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عبد الله بن كثير سمعنا العرب تقول آناء الليل ساعات الليل * وقال آخرون آناء الليل جوف الليل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يتلون آيات الله آناء الليل أما آناء الليل فجوف الليل * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون العشاء الاخيرة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن الحسن بن يزيد العجلي عن عبد الله بن مسعود في قوله يتلون آيات الله آناء الليل صلاة العتمة هم يصلونها ومن سواهم من أهل الكتاب لا يصليها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني يحيى بن أيوب عن عبيد الله بن زحر عن سليمن عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال احتبس علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة كان عند بعض أهله ونسائه فلم يأتنا لصلاة العشاء حتى ذهب ليل فجاء ومنا المصلي ومنا المضطجع فبشرنا وقال انه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون حدثني يونس قال ثنا علي بن معبد عن أبي يحيى الخراساني عن نصر بن طريف عن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن ننتظر العشاء يريد العتمة فقال لنا ما على الارض أحد من أهل الاديان ينتظر هذه الصلاة في هذا الوقت غيركم قال فنزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور قال بلغني انها نزلت ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون فيما بين المغرب والعشاء * وهذه الاقوال التي ذكرتها على اختلافها متقاربة المعاني وذلك أن الله تعالى ذكره وصف هؤلاء القوم بانهم يتلون آيات الله في ساعات الليل وهي آناؤه وقد يكون تاليها في

أي لا يظعنون عنها ولا يموتون وفي اقامة الرحمة مقام الجنة دليل على أن العبد وان كثرت طاعته فانه لا يدخل الجنة الا بفضل الله وبرحمته وفي إضافة الرحمة الى نفسه وتعليل العذاب بكفرهم والنص على خلود أهل الثواب دون أهل النار (٣٧) وان كانوا مخلدين أيضا دلائل واشارات الى أن جانب العفو والمغفرة والرحمة مغلب وكيف لا وقد أردفه بقوله (تلك) الاحكام التي وردت في حيز الوعيد والوعد وانقضى ذكرها (آيات الله نتلوها عليك) متلبسة (بالحق) العدل من جزاء المحسن باحسانه وجزاء المسيء باساءته أو متلبسة بالمعنى الحق لأن معنى المتلو حق (وما الله يريد ظلما للعالمين) ولكن مصالح الخلق لا تنتظم الا بتهديد المذنبين واذا حصل التهديد فلا بد من التحقيق دفعا للكذب عمن هو أصدق القائلين قال الجبائي قوله ظلما نكرة في سياق النفي فوجب أن لا يريد شيأ مما يكون ظلما سواء فرض منه أو من العبد على نفسه أو على غيره واذا لم يرد لم يفعل اذ لو كان فاعلا لشيء من الأقسام الثلاثة كان مريدا له هذا خلف فثبت بهذه الآية انه تعالى غير فاعل للظلم وغير فاعل لاعمال العباد اذ من جملتها القبائح وقد بينا انه لا يريدها ثم انه تعالى تمدح بانه لا يريد ذلك والتمدح انما يصح لو صح منه فعل ذلك الشيء وصح منه كونه مريدا له فدلت الآية على انه قادر على الظلم وعلى أن يمنع الظلمة من الظلم على سبيل الالجاء والقهر فلهذا قال (ولله ما في السموات وما في الارض) وأيضا لما ذكر انه لا يريد الظلم والقبائح استدل عليه بان فاعل القبيح انما يفعل القبيح للجهل أو العجز أو الحاجة وكل ذلك على الله تعالى محال لانه مالك لكل ما في السموات وما في الارض بل لكل ما في الوجود وربما يقال معنى الآية اما أن يكون انه لا يريد أن يظلمهم أو انه لا يريد أن يظلم بعضهم بعضا والاول لا يستقيم على مذهبكم لان من مذهبكم انه تعالى لو عذب البريء من الذنب أشد العذاب لم يكن ظالما بل كان عادلا لأن الظلم تصرف في ملك الغير وهو تعالى انما يتصرف في ملك نفسه فتصور الظلم منه محال عندكم

صلاة العشاء تاليا لها آناء الليل وكذلك من تلاها فيما بين المغرب والعشاء ومن تلاها جوف الليل فكل تال له ساعات الليل غير أن أولى الاقوال بتأويل الآية قول من قال عني بذلك تلاوة القرآن في صلاة العشاء لانها صلاة لا يصليها أحد من أهل الكتاب فوصف الله أمة محمد صلى الله عليه وسلم بأنهم يصلونها دون أهل الكتاب الذين كفروا بالله ورسوله وأما قوله وهم يسجدون فان بعض أهل العربية زعم أن معنى السجود في هذا الموضع اسم الصلاة لا السجود لان التلاوة لا تكون في السجود ولا في الركوع فكان معنى الكلام عنده يتلون آيات الله آناء الليل وهم يصلون وليس المعنى على ما ذهب اليه وانما معنى الكلام من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل في صلاتهم وهم مع ذلك يسجدون فيها فالسجود هو السجود المعروف في الصلاة ۞ القول في تأويل قوله (يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين) يعني بقوله جل وعز يؤمنون بالله واليوم الآخر يصدقون بالله وبالبعث بعد الممات ويعلمون أن الله مجازيهم بأعمالهم وليسوا كالمشركين الذين يجحدون وحدانية الله ويعبدون معه غيره ويكذبون بالبعث بعد الممات وينكرون المجازاة على الاعمال والثواب والعقاب وقوله ويأمرون بالمعروف يقول يأمرون الناس بالايمان بالله ورسوله وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم وما جاءهم به وينهون عن المنكر يقول وينهون الناس عن الكفر بالله وتكذيب محمد وما جاءهم به من عند الله يعني بذلك أنهم ليسوا كاليهود والنصارى الذين يأمرون الناس بالكفر وتكذيب محمد فيما جاءهم به وينهونهم عن المعروف من الاعمال وهو تصديق محمد فيما أتاهم به من عند الله ويسارعون في الخيرات يقول ويبتدرون فعل الخيرات خشية أن يفوتهم ذلك قبل معاجلتهم مناياهم ثم أخبر جل ثناؤه أن هؤلاء الذين هذه صفتهم من أهل الكتاب هم من عداد الصالحين لان من كان منهم فاسقا قد باء بغضب من الله لكفره بالله وآياته وقتلهم الانبياء بغير حق وعصيانه ربه واعتدائه في حدوده ۞ القول في تأويل قوله (وما تفعلوا من خير فلن تكفروه والله عليم بالمتقين) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الكوفة وما يفعلوا من خير فلن يكفروه جميعا ردا على صفة القوم الذين وصفهم جل ثناؤه بأنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقرأته عامة قراء المدينة والحجاز وبعض قراء الكوفة بالتاء في الحرفين جميعا وما تفعلوا من خير فلن تكفروه بمعنى وما تفعلوا أنتم أيها المؤمنون من خير فلن يكفركموه ربكم وكان بعض قراء البصرة يرى القراءتين في ذلك جائزا بالياء والتاء في الحرفين والصواب من القراءة في ذلك عندنا وما يفعلوا من خير فلن يكفروه بالياء في الحرفين كليهما يعني بذلك الخبر عن الامة القائمة التالية آيات الله وانما اخترنا ذلك لان ما قبل هذه الآية من الآيات خبر عنهم فالحاق هذه الآية اذ كان لا دلالة فيها تدل على الانصراف عن صفتهم بمعاني الآيات قبلها أولى من صرفها عن معاني ما قبلها وبالذي اخترنا من القراءة كان ابن عباس يقرأ حدثني أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن أبي عمرو بن العلاء قال بلغني عن ابن عباس أنه كان يقرؤهما جميعا بالياء فتأويل الآية اذا على ما اخترنا من القراءة وما تفعل هذه الامة من خير وتعمل من عمل لله فيه رضا فلن يكفرهم الله ذلك يعني بذلك فلن يبطل الله ثواب عملهم ذلك ولا يدعهم بغير جزاء منه لهم عليه ولكنه يجزل لهم الثواب عليه ويسني لهم الكرامة والجزاء وقد دللنا على معنى الكفر فيما مضى قبل بشواهده وأن أصله تغطية الشيء فكذلك ذلك في قوله فلن يكفروه فلن يغطى على ما فعلوا من خير فيتركوا بغير مجازاة ولكنهم يشكرون على ما فعلوا

فلا يلزم منه مدح والثاني أيضا محال على قولكم لان كلا بارادة الله وبتكوينه عندكم فثبت انه لا يمكن حمل الآية على وجه صحيح في مذهبكم أجاب أهل السنة من وجهين الاول أنه لا يتوقف (٣٨) التمدح بنفي صفة على امكان تصور ذلك الشيء منه بدليل قوله لا تأخذه سنة ولا نوم وهو يطعم ولا يطعم ولا يتوقف التمدح بذلك على صحة النوم والأكل عليه الثاني أنه تعالى ان عذب من ليس يستحق للظلم لم يكن ظالما لكنه في صورة الظلم وقد يطلق اسم أحد المتشابهين على الآخر كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها والحق في هذا المقام أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه واذا كان اللطف والقهر من ضرورات صفات الكمال فوضع كل منهما في مظهره يكون وضع الشيء في موضعه فلا يكون ظلما واحتجت الاشاعرة بقوله ولله ما في السموات وما في الارض على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى لانها من جملة ما في السموات وما في الارض أجابت المعتزلة بان قوله لله اضافة ملك لا اضافة فعل كما يقال هذا البناء لفلان يراد أنه مملوكه لا أنه مفعوله وأيضا الآية مسوقة في معرض المدح ولا مدح في نسبة الفواحش والقبائح الى نفسه وأيضا قوله ما في السموات وما في الارض يتناول ما كان مظروفا لهما وذلك من صفات الاجسام لا من صفات الافعال التي هي أعراض وعورض بان الاضافة اضافة فعل لان المؤثر في حصول فعل العبد هو مجموع القدرة والداعية المنتهية الى تخليق الله دفعا للتسلسل أو الترجيح من غير مرجح قالت الحكماء تقديم السموات في الذكر على الارض دليل على ان جميع الاحوال الارضية مستندة الى الاسباب السموية ولا شك أن الاحوال السموية مستندة الى خلقه

من ذلك فيجزل لهم الثواب فيه وبنحو ما قلنا في ذلك من التأويل تأول من تأول ذلك من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وما تفعلوا من خير فلن تكفروه يقول لن يضل عنكم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله وأما قوله والله عليم بالمتقين فانه يقول تعالى ذكره والله ذو علم بمن اتقاه بطاعته واجتناب معاصيه وحافظ أعمالهم الصالحة حتى يثيبهم عليها ويجازيهم بها تبشيرا منه لهم جل ذكره في عاجل الدنيا وحضا لهم على التمسك بالذي هم عليه من صالح الاخلاق التي ارتضاها لهم ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا وعيد من الله عز وجل للامة الاخرى الفاسقة من أهل الكتاب الذين أخبر عنهم بانهم فاسقون وأنهم قد باؤا بغضب منه ولمن كان من نظرائهم من أهل الكفر بالله ورسوله وما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله يقول تعالى ذكره ان الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوا به وبما جاءهم به من عند الله لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ يعني لن تدفع أمواله التي جمعها في الدنيا وأولاده الذين رباهم فيها شيأ من عقوبة الله يوم القيامة ان أخرها لهم الى يوم القيامة ولا في الدنيا ان عجلها لهم فيها وانما خص أولاده وأمواله لان أولاد الرجل أقرب أنسبائه اليه وهو على ماله أقرب منه على مال غيره وأمره فيه أجوز من أمره في مال غيره فاذا لم يغن عنه ولده لصلبه وماله الذي هو نافذ الامر فيه فغير ذلك من أقربائه وسائر أنسبائه وأموالهم أبعد من أن تغني عنه من الله شيأ ثم أخبر جل ثناؤه أنهم هم أهل النار الذين هم أهلها بقوله وأولئك أصحاب النار وانما جعلهم أصحابها لانهم أهلها الذين لا يخرجون منها ولا يفارقونها كصاحب الرجل الذي لا يفارقه وقرينه الذي لا يزايله ثم وكد ذلك باخباره عنهم أنهم فيها خالدون صحبتهم اياها صحبة لا انقطاع لها اذا كان من الاشياء ما يفارق صاحبه في بعض الاحوال ويزايله في بعض الاوقات وليس كذلك صحبة الذين كفروا النار التي أصلوها ولكنها صحبة دائمة لا نهاية لها ولا انقطاع نعوذ بالله منها ومما قرب منها من قول وعمل ۞ القول في تأويل قوله (مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته) يعني بذلك جل ثناؤه شبه ما ينفق الذين كفروا أي شبه ما يتصدق به الكافر من ماله فيعطيه من يعطيه على وجه القربة الى ربه وهو لوحدانية الله جاحد ولمحمد صلى الله عليه وسلم مكذب في ان ذلك غير نافعه مع كفره وأنه مضمحل عند حاجته اليه ذاهب بعد الذي كان يرجو من عائدة نفعه عليه كشبه ريح فيها برد شديد أصابت هذه الريح التي فيها البرد الشديد حرث قوم يعني زرع قوم قد أملوا ادراكه ورجوا ريعه وعائدة نفعه ظلموا أنفسهم يعني أصحاب الزرع عصوا الله وتعدوا حدوده فأهلكته يعني فأهلكت الريح التي فيها الصر زرعهم ذلك بعد الذي كانوا عليه من الامل ورجاء عائدة نفعه عليهم يقول تعالى ذكره فكذلك فعل الله بنفقة الكافر وصدقته في حياته حين يلقاه يبطل ثوابها ويخيب رجاءه منها وخرج المثل للنفقة والمراد بالمثل صنيع الله بالنفقة فبين ذلك قوله كمثل ريح فيها صر فهو كما قد بينا في مثله من قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما أشبه ذلك فتأويل الكلام مثل ابطال الله أجر ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر وانما جاز ترك ذكر ابطال الله أجر ذلك لدلالة آخر الكلام عليه وهو قوله كمثل ريح فيها صر ولمعرفة السامع ذلك معناه واختلف أهل التأويل في معنى النفقة التي ذكرها في هذه الآية فقال بعضهم هي النفقة المعروفة في الناس ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

وتكوينه تعالى فيكون الخبر أيضا الازما من هذا الوجه (والى الله) أي الى حيث لا مالك سواه (ترجع الامور) فالاول اشارة الى أنه تعالى عن مبدأ المخلوقات كلها وهذا اشارة الى أن معاد الكل اليه قوله عز من قائل (كنتم خير أمة) في النظم وجهان أحدهما انه لما أمر المؤمنين بما أمر

ونهاهم عما نهى عدل الى طريق آخر يقتضي حملهم على الانقياد والطاعة لان كونهم خير الامم مما يقوّي داعيتهم في أن لا يبطلوا على أنفسهم هذه المزية وذلك انما يكون بالتزام التكاليف الشرعية وثانيها ماله لماذكر حال (٣٩) الاشقياء وحال السعداء نبه أولا على ماهو السبب لوعيد الاشقياء بقوله وما الله يريد ظلما للعالمين يعني انهم استحقوا ذلك بافعالهم القبيحة ثم نبه على سبب وعد السعداء بقوله كنتم خير أمة أي تلك الكرامات والسعادات انما فازوا بها في الآخرة لانهم كانوا في الدنيا خير أمة وأقول لما انجر الكلام في مخاطبة المؤمنين الى بيان أن كل ما في الوجود ملكه وملكه ابداعا واختراعا وأن منتهى الكل اليه أتبع ذلك مزية هذه الامة ليعلم انها بسابقة العناية الازلية اذ جعلهم مظهر الالطاف وذكر بعدها رذيلة أهل الكتاب ليعرف انها لوقوعهم في طريق القهر ولا اعتراض لاحد على ما يفعله المالك في ملكه عن عكرمة ومقاتل أن مالك بن الصيف ووهب بن يهوذا اليهوديين قالا لابن مسعود وأبي بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى حذيفة ان ديننا خير مما تدعوننا اليه ونحن خير وأفضل منكم فانزل الله هذه الآية قال بعض المفسرين كان ههنا تامة وانتصاب خير أمة على الحال أي حدثتم ووجدتم خير أمة والاكثرون على أنها ناقصة لخفاء ايهام أنهم كانوا موصوفين بالخيرية في الزمان الماضي دون ما يستقبل فاجيب بان كان لا تدل على عدم سابق ولا انقطاع طارئ بدليل قوله وكان الله غفورا رحيما وقيل المراد كنتم في علم الله أو في اللوح المحفوظ خير أمة أو كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير أمة كقوله ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وقال أبو مسلم هذا تابع لقوله فاما الذين ابيضت وجوههم وما بينهما اعتراض والتقدير أنه يقال لهم عند الخلود في الجنة كنتم في دنياكم خير أمة فلهذا نلتم من الرحمة وبياض الوجه مانلتم وقال بعضهم لو شاء الله لقال أنتم فكان

عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا قال نفقة الكافر في الدنيا * وقال آخرون بل ذلك قوله الذي يقوله بلسانه مما لا يصدقه بقلبه * ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا أنفسهم فأهلكته يقول مثل ما يقول فلا يقبل منه كمثل هذا الزرع اذا زرعه القوم الظالمون فأصابه ريح فيها صر أصابته فأهلكته فكذلك أنفقوا فأهلكهم شركهم وقد بينا أولى ذلك بالصواب قبل وقد تقدم بياننا تأويل الحياة الدنيا بما فيه الكفاية من اعادته في هذا الموضع * وأما الصر فانه شدة البرد وذلك بعصوف من الشمال في اعصار الطل والانداء في صبيحة معتمة بعقب ليلة مصحية كما حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث قال سمعت عكرمة يقول ريح فيها صر قال برد شديد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس ريح فيها صر قال برد شديد وزمهرير حدثنا علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله ريح فيها صر يقول برد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن هرون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس الصر البرد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله كمثل ريح فيها صر أي برد شديد حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي في الصر البرد الشديد حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس كمثل ريح فيها صر يقول ريح فيها برد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ريح فيها صر قال صر باردة أهلكت حرثهم قال والعرب تدعوها الضريب تأتي الريح باردة فتصبح ضريبا قد أحرق الزرع تقول قد ضرب الليلة أصابه ضريب تلك الصر التي أصابته حدثني يحيى ابن أبي طالب قال ثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك ريح فيها صر قال ريح فيها برد * القول في تأويل قوله (وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه وما فعل الله بهؤلاء الكفار ما فعل بهم من احباطه ثواب أعمالهم وابطاله أجورها ظلما منه لهم يعني وضعا منه لما فعل بهم من ذلك في غير موضعه وعند غير أهله بل وضع فعله ذلك في موضعه وفعل بهم ما هم أهله لأن عملهم الذي عملوه لم يكن لله وهم له بالوحدانية دائنون ولامره متبعون ولرسله مصدقون بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ولامره مخالفون ولرسله مكذبون بعد تقدم منه اليهم أنه لا يقبل عملا من عامل الا مع اخلاص التوحيد له والاقرار بنبوة أنبيائه وتصديق ما جاؤهم به وتوكيده الحجج بذلك عليهم فلم يكن بفعله ما فعل بمن كفر به وخالف أمره في ذلك بعد الاعتذار اليه من احباط وافر عمله له ظالما بل الكافر هو الظالم نفسه لاكسابها من معصية الله وخلاف أمره ما أوردها نار جهنم وأصلاها به سعير سقر * القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم) يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم لا تتخذوا بطانة من دونكم يقول لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لانفسكم من دونكم يقول من دون أهل دينكم وملتكم يعني من غير المؤمنين وانما جعل البطانة مثلا لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثير من أمره به محل ما ولي جسده من ثيابه فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به

أخلاء وأصفياء ثم عرّفهم ماهم عليه لهم منطوون من الغش والخيانة وبغيهم اياهم الغوائل فحذرهم بذلك منهم عن مخالتهم فقال تعالى ذكره لا يألونكم خبالا يعني لا يستطيعونكم شرا من ألوت آلو ألوا يقال ما ألا فلان كذا أي مااستطاع كما قال الشاعر

جهراء لا تألوا اذا هي أظهرت * بصرا ولا من عيلة تغنيني

يعني لا تستطيع عند الظهر ابصارا وانما يعني جل ذكره بقوله لا يألونكم خبالا البطانة التي نهى المؤمنين عن اتخاذها من دونهم فقال ان هذه البطانة لا تترككم طاقتها خبالا أي لا تدع جهدها فيما أورثكم الخبال وأصل الخبل والخبال الفساد ثم يستعمل في معان كثيرة يدل على ذلك الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم من أصيب بخبل أو جراح وأما قوله ودّوا ماعنتم فانه يعني ودوا عنتكم يقول يتمنون لكم العنت والشر في دينكم ومايسوءكم ولا يسركم وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من المسلمين كانوا يخالطون حلفاءهم من اليهود وأهل النفاق منهم ويصافونهم المودة بالاسباب التي كانت بينهم في جاهليتهم قبل الاسلام فنهاهم الله عن ذلك وأن يستنصحوهم في شئ من أمورهم ذكر من قال ذلك **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال قال محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان رجال من المسلمين يواصلون رجالا من اليهود لما كان بينهم من الجوار والحلف في الجاهلية فأنزل الله عز وجل فيهم فنهاهم عن مباطنتهم تخوف الفتنة عليهم منهم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الى قوله وتؤمنون بالكتاب كله **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا في المنافقين من اهل المدينة نهى الله عز وجل المؤمنين أن يتولوهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ماعنتم نهى الله عز وجل المؤمنين أن يستدخلوا المنافقين أو يؤاخوهم أي يتولوهم من دون المؤمنين **حدثني** محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله لا تتخذوا بطانة من دونكم هم المنافقون **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا يقول لا تستدخلوا المنافقين تتولوهم دون المؤمنين **حدثنا** أبو كريب ويعقوب بن ابراهيم قالا ثنا هشيم قال أخبرنا العوام بن حوشب عن الازهر بن راشد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تستضيئوا بنار أهل الشرك ولا تنقشوا في خواتيمكم عربيا قال فلم ندر ماذلك حتى أتوا الحسن فسألوه فقال نعم أما قوله لا تنقشوا في خواتيمكم عربيا فانه يقول لا تنقشوا في خواتيمكم محمد وأما قوله ولا تستضيئوا بنار أهل الشرك فانه يعني به المشركين يقول لا تستشيروهم في شئ من أموركم قال قال الحسن وتصديق ذلك في كتاب الله ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم أما البطانة فهم المنافقون **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال لا يستدخل المؤمن المنافق دون أخيه **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم الآية قال هؤلاء المنافقون وقرأ قوله قد بدت البغضاء من أفواههم الآية واختلفوا في تأويل قوله

هذا التشريف حاصلا للكل ولكنه مخصوص بقوم معينين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم السابقون الاولون ومن صنع مثل صنيعهم وقيل انها زائدة والمعنى أنتم (٤٠) خير أمة وزيفه ابن الانباري بان الزائدة لا تقع في أول الكلام ولا تعمل كقول العرب عبد الله كان قائم وعبد الله قائم كان ولا يقولون كان عبد الله قائم على ان كان زائدة لان البداءة بها دليل شدة العناية والملغى لا يكون في محل العناية وقيل انها بمعنى صار أي صرتم خير أمة وأصل الامة الطائفة المجتمعة على الشئ الواحد وأمة محمد صلى الله عليه وسلم هي الطائفة الموصوفة بالايمان به والاقرار بنبوته واذا أطلقت الامة في نحو قول العلماء اجتمعت الامة وقعت عليهم وقد يقال لكل من جمعتهم دعوته انهم أمة الدعوة ولا يطلق عليهم لفظ الامة الا بهذا القيد قال الزجاج ظاهر الخطاب في كنتم مع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه عام في حق كل الامة ونظيره كتب عليكم القصاص كتب عليكم الصيام وقوله للناس اما ان يتعلق بأخرجت والمعنى كنتم خير الامم المخرجة للناس في جميع الاعصار ومعنى اخراجها انها أظهرت للناس حتى تميزت وعرفت وفصل بينها و بين غيرها واما أن يتعلق بكنتم أي كنتم للناس خير أمة ثم بين سبب الخيرية على سبيل الاستئناف بقوله تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بمصالحهم وقد يستدل بالآية على ان اجماع هذه الامة حجة لانها لو لم تحكم بالحق لم تكن خيرا من المبطل ولان اللام في المعروف وفي المنكر للاستغراق فيقتضي كونهم آمرين بكل معروف وناهين عن كل منكر فيكون اجماعهم حقا وأما انه من أي وجه يقتضي ذلك كون هذه الامة خير الامم مع ان الصفات الثلاثة كانت حاصلة لسائر الامم فذلك ان الامر بالمعروف قد يكون بالقلب وباللسان وباليد وأقواها ما يكون

بالقتال لانه القاء النفس في خطر القتل وأعرف المعروفات الدين الحق والايمان بالتوحيد والنبوة وأنكر المنكرات الكفر بالله فكان الجهاد في الدين تحملا لأعظم المضار لغرض ايصال الغير الى أعظم المنافع وتخليصه (٤١) من أعظم المضار فكان من أعظم العبادات

ودّوا ما عنتم فقال بعضهم معناه ودوا ما ضللتم عن دينكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ودّوا ما عنتم يقول ما ضللتم * وقال آخرون عما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ودّوا ما عنتم يقول في دينكم يعني أنهم يودون أن تعنتوا في دينكم * فان قال لنا قائل وكيف قيل ودّوا ما عنتم فجاء بالخبر عن البطانة بلفظ الماضي في محل الحال والقطع بعد تمام الخبر والحالات لا تكون الا بصور الاسماء والافعال المستقبلة دون الماضية منها قيل ليس الامر في ذلك على ما ظننت من أن قوله ودّوا ما عنتم حال من البطانة وانما هو خبر عنهم ثان منقطع عن الاول غير متصل به وانما تأويل الكلام يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة صفتهم كذا صفتهم كذا فالخبر عن الصفة الثانية غير متصل بالصفة الاولى وان كانتا جميعا من صفة شخص واحد وقد زعم بعض أهل العربية أن قوله ودّوا ما عنتم من صلة البطانة وقد وصلت بقوله لا يألونكم خبالا فلا وجه لصلة أخرى بعد تمام البطانة بصلته ولكن القول في ذلك كما بينا قبل من أن قوله ودّوا ما عنتم خبر مبتدأ عن البطانة غير الخبر الاول وغير حال من البطانة ولا قطع منها ﴿ القول في تأويل قوله (قد بدت البغضاء من أفواههم) يعني بذلك جل ثناؤه قد بدت بغضاء هؤلاء الذين نهيتكم أيها المؤمنون أن تتخذوهم بطانة من دونكم لكم بأفواههم يعني بألسنتهم والذي بدا لهم منهم بألسنتهم اقامتهم على كفرهم وعداوتهم من خالف ما هم عليه مقيمون من الضلالة فذلك من أوكد الاسباب في معاداتهم أهل الايمان لأن ذلك عداوة على الدين والعداوة على الدين العداوة التي لا زوال لها الا بانتقال أحد المتعادين الى ملة الآخر منهما وذلك انتقال من هدى الى ضلالة كانت عند المنتقل اليها ضلالة قبل ذلك فكان في ابدائهم ذلك للمؤمنين ومقامهم عليه أبين الدلالة لاهل الايمان على ما هم عليه لهم من البغضاء والعداوة * وقد قال بعضهم معنى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم قد بدت بغضاؤهم لاهل الايمان الى أوليائهم من المنافقين وأهل الكفر باطلاع بعضهم بعضا على ذلك وزعم قائلو هذه المقالة أن الذين عنوا بهذه الآية أهل النفاق دون من كان مصرحا بالكفر من اليهود وأهل الشرك ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد بدت البغضاء من أفواههم يقول قد بدت البغضاء من أفواه المنافقين الى اخوانهم من الكفار من غشهم للاسلام وأهله وبغضهم اياهم حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قد بدت البغضاء من أفواههم يقول من أفواه المنافقين وهذا القول الذي ذكرناه عن قتادة قول لا معنى له وذلك ان الله تعالى ذكره انما نهى المؤمنين أن يتخذوا بطانة ممن قد عرفوه بالغش للاسلام وأهله والبغضاء اما بأدلة ظاهرة دالة على أن ذلك من صفتهم واما باظهار الموصوفين بذلك العداوة والشنآن والمناصبة لهم فأما من لم يثبتوه معرفة أنه الذي نهاهم الله عز وجل عن مخالته ومباطنته فغير جائز أن يكونوا نهوا عن مخالته ومصادقته الا بعد تعريفهم اياهم اما بأعيانهم وأسمائهم واما بصفات قد عرفوهم بها واذ كان ذلك كذلك وكان ابداء المنافقين بألسنتهم ما في قلوبهم من بغضاء المؤمنين الى اخوانهم من الكفار غير مدرك به المؤمنون معرفة ما هم عليه لهم مع اظهارهم الايمان بألسنتهم لهم والتودد اليهم كان بينا أن الذي نهى الله المؤمنين عن اتخاذهم لانفسهم بطانة دونهم هم الذين قد ظهرت لهم بغضاؤهم بألسنتهم على ما وصفهم الله عز وجل به فعرفهم المؤمنون بالصفة التي نعتهم الله بها وأنهم هم الذين وصفهم تعالى ذكره بأنهم أصحاب النار هم فيها خالدون ممن كان له ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من أهل الكتاب لانهم لو كانوا المنافقين

ولما كان أمر الجهاد في شرعنا أقوى منه في سائر الشرائع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم أتاني السيف أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فلا جرم صار ذلك موجبا لفضل هذه الامة على سائر الامم وهذا معنى ما روي عن ابن عباس في تفسير قوله كنتم خير أمة تأمرونهم أن يشهدوا أن لا اله الا الله ويقروا بما أنزل الله وتقاتلونهم عليه ولا اله الا الله أعظم المعروف والتكذيب أنكر المنكر وفائدة القتل على الدين لا ينكره منصف فان أكثر الناس يحبون ما ألفوه من الاديان الباطلة ولا يتأملون في الدلائل التي تورد عليهم فاذا خوف بالقتل دخل في دين الحق مكرها الى أن يألفه متدرجا وأما الايمان بالله فلا شك أنه في هذه الامة أكمل لانهم آمنوا بكل ما يجب الايمان به من رسول أو كتاب أو بعث أو حساب أو ثواب أو عقاب الى غير ذلك ولا يقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض وانما اقتصر في وصف الامة على الايمان بالله لانه يستلزم الايمان بالنبوة وبسائر ما عددناه والا لم يكن في الحقيقة ايمانا ولهذا نفي عن أهل الكتاب في قوله ولو آمن أهل الكتاب وانما قدم الامر بالمعروف على الايمان بالله في الذكر مع ان الايمان مقدم على كل الطاعات لان الآية سيقت لبيان فضل الامر بالمعروف وتأكد القيام به ولهذا كرر بعد قوله ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف فكانت العناية به أشد فكان تقديمه أهم وليعلم أن التكميل أفضل من الكمال نفسه ولهذا استلزم الاول الثاني دون العكس ولان التكميل يتضمن الكمال فكان في تأخير الايمان بالله تكريرا له مرة

لكان الامر فيهم على ماقد بينا ولو كانوا الكفار ممن قد ناصب المؤمنين الحرب لم يكن المؤمنون متخذيهم لانفسهم بطانة من دون المؤمنين مع اختلاف بلادهم وافتراق أمصارهم ولكنهم الذين كانوا بين أظهر المؤمنين من أهل الكتاب أيام رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن كان له من رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وعقد من يهود بني اسرائيل والبغضاء مصدر وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله ابن مسعود قد بدا البغضاء من أفواههم على وجه التذكير وانما جاز ذلك بالتذكير ولفظه لفظ المؤنث لان المصادر تأنيثها ليس بالتأنيث اللازم فيجوز تذكير ماخرج منها على لفظ المؤنث وتأنيثه كما قال عز وجل وأخذ الذين ظلموا الصيحة وكما قال فقد جاءكم بينة من ربكم وفي موضع آخر وأخذت الذين ظلموا الصيحة وجاءتكم بينة من ربكم وقال من أفواههم وانما بدا ما بدا من البغضاء بألسنتهم لان المعنى به الكلام الذي ظهر للمؤمنين منهم من أفواههم فقال قد بدت البغضاء من أفواههم بألسنتهم ۞ القول في تأويل قوله (وما تخفي صدورهم أكبر) يعني تعالى ذكره بذلك والذي تخفي صدورهم يعني صدور هؤلاء الذين نهاهم عن اتخاذهم بطانة فتخفيه عنكم أيها المؤمنون أكبر يقول أكبر مما قد بدا لكم بألسنتهم من أفواههم من البغضاء وأعظم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول وما تخفي صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما تخفي صدورهم أكبر يقول ما تكن صدورهم أكبر مما قد أبدوا بألسنتهم ۞ القول في تأويل قوله (قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون) يعني بذلك جل ثناؤه قد بينا لكم أيها المؤمنون الآيات يعني بالآيات العبر قد بينا لكم من أمر هؤلاء اليهود الذين نهيناكم أن تتخذوهم بطانة من دون المؤمنين ما تعتبرون وتتعظون به من أمرهم ان كنتم تعقلون يعني ان كنتم تعقلون عن الله مواعظه وأمره ونهيه وتعرفون مواقع نفع ذلك منكم ومبلغ عائدته عليكم ۞ القول في تأويل قوله (ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله) يعني بذلك جل ثناؤه ها أنتم أيها المؤمنون الذين تحبونهم يقول تحبون هؤلاء الكفار الذين نهيتكم عن اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين فتودونهم وتواصلونهم وهم لا يحبونكم (١) بل ينتظرون لكم العداوة والغش وتؤمنون بالكتاب كله ومعنى الكتاب في هذا الموضع معنى الجمع كما يقال كثر الدرهم في أيدي الناس بمعنى الدراهم فكذلك قوله وتؤمنون بالكتاب كله انما معناه بالكتب كلها كتابكم الذي أنزل الله اليكم وكتابهم الذي أنزله اليهم وغير ذلك من الكتب التي أنزلها الله على عباده يقول تعالى ذكره فأنتم اذ كنتم أيها المؤمنون تؤمنون بالكتب كلها وتعلمون أن الذين نهيتكم عن أن تتخذوهم بطانة من دونكم كفار بذلك كله بجحودهم ذلك كله من عهود الله اليهم وتبديلهم مافيه من أمر الله ونهيه أولى بعداوتكم اياهم وبغضائهم وغشهم منهم بعداوتكم وبغضائكم مع جحودهم بعض الكتب وتكذيبهم ببعضها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس تؤمنون بالكتاب كله أي بكتابكم وكتابهم وبما مضى من الكتب قبل ذلك وهم يكفرون بكتابكم فأنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم وقال ها أنتم أولاء ولم يقل هؤلاء أنتم ففرق بين ها وأولاء بكناية اسم المخاطبين لان العرب كذلك تفعل في هذا اذا أرادت به التقريب ومذهب النقصان الذي يحتاج الى تمام الخبر وذلك مثل أن يقال لبعضهم أين أنت فيجيب المقول ذلك له ها أناذا فيفرق بين التنبيه وذا بكناية اسم نفسه ولا يكادون يقولون هذا أنا ثم يثني ويجمع على ذلك وربما أعادوا حرف التنبيه مع ذا فقالوا ها أنا هذا ولا

(١) لعله بل يظهرون أو يبطنون كتبه مصححه

بالتضمن وأخرى بالمطابقة على أن الواو لا تفيد الترتيب وأيضا أراد أن يبني عليه قوله ولو آمن وفي التفسير الكبير أن أصل الايمان مشترك فيه بين الاديان فلا يتميز فيه الخيرية لكن الآية سيقت لبيان الخيرية وليس ذلك الا لأن هذه الامة أقوى في باب الامر بالمعروف فلهذا قدم ثم أتبع ذكر الايمان بالله ليعلم أن شرط تأثير الامر بالمعروف في الخيرية حاصل ولا يخفى أن هذا الجواب مبني على ان الايمان لا يزيد ولا ينقص وعلى أن ايمان أهل الكتاب معتد به وليس كذلك ولهذا قال تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) يعني ايمانا معتبرا وهو الايمان بالله وبسائر مالابد منه من الامور المعدودة (لكان خيرا لهم) لحصلت لهم صفة الخيرية أيضا لانضمامهم في زمرة هذه الامة أو لحصل لهم من الرياسة وحظوظ الدنيا ماهو خير مما تركوا هذا الدين لاجله لان الحاصل على هذا التقدير عزة الاسلام مع الفوز بما وعدوا من ايتاء الأجر في الآخرة مرتين وعلى ماهم فيه ليس الا استتباع بعض الجهلة من العوام وشيء نزر من الرشا وبعد ذلك خلود في النار ثم فصل أهل الكتاب على سبيل الاستئناف فقال (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام ورهطه وكالنجاشي وأصحابه فاللام للمعهود السابق (وأكثرهم الفاسقون) الخارجون عن طاعة الله تعالى وعن دينه فيقارب الكفر أو يرادفه أو المراد أنهم ليسوا بعدول في دينهم أيضا فهم مردودون باتفاق الطوائف كلهم فلا ينبغي أن يقتدى بهم البتة ثم أخبر عن حالهم وكان كما قال وهو آية الاعجاز بجملة مستأنفة هي (لن يضروكم الا أذى) الاضرارا لا يحيا أو أذى بقول كطعن في الدين أو تهديد أو تحريف نص أو القاء شبهة أو اظهار كلمة الكفر باشراكهم عزيرا والمسيح والأذى مصدر كالاسى يقال يفعلون اذاه يؤذيه أذى وأذاة وأذية والأذى نوع من الضر فصح انتصابه به والتقدير لن يضروكم شيئا من أنواع الضرر الا ضررا يسيرا ومن هذا

تبين أن الاستثناء ليس بمنقطع عـلى ما ظن (وان يقاتلوكم يولوكم الأدبار) منهزمـين (ثم لا ينصرون) وانما لم يجزم بالعطف على يولوكم لئلا
يصير نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم بل برفع ليكون نفي النصر وعدا مطلقا وتكون هذه الجملة معطوفة على جملة الشرط والجزاء كأنه قيل
أخبركم أنهم ان يقاتلوكم ينهزموا
ثم أخـبركم وأبشركم أن النصر
والقوة منتف عنهم رأسا فلن يستقيم
لهم أمر البتة ومعنى ثم افادة التراخي
في الرتبـــة لان الاخبار بتسـليط
الخذلان عليهم أيما كانوا أعظم من
الاخبار بانهزامهم عنـــد القتال
فان قيـــل هب أن اليهود كذلك
لكن النصارى قد يوجد لهم قوة
وشوكة في ديارهم قلنا هذه الآيات
مخصوصـة باليهـود وأسباب النزول
تدل على ذلك فكان كما أخبر من حال
بني قريظة والنضـير وبـني قينقاع
وأهل خيبر أو لعل المراد نفي النصرة
عنهم بعد القتال ولم يوجد نصراني
بهـذه الحالة وفي الآية تشجيع
للمؤمنين وتثبيت لمن آمن من أهـل
الكتاب كيلا يلتفتوا الى تضليلاتهم
وتحريفاتهم ۞ التأويل اتقوا الله
حق تقاته لأهـــل العزائم وقـوله
فاتقوا الله ما استطعتم لاهل الرخص
والمعـــنى اتقوا عن وجودكم بالله
وبوجـوده ولا تموتن الا وأنتم
مسلمون لا ينتفي وجودكم المجازي الا
وقد سلمتم لتصرفات الاحكام الالهية
والجـذبات الربانية واستفدتم
الوجود الحقيـــقي وهو البقاء بالله
واعتصموا أهل الاعتصام طائفتان
أهل الصورة وهم المتعلقون بالاسباب
لان مشربهم الاعمال فقيل لهم
اعتصموا بحبـــل الله وهو كل سبب
يتوصل به الى الله من أعمال البر
وأهـل المعنى وهـم المنقطعون عن
الاسباب اذ مشربهم الاحوال فقيل
لهم واعتصموا بالله هو مولاكم مقصودكم أو ناصركم ولا تفرقوا في الظاهر وهو مفارقة الجماعة وفي الباطن وهو الميل الى البدع
والاهواء وكنتم على شفا حفرة وهي عداوة بعضكم لبعض وعداوتكم لله ولا نفسكم فانقذكم منها بالهداية والايمان وتأليف القلوب كذلك

يفعلون ذلك الا فيما كان تقريبا فأما اذا كان على غير التقريب والنقصان قالوا هذا هو وهذا أنت
وكذلك يفعلون مع الاسماء الظاهرة يقولون هذا عمرو قائما وان كان هذا تقريبا وانما فعلوا ذلك في
المكنى مع التقريب تفرقة بين هذا اذا كان بمعنى الناقص الذي يحتاج الى تمام وبينه وبين ما اذا كان
بمعنى الاسم الصحيح وقوله تحبونهم خبر للتقريب وفي هذه الآية ابانة من الله عز وجل عن حال
الفريقين أعني المؤمنين والكافرين ورحمة أهل الايمان ورأفتهم بأهل الخلاف لهم وقساوة قلوب أهل
الكفر وغلظتهم على أهل الايمان كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ها أنتم
أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله فوالله ان المؤمن ليحب المنافق (١) ويأوي له
ويرحمه ولو أن المنافق يقدر على ما يقدر عليه المؤمن منه لأباد خضراءه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين
قال ثني حجاج عن ابن جريج قال المؤمن خير للمنافق من المنافق للمؤمن يرحمه ولو يقدر المنافق
من المؤمن على مثل ما يقدر المؤمن عليه منه لأباد خضراءه وكان مجاهد يقول نزلت هذه الآية في
المنافقين حدثني بذلك محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ۞
القول في تأويل قوله (واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ) يعني بذلك
تعالى ذكره ان هؤلاء الذين نهى الله المؤمنين أن يتخذوهم بطانة من دونهم ووصفهم بصفتهم اذا
لقوا المؤمنين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطوهم بألسنتهم تقية حذرا على أنفسهم
منهم فقالوا لهم قد آمنا وصدقنا بما جاءه محمد صلى الله عليه وسلم واذا هم خلوا فصاروا في خلاء حيث
لا يراهم المؤمنون عضوا على ما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم وصلاح ذات بينهم أناملهم
وهي أطراف أصابعهم تغيظا مما بهم من الموجدة عليهم وأسى على ظهر يسندون اليه لمكاشفتهم
العداوة ومناجزتهم المحاربة وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من
الغيظ اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا ليس بهم الا مخافة على دمائهم وأموالهم فصانعوهم بذلك واذا خلوا
عضوا عليكم الانامل من الغيظ يقول مما يجدون في قلوبهم من الغيظ والكراهة لما هم عليه لو
يجدون ريحا لكانوا على المؤمنين فهم كما نعت الله عز وجل حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي
جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله الا أنه قال من الغيظ لكراهتهم الذي هم عليه ولم يقل لو يجدون ريحا
وما بعده حدثنا عباس بن محمد قال ثنا مسلم قال ثني يحيى بن عمرو بن مالك البكري قال ثنا
أبي قال كان أبو الجوزاء اذا تلا هذه الآية واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ
قال هم الاباضية والأنامل جمع أنملة ويقال أنملة وربما جمعت أنملا قال الشاعر

أودكما ما بل حلقي ريقتي ۞ وما حملت كفاي أنملي العشرا

وهي أطراف الاصابع كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة الانامل أطراف
الاصابع حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بمثله حدثنا محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل الأصابع
حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن اسرائيل عن أبي الأحوص عن عبد الله قوله عضوا عليكم
الانامل من الغيظ قال عضوا على أصابعهم ۞ القول في تأويل قوله عز وجل (قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد لهؤلاء اليهود الذين وصفت لك صفتهم
وأخبرتك أنهم اذا لقوا أصحابك قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ موتوا

(١) قوله ويأوي له أي يرق له من قولهم أوى له أو يه اذا رق له ورحمه اهـ كتبه مصححه

مثــل ما بين آياته للاوس والخزرج حتى صاروا اخوانا يبين لكم أيها الطلاب آياته وهى الجذبة الالهية وتجلى صفات الربوبية ولتكن منكم
أمة يدعون الى الخير بالافعال دون الاقوال (٤٤) وأولئك هم المفلحون من وعيد من يامر بالمعروف ولا ياتيه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه

بغيظكم الذى بكم على المؤمنين لاجتماع كلمتهم وأتلاف جماعتهم وخرج هذا الكلام مخرج الامر
وهو دعاء من الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بان يدعو عليهم بان يهلكهم الله كمدا مما بهم من الغيظ
على المؤمنين قبل أن يروا فيهم ما يتمنون لهم من العنت فى دينهم والضلالة بعد هداهم فقال لنبيه صلى
الله عليه وسلم قل يا محمد اهلكوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور يعنى بذلك ان الله ذو علم بالذى فى
صدور هؤلاء الذين اذا لقوا المؤمنين قالوا آمنا وما ينطوون لهم عليه من الغل والغم ويعتقدون لهم
من العداوة والبغضاء وبما فى صدور جميع خلقه حافظ على جميعهم ما هو عليه منطو من خير وشر
حتى يجازى جميعهم على ما قدم من خير وشر واعتقد من ايمان وكفر وانطوى عليه لرسوله وللمؤمنين
من نصيحة أو غل وغمر ۞ القول فى تأويل قوله (ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط) يعنى بقوله تعالى
ذكره ان تمسسكم حسنة تسؤهم ان تنالوا أيها المؤمنون سرورا بظهوركم على عدوكم وتتابع
الناس فى الدخول فى دينكم وتصديق نبيكم ومعاونتكم على أعدائكم يسؤهم وان تنلكم مساءة
باخفاق سرية لكم أو باصابة عدو لكم منكم أو اختلاف يكون بين جماعتكم يفرحوا بها كما حدثنا
بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة
يفرحوا بها فاذا رأوا من أهل الاسلام ألفة وجماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك وساءهم واذا
رأوا من أهل الاسلام فرقة واختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به
وابتهجوا به فهم كلما خرج منهم قرن أكذب الله أحدوثته وأوطأ محلته وأبطل حجته وأظهر
عورته فذاك قضاء الله فيمن مضى منهم وفيمن بقى الى يوم القيامة حدثت عن عمار قال ثنا ابن
أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها قال هم
المنافقون اذا رأوا من أهل الاسلام جماعة وظهورا على عدوهم غاظهم ذلك غيظا شديدا وساءهم واذا
رأوا من اهل الاسلام فرقة واختلافا أو أصيب طرف من أطراف المسلمين سرهم ذلك وأعجبوا به قال
الله عز وجل وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط حدثنا القاسم
قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ان تمسسكم حسنة تسؤهم قال اذا رأوا من
المؤمنين جماعة وألفة ساءهم ذلك واذا رأوا منهم فرقة واختلافا فرحوا وأما قوله وان تصبروا وتتقوا
لا يضركم كيدهم شيأ فانه يعنى بذلك جل ثناؤه وان تصبروا أيها المؤمنون على طاعة الله واتباع أمره
فيما أمركم به واجتناب ما نهاكم عنه من اتخاذ بطانة لأنفسكم من هؤلاء اليهود الذين وصف الله
صفتهم من دون المؤمنين وغير ذلك من سائر مناهيكم وتتقوا ربكم فتخافوا التقدم بين يديه فيما
ألزمكم وأوجب عليكم من حقه وحق رسوله لا يضركم كيدهم شيأ أى كيد هؤلاء الذين وصف
صفتهم ويعنى بكيدهم غوائلهم التى يبتغونها للمسلمين ومكرهم بهم ليصدوهم عن الهدى وسبيل
الحق واختلف القراء فى قراءة قوله لا يضركم فقرأ ذلك جماعة من أهل الحجاز وبعض البصريين
لا يضركم مخففة بكسر الضاد من قول القائل ضارنى فلان فهو يضيرنى ضيرا وقد حكى سماعا من
العرب ما ينفعنى ولا يضورنى فلو كانت قرئت على هذه اللغة لقيل لا يضركم كيدهم شيأ ولكنى
لا أعلم أحدا قرأ به وقرأ ذلك جماعة من أهل المدينة وعامة قراء أهل الكوفة لا يضركم كيدهم شيأ
بضم الضاد وتشديد الراء من قول القائل ضرنى فلان فهو يضرنى ضرا وأما الرفع فى قوله لا يضركم
فمن وجهين أحدهما على اتباع الراء فى حركتها اذ كان الاصل فيها الجزم ولم يمكن جزمها لتشديدها

لان الوجوه تحشر بلون القلوب
كقوله يوم تبلى السرائر أى يجعل
ما فى الضمائر على الظواهر أكفرتم
بعد ايمانكم هم أرباب الطلب
السائرون الى الله انقطعوا فى بادية
النفس واتبعوا غول الهوى
وارتدوا على أعقابهم القهقرى
فذوقوا العذاب لان الناس نيام
لا يذوقون ألم جراحات الانقطاع
والاعراض عن الله فاذا ماتوا
انتبهوا وذاقوا ففى رحمة الله فى
الدنيا بالجمعية والوفاق مع أهل الله
هم فيها خالدون فى الآخرة ولانه
يموت على ما عاش عليه ويحشر على
ما مات عليه تلك الأحوال آيات
الله مع خواصه نتلوها عليك بالحق
نظهرها على قلبك بالتحقيق وما
الله يريد ظلما للعالمين بان يضع
السواد والبياض فى غير موضعهما
كنتم خير أمة أخرجت من العدم
الى الوجود مستعدة لقبول كمالية
الانسان من جملة الخيرية تخفيف
التكليف ونسيان التضعيف
ومنها عاقب مطيعهم بشؤم عصيانهم
وغفر لعصاة هذه الامة ببركة مطيعهم
ومنها زلاتهم لعنة وزلاتنا رحمة
ومنها شكا منهم الينا وشكرمنا
اليهم قبل وجودنا ولو آمن أهل
الكتاب يعنى علماء السوء لن
يضروكم أيها المحققون الأذى من
طريق الانكار والحسد وان
يقاتلوكم ينازعوكم ويخاصموكم
يولوكم الأدبار من صدق نياتكم
لا ينصرون لانكم أهل الحق وحزب
الله وان حزب الله هم الغالبون

(ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا أقرب
يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله

ا ناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من
الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني (٤٥) عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك

أقرب حركات الحروف التي قبلها وذلك حركة الضاد وهي الضمة فألحقت بها حركة الراء لقربها
منها كما قالوا مدّ يا هذا والوجه الآخر من وجهي الرفع في ذلك أن تكون مرفوعة على صحة وتكون
لا بمعنى ليس وتكون الفاء التي هي جواب الجزاء متروكة لعلم السامع بموضعها واذا كان ذلك معناه
كان تأويل الكلام وان تصبروا وتتقوا فليس يضركم كيدهم شيأ ثم تركت الفاء من قوله لا يضركم
كيدهم ووجهت لا الى معنى ليس كما قال الشاعر

فان كان لا يرضيك حتى تردني * الى قطري لا اخالك راضيا

ولو كانت الراء محركة الى النصب والخفض كان جائزا كما قيل مدّ يا هذا ومدِّ وقوله ان الله بما يعملون
محيط يقول جل ثناؤه ان الله بما يعمل هؤلاء الكفار في عباده وبلاده من الفساد والصد عن سبيله
والعداوة لأهل دينه وغير ذلك من معاصي الله محيط بجميعه حافظ له لا يعزب عنه شئ منه حتى يوفيهم
جزاءهم على ذلك كله ويذيقهم عقوبته عليه ۞ القول في تأويل قوله (واذ غدوت من أهلك
تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم) يعني جل ثناؤه بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ
المؤمنين وان تصبروا وتتقوا لا يضركم أيها المؤمنون كيد هؤلاء الكفار من اليهود شيأ ولكن الله
ينصركم عليهم ان صبرتم على طاعتي واتباع أمر رسولي كما نصرتكم ببدر وأنتم أذلة وان أنتم خالفتم
أيها المؤمنون أمري ولم تصبروا على ما كلفتكم من فرائضي ولم تتقوا ما نهيتكم عنه وخالفتم أمري
وأمر رسولي فانه نازل بكم ما نزل بكم بأحد واذكروا ذلك اليوم اذ غدا نبيكم يبوئ المؤمنين فترك
ذكر الخبر عن أمر القوم ان لم يصبروا على أمر ربهم ولم يتقوه اكتفاء بدلالة ما ظهر من الكلام
على معناه اذ ذكر ما هو فاعل بهم من صرف كيد أعدائهم عنهم ان صبروا على أمره واتقوا محارمه
وتعقيبه ذلك بتذكيرهم ما حل بهم من البلاء بأحد اذ خالف بعضهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
وتنازعوا الرأي بينهم وأخرج الخطاب في قوله واذ غدوت من أهلك على وجه الخطاب لرسول الله صلى
الله عليه وسلم والمراد بمعناه الذين نهاهم أن يتخذوا الكفار من اليهود بطانة من دون المؤمنين فقد بين
اذا أن قوله واذ انما جرها في معنى الكلام على ما قد بينت وأوضحت وقد اختلف أهل التأويل في
اليوم الذي عنى الله عز وجل بقوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فقال بعضهم
عني بذلك يوم أحد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن
أبي نجيح عن مجاهد في قول الله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال مشى النبي
صلى الله عليه وسلم يومئذ على رجليه يبوئ المؤمنين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال ذلك يوم أحد غدا نبي الله صلى الله عليه وسلم
من أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن
الربيع قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فغدا النبي صلى الله عليه وسلم من
أهله الى أحد يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال
ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال فهو يوم
أحد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي واذ غدوت
من أهلك تبوئ المؤمنين قال هذا يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق مما نزل
في يوم أحد واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين * وقال آخرون عني بذلك يوم الأحزاب ذكر
من قال ذلك حدثني محمد بن سنان القزاز قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في

أصحاب النار هم فيها خالدون مثل
ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل
ريح فيها صر أصابت حرث قوم
ظلموا أنفسهم فأهلكته وما ظلمهم
الله ولكن أنفسهم يظلمون يا أيها
الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من
دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم
قد بدت البغضاء من أفواههم
وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم
الآيات ان كنتم تعقلون ها أنتم أولاء
تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون
بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا
واذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من
الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم
بذات الصدور ان تمسسكم حسنة
تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها
وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم
شيأ ان الله بما يعملون محيط)
۞ القراآت ويسارعون وبابه
كسارعوا ونسارع بممالة قتيبة
وأبو عمرو طريق ابن عبدوس
ما يفعلوا فلن يكفروه بياء الغيبة
حمزة وعلي وخلف وحفص أبو عمرو
مخير الباقون بتاء الخطاب تسؤهم
وبابه من كل همزة مجزومة بغير
همزة الأعشى وأوقية والاصفهاني
عن ورش وحمزة في الوقف لا يضركم
من الضير أبو عمرو وسهل ويعقوب
وابن كثير ونافع وقرأ المفضل
لا يضركم بالفتح الباقون لا يضركم
بالضم كلاهما من الضر مجزوم وما تم
محركا لالتقاء الساكنين فالفتح للخفة والضم
للاتباع تعملون محيط بتاء الخطاب
سهل الباقون بياء الغيبة ۞ الوقوف
المسكنة ط بغير حق ط يعتدون

ه قيل لا وقف عليه لان ضمير ليسوا يعود الى ما يعود اليه ضمير منهم المؤمنون لبيان الفصل بين الفريقين والذين عصوا واعتدوا أحد الفريقين
سواء ط يسجدون ه قيل لا وقف على جعل يؤمنون حالا لضمير يسجدون ولا [illegible] بل الايمان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أوصاف لهم مطلقة غير مختصة بحال السجود الخيرات ط الصالحين ٥ يكفروه ط المتقين ٥ شيأ ط النار ج خالدون ٥ فأهلكته ط يظلمون ج خبالا ط ما عنتم ج (٤٦) لاحتمال كون قد بدت حالا أكبر ط تعقلون ٥ كله ج للعطف مع الحذف أي وهم لا يؤمنون

بكتابكم آمنا ق قد قيل والوصل أولى لان المقصود بيان تناقض حالهم في النفاق من الغيظ ط بغيظكم ط الصدور ٥ تسؤهم ز للابتداء بشرط آخر والوصل أجوز اذ الغرض تقرير تضاد الحالين منهم يفرحوا بها ط لتناهي وصف الذم لهم وابتداء شرط على المؤمنين شيأ ط محيط ٥ التفسير هذا خبر آخر من مستقبلات أحوال اليهود المعلومة بالوحي والمعنى ضربت عليهم الذلة والهوان في عامة الاحوال بالقتل والسبي والنهب أينما وجدوا الا معتصمين أو متلبسين أي الا في حال اعتصامهم (بحبل من الله وحبل من الناس) يعني ذمة الله وذمة المسلمين فهما في حكم واحد أي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة بقبول الجزية فحينئذ يكون دمهم محقونا وما لهم مصونا وهو نوع من العزة وقيل حبل الله الاسلام وحبل الناس الذمة فعلى هذا يكون الواو بمعنى أو وقيل ذمة الله الجزية المنصوص عليها وذمة الناس ما يزيد الامام عليها أو ينقص بالاجتهاد وانما صح الاستثناء المفرغ من الموجب نظرا الى المعنى لان ضرب الذلة عليهم معناه لا تنفك عنهم (وباؤا بغضب من الله) قيل انه من قولك تبوأ فلان منزل كذا والمعنى مكثوا في غضب الله وسواء قولك حل بهم الغضب وحلوا بالغضب (وضربت عليهم المسكنة) عن الحسن ان المراد بها الجزية وانما أفردت بالذكر بعد

قوله واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال قال يعني محمدا صلى الله عليه وسلم غدا يبوئ المؤمنين مقاعد للقتال يوم الأحزاب * وأولى هذين القولين بالصواب قول من قال عني بذلك يوم أحد لان الله عز وجل يقول في الآية التي بعدها اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا ولا خلاف بين أهل التأويل أنه عني بالطائفتين بنو سلمة وبنو حارثة ولا خلاف بين أهل السير والمعرفة بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذي ذكر الله من أمرهما انما كان يوم أحد دون يوم الاحزاب فان قال لنا قائل وكيف يكون ذلك يوم أحد ورسول الله صلى الله عليه وسلم انما راح الى أحد من أهله للقتال يوم الجمعة بعد ما صلى الجمعة في أهله بالمدينة بالناس كالذي حدثكم ابن حميد قال حدثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم راح حين صلى الجمعة الى أحد دخل فلبس لأمته وذلك يوم الجمعة حين فرغ من الصلاة وقد مات في ذلك اليوم رجل من الانصار فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج عليهم وقال ما ينبغي للنبي صلى الله عليه وسلم اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وان كان خروجه للقوم كان رواحا فلم يكن تبوئته للمؤمنين مقاعدهم للقتال عند خروجه بل كان ذلك قبل خروجه لقتال عدوه وذلك أن المشركين نزلوا منزلهم من أحد فيما بلغنا يوم الاربعاء فأقاموا به ذلك اليوم ويوم الخميس ويوم الجمعة حتى راح رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم يوم الجمعة بعد ما صلى بأصحابه الجمعة فأصبح بالشعب من أحد يوم السبت للنصف من شوال حدثنا بذلك ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم الزهري ومحمد ابن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن وغيرهم فان قال وكيف كانت تبوئته المؤمنين مقاعد للقتال غدوا قبل خروجه وقد علمت أن التبوئة اتخاذ الموضع قيل كانت تبوئته اياهم ذلك قبل مناهضته عدوه عند مشورته على أصحابه بالرأي الذي رآه لهم بيوم أو يومين وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمع بنزول المشركين من قريش وأتباعها أحدا قال فيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي لاصحابه أشيروا علي ما أصنع فقالوا يا رسول الله اخرج الى هذه الاكلب فقالت الانصار يا رسول الله ما غلبنا عدو لنا أتانا في ديارنا فكيف وأنت فينا فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه أن يدخلوا عليه المدينة فيقاتلوا في الازقة فأتاه النعمان بن مالك الانصاري فقال يا رسول الله لا تحرمني الجنة فوالذي بعثك بالحق لأدخلن الجنة فقال له بم قال باني أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله وأني لا أفر من الزحف قال صدقت فقتل يومئذ ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بدرعه فلبسها فلما رأوه وقد لبس السلاح ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه فقاموا واعتذروا اليه وقالوا اصنع ما رأيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا قالوا لما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون بالمشركين قد نزلوا منزلهم من أحد قال رسول الله صلى

الاستثناء ليعلم أنها باقية غير زائلة بعد اعتصامهم بالذمة وقال آخرون المراد انك لا ترى منهم ملكا قاهرا ولا رئيسا مطاعا لكنهم مستخفون في جميع النواحي والا كناف يظهرون من أنفسهم الفقر والمدقعة البتة وباقي الآية قد مر تفسيره في البقرة الا أنه سبحانه الله

قال في هذا الموضع من هذه السورة وفي النساء الانبياء بغير حق لان جمع التكسير يفيد التكثير فذكر في الموضعين أعني في البقرة وفي أول السورة ما ينبئ عن القلة مع ان ذلك موافق لما بعده من جموع السلامة كالذين والصابئين (٤٧) وغيرهما ثم تدرج الى ما هو نص في الكثرة

في الموضعين الآخرين نعيا عليهم وتفظيعا لشأنهم ولمثل هذا عرف الحق في البقرة اشارة الى الحق الذي اذن الله أن تقتل النفس به وهو قوله ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ثم نكر في المواضع الباقية أي بغير ما حق أصلا لا في نفس الامر ولا بحسب معتقدهم وتدينهم (ليسوا سواء) كلام تام وما بعده كلام مستأنف للبيان قال الفراء وابن الانباري تقديره من أهل الكتاب أمة قائمة ومنهم أمة مذمومة الا أنه أضمر ذكر هذا القسم على مذهب العرب من الاكتفاء بأحد الضدين لخطورهما بالبال معا غالبا قال أبو ذؤيب

دعاني اليها القلب اني لامرها
مطيع فما أدري أرشد طلابها

أراد أم غي فاكتفى بذكر الرشد عن ضده وتقول زيد وعبد الله لا يستويان زيد عاقل دين زكي فيغني هذا عن أن يقال وعبد الله ليس كذلك وقيل وهو اختيار أبي عبيدة ان أمة مرفوعة بليس على لغة من قال أكلوني البراغيث أو هو بدل من الضمير على نحو وأسروا النجوى الذين ظلموا والتقدير ليس سواء أمة قائمة وأمة مذمومة وفي تفسير أهل الكتاب قولان الاول وعليه الجمهور أنهم اليهود والنصارى قال ابن عباس ومقاتل لما أسلم عبد الله بن سلام وأضرابه قالت أحبار اليهود ما آمن بمحمد الا شرارنا ولو كانوا من خيارنا لما تركوا دين آبائهم وقالوا لهم لقد خسرتم حين استبدلتم بدينكم دينا غيره فنزلت وعن عطاء أنها نزلت في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى وصدقوا بمحمد صلى الله عليه وسلم الثاني أنهم كل من أوتي الكتاب من أهل الاديان فعلى هذا يكون [illegible]

عن ابن مسعود قال أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت بقرا فأولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما ورأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فيها وكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى رأي رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن لا يخرج اليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكره الخروج من المدينة فقال رجال من المسلمين ممن أكرم الله بالشهادة يوم أحد وغيرهم ممن كان فاته بدر وحضوره يا رسول الله اخرج بنا الى أعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم وضعفنا فقال عبد الله بن أبي ابن سلول يا رسول الله أقم بالمدينة لا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو لنا قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا قط الا أصبنا منه فدعهم يا رسول الله فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة من فوقهم وان رجعوا رجعوا خائبين كما جاؤا فلم يزل الناس برسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كان من أمرهم حب لقاء القوم حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته فكانت تبوئة رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين مقاعد للقتال ما ذكرنا من مشورته على أصحابه بالرأي الذي ذكرنا على ما وصفه الذين حكينا قولهم يقال منه بوأت القوم منزلا وبوأته لهم فأنا أبوئهم المنزل تبوئة وأبوئ لهم منزلا تبوئة وقد ذكر أن في قراءة عبد الله بن مسعود واذ غدوت من أهلك تبوئ للمؤمنين مقاعد للقتال وذلك جائز كما يقال ردفك وردف لك ونقدت لها صداقها ونقدتها كما قال الشاعر

أستغفر الله ذنبا لست محصيه * رب العباد اليه الوجه والعمل

والكلام أستغفر الله لذنب وقد حكي عن العرب سماعا أبأت القوم منزلا فأنا أبيئهم اباءة ويقال منه أباءت الابل اذا رددتها الى المباءة والمباءة المراح الذي تبيت فيه والمقاعد جمع مقعد وهو المجلس فتأويل الكلام واذكر اذ غدوت يا محمد من أهلك تتخذ للمؤمنين معسكرا وموضعا لقتال عدوهم وقوله والله سميع عليم يعني بذلك تعالى ذكره والله سميع لما يقول المؤمنون لك فيما شاورتهم فيه من موضع لقائك ولقائهم عدوك وعدوهم من قول من قال اخرج بنا اليهم حتى نلقاهم خارج المدينة وقول من قال لك لا تخرج اليهم وأقم بالمدينة حتى يدخلوها علينا على ما قد بينا قبل ومما تشير به عليهم أنت يا محمد عليم بأصلح تلك الآراء لك ولهم وبما تخفيه صدور المشيرين عليك بالخروج الى عدوك وصدور المشيرين عليك بالمقام في المدينة وغير ذلك من أمرك وأمورهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله والله سميع عليم أي سميع لما يقولون عليم بما يخفون ۞ القول في تأويل قوله (اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعني بذلك جل ثناؤه والله سميع عليم حين همت طائفتان منكم أن تفشلا والطائفتان اللتان همتا بالفشل ذكر لنا أنهم بنو سلمة وبنو حارثة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا قال بنو حارثة كانوا نحو أحد وبنو سلمة نحو سلع وذلك يوم الخندق * قال أبو جعفر وقد دللنا على أن ذلك كان يوم أحد فيما مضى بما فيه الكفاية عن اعادته حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية وذلك يوم أحد والطائفتان بنو سلمة وبنو حارثة حيان من الانصار هموا بأمر فعصمهم الله من ذلك قال قتادة وقد ذكر لنا أنه لما أنزلت هذه الآية قالوا ما يسرنا أنا لم نهم بالذي هممنا به وقد أخبرنا الله أنه ولينا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن

الله عليه وسلم ليلة صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله في هذه الساعة غيركم وفي رواية فبشر صلى الله

عليه وسلم أنه لا يصلي هذه الصلاة أحد من أهل الكتاب فأنزل الله هذه الآيات

أبيه عن الربيع قوله اذ همت طائفتان منكم الآية وذلك يوم أحد فالطائفتان بنو سلمة و بنو حارثة حيان من الانصار فذكر مثل قول قتادة حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح ان صبروا فلما رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا وقال اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا وهم بنو سلمة و بنو حارثة هموا بالرجوع حين رجع عبد الله بن أبي فعصمهم الله و بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعمائة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة نزلت في بني سلمة من الخزرج و بني حارثة من الاوس ورأسهم عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا فهم بنو حارثة و بنو سلمة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والطائفتان بنو سلمة من جشم بن الخزرج و بنو حارثة بن النبيت من الاوس وهما الجناحان حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا الآية قال هما طائفتان من الانصار هما أن يفشلا فعصمهم الله وهزم عدوهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت جابر بن عبد الله يقول اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا قال هم بنو سلمة و بنو حارثة وما نحب (٣) أن لو لم تكن همتا القول الله عز وجل والله وليهما حدثني أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن عيينة عن عمرو قال سمعت جابر بن عبد الله يقول فذكر نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا قال هذا يوم أحد وأما قوله أن تفشلا فانه يعني هما أن يضعفا ويجبنا عن لقاء عدوهما يقال منه فشل فلان عن لقاء عدوه يفشل فشلا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس الفشل الجبن وكان همهما الذي هما به من الفشل الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حين انصرف عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بمن معه جبنا منهم من غير شك منهم في الاسلام ولا نفاق فعصمهم الله مما هموا به من ذلك ومضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لوجهه الذي مضى له وتركوا عبد الله بن أبي ابن سلول والمنافقين معه فأثنى الله عز وجل عليهما بثبوتهما على الحق وأخبر أنه وليهما وناصرهما على أعدائهما من الكفار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله وليهما أي الدافع عنهما ما هما به من فشلهما وذلك انه انما كان ذلك منهما عن ضعف و وهن أصابهما من غير شك أصابهما في دينهما فتولى دفع ذلك عنهما برحمته وعائدته حتى سلمتا من وهنهما وضعفهما ولحقتا بنبيهما صلى الله عليه وسلم يقول وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي من كان به ضعف من المؤمنين أو وهن فليتوكل علي وليستعن بي أعنه على أمره وأدفع عنه حتى أبلغ به وأقويه على نيته وذكر أن ابن مسعود رضي الله عنه كان يقرأ والله وليهم وانما جاز أن يقرأ ذلك كذلك لان الطائفتين وان كانتا في لفظ اثنين فانهما في معنى جماع بمنزلة الخصمين والحزبين ﴿القول في تأويل قوله (ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون) يعني بذلك جل ثناؤه وان

(٣) قوله أن لو لم تكن الخ الظاهر أن لم تكونا همتا تأمل كتبه مصححه

ليسوا سواء الى قوله والله عليم بالمتقين قال القفال رحمه الله لا يبعد أن يقال أولئك الحاضرون كانوا نفرا من مؤمني أهل الكتاب فقيل ليس يستوي من أهل الكتاب هؤلاء الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فأقاموا صلاة العشاء في الساعة التي ينام فيها غيرهم مع أهل الكتاب الذين لم يؤمنوا ولا يبعد أيضا أن يقال المراد كل من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم فسماهم الله أهل الكتاب كأنه قيل أولئك الذين سموا أنفسهم بأهل الكتاب حالهم وصفتهم تلك الخصال الذميمة والمسلمون الذين سماهم الله تعالى أهل الكتاب حالهم وصفتهم كذا فكيف يستويان فيكون الغرض من هذه الآية تقرير فضيلة أهل الاسلام تأكيدا لما تقدم من قوله كنتم خير أمة كقوله أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون ثم انه تعالى مدح الامة المذكورة بصفات ثمان الاولى أنها قائمة قيل أي في الصلاة وقيل ثابتة على التمسك بدين الحق ملازمة له غير مضطربة وقيل أي مستقيمة عادلة من قولك أقمت العود فقام بمعنى استقام وههنا نكتة وهي أن الآية دلت على أن المسلم قائم بحق العبودية وقوله قائما بالقسط دل على أن المولى قائم بحق الربوبية وهذه حقيقة قوله وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم * الصفة الثانية يتلون أي أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل فالتلاوة القراءة وأصل الكلمة الاتباع فكأن التلاوة هي اتباع اللفظ وآيات الله القرآن وقد يراد بها أصناف مخلوقاته الدالة على صانعها وآناء الليل ساعاته واحدها اني مثل معا وأني وانو مثل نحي وتلو * الصفة الثالثة وهم يسجدون يحتمل أن يكون حالا من يتلون كأنهم يقرؤن القرآن في السجدة تخشعا الا أن ما روي

عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا اني نهيت أن أقرأ راكعا وساجدا يأباه وأن يكون كلاما مستقلا أي يقومون تارة و يسجدون أخرى ويبتغون الفضل والرحمة بكل ما يمكن كقوله يبيتون لربهم سجدا وقياما قال الحسن يريع رأسه بقدميه وقدميه برأسه وذلك لاحداث النشاط والراحة وأن يكون المراد وهم يصلون ويتهجدون والصلاة تسمى سجدة وركعة وسبحة وأن يرادوهم يخضعون لله كقوله ولله يسجد من في السموات والارض وعلى هذين الاحتمالين لامنع من كونه حالا * الصفة الرابعة يؤمنون بالله واليوم الآخر فالصفات المتقدمة اشارة الى كمال حالهم في القوة العملية وهذه اشارة الى كمالهم بحسب القوة النظرية وان حاصل المعارف معرفة المبدا والمعاد ولايخفى أن غير مؤمني أهل الكتاب ليسوا من القبيلين في شئ بسبب تحريفاتهم واعتقاداتهم الفاسدة * الخامسه والسادسه ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وهاتان الصفتان اشارة الى أنهم فوق التمام وذلك لسعيهم في تكميل الناقصين بارشادهم الى ماينبغي ومنعهم عما لاينبغي وفيه تعريض بالامة المذمومة أنهم كانوا مداهنين وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا عند اخوانه فاعلم أنه مداهن * الصفة السابعة ويسارعون في الخيرات أي المذكورات كلها وهي من صفات المدح لان المسارعة في الخير دليل فرط الرغبة فيه حتى لايفوت في التأخير آفات وماروى أنه صلى الله عليه وسلم قال العجلة من الشيطان مخصوص بهذه الآية على أنها لاتفيد كلية الحكم لان القضية أهملت اهمالا كيف لاوالامور متفاوتة

تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيأ وينصركم ربكم ولقد نصركم الله ببدر على أعدائكم وأنتم يومئذ أذلة يعني قليلون في غير منعة من الناس حتى أظهركم الله على عدوكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم وأنتم اليوم أكثر عددا منكم حينئذ فان تصبروا لأمر الله ينصركم كما نصركم ذلك اليوم فاتقوا الله يقول تعالى ذكره فاتقوا ربكم بطاعته واجتناب محارمه لعلكم تشكرون يقول لتشكروه على مامن به عليكم من النصر على أعدائكم واظهار دينكم ولماهداكم له من الحق الذي ضل عنه مخالفوكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة يقول وأنتم أقل عددا وأضعف قوة فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقون فانه شكر نعمتي واختلف في المعنى الذي من أجله سمي بدر بدرا فقال بعضهم سمي بذلك لانه كان ماء لرجل يسمى بدرا فسمي باسم صاحبه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن زكرياعن الشعبي قال كانت بدر لرجل يقال له بدر فسميت به حدثني يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا زكرياعن الشعبي أنه قال ولقد نصركم الله ببدر قال كانت بدر بئرا لرجل يقال له بدر فسميت به *وأنكر ذلك آخرون وقالوا ذلك اسم سميت به البقعة كما سمي سائر البلدان بأسمائها ذكر من قال ذلك حدثنا الحرث بن محمد قال ثنا ابن سعد قال ثنا محمد بن عمر الواقدي قال ثنا منصور عن أبي الاسود عن زكرياعن الشعبي قال انما سمي بدرا لانه كان ماء لرجل من جهينة يقال له بدر وقال الحرث قال ابن سعد قال الواقدي فذكرت ذلك لعبدالله بن جعفر ومحمد بن صالح فأنكراه وقالا فلأي شئ سميت الصفراء ولأي شئ سميت الحمراء ولأي شئ سمي رابغ هذا ليس بشئ انما هو اسم الموضع قال وذكرت ذلك ليحيى بن النعمان الغفاري فقال سمعت شيوخنا من بني غفار يقولون هو ماؤنا ومنزلنا وماملكه أحد قط يقال له بدر وماهو من بلاد جهينة انما هي بلاد غفار قال الواقدي فهذا المعروف عندنا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبامعاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول بدر ماء عن يمين طريق مكة بين مكة والمدينة وأماقوله أذلة فانه جمع ذليل كما الأعزة جمع عزيز والألبة جمع لبيب وانما سماهم الله عزوجل أذلة لقلة عددهم لانهم كانوا ثلثمائة نفس وبضعة عشر وعدوهم مابين التسعمائة الى الالف على ماقد بينا فيما مضى فجعلهم لقلة عددهم أذلة وبنحو ماقلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون وبدر ماء بين مكة والمدينة التقى عليه نبي الله صلى الله عليه وسلم والمشركون وكان أول قتال قاتله نبي الله صلى الله عليه وسلم وذكر لنا أنه قال لاصحابه يومئذ أنتم اليوم بعدة أصحاب طالوت يوم لقي جالوت فكانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون يومئذ ألف أو راهقوا ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر عن عباد عن الحسن في قوله ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون قال يقول وأنتم أذلة قليل وهم يومئذ بضعة عشر وثلثمائة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحو قول قتادة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة أقل عددا وأضعف قوة وأماقوله فاتقوا الله لعلكم تشكرون فان تأويله كالذي قد بينت كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاتقوا الله لعلكم تشكرون أي فاتقوني فانه شكر نعمتي ﴿ القول في تأويل قوله (اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا

 منها مايحمد فيه التأخير لكونه ممايحصل على مهل وتدريج فلو طلب منه خلاف وضعه فات الغرض وضاع السعي أو لكونه غير معلوم العاقبة فيفتقر الى مزيد تدبر وتامل ومنها مايحمد فيه التعجيل لضد ماقلنا فتنتهز فيه الفرصة وتغتنم

فان الفرص تمر مر السحاب قال صلى الله عليه وسلم اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل (٥٠) موتك * الصفة الثامنة وأولئك من الصالحين وذلك أن الامور بخواتيمها والعاقبة غير معلومة الا في علم الله تعالى فاذا أخبر عنهم بانخراطهم في سلك الصالحين فذلك المقصود وقصارى المجهود ثم شرط للامة الموصوفة بل لجميع المكلفين ايصال الجزاء اليهم البتة تأكيدا للاخبار عنهم بقوله وأولئك من الصالحين فقال (وما يفعلوا من خير فلن يكفروه) أي لن يحرموا ثوابه ولن يمنعوه فضمن الكفران معنى الحرمان ولهذا يعدى الى مفعولين مع ان الاصل فيه التعدية الى واحد نحو شكر النعمة وكفرها وسمى منع الجزاء كفرا كما سمى ايصال الثواب شكرا في قوله فان الله شاكر عليم ثم ختم الكلام بقوله (والله عليم بالمتقين) مع انه عالم بكل الاشياء بشارة لهم بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده بالكرامة الا أهل التقوى وتنبيها على ان الملتزم لوعدهم هو معبودهم الحق القادر الغني الحميد الخبير الذي لا غاية لكرمه ولا نهاية لعلمه فما ظنك بمن هذا شأنه ثم بين أحوال أهل الشقاء بقوله (ان الذين كفروا) الآية وقد سبق تفسير مثله في أول السورة ثم انه لما بين أن اموال الكفار لا تغني عنهم شيأ أمكن أن يخطر ببال أحد أن الذي ينفقون منه في وجوه الخيرات لعلهم ينتفعون بذلك فأزال ذلك الوهم بقوله (مثل ما ينفقون) الآية قال أكثر المفسرين وأهل اللغة الصر البرد الشديد وهو منقول عن ابن عباس وقتادة والسدي وابن زيد وفي الصحاح الصر بالكسر برد يضر بالنبات والحرث وعلى هذا فمعنى الآية كمثل ريح فيها برد وذلك ظاهر وجوز في الكشاف أن يكون الصر صفة معناه البارد فيكون موصوفه محذوفا يعني فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة أو تكون في نحو ... ندبه كما يقال رأيت فمك أسدا أي أنت أسد وان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل اذ

يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين) يعني تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة اذ تقول للمؤمنين بك من أصحابك ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وذلك يوم بدر ثم اختلف أهل التأويل في حضور الملائكة يوم بدر حربهم في أي يوم وعدوا ذلك فقال بعضهم ان الله عز وجل كان وعد المؤمنين يوم بدر أن يمدهم بملائكته ان أتاهم العدو من فورهم فلم يأتوهم ولم يمدوا ذكر من قال ذلك حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عامر قال حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يمد المشركين قال فشق ذلك على المسلمين فقيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغت كرزا الهزيمة (١) فرجع ولم يمدهم بالخمسة حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عامر قال لما كان يوم بدر بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ذكر نحوه الا انه قال ويأتوكم من فورهم هذا يعني كرزا وأصحابه يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين قال فبلغ كرزا وأصحابه الهزيمة فلم يمدهم ولم تنزل الخمسة وأمدوا بعد ذلك بالف فهم أربعة آلاف من الملائكة مع المسلمين حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة الآية كلها قال هذا يوم بدر حدثني يعقوب قال ثنا ابن علية عن داود عن الشعبي قال حدث المسلمون أن كرز بن جابر المحاربي يريد أن يمد المشركين ببدر قال فشق ذلك على المسلمين فأنزل الله عز وجل ألن يكفيكم ان يمدكم ربكم الى قوله من الملائكة مسومين قال فبلغته هزيمة المشركين فلم يمد أصحابه ولم يمدوا بالخمسة * وقال آخرون كان هذا الوعد من الله لهم يوم بدر فصبر المؤمنون واتقوا الله فأمدهم بملائكته على ما وعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس ابن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة قال سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما أصيب بصره يقول لو كنت معكم ببدر الآن ومعي بصري لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق وثني عبد الله بن أبي بكر عن بعض بني ساعدة عن أبي أسيد مالك بن ربيعة وكان شهد بدرا أنه قال بعدما ذهب بصره لو كنت معكم اليوم ببدر ومعي بصري لأريتكم الشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثني عبد الله بن أبي بكر أنه حدث عن ابن عباس أن ابن عباس قال ثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا وابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر ونحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فننتهب مع من ينتهب قال فبينا نحن في الجبل اذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم قال فاما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه وأما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال وثني الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم مولى عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن عباس قال لم تقاتل الملائكة في يوم من الايام سوى يوم بدر وكانوا يكونون فيما سواه من الايام عددا ومددا لا يضربون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق حدثني أبي اسحق بن يسار عن رجال من بني مازن ابن النجار عن أبي داود المازني وكان شهد بدرا قال اني لأتبع رجلا من المشركين يوم بدر لأضربه

(١) في الدر المنثور فبلغت كرزا الهزيمة فلم يمد المشركين ولم يمد المسلمون بالخمسة اهـ

وقيل الصر السموم الحارة وروى ابن الانبارى باسناده عن ابن عباس فيها صر قال فيها نار وعلى القولين الغرض من التشبيه حاصل سواء كان بردا مهلكا أو حرا محرقا فانه يصير مبطلا للحرث فيصح التشبيه وهذا من التشبيه المركب الذى مر ذكره فى أول سورة البقرة ويجوز أن يراد مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح أو مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث والمراد ما كانوا ينفقون من أموالهم فى المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون بها وجه الله ولهذا قيده بقوله فى هذه الحياة الدنيا فشبه ذلك بالزرع الذى حسه البرد فصار حطاما وقيل مثل ما ينفقون يعنى أبا سفيان وأصحابه من سفلة اليهود المنفقين على أحبارهم فى ايذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى جمع العساكر عليه صلى الله عليه وسلم فى كونه مبطلا لما أتوا به قبل ذلك من أعمال البر كمثل ريح فيها صر فى كونه مبطلا للحرث والظاهر أن الضمير فى ينفقون عائد الى جميع الكفار وذلك أن انفاقهم اما أن يكون لمنافع الدنيا فلا يبقى له أثر فى الآخرة فى حق المسلم فضلا عن الكافر واما أن يكون لمنافع الآخرة فالكفر مانع عن الانتفاع ولعلهم كانوا ينفقون فى الخيرات نحو بناء الرباطات والقناطر والاحسان الى الضعفاء والارامل راجين خيرا كثيرا فى المعاد لكنهم اذا قدموا الآخرة رأوا كفرهم مبطلا لآثار تلك الخيرات فكان كمن زرع زرعا وتوقع منه نفعا كثيرا فاصابه جائحة فلا يبقى معه الا الحزن والاسف ولعلهم كانوا ينفقون فيما ظنوه خيرا وهو معصية كانفاق الاموال فى ايذاء الرسول صلى الله عليه وسلم وفى تخريب ديار المسلمين ولا يبعد أيضا تفسير الآية بخيبتهم فى الدنيا فانهم أنفقوا أموالا كثيرة فى تجهيز الجيوش والاغراء على المسلمين وتحملوا المتاعب ثم انقلب الامر عليهم وأظهر الله الاسلام وأعز أهله فلم يبق مع الكفار من ذلك الانفاق الا الخيبة والحسرة وقيل المراد

اذ وقع رأسه قبل أن يصل اليه سيفى فعرفت أن قد قتله غيرى حدثنى ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد ثنى حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس عن عكرمة مولى ابن عباس قال قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب وكان الاسلام قد دخلنا أهل البيت فأسلم العباس وأسلمت أم الفضل وأسلمت وكان العباس يهاب قومه ويكره أن يخالفهم وكان يكتم اسلامه وكان ذا مال كثير متفرق فى قومه وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر وبعث مكانه العاصى بن هشام بن المغيرة وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل الا بعث مكانه رجلا فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش كبته الله وأخزاه ووجدنا فى أنفسنا قوة وعزة قال وكنت رجلا ضعيفا وكنت أعمل القداح أنحتها فى حجرة زمزم فوالله انى لجالس فيها أنحت القداح وعندى أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر اذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشر حتى جلس على طنب الحجرة فكان ظهره الى ظهرى فبينا هو جالس اذ قال الناس هذا أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب قد قدم قال قال أبو لهب هلم الى يا ابن أخى فعندك الخبر قال فجلس اليه والناس قيام عليه فقال يا ابن أخى أخبرنى كيف كان أمر الناس قال لا شئ والله ان كان الا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ما بين السماء والارض ما يليق لها شئ ولا يقوم لها شئ قال أبو رافع فرفعت طنب الحجرة بيدى ثم قلت تلك الملائكة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد قال ثنى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عتيبة عن مقسم عن ابن عباس قال كان الذى أسر العباس أبا اليسر كعب بن عمرو أخا بنى سلمة وكان أبو اليسر رجلا مجموعا وكان العباس رجلا جسيما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى اليسر كيف أسرت العباس أبا اليسر قال يا رسول الله لقد أعاننى عليه رجل ما رأيته قبل ذلك ولا بعده هيئته كذا وكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعانك عليه ملك كريم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين أمدوا بالف ثم صاروا ثلاثة آلاف ثم صاروا خمسة آلاف بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة حدثت عن عمار عن ابن أبى نجيح عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين فانهم أتوا محمدا صلى الله عليه وسلم مسومين حدثنى محمد بن بشار قال ثنا سفيان عن ابن خثيم عن مجاهد قال لم تقاتل الملائكة الا يوم بدر

* وقال آخرون ان الله عز وجل انما وعدهم يوم بدر أن يمدهم ان صبروا عند طاعته وجهاد أعدائه واتقوه باجتناب محارمه أن يمدهم فى حروبهم كلها فلم يصبروا ولم يتقوا الا فى يوم الأحزاب فامدهم حين حاصروا قريظة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمارة الاسدى قال ثنا عبد الله بن موسى قال أخبرنا سليمان بن زيد أبو آدم المحاربى عن عبد الله بن أبى أوفى قال كنا محاصرى قريظة والنضير ما شاء الله أن نحاصرهم فلم يفتح علينا فرجعنا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته يغسل رأسه اذ جاءه جبريل صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد وضعتم أسلحتكم ولم تضع الملائكة أوزارها فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخرقة فلف بها رأسه ولم يغسله ثم نادى فينا فقمنا كالزمعين لا نعبأ بالسير شيأ حتى أتينا قريظة والنضير فيومئذ أمدنا الله عز وجل بثلاثة آلاف من الملائكة وفتح الله

لما فتحا يسيرا فانقلبنا بنعمة من الله وفضل * وقال آخرون بنحو هذا المعنى غير أنهم قالوا لم يصبر القوم ولم يتقوا ولم يمدوا بشيء في أحد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني عمرو بن دينار عن عكرمة سمعه يقول بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا قال يوم بدر قال فلم يصبروا ولم يتقوا فلم يمدوا يوم أحد ولو مدوا لم يهزموا يومئذ حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت عكرمة يقول لم يمدوا يوم أحد ولا بملك واحد أو قال الا بملك واحد أبو جعفر يشك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال سمعت عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف الى خمسة آلاف من الملائكة مسومين كان هذا موعدا من الله يوم أحد عرضه على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن المؤمنين ان اتقوا وصبروا أمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ففر المسلمون يوم أحد وولوا مدبرين فلم يمدهم الله حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا الآية كلها قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ينظرون المشركين يا رسول الله أليس يمدنا الله كما أمدنا يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين وانما أمدكم يوم بدر بألف قال فجاءت الزيادة من الله على ان يصبروا ويتقوا قال بشرط أن يأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآية كلها * وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله أخبر عن نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف خمسة آلاف ان صبروا لأعدائهم واتقوا الله ولا دلالة في الآية على أنهم أمدوا بالثلاثة آلاف ولا بالخمسة آلاف ولا على انهم لم يمدوا بهم وقد يجوز أن يكون الله عز وجل أمدهم على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك ولا خبر عندنا صح من الوجه الذي يثبت انهم أمدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف وغير جائز أن يقال في ذلك قول الا بخبر تقوم الحجة به ولا خبر به كذلك فنسلم لاحد الفريقين قوله غير أن في القرآن دلالة على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة وذلك قوله اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بألف من الملائكة مردفين فأما في يوم أحد فالدلالة على انهم لم يمدوا أبين منها في أنهم أمدوا وذلك أنهم لو أمدوا لم يهزموا وينال منهم ما نيل منهم فالصواب فيه من القول ان يقال كما قال تعالى ذكره وقد بينا معنى الامداد فيما مضى والمدد ومعنى الصبر والتقوى وأما قوله ويأتوكم من فورهم هذا فان أهل التأويل اختلفوا فيه فقال بعضهم معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة قال ويأتوكم من فورهم هذا قال من وجههم هذا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة مثله حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ويأتوكم من فورهم هذا من وجههم هذا حدثت عن عمار بن الحسن عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله ويأتوكم من فورهم

بالانفاق ههنا هو جميع أعمالهم التي يرجون الانتفاع بها في الآخرة كقوله لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل والمراد جميع الانتفاعات أما فائدة قوله ظلموا أنفسهم وعدم الاقتصار (٥٣) على قوله أصابت حرث قوم فهي أن الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب بالكلية حتى لا يبقى منه أثر ولا عثر وحرث المسلم المطيع ليس كذلك لانه اذا أصابته جائحة في الدنيا أبدله الله خيرا منه في الدنيا أو في الآخرة فان المسلم مثاب على كل ألم يصيبه حتى الشوكة يشاكها أما الذين عصوا الله فاستحقوا اهلاك حرثهم عقوبة لهم فحرثهم هو الذي لا يتصور منه بعد الاهلاك فائدة أصلا ويحتمل أن يراد بالظلم ههنا وضع الزرع في غير موضعه فان من زرع لا في موضعه وفي غير أوانه ثم أصابته الآفة كان أولى بان يصير ضائعا والضمير في وما ظلمهم للمنفقين أي ما ظلمهم بان لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول أو لأصحاب الحرث أي ما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب ما استحقوا به العقوبة ثم انه تعالى لما بالغ في شرح أحوال المؤمنين والكافرين شرع في تحذير المؤمنين من مخالطة الكافرين قال ابن عباس ومجاهد نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين ويواطئون رجالا من اليهود لما كان بينهم من القرابة والصداقة والحلف والجوار والرضاع فنهاهم الله عن مباطنتهم خوف الفتنة منهم عليهم وبطانة الرجل خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره أي أموره اللاصقة بالقلب المهمة له الواحد شقر وأصله من البطن خلاف الظهر ومنه بطانة الثوب للذي يلي منه الجسد خلاف الظهارة نهاهم عن مودة كل كافر لان قوله بطانة نكرة في سياق النفي وقوله (من دونكم) يؤكد ذلك وهو اما ان يتعلق بلا تتخذوا أو يكون صفة لبطانة أي بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم والاول أولى لان الغرض ليس هو النهي عن اتخاذ البطانة وانما المقصود النهي عن الاتخاذ من غير أبناء جنسهم وأهل

فورهم هذا يقول من وجههم هذا حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من سفرهم هذا ويقال يعنى عن غير ابن عباس بل هو من غضبهم هذا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد من فورهم هذا من وجههم هذا * وقال آخرون معنى ذلك من غضبهم هذا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن عكرمة فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة قال فورهم ذلك كان يوم أحد غضبوا ليوم بدر مما لقوا حدثنى محمد ابن عمارة قال ثنا سهل بن عامر قال ثنا مالك بن مغول قال سمعت أبا صالح مولى أم هانئ يقول من فورهم هذا يقول من غضبهم هذا حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا قال غضب لهم يعنى الكفار فلم يقاتلوهم عند تلك الساعة وذلك يوم أحد حدثنى القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج قال مجاهد من فورهم هذا قال من غضبهم هذا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك فى قوله ويأتوكم من فورهم هذا يقول من وجههم وغضبهم وأصل الفور ابتداء الامر يوجد فيه ثم يوصل بآخر يقال منه فارت القدر فهى تفور فورا وفورانا اذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثم اتصل ومضيت الى فلان من فورى ذلك يراد به من وجهى الذى ابتدأت فيه فالذى قال فى هذه الآية معنى قوله من فورهم هذا من وجههم هذا قصد الى أن تأويله ويأتيكم كرز بن جابر وأصحابه يوم بدر من ابتداء مخرجهم الذى خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين وأما الذين قالوا معنى ذلك من غضبهم هذا فانما عنوا أن تأويل ذلك ويأتيكم كفار قريش وتباعهم يوم أحد من ابتداء غضبهم الذى غضبوه لقتلاهم الذين قتلوا يوم بدر بها يمددكم ربكم بخمسة آلاف وكذلك من اختلاف تأويلهم فى معنى قوله ويأتوكم من فورهم هذا اختلف أهل التأويل فى امداد الله المؤمنين بأحد بملائكته فقال بعضهم لم يمدوا بهم لان المؤمنين لم يصبروا لأعدائهم ولم يتقوا الله عز وجل بترك من ترك من الرماة طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثبوته فى الموضع الذى أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبوت فيه ولكنهم أخلوا به طلبا للغنائم فقتل من المسلمين ونال المشركون منهم ما نالوا وانما كان الله عز وجل وعد نبيه صلى الله عليه وسلم امدادهم بهم ان صبروا واتقوا الله وأما الذين قالوا كان ذلك يوم بدر بسبب كرز بن جابر فان بعضهم قالوا لم يأت كرز وأصحابه اخوانهم من المشركين مددا لهم ببدر ولم يمد الله المؤمنين بملائكته لان الله عز وجل انما وعدهم أن يمدهم بملائكته ان أتاهم كرز ومدد المشركين من فورهم ولم يأتهم المدد وأما الذين قالوا ان الله تعالى ذكره أمد المسلمين بالملائكة يوم بدر فانهم اعتلوا بقول الله عز وجل اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين قال فالالف منهم قد أتاهم مددا وانما الوعد الذى كانت فيه الشروط فيما زاد على الالف فأما الالف فقد كانوا أمدوا به لان الله عز وجل كان قد وعدهم ذلك ولن يخلف الله وعده واختلف القراء فى قراءة قوله مسومين فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والكوفة مسومين بفتح الواو وبمعنى أن الله سومها وقرأ ذلك بعض قراء أهل الكوفة والبصرة مسومين بكسر الواو وبمعنى ان الملائكة سومت لنفسها وأولى القراءتين فى ذلك بالصواب قراءة من قرأ بكسر الواو ولتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل التأويل منهم ومن التابعين بعدهم بان الملائكة هى التى سومت أنفسها من غير اضافة [illegible] الى

ملتهم بطانة وانهم يقدمون الاهم والذى هم بشانه أعنى ومن للتبيين وقيل زائدة ثم ذكر علة النهى فقال (لا يألونكم خبالا) يقال ألا فى الامر يألو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا آلوك نصحا أو جهدا على التضمين أى لا أمنعك نصحا والخبال الفساد والنقصان ومنه رجل مخبول ومخبل ناقص العقل فاسده وقيل خبالا نصب على التميز وقيل مصدر فى موضع الحال والمعنى لا يتركون جهدهم فى مضرتكم وفساد حالكم (ودوا ما عنتم) أى عنتكم على أن ما مصدرية والعنت الوقوع فى أمر شاق ومنه يقال للعظم المجبور اذا أصابه شئ فهاضه قد أعنته والمراد أحبوا وتمنوا أن يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر والحاصل من الجملتين أنهم لا يقصرون فى افساد أموركم فان لم يمكنهم ذلك لمانع من خارج فحب ذلك غير زائل عن قلوبهم (قد بدت البغضاء) هى شدة البغض كالضراء شدة الضر والافواه جمع الفم وأصله فوه بدليل تكسيره كسوط وأسواط فحذفت الهاء تخفيفا وأقيمت الميم مقام الواو لانهما حرفان شفويان وظهور البغضاء من اليهود واضح لقشرهم العصا وكشرهم عن الانياب وعدم التقية فى تكذيب النبى صلى الله عليه وسلم والكتاب وأما من المنافقين فذلك أن المداجى لا بد أن ينفلت من لسانه ما يكشف عن نفاقه وخبث طويته وعن قتادة قد بدت البغضاء لأوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك (وما تخفى صدورهم أكبر) لان فلتات اللسان متناهية وكوامن الصدور تكاد تكون غير متناهية ثم بين أن اظهار هذه الأسرار للمؤمنين من غاية العناية وحثهم على اعمال العقل فى مدلولات هذه النصائح فقال (قد بينا لكم الايات ان كنتم تعقلون) من أهل العقول وقيل ان كنتم تعقلون الفصل بين ما يستحقه العدو والولى ثم ان سياق هذه الجمل يحتمل أن يكون على سبيل تنسيق الصفات للبطانة كأنه قيل لا تتخذوا بطانة غيرا ليكم خبالا وادين عنتكم

بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن من ذلك وأبلغ أن تكون الجمل مستأنفات كلها على جهة التعليل للنهي كما قلنا فكأنه
قيل لم لا نتخذهم بطانة فقيل لأنهم لا يقصرون (٥٤) فقيل لم يفعلون ذلك فقيل لأنهم يودون عنتكم ثم قيل وما آية ودادة العنت فقيل قد
بدت والله أعلم أما كون هذا التقدير
أحسن فلأن الجمل المتعاقبة على
سبيل التنسيق يتوسط بينها العاطف
ولا عاطف ههنا وأما كونه أبلغ
فلبناء الكلام على السؤال
والجواب ولتقليل اللفظ وتكثير
المعنى ولاثبات الدعاوى بالبراهين
ولا يخفى جلالة قدر هذه الفوائد ثم
استأنف للتحذير نمطا آخر من البيان
مشتملا على التوبيخ فقال (ها أنتم
أولاء) أي الخاطئون في موالاة منافقي
أهل الكتاب ثم ذيله ببيان الخطأ وهو
قوله (تحبونهم ولا يحبونكم) لأنكم
تريدون لهم الاسلام وهو خير الأشياء
ويريدون لكم الكفر وهو أقبح
الأشياء أو تحبونهم لما بينكم
وبينهم من الرضاعة والقرابة
ولا يحبونكم لاختلاف الدين
أو تحبونهم لأنهم أظهروا لكم
الايمان ولا يحبونكم لتمكن الكفر
في باطنهم أو تحبونهم لأنهم
يظهرون لكم محبة الرسول ومحب
المحبوب محبوب ولا يحبونكم
لأنكم تحبون الرسول
وهم يبغضونه ومحب المبغوض
مبغوض أو تحبونهم فتفشون اليهم
أسراركم في أمور دينكم ولا
يحبونكم لأنهم لا يفعلون مثل ذلك
بكم أو تحبونهم لأنكم لا تريدون
وقوعهم في المحن ولا يحبونكم لأنهم
يتربصون بكم الدوائر والحق أن
هذه الاعتبارات وأمثالها مما
لا تكاد تنحصر داخلة في الآية ثم
ذكر سببا آخر مما يأبى أن يكون
بينهما جامع فقال (وتؤمنون
بالكتاب كله) وأضمر قرينه وهو وهم لا يؤمنون به لأن ذكر أحد الضدين يغني عن الآخر غالبا والمراد
بالكتاب الجنس. كقولهم كثر الدرهم في أيدي الناس وفي الكشاف ان الواو في وتؤمنون للحال واللام في الكتاب للعهد أي لا يحبونكم

الله عز وجل أو الى غيره من خلقه ولا معنى لقول من قال انما كان يختار الكسر في قوله مسومين
لو كان في البشر فأما الملائكة فوصفهم غير ذلك ظنا منه بأن الملائكة غير ممكن فيها تسويم أنفسها
امكان ذلك في البشر وذلك أنه غير مستحيل أن يكون الله عز وجل مكنها من تسويم أنفسها نحو
تمكينه البشر من تسويم أنفسهم فسوموا أنفسهم نحو الذي سوم البشر طلبا منها بذلك طاعة
ربها فأضيف تسويمها أنفسها اليها وان كان ذلك عن تسبيب الله لهم أسبابه وهي اذا كانت
موصوفة بتسويمها أنفسها تقربا منها الى ربها كان أبلغ في مدحها لاختيارها طاعة الله من أن
تكون موصوفة بأن ذلك مفعول بها ذكر الأخبار بما ذكرنا من اضافة من أضاف التسويم الى
الملائكة دون اضافة ذلك الى غيرهم على نحو ما قلنا فيه حدثني يعقوب قال أخبرنا ابن علية
قال أخبرنا ابن عوف عن عمير بن اسحق قال ان أول ما كان الصوف ليومئذ يعني يوم بدر قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) تسوموا فان الملائكة قد تسومت حدثنا أبو كريب قال ثنا
مختار بن غسان قال ثنا عبد الرحمن بن الغسيل عن الزبير بن المنذر عن جده أبي أسيد وكان بدريا
فكان يقول لو أن بصري معي ثم ذهبتم معي الى أحد لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه
الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم
عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف من الملائكة مسومين يقول معلمين
مجزوزة أذناب خيلهم ونواصيها فيها الصوف أو العهن وذلك التسويم حدثنا ابن حميد قال ثنا
حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله بخمسة آلاف
من الملائكة مسومين قال مجزوزة أذنابها وأعرافها فيها الصوف أو العهن فذلك التسويم
حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة مسومين ذكر لنا أن سيماهم يومئذ الصوف
بنواصي خيلهم وأذنابها وأنهم على خيل بلق حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا معمر عن قتادة في قوله مسومين قال كان سيماها صوفا في نواصيها حدثت عن عمار عن
ابن أبي جعفر عن أبيه عن ليث عن مجاهد أنه كان يقول مسومين قال كانت خيولهم مجزوزة
الأعراف معلمة نواصيها وأذنابها بالصوف والعهن حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن
أبيه عن الربيع كانوا يومئذ على خيل بلق حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم
قال أخبرنا جويبر عن الضحاك وبعض أشياخنا عن الحسن نحو حديث معمر عن قتادة
حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي مسومين معلمين حدثني محمد بن سعد
قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله بخمسة آلاف من الملائكة
مسومين فانهم أتوا محمدا النبي صلى الله عليه وسلم مسومين بالصوف فسوم محمد وأصحابه أنفسهم
وخيلهم على سيماهم بالصوف حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان قال ثنا هشام بن عروة
عن عباد بن حمزة قال نزلت الملائكة في سيما الزبير عليهم عمائم صفر وكانت عمامة الزبير صفراء حدثنا
يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله مسومين قال بالصوف في
نواصيها وأذنابها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن
عروة قال نزلت الملائكة يوم بدر على خيل بلق عليهم عمائم صفر وكان على الزبير يومئذ عمامة صفراء

(١) قوله تسوموا الخ كذا في الدر المنثور أيضا وفي اللسان سوموا فان الملائكة سومت وهو الأقرب للوارد في الآية وان كان الذي في الأصل صحيحا في نفسه فلعله رواية اهـ كتبه مصححه

حدثني

حدثني أحمد بن يحيى الصوفي قال ثنا عبد الرحمن بن شريك قال ثنا أبي قال ثنا هشام بن عروة عن عروة عن عبد الله بن الزبير أن الزبير كانت عليه ملاءة صفراء يوم بدر فاعتم بها فنزلت الملائكة يوم بدر على نبي الله صلى الله عليه وسلم معممين بعمائم صفر فهذه الاخبار التي ذكرنا بعضها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقول أبي أسيد خرجت الملائكة في عمائم صفر قد طرحوها بين أكتافهم وقول من قال منهم مسومين معلمين ينبئ جميع ذلك عن صحة ما اخترنا من القراءة في ذلك وأن التسويم كان من الملائكة بانفسها على نحو ما قلنا في ذلك فيما مضى وأما الذين قرؤا ذلك مسوَّمين بالفتح فانهم أراهم تأولوا في ذلك ما حدثنا به حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع عن عثمان بن غياث عن عكرمة بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين يقول عليهم سيما القتال حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين يقول عليهم سيما القتال وذلك يوم بدر أمدهم الله بخمسة آلاف من الملائكة مسوَّمين يقول عليهم سيما القتال فقالوا كان سيما القتال عليهم لا أنهم كانوا تسوَّموا بسيما فيضاف اليهم التسويم فمن أجل ذلك قرؤا مسوَّمين بمعنى ان الله تعالى أضاف التسويم الى من سوَّمهم تلك السيما والسيما العلامة يقال هي سيما حسنة وسيمياء حسنة كما قال الشاعر

غلام رماه الله بالحسن يافعا * له سيمياء لا تشق على البصر

يعني بذلك علامة من حسن فاذا أعلم الرجل بعلامة يعرف بها في حرب أو غيره قيل سوَّم نفسه فهو يسوّمها تسويما ۞ القول في تاويل قوله جل ثناؤه (وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم) يعني تعالى ذكره وما جعل الله وعده اياكم ما وعدكم من امداده اياكم بالملائكة الذين ذكر عددهم الا بشرى لكم يعني بشرى يبشركم بها ولتطمئن قلوبكم به يقول وكي تطمئن بوعده الذي وعدكم من ذلك قلوبكم فتسكن اليه ولا تجزع من كثرة عدد عدوكم وقلة عددكم وما النصر الا من عند الله يعني وما ظفركم إن ظفرتم بعدوكم الا بعون الله لا من قبل المدد الذي يأتيكم من الملائكة يقول فعلى الله فتوكلوا وبه فاستعينوا لا بالجموع وكثرة العدد فان نصركم ان كان انما يكون بالله وبعونه معكم من ملائكته خمسة آلاف فانه الى أن يكون ذلك بعون الله وبتقويته اياكم على عدوكم وان كان معكم من البشر جموع كثيرة أحرى فاتقوا الله واصبروا على جهاد عدوكم فان الله ناصركم عليهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وما جعله الله الا بشرى لكم يقول انما جعلهم ليستبشروا بهم وليطمئنوا اليهم ولم يقاتلوا معهم يومئذ يعني يوم أحد قال مجاهد ولم يقاتلوا معهم يومئذ ولا قبله ولا بعده الا يوم بدر حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به لما أعرف من ضعفكم وما النصر الا من عندي بسلطاني وقدرتي وذلك أني أعرف الحكمة التي لا الى أحد من خلقي حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما النصر الا من عند الله لو شاء أن ينصركم بغير الملائكة فعل العزيز الحكيم وأما معنى قوله العزيز الحكيم فانه جل ثناؤه يعني العزيز في انتقامه من أهل الكفر به بايدي أوليائه من أهل طاعته الحكيم في تدبيره لكم أيها المؤمنون على أعدائكم من أهل الكفر وغير ذلك من أموره يقول فأبشروا أيها المؤمنون بتدبيري لكم على أعدائكم ونصري اياكم عليهم ان أنتم أطعتموني فيما أمرتكم به وصبرتم لجهاد عدوي وعدوكم ۞ القول في تأويل قوله (ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم

والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وفيه توبيخ شديد لأنهم في باطلهم أصلب منكم في حقكم ثم ذكر مضادة أخرى فقال (واذا لقوكم قالوا آمنا) أحدثنا الدخول في الايمان (واذا خلوا عضوا) و يوصف المغتاظ أو النادم بعض (٥٥) الانامل والبنان والابهام لان هذا الفعل كثيرا ما يصدر منهما فجعل كناية عن الغضب والندم وان لم يكن هنالك عض وانما حصل لهم هذا الغيظ وهو شدة الغضب لما رأوا من ائتلاف المؤمنين وعلو دينهم وارتفاع شأنهم (قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد ما يوجب غيظهم من قوة الاسلام وعز أهله فان ذلك يتضمن ذلهم وخزيهم والحاصل أنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بان الله تعالى أتاح أن يظهر دين الاسلام على الأديان كلها والمقدر كائن فان كان هذا سبب الغيظكم فلا محالة يكون موتكم على هذا الغيظ ثم ان قوله (ان الله عليم بذات الصدور) أي بصواحباتها وهي الخواطر القائمة بالقلب والدواعي والصوارف الموجودة فيه ان كان داخلا في جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من الغيظ وقل لهم ان غيظكم سيزداد الى ان يذيبكم أو تموتوا عليه وقل لهم ان الله يعلم ما هو أخفى مما تسرونه وهو مضمرات القلوب وخفياتها وان كان خارجا فالمعنى قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على أسرارهم فاني أعلم ما أضمره الخلائق ولم يظهروه على ألسنتهم أصلا ويجوز أن لا يكون أمرا بالقول لفظا بل يراد حدث نفسك بانهم سيهلكون غيظا وحسدا فيكون أمر الرسول بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ونصره ثم ذكر نوعا آخر من مضادتهم ومعاداتهم فقال (ان تمسسكم حسنة) أي حسنة كانت من منافع الدنيا كالصحة والخصب والغنيمة والظفر على الاعداء والائتلاف بين الاحباء (تسؤهم) ساءه يسوءه نقيض سره يسره (وان تصبكم سيئة) ضد [illegible] أضداد ما عددنا

(يغفرحوابها) ولم يفرق صاحب الكشاف ههنا بين المس والاصابة وجعل المعنى واحدا وأقول يشبه أن يكون المس أقل من الاصابة وانه أدخل في بيان شدة العداوة وذلك ان الحسد (٥٦) لا ينهض لقليل من الخير الا أن يكون هناك كمال البغض والشماتة قلما توجد اذا أصاب العدو بلية عظمى كما قيل

* عند الشدائد تذهب الاحقاد *

الا أن يكون ثمة غاية الحقد واذا كان حال القوم مع المسلمين في القضيتين بالخلاف دل ذلك على شدة بغضهم ونهاية حقدهم وعلى هذا فلا يبعد أن يقال التنوين في حسنة للتقليل وفي سيئة للتعظيم (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم أو ان تصبروا على أوامر الله تعالى وتتقوا محارمه (لا يضركم كيدهم) وهو احتيال الانسان لايقاع غيره في مكروه وقال ابن عباس هو العداوة (شيأ) من الضرر بل كنتم في كنف الله وحفظه وفيه إرشاد من الله تعالى الى ان يستعان على دفع مكايد الاعداء بالصبر والتقوى فمن كان لله كان الله له وفي كلام الحكما اذا أردت أن تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك وقال بعضهم

اذا ماشئت ارغام الاعادي
بلا سيف يسل ولا سنان
فزد في مكرماتك فهي أعدى
على الاعداء من نوب الزمان

(ان الله بما تعملون) في عداوتكم أو بما تعملون أنتم من الصبر والتقوى (محيط) فيجازي كل أحد بما هو أهله ۞ التأويل ضربت عليهم ذلة الطمع ومسكنة الحرص الا أن يعتصموا بحبة الله وطلبه وحبل من الناس يعني متابعة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته و يقتلون الانبياء يميتون سننهم وسيرهم ليسوا أي العلماء الربانيون والمداهنون فلن تكفروه لانه من تقرب اليه شبرا تقرب اليه ذراعا ۞ ثم أخبر عن نفقات أهل الشهوات في استيفاء اللذات الجسمانية بقوله مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح مسعدة هي هواء الهوى فيها صر الشهوة أصابت حرث قوم هو الحرث الروحاني ظلموا أنفسهم بابطال الاستعداد الانساني ثم نهى أهل المحبة

فينقلبوا خائبين) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد نصركم الله ببدر ليقطع طرفا من الذين كفروا ويعني بالطرف الطائفة والنفر يقول تعالى ذكره ولقد نصركم الله ببدر كيما يهلك طائفة من الذين كفروا بالله ورسوله فجحدوا وحدانية ربهم ونبوة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا فقطع الله يوم بدر طرفا من الكفار وقتل صناديدهم ورؤساءهم وقادتهم في الشر حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع نحوه حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ليقطع طرفا من الذين كفروا الآية كلها قال هذا يوم بدر قطع الله طائفة منهم و بقيت طائفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة ليقطع طرفا من الذين كفروا أي ليقطع طرفا من المشركين بقتل ينتقم به منهم * وقال آخرون بل معنى ذلك وما النصر الا من عند الله ليقطع طرفا من الذين كفروا وقال انما عنى بذلك من قتل بأحد ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر الله قتلى المشركين يعني بأحد وكانوا ثمانية عشر رجلا فقال ليقطع طرفا من الذين كفروا ثم ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية وأما قوله أو يكبتهم فانه يعني بذلك أو يخزيهم بالخيبة مما رجوا من الظفر بكم وقد قيل ان معنى قوله أو يكبتهم أو يصرعهم لوجوههم ذكر بعضهم أنه سمع العرب تقول كبته الله لوجهه بمعنى صرعه الله فتأويل الكلام ولقد نصركم الله ببدر ليهلك فريقا من الكفار بالسيف أو يخزيهم بخيبتهم مما طمعوا فيه من الظفر فينقلبوا خائبين يقول فيرجعوا عنكم خائبين لم يصيبوا منكم شيأ مما رجوا أن ينالوه منكم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أو يكبتهم فينقلبوا خائبين أو يردهم خائبين أو يرجع من بقي منهم خائبين لم ينالوا شيأ مما كانوا يأملون حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله أو يكبتهم يقول يخزيهم فينقلبوا خائبين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع مثله ۞ القول في تأويل قوله (ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون) يعني بذلك تعالى ذكره ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ليس لك من الامر شئ فقوله أو يتوب عليهم منصوب عطفا على قوله أو يكبتهم وقد يحتمل أن يكون تأويله ليس لك من الامر شئ حتى يتوب عليهم فيكون نصب يتوب بمعنى او التي هي في معنى حتى والقول الاول أولى بالصواب لانه لا شئ من أمر الخلق الى أحد سوى خالقهم قبل توبة الكفار وعقابهم وبعد ذلك وتأويل قوله ليس لك من الامر شئ ليس اليك يا محمد من أمر خلقي الا أن تنفذ فيهم أمري وتنتهي فيهم الى طاعتي وانما أمرهم الي والقضاء فيهم بيدي دون غيري أقضي فيهم وأحكم بالذي أشاء من التوبة على من كفر بي وعصاني وخالف أمري أو العذاب اما في عاجل الدنيا بالقتل والنقم المبيرة واما في آجل الآخرة بما أعددت لأهل الكفر بي كما حدثني ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون أي ليس لك من الحكم شئ في عبادي الا ما أمرتك به فيهم أو أتوب عليهم برحمتي فان شئت فعلت أو أعذبهم بذنوبهم فانهم ظالمون أي قد استحقوا ذلك بمعصيتهم اياي وذكر أن الله عز وجل انما أنزل هذه الآية على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم لانه لما أصابه بأحد ما أصابه من المشركين قال كالآيس لهم من الهدى أو من الانابة الى الحق كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم ذكر الرواية بذلك حدثنا حميد بن

عن مباطنة أهل السلام من هذا الحديث فقال لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا لا يقصرون في انكاركم والاعتراض عليكم والطعن
فيكم ودوا من نعيم الدنيا ومشتهياتها ما عنتم ما مقتموه وتركتموه لدناءة همتهم وعلو همتكم أو فرحوا بما قاسيتم من المجاهدات

مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا حميد قال قال أنس قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم
أحد وكسرت رباعيته وشج فجعل يمسح عن وجهه الدم ويقول كيف يفلح قوم خضبوا نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى ربهم فأنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون
حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه
حدثني يعقوب قال ثنا هشيم عن حميد الطويل عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه
حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي قال ثنا أبو بكر بن عياش عن حميد الطويل عن أنس بن
مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين شج في جبهته وكسرت رباعيته لا يفلح قوم صنعوا
هذا بنبيهم فأوحى الله اليه ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثني
يعقوب عن ابن علية قال ثنا ابن عون عن الحسن أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم أحد كيف
يفلح قوم دموا وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله عز وجل فنزلت ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم
أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا يعقوب قال ثنا ابن علية عن حميد عن أنس عن النبي صلى الله
عليه وسلم نحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ليس لك من الامر
شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ذكر لنا أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله
عليه وسلم يوم أحد وقد جرح نبي الله صلى الله عليه وسلم في وجهه وأصيب بعض رباعيته فقال وسالم
مولى أبي حذيفة يغسل عن وجهه الدم كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم
فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا ابن حميد
قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين بن واقد عن مطر عن قتادة قال أصيب النبي صلى الله
عليه وسلم يوم أحد وكسرت رباعيته وفرق حاجبه فوقع وعليه درعان والدم يسيل فمر به سالم مولى أبي
حذيفة فأجلسه ومسح عن وجهه فأفاق وهو يقول كيف بقوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى
الله فأنزل الله تبارك وتعالى ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثت
عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه قوله ليس لك من الامر شئ الآية قال قال الربيع بن أنس
أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقد شج رسول الله صلى الله عليه وسلم في
وجهه وأصيبت رباعيته فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعو عليهم فقال كيف يفلح قوم أدموا
وجه نبيهم وهو يدعوهم الى الله وهم يدعونه الى الشيطان ويدعوهم الى الهدى ويدعونه الى الضلالة
ويدعوهم الى الجنة ويدعونه الى النار فهم أن يدعو عليهم فأنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو
يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون فكف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدعاء عليهم حدثني
محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ليس لك من الامر شئ أو
يتوب عليهم الآية كلها فقال جاء أبو سفيان من الحول غضبان لما صنع بأصحابه يوم بدر فقاتل
أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم يوم أحد قتالا شديدا حتى قتل منهم بعدد الاسارى يوم بدر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمة علم الله أنها قد خالطت غضبا كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الى الاسلام فقال الله عز وجل ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم
ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن رباعية النبي
صلى الله عليه وسلم أصيبت يوم أحد أصابها عتبة بن أبي وقاص وشجه في وجهه وكان سالم مولى أبي
حذيفة يغسل عن النبي صلى الله عليه وسلم الدم والنبي صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم صنعوا

والتزام الفقر والصبر على المكاره قد بدت البغضاء من أفواههم اعتراضاتهم الفاسدة وما تخفي صدورهم الحاسدة من الغل والحقد أكبر تحبونهم شبه الرحمة والشفقة ولا يحبونكم لتناكر الارواح واختلاف حال الاشباح وتؤمنون بالكتاب كله بجميع ما في القرآن من ترك الدنيا وجهاد النفس عليم بذات الصدور بالقلوب التي في الصدور أن موتها في الغيظ والحسد ان تمسسكم حسنة كرامة من الله وقبول من الخلق سيئة انكار من الجهال وطعن (واذ غدوت من أهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) ۞ القراآت تبوئ المؤمنين بغير همز أبو عمرو وغير شجاع وورش

والاعشى وحمزة في الوقف منزلين بالتشديد وفتح الزاي ابن عامر الباقون بالتخفيف والفتح أيضا
مسومين بكسر الواو أبو عمرو وابن كثير وعاصم وسهل ورويس الباقون بالفتح ۞ الوقوف القتال ط عليم ه لان اذ بدل من اذ غدوت أو

بنبيهم هذا فأنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري وعن عثمان الجزري عن مقسم ان النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي وقاص يوم أحد حين كسر رباعيته ووثأ وجهه فقال اللهم لا تحل عليه الحول حتى يموت كافرا قال فما حال عليه الحول حتى مات كافرا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس شج النبي صلى الله عليه وسلم في فرق حاجبه وكسرت رباعيته قال ابن جريج ذكر لنا انه لما جرح جعل سالم مولى أبي حذيفة يغسل الدم عن وجهه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى الله فأنزل الله عزوجل ليس لك من الأمر شيء * وقال آخرون بل نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم لانه دعا على قوم فأنزل الله عزوجل ليس الامر اليك فيهم ذكر الرواية بذلك حدثني يحيى بن حبيب بن عربي قال ثنا خالد بن الحرث قال ثنا محمد بن عجلان عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو على أربعة نفر فأنزل الله عزوجل ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون قال وهداهم الله للاسلام حدثني أبو السائب سلم بن جنادة قال ثنا أحمد بن سفيان عن عمر بن حمزة عن سالم عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان ابن أمية فنزلت ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن الحرث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن عبد الله بن كعب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر فلما رفع رأسه من الركعة الثانية قال اللهم أنج عياش بن أبي ربيعة وسلمة بن هشام والوليد بن الوليد اللهم أنج المستضعفين من المسلمين اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم سنين كسني آل يوسف فأنزل الله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم الآية حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب أخبره عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة يقول كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين يفرغ في صلاة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه سمع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد ثم يقول وهو قائم اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين من المؤمنين اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم كسني يوسف اللهم العن لحيان ورعلا وذكوان وعصية عصت الله ورسوله ثم بلغنا أنه ترك ذلك لما أنزل قوله ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون ۞ القول في تأويل قوله (ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله غفور رحيم) يعني بذلك تعالى ذكره ليس لك يا محمد من الامر شيء ولله جميع ما بين أقطار السموات والارض من مشرق الشمس الى مغربها دونك ودونهم يحكم فيهم بما شاء ويقضي فيهم ما أحب فيتوب على من أحب من خلقه العاصين أمره ونهيه ثم يغفر له ويعاقب من شاء منهم على جرمه فينتقم منه وهو الغفور الذي يستر ذنوب من أحب أن يستر عليه ذنوبه من خلقه بفضله عليهم بالعفو والصفح والرحيم بهم في تركه عقوبتهم عاجلا على عظيم ما يأتون من المآثم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله غفور رحيم أي يغفر الذنوب ويرحم العباد على ما فيهم ۞ القول في تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون

يتعلق بالوصفين أو بقوله تبوئ أن تفشلا (لا) لان الواو للحال ولهما ط المؤمنون ○ أذلة ج للفاء تشكرون ○ منزلين ط لتمام القول بلى (لا) لاتحاده مع ما بعده مسومين ○ قلوبكم به (٥٨) ط الحكيم (لا) لتعلق اللام بمعنى الفعل في النصر خائبين ○ ظالمون ○ وما في الارض ط من يشاء ط رحيم ○ ۞ التفسير انه سبحانه لما وعدهم النصر على الاعداء ان هم صبروا واتقوا وخلاف ذلك ان لم يصبروا أتبعه قوله واذ غدوت من أهلك ولقد نصركم الله ببدر يعني أنهم يوم أحد كانوا كثيرين مستعدين للقتال فلما خالفوا أمر الرسول صلى الله عليه وسلم انهزموا ويوم بدر كانوا قليلين غير مستعدين لكنهم أطاعوا أمر الرسول فغلبوا واستولوا على خصومهم ووجه آخر في النظم وهو أن الانكسار يوم أحد انما حصل بسبب تخلف عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وذلك يدل على انه لا يجوز اتخاذ المنافقين بطانة قال أبو مسلم هذا كلام معطوف بالواو على قوله قد كان لكم آية في فئتين التقتا أي قد كان لكم مثل تلك الآية اذ غدا الرسول يبوئ المؤمنين والجمهور على انه منصوب باضمار اذكر وعن الحسن ان هذا الغدو كان يوم بدر وعن مجاهد أنه يوم الاحزاب وأكثر العلماء بالمغازي على ان هذه الآية نزلت في واقعة أحد وهو قول ابن عباس والسدي وابن اسحق والربيع والاصم وأبي مسلم روى أن المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه ودعا صلى الله عليه وسلم عبد الله بن أبي ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله وأكثر الانصار يا رسول الله أقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا أصاب منا ولا دخلها علينا الا أصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هذه الاكلب

تفلحون) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تأكلوا الربا فى اسلامكم بعد اذ
هداكم له كما كنتم تأكلونه فى جاهليتكم وكان أكلهم ذلك فى جاهليتهم أن الرجل منهم كان يكون له
على الرجل مال الى أجل فاذا حل الاجل طلبه من صاحبه فيقول له الذى عليه المال أخر عنى دينك
وأزيدك على مالك فيفعلان ذلك فذلك هو الربا أضعافا مضاعفة فنهاهم الله عز وجل فى اسلامهم عنه
كما حدثنا محمد بن سنان قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن جريج عن عطاء قال كانت ثقيف
تداين فى بنى المغيرة فى الجاهلية فاذا حل الاجل قالوا نزيدكم وتؤخرون فنزلت لا تأكلوا الربا أضعافا
مضاعفة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا
مضاعفة أى لا تأكلوا فى الاسلام اذ هداكم الله له ما كنتم تأكلون اذ أنتم على غيره مما لا يحل لكم
فى دينكم حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله
عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال ربا الجاهلية حدثنى يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة قال كان أبى يقول
انما كان الربا فى الجاهلية فى التضعيف وفى السن يكون للرجل فضل دين فيأتيه اذا حل الاجل
فيقول له تقضينى أو تزيدنى فان كان عنده شئ يقضيه قضى والا حوله الى السن التى فوق ذلك ان
كانت ابنة مخاض يجعلها ابنة لبون فى السنة الثانية ثم حقة ثم جذعة ثم رباعيا ثم هكذا الى فوق وفى
العين يأتيه فان لم يكن عنده أضعفه فى العام القابل فان لم يكن عنده أضعفه أيضا فتكون مائة
فيجعلها الى قابل مائتين فان لم يكن عنده جعلها أربعمائة يضعفها له كل سنة أو يقضيه قال فهذا
قوله لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة وأما قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون فانه يعنى واتقوا الله أيها
المؤمنون فى أمر الربا فلا تأكلوه وفى غيره مما أمركم به أو نهاكم عنه وأطيعوه فيه لعلكم تفلحون
يقول لتنجحوا فتنجوا من عقابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه والخلود فى جنانه كما حدثنا ابن
حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا الله لعلكم تفلحون أى فأطيعوا الله لعلكم أن تنجوا مما
حذركم من عذابه وتدركوا ما رغبكم فيه من ثوابه ﴿القول فى تأويل قوله (واتقوا النار التى أعدت
للكافرين) يقول تعالى ذكره للمؤمنين واتقوا أيها المؤمنون النار أن تصلوها بأكلكم الربا بعد
نهيى اياكم عنه التى أعددتها لمن كفر بى فتدخلوا مداخلهم بعد ايمانكم بى بخلافكم أمرى وترككم
طاعتى كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق واتقوا النار التى أعدت للكافرين التى
جعلت دارا لمن كفر بى ﴿القول فى تأويل قوله (وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون) يعنى بذلك
جل ثناؤه وأطيعوا الله أيها المؤمنون فيما نهاكم عنه من أكل الربا وغيره من الاشياء وفيما أمركم به
الرسول يقول وأطيعوا الرسول أيضا كذلك لعلكم ترحمون يقول لترحموا فلا تعذبوا وقد قيل ان
ذلك معاتبة من الله عز وجل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين خالفوا أمره يوم أحد
فأخلوا بمراكزهم التى أمروا بالثبات عليها ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون معاتبة للذين عصوا رسوله حين أمرهم بالذى أمرهم
به فى ذلك اليوم وفى غيره يعنى فى يوم أحد ﴿القول فى تأويل قوله (وسارعوا الى مغفرة من ربكم
وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين) يعنى تعالى ذكره بقوله وسارعوا وبادروا وسابقوا
الى مغفرة من ربكم يعنى الى ما يستر عليكم ذنوبكم من رحمته وما يغطيها عليكم من عفوه عن
عقوبتكم عليها وجنة عرضها السموات والارض يعنى وسارعوا أيضا الى جنة عرضها السموات

لأرون أنا قد جبنا عنهم وقال صلى الله عليه وسلم انى رأيت فى منامى بقرا مذبحة حولى فأولتها خيرا و رأيت فى ذباب سيفى ثلما فأولته هزيمة
ورأيت كأنى أدخلت يدى فى درع حصينة فأولتها المدينة فان رأيتم أن تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال
من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم
الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى
أعدائنا فلم يزالوا به صلى الله عليه
وسلم حتى دخل فلبس لأمته فلما
رأوه قد لبس لأمته ندموا وقالوا
بئسما صنعنا نشير على رسول الله
صلى الله عليه وسلم والوحى يأتيه
فقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت
فقال لا ينبغى لنبى أن يلبس لأمته
فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة
بعد صلاة الجمعة من المدينة قالوا من
منزل عائشة وهو المراد بقوله من
أهلك عن مجاهد والواحدى انه
مشى على رجليه الى أحد وأصبح
بالشعب منها يوم السبت للنصف
من شوال وجعل يصف أصحابه
للقتال كأنما يقوم بهم القداح ان
رأى صدرا خارجا قال تأخر وكان
نزوله فى جانب الوادى وجعل صلى
الله عليه وسلم ظهره وعسكره الى
أحد وأمر صلى الله عليه وسلم
عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم
انضحوا عنا بالنبل حتى لا يأتونا من
ورائنا وقال صلى الله عليه وسلم
لأصحابه اثبتوا فى هذا المقام فاذا
عاينوكم ولوكم الادبار فلا تطلبوا
المدبرين ولا تخرجوا من هذا المقام
ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما خالف رأى عبد الله بن أبى شق
عليه ذلك وقال أطاع الصبيان
وعصانى ثم قال لاصحابه ان محمدا
صلى الله عليه وسلم انما ظفر بعدوكم
وقد وعد أصحابه أن أعداءهم
اذا عاينوهم انهزموا فاذا رأيتم
أعداءهم فانهزموا فسيتبعونكم
فيصير الامر على خلاف ما ذكر محمد صلى الله عليه وسلم فلما التقى الفريقان انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل أولادنا
وأنفسنا وكان جملة عسكر الاسلام ألفا وقيل تسعمائة وخمسين فبقى نحو من سبعمائة وكان المشركون ثلاثة آلاف فقواهم الله مع ذلك

حتى هزموا المشركين لكنهم لما رأوا انهزام القوم وكان الله تعالى بشرهم بذلك طمعوا أن تكون هذه الواقعة كواقعة بدر فطلبوا المدبرين وتركوا ذلك الموضع وخالفوا أمر الرسول (٦٠) صلى الله عليه وسلم ولم يعلموا أن ظفرهم يوم بدر ببركة طاعتهم لله ولرسوله ومتى تركهم الله مع عدوهم لم يقوموا لهم فنزع الله الرعب من قلوب المشركين فكرّوا على المسلمين وتفرق العسكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم وشج وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشلت يد طلحة دونه صلى الله عليه وسلم ولم يبق معه الا أبو بكر وعلي والعباس وطلحة وسعد ووقعت الصيحة في العسكر ان محمدا قتل فاشرف أبو سفيان وقال أفي القوم محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تجيبوه فقال أفي القوم ابن أبي قحافة فقال لا تجيبوه قال أفي القوم ابن الخطاب فقال ان هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا فلم يملك عمر نفسه فقال كذبت يا عدو الله أبقى الله لك ما يخزيك فقال أبو سفيان مرتجزا أعل هبل أعل هبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم أجيبوه فقالوا ما نقول قال قولوا الله أعلى وأجل قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا الله مولانا ولا مولى لكم قال أبو سفيان يوم بيوم بدر والحرب سجال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجيبوه قالوا ما نقول قال قولوا لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار * ولنرجع الى التفسير بوأته منزلا وبوأت له منزلا أنزلته فيه ومقاعد أي مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى استعمل المقعد والمقام في المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق وقوله قبل أن تقوم من مقامك أي من موضع حكمك ويحتمل انه صلى الله عليه وسلم لما أمرهم أن يثبتوا في تلك الامكنة ولا ينتقلوا عنها شبهت بالمقاعد لذلك ويحتمل أن المقاتلة قد يقعدون في الامكنة المعينة الى أن يلاقيهم العدو فيقوموا فلهذا

والارض ذكر أن معنى ذلك وجنة عرضها كعرض السموات السبع والارضين السبع اذا ضم بعضها الى بعض ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وجنة عرضها السموات والارض قال قال ابن عباس تقرن السموات السبع والارضون السبع كما تقرن الثياب بعضها الى بعض فذاك عرض الجنة وانما قيل وجنة عرضها السموات والارض فوصف عرضها بالسموات والارضين والمعنى ما وصفنا من وصف عرضها بعرض السموات والارض تشبيها به في السعة والعظم كما قيل ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة يعني الا كبعث نفس واحدة وكما قال الشاعر

كأن عذيرهم بجنوب سلى * نعام قاق في بلد قفار (١)

أي عذير نعام وكما قال الآخر

حسبت بغام راحلتي عناقا * وما هي ويب غيرك بالعناق

يريد صوت عناق وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل فقيل له هذه الجنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال هذا النهار اذا جاء أين الليل ذكر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني مسلم بن خالد عن ابن خثيم عن سعيد بن أبي راشد عن يعلى بن مرة قال لقيت التنوخي رسول هرقل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص شيخا كبيرا قد أقعد قال قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب هرقل فناول الصحيفة رجلا عن يساره قال قلت من صاحبكم الذي يقرأ قالوا معاوية فاذا هو انك كتبت تدعوني الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فأين النار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله فأين الليل اذا جاء النهار حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا سفيان عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن ناسا من اليهود سألوا عمر بن الخطاب عن جنة عرضها السموات والارض أين النار قال أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار فقالوا اللهم نزعت مثله من التوراة حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر أتاه ثلاثة نفر من أهل نجران فسألوه وعنده أصحابه فقالوا أرأيت قوله وجنة عرضها السموات والارض فأين النار فأحجم الناس فقال عمر أرأيتم اذا جاء الليل أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل فقالوا نزعت مثلها من التوراة حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا شعبة عن ابراهيم بن مهاجر عن طارق بن شهاب عن عمر بنحوه في الثلاثة الرهط الذين أتوا عمر فسألوه عن جنة عرضها كعرض السموات والارض بمثل حديث قيس بن مسلم حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا جعفر ابن عون قال أخبرنا الاعمش عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب قال جاء رجل من اليهود الى عمر فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض أين تكون النار فقال له عمر أرأيت النهار اذا جاء أين يكون الليل أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار فقال انه لمثلها في التوراة فقال له صاحبه لم أخبرته فقال له صاحبه دعه انه بكل موقن حدثني أحمد بن حازم قال أخبرنا أبو نعيم قال ثنا جعفر بن برقان قال ثنا يزيد الأصم أن رجلا من أهل الكتاب أتى ابن عباس فقال تقولون جنة عرضها السموات والارض فأين النار فقال ابن عباس أرأيت الليل اذا جاء أين يكون النهار واذا جاء النهار أين يكون الليل وأما قوله أعدت للمتقين فانه يعني ان الجنة التي عرضها كعرض السموات والارضين السبع أعدها الله للمتقين الذين اتقوا الله فأطاعوه فيما أمرهم ونهاهم فلم يتعدوا حدوده ولم يقصروا

(١) أي كأن حالهم حال نعام الخ

سميت تلك المواضع مقاعد (والله سميع) لأقوالكم (عليم) بضمائركم ونياتكم فانا بينا أنه كان في القوم موافق ومنافق (اذ همت طائفتان منكم) هما حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان (١٦١) أن تفشلا والفشل الجبن والخور والظاهر

في واجب حقه عليهم فيضيعوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين أي ذلك لمن أطاعني وأطاع رسولي ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) يعني جل ثناؤه بقوله الذين ينفقون في السراء والضراء أعدت الجنة التي عرضها السموات والارض للمتقين وهم المنفقون أموالهم في سبيل الله اما في صرفه على محتاج واما في تقوية مضعف على النهوض للجهاد في سبيل الله وأما قوله في السراء فانه يعني في حال السرور بكثرة المال ورخاء العيش والسراء مصدر من قولهم سرني هذا الامر مسرة وسرورا والضراء مصدر من قولهم قد ضر فلان فهو يضر اذا أصابه الضر وذلك اذا أصابه الضيق والجهد في عيشه حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله الذين ينفقون في السراء والضراء يقول في العسر واليسر فأخبر جل ثناؤه أن الجنة التي وصف صفتها لمن اتقاه وأنفق ماله في حال الرخا والسعة وفي حال الضيق والشدة في سبيله وقوله والكاظمين الغيظ يعني والجارعين الغيظ عند امتلاء نفوسهم منه يقال منه كظم فلان غيظه اذا تجرعه فحفظ نفسه من أن تمضي ما هي قادرة على امضائه باستمكانها ممن غاظها وانتصارها ممن ظلمها وأصل ذلك من كظم القربة يقال منه كظمت القربة اذا ملأتها ماء وفلان كظيم ومكظوم اذا كان ممتلئا غما وحزنا ومنه قول الله عز وجل وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم يعني ممتلئ من الحزن ومنه قيل لمجاري المياه الكظائم لامتلائها بالماء ومنه قيل أخذت بكظمه يعني بمجاري نفسه والغيظ مصدر من قول القائل غاظني فلان فهو يغيظني غيظا وذلك اذا أحفظه وأغضبه وأما قوله والعافين عن الناس فانه يعني والصافحين عن الناس عقوبة ذنوبهم اليهم وهم على الانتقام منهم قادرون فتاركوها لهم وأما قوله والله يحب المحسنين فانه يعني فان الله يحب من عمل بهذه الامور التي وصف أنه أعد للعاملين بها الجنة التي عرضها السموات والارض والعاملون بها هم المحسنون واحسانهم هو عملهم بها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين ينفقون في السراء والضراء الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين أي وذلك الاحسان وأنا أحب من عمل به حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين قوم أنفقوا في العسر واليسر والجهد والرخاء فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله فنعمت والله يا ابن آدم الجرعة تجترعها من صبر وأنت مغيظ وأنت مظلوم حدثني موسى بن عبد الرحمن قال ثنا محمد بن بشر قال ثنا محرز أبو رجاء عن الحسن قال يقال يوم القيامة ليقم من كان له على الله أجر فما يقوم الا انسان عفا ثم قرأ هذه الآية والعافين عن الناس والله يحب المحسنين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا داود بن قيس عن زيد بن أسلم عن رجل من أهل الشأم يقال له عبد الجليل عن عم له عن أبي هريرة في قوله والكاظمين الغيظ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأه الله أمنا وايمانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله والكاظمين الغيظ الى والله يحب المحسنين فالكاظمين الغيظ كقوله واذا ما غضبوا هم يغفرون يغضبون في الامر لو وقعوا به كان حراما فيغفرون ويعفون يلتمسون بذلك وجه الله والعافين عن الناس كقوله ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة الى ألا تحبون أن يغفر الله لكم يقول لا تقسموا على أن لا تعطوهم من

أنهما كانت عزيمة ممضاة ولكنها كانت حديث نفس وقلما تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع فان ساعدها صاحبها دام وان ردها الى الثبات والصبر فلا بأس بما فعل وعن معاوية أنه قال عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة

أقول لها اذا جشأت وجاشت
مكانك تحمدي أو تستريحي

ومما يدل على أن ذلك الهم لم يفض الى حد العصيان قوله تعالى والله وليهما ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية ويجوز أن يراد والله ناصرهما ومتولي أمرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان على الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) والتوكل تفعل من وكل أمره الى فلان اذا اعتمد في كفايته عليه ولم يتوله بنفسه وفيه اشارة الى أن الانسان يجب أن يدفع ما يعرض له من مكروه وآفة بالتوكل على الله وأن يصرف الجزع عن نفسه بذلك عن جابر فينا نزلت اذ همت طائفتان نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله والله وليهما أخرجاه في الصحيحين ومع ذلك قال بعض العلماء ان الله أبهم ذكرهما وستر عليهما ولا يجوز لنا أن نهتك ذلك الستر (ولقد نصركم الله ببدر) وانه ماء بين مكة والمدينة عن الواقدي أنه اسم لماء بعينه وعن الشعبي انه سمي باسم رجل كان ذلك الماء له (وأنتم أذلة) انما جاء

بجمع القلة دون الاذلاء الذي هو للكثرة ليدل على أنهم مع قلة العدد وهو المراد بذلتهم كانوا قليلي العدد أيضا كما مر في تفسير قوله قد كان لكم آية ولم يعن بالذلة ههنا نقيض العزة لقوله ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين أو لعل المراد أنهم كانوا أذلة في زعم المشركين وفي

النفقة شيأ واعفوا واصفحوا ۞ القول فى تأويل قوله (والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) يعنى بقوله جل ثناؤه والذين اذا فعلوا فاحشة أن الجنة التى وصف صفتها أعدت للمتقين المنفقين فى السراء والضراء والذين اذا فعلوا فاحشة وجميع هذه النعوت من صفة المتقين الذين قال تعالى ذكره وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن ثابت البنانى قال سمعت الحسن قرأ هذه الآية الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم الى أجر العاملين فقال ان هذين النعتين لنعت رجل واحد حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مجاهد والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال هذان ذنبان الفاحشة ذنب وظلموا أنفسهم ذنب أما الفاحشة فهى صفة لمتروك ومعنى الكلام والذين اذا فعلوا فعلة فاحشة ومعنى الفاحشة الفعلة القبيحة الخارجة عما أذن الله عز وجل فيه وأصل الفحش القبح والخروج عن الحد والمقدار فى كل شئ ومنه قيل للطويل المفرط الطول انه لفاحش الطول يراد به قبيح الطول خارج عن المقدار المستحسن ومنه قيل للكلام القبيح غير القصد كلام فاحش وقيل للمتكلم به أفحش فى كلامه اذا نطق بفحش وقيل ان الفاحشة فى هذا الموضع معنى بها الزنا ذكر من قال ذلك حدثنا العباس بن عبد العظيم قال ثنا حبان قال ثنا حماد عن ثابت عن جابر والذين اذا فعلوا فاحشة قال زنى القوم ورب الكعبة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى والذين اذا فعلوا فاحشة أما الفاحشة فالزنا وقوله أو ظلموا أنفسهم يعنى به فعلوا بأنفسهم غير الذى كان ينبغى لهم أن يفعلوا بها والذى فعلوا من ذلك ركوبهم من معصية الله ما أوجبوا لها به عقوبته كما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن منصور عن ابراهيم قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم قال الظلم من الفاحشة والفاحشة من الظلم وقوله ذكروا الله يعنى بذلك ذكروا وعيد الله على ما أتوا من معصيتهم اياه فاستغفروا لذنوبهم يقول فسألوا ربهم أن يستر عليهم ذنوبهم بصفحه لهم عن العقوبة عليها ومن يغفر الذنوب الا الله يقول وهل يغفر الذنوب أى يعفو عن راكبها فيسترها عليه الا الله ولم يصروا على ما فعلوا يقول ولم يقيموا على ذنوبهم التى أتوها ومعصيتهم التى ركبوها وهم يعلمون يقول لم يقيموا على ذنوبهم عامدين للمقام عليها وهم يعلمون أن الله قد تقدم بالنهى عنها وأوعد عليها العقوبة من ركبها وذكر أن هذه الآية أنزلت خصوصا بتخفيفها ويسرها أمتنا مما كانت بنو اسرائيل ممتحنة به من عظيم البلاء فى ذنوبها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عطاء بن أبى رباح أنهم قالوا يا نبى الله بنو اسرائيل أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة فى عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الى قوله والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأ هؤلاء الآيات حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى عمر بن خليفة العبدى قال ثنا على بن زيد بن جدعان قال قال ابن مسعود كانت بنو اسرائيل اذا أذنبوا أصبح مكتوبا على بابه الذنب وكفارته فأعطينا خيرا من ذلك هذه الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا

اعتقادهم لقلة عددهم وسلاحهم كما حكى عنهم ليخرجن الأعز منها الاذل أو لعل الصحابة كانوا قد شاهدوا الكفار فى مكة فى غاية القوة والشوكة والى هذا الوقت ما اتفق لهم استيلاء على أولئك الكفار فكانت هيبتهم باقية فى نفوسهم فاتقوا الله فى الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بسبب تقواكم ما أنعم به عليكم من نصره أو لعل الله ينعم عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له (اذ تقول للمؤمنين) اختلف المفسرون فى أن هذا الوعد حصل يوم بدر فيكون العامل فى اذ قوله نصركم أو حصل يوم أحد فيكون بدلا ثانيا من اذ غدوت والاول قول أكثر المفسرين لان الكلام متصل بقصة بدر ولان العدد والعدد يوم بدر أقل وكان الاحتياج الى المدد أكثر والثانى مروى عن ابن عباس والكلبى والواقدى ومقاتل ومحمد بن اسحق لان المدد يوم بدر كان بألف من الملائكة لقوله تعالى فى سورة الأنفال فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة دون ثلاثة الاف وخمسة آلاف فأنى صاروا خمسة آلاف وأجيب بأنهم أمدوا بألف ثم زيد ألفان فصاروا ثلاثة آلاف ثم زيدت ألفان آخران فصاروا خمسة آلاف فكأنه قيل لهم ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بألف من الملائكة فقالوا بلى ثم قيل ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف فقالوا بلى ثم قيل لهم ان تصبروا وتتقوا يمددكم ربكم بخمسة آلاف وهو كما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أيسركم أن تكونوا ربع أهل الجنة قالوا نعم قال أيسركم أن تكونوا ثلث أهل الجنة قالوا نعم قال فانى أرجو أن تكونوا ثلث أهل الجنة وأيضا لعل أهل بدر أمدوا بألف ثم بلغهم أن بعض المشركين يدا مداد قريش بعدد كثير فخافوا وشق ذلك عليهم لقلة عددهم فوعدهم الله بان الكفار ان جاءهم مدد فأنا أمدكم بخمسة آلاف من الملائكة ثم انه لم يأت قريشا ذلك المدد بل انصرفوا حين بلغهم هزيمة قريش فاستغنى عن

يحيى

إمداد المسلمين بالزيادة على الالف قالوا ان الكفار كانوا يوم بدر ألفا والمسلمون على الثلث منهم فأنزل الله ألفا من الملائكة بعدد الكفار وأما يوم أحد فكان عدد المسلمين ألفا وعدد الكفار ثلاثة آلاف فلا جرم أنزل الله ثلاثة آلاف من (٦٣) الملائكة بعدد الكفار أيضا ثم وعدهم أن يجعل الثلاثة الآلاف خمسة آلاف إن صبروا واتقوا وأجيب بأن هذا تقريب حسن ولكنه لا يغلب على الظن أن يكون الامر كذلك قالوا قال تعالى ويأتوكم من فورهم ويوم أحد هو الذي كان يأتيهم الاعداء أما يوم بدر فهم ذهبوا الى الاعداء وأجيب بأن المشركين لما سمعوا يوم بدر أن الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد تعرضوا للعير ثار الغضب في قلوبهم واجتمعوا وقصدوا النبي صلى الله عليه وسلم ثم ان الصحابة لما سمعوا ذلك خافوا فأخبرهم الله تعالى أنهم ان يأتوكم من فورهم يمددكم ربكم بخمسة آلاف ثم قالوا في وجه النظم انه تعالى ذكر قصة أحد ثم قال وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي يجب أن يكون توكلكم على الله لا على كثرة عددكم وعددكم ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة ثم عاد الى قصة أحد ثم انزال خمسة آلاف كان مشروطا بشرط ان يصبروا ويتقوا ثم انهم لم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا بل خالفوا أمر الرسول فلما فات الشرط لا جرم فات المشروط وأما انزال ثلاثة آلاف فانه صلى الله عليه وسلم وعدهم ذلك بشرط أن يثبتوا في تلك المقاعد فلما أهملوا الشرط لم يحصل المشروط روى الواقدي عن مجاهد أنه قال حضرت الملائكة يوم أحد ولكنهم لم يقاتلوا وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أعطى اللواء مصعب بن عمير فقتل مصعب فأخذه ملك في صورة مصعب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم يا مصعب فقال الملك لست بمصعب فعرف الرسول صلى الله عليه وسلم أنه ملك أمد به وعن سعد بن أبي وقاص أنه قال كنت أرمي السهم يومئذ فيرده علي رجل أبيض حسن الوجه وما كنت أعرفه فظننت أنه ملك هذا حاصل تقرير القولين واختلفوا أيضا

يحيى بن واضح قال ثنا جعفر بن سليمن عن ثابت البناني قال لما نزلت ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه بكى ابليس فزعا من هذه الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا جعفر بن سليمن عن ثابت البناني قال بلغني أن ابليس حين نزلت هذه الآية والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بكى حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت عثمان مولى آل أبي عقيل الثقفي قال سمعت علي بن ربيعة يحدث عن رجل من فزارة يقال له أسماء أو ابن أسماء عن علي قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ نفعني الله بما شاء أن ينفعني فحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد قال شعبة وأحسبه قال مسلم يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي ركعتين ثم يستغفر الله لذلك الذنب (١) وقال شعبة وقرأ احدى هاتين الآيتين من يعمل سوأ يجز به والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي وحدثنا الفضل بن اسحق قال ثنا وكيع عن مسعر وسفيان عن عثمان بن المغيرة الثقفي عن علي بن ربيعة الوالبي عن أسماء بن الحكم الفزاري عن علي بن أبي طالب قال كنت اذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعني الله بما شاء منه واذا حدثني عنه غيره استحلفته فاذا حلف لي صدقته وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يذنب ذنبا ثم يتوضأ ثم يصلي قال أحدهما ركعتين وقال الآخر ثم يصلي ويستغفر الله الا غفر له حدثنا الزبير بن بكار قال ثني سعد بن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أخيه عن جده عن علي بن أبي طالب أنه قال ما حدثني أحد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا سألته أن يقسم لي بالله لهو سمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أبا بكر فانه كان لا يكذب قال علي رضي الله عنه فحدثني أبو بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من عبد يذنب ذنبا ثم يقوم عند ذكر ذنبه فيتوضأ ثم يصلي ركعتين ويستغفر الله من ذنبه ذلك الا غفر الله له وأما قوله ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم فانه كما بينا تأويله وبنحو ذلك كان أهل التأويل يقولون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنا ابن اسحق والذين اذا فعلوا فاحشة أي ان أتوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم بمعصية ذكروا نهي الله عنها وما حرم الله عليهم فاستغفروا لها وعرفوا أنه لا يغفر الذنوب الا هو وأما قوله ومن يغفر الذنوب الا الله فان اسم الله مرفوع ولا جحد قبله وانما يرفع ما بعد الا باتباعه ما قبله اذا كان نكرة ومعه جحد كقول القائل ما في الدار أحد الا أخوك فأما اذا قيل قام القوم الا أباك فان وجه الكلام في الاب النصب ومن بصلته في قوله ومن يغفر الذنوب الا الله معرفة فان ذلك انما جاء رفعا لان معنى الكلام وهل يغفر الذنوب أحد أو ما يغفر الذنوب أحد الا الله فرفع ما بعد الا من الله على تأويل الكلام لا على لفظه وأما قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فان أهل التأويل اختلفوا في تأويل الاصرار ومعنى هذه الكلمة فقال بعضهم معنى ذلك لم يثبتوا على ما أتوا من الذنوب ولم يقيموا عليه ولكنهم تابوا واستغفروا كما وصفهم الله به ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون فاياكم والاصرار فانما هلك المصرون الماضون قدما لا ينهاهم مخافة الله عن حرام حرمه الله عليهم ولا يتوبون من ذنب أصابوه حتى أتاهم الموت وهم على

(١) كذا في النسخ ولعله سقط من قلم الناسخ لفظ الا غفر له كما هو في الروايات بعد اهـ كتبه مصححه

فى عدد الملائكة فمنهم من ضم العدد الناقص الى العدد الزائد لان الوعد بامداد الثلاثة الآلاف لاشرط فيه والوعد بامداد خمسة الآلاف
مشروط بالصبر والتقوى ومجىء الكفار من (٦٤) فورهم فهما متغايران وعلى هذا ان حملنا الآية على قصة بدر وقد ورد فيها ذكر الالف
فى موضع آخر فيكون المجموع تسعة
الاف وان حملناها على قصة أحد
كان الجميع ثمانية آلاف ومنهم
من أدخل الناقص فى الزائد فقال
وعدوا بالف ثم زيد ألفان فصح أن
يقال وعدوا بثلاثة آلاف ثم زيد
ألفان آخران فوعدوا بخمسة
آلاف وأجمع أهل التفسير وأرباب
السير انه تعالى أنزل الملائكة يوم
بدر وأنهم قاتلوا الكفار وعن ابن
عباس انه لم تقاتل الملائكة سوى
يوم بدر وفيما سواه كانوا عددا ومددا
لا يقاتلون ولا يضربون ومنهم
من قال ان نصر الملائكة بالقاء الرعب
فى قلوب الكفار وباشعار المؤمنين
بان النصرة لهم وأما أبو بكر الاصم
فقد أنكر امداد الملائكة وقال
ان الملك الواحد يكفى فى اهلاك
أهل الارض كما فعل جبريل
بمدائن قوم لوط فاذا حضر هو
يوم بدر فأى حاجة الى مقاتلة
الناس مع الكفار وبتقدير حضوره
فأى فائدة فى ارسال سائر الملائكة
وأيضا فان أكابر الكفار كانوا
مشهورين وقاتل كل منهم من
الصحابة معلوم وأيضا لو قاتلوا فاما أن
يكونوا بحيث يراهم الناس أولا
وعلى الاول كان المشاهد من عسكر
الرسول ثلاثة آلاف وأكثر ولم يقل
أحد بذلك ولانه خلاف قوله
ويقللكم فى أعينهم ولو كانوا فى غير
صورة الناس لزم وقوع الرعب الشديد
فى قلوب الخلق ولم ينقل ذلك البتة
وعلى الثانى كان يلزم جز الرؤس
وتمزيق البطون واسقاط الكفار عن
الافراس من غير مشاهدة فاعل لهذه الافعال ومثل هذا يكون من أعظم المعجزات فكان يجب أن يتواتر ويشتهر بين الكافر
والمسلم والموافق والمخالف وأيضا انهم لو كانوا أجساما كثيفة وجب أن يراهم الكل وان كانوا أجساما لطيفة هوائية فكيف ثبتوا على الخيول

ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولم يصروا
على ما فعلوا وهم يعلمون قال قدما قدما فى معاصى الله لا ينهاهم مخافة الله حتى جاءهم أمر الله
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أى لم يقيموا على
معصيتى كفعل من أشرك بى فيما عملوا به من كفر بى * وقال آخرون معنى ذلك لم يواقعوا الذنب
اذا هموا به ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر
عن الحسن فى قوله ولم يصروا على ما فعلوا قال اتيان العبد ذنبا اصرار حتى يتوب حدثنى محمد
ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله عز وجل ولم يصروا
على ما فعلوا قال لم يواقعوا * وقال آخرون معنى الاصرار السكوت على الذنب وترك الاستغفار
ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن
السدى ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أما يصروا فيسكتوا ولا يستغفروا * وأولى الاقوال
فى ذلك بالصواب عندنا قول من قال الاصرار الاقامة على الذنب عامدا أو ترك التوبة منه ولا معنى
لقول من قال الاصرار على الذنب هو مواقعته لان الله عز وجل مدح بترك الاصرار على الذنب
مواقع الذنب فقال والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن
يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولو كان المواقع الذنب مصرا بمواقعته اياه
لم يكن للاستغفار وجه مفهوم لان الاستغفار من الذنب انما هو التوبة منه والندم ولا يعرف
للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه وجه وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ما أصر من
استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة حدثنى بذلك الحسين بن يزيد السبيعى قال ثنا عبد الحميد
الحمانى عن عثمان بن واقد عن أبى نصيرة عن مولى لأبى بكر عن أبى بكر عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فلو كان مواقع الذنب مصرا لم يكن لقوله ما أصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة معنى
لان مواقعة الذنب اذا كانت هى الاصرار فلا يزيل الاسم الذى لزمه معنى غيره كما لا يزيل عن الزانى
اسم زان وعن القاتل اسم قاتل توبته منه ولا معنى غيرها وقد أبان هذا الخبر أن المستغفر من
ذنبه غير مصر عليه فمعلوم بذلك أن الاصرار غير المواقعة وأنه المقام عليه على ما قلنا قبل واختلف
أهل التأويل فى تأويل قوله وهم يعلمون فقال بعضهم معناه وهم يعلمون أنهم قد أذنبوا ذكر
من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما
وهم يعلمون فيعلمون أنهم قد أذنبوا ثم أقاموا فلم يستغفروا * وقال آخرون معنى ذلك وهم
يعلمون أن الذى أتوا معصية الله ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن
اسحق وهم يعلمون قال يعلمون ما حرمت عليهم من عبادة غيرى * قال أبو جعفر وقد تقدم بياننا
أولى ذلك بالصواب ﴿القول فى تأويل قوله (أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من
تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين) يعنى تعالى ذكره بقوله أولئك الذين ذكر أنه
أعد لهم الجنة التى عرضها السموات والارض من المتقين ووصفهم بما وصفهم به ثم قال هؤلاء
الذين هذه صفتهم جزاؤهم يعنى ثوابهم من أعمالهم التى وصفهم تعالى ذكره أنهم عملوها مغفرة من
ربهم يقول عفو لهم من الله عن عقوبتهم على ما سلف من ذنوبهم ولهم على ما أطاعوا الله فيه من
أعمالهم بالحسن منها جنات وهى البساتين تجرى من تحتها الانهار يقول تجرى خلال أشجارها
الانهار وفى أسافلها جزاء لهم على صالح أعمالهم خالدين فيها يعنى دائمى المقام فى هذه الجنات التى
وصفها

* واعلم أن هذه الشبه لا يليق ايرادها بقوانين الشريعة و بمن يدعي التمسك بها و يعترف بانه تعالى قادر على ما يشاء فاعل لما يريد فما كان يليق بالاصم ايرادها مع أن نص القرآن ناطق بها و ورودها في الاخبار قريب من التواتر روى عبيد بن عمير قال لما رجعت قريش من أحد جعلوا يتحدثون في أنديتهم بما ظفروا و يقولون لم نر الخيل البلق ولا الرجال البيض الذين كنا نراهم يوم بدر والتحقيق في هذا المقام أن التكليف ينافي الالجاء وانه تعالى قادر على اهلاك جميع الكفار في لحظة واحدة بملك واحد بل بادنى من ذلك أو بلا سبب وكذا على أن يجبرهم على الاسلام ويقسرهم عليه لكنه لما أراد اشادة هذا الدين على مهل وتدريج وبواسطة الدعوة وبطريق الابتلاء والتكليف فلا جرم أجرى الامور على ما أجرى فله الحمد على ما أولى وله الحكم في الآخرة والاولى والحاصل أن اهلاك قوم لوط كان بعد انقضاء تكليفهم وهو حين نزول البأس فلا جرم أظهر القدرة وجعل عاليها سافلها وفي حرب أحد كان الزمان زمان تكليف فلا جرم أظهر الحكمة ليتميز الموافق من المنافق والثابت من المضطرب فانه لو جرى الامر في أحد كما جرى في بدر أشبه به أن يفضي الامر الى حد الالجاء ونافى التكليف ونوط الثواب والعقاب به ولمثل ذلك أمد بالملائكة حين أمد على عادة الامداد بالعساكر والافلاك واحد يكفي في اهلاك كثير من الناس فاعلم ولنعد الى تفسير الالفاظ قال صاحب الكشاف انما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة ليقوى قلوبهم و يعزموا على الثبات و يثقوا بنصر الله ومعنى ألن يكفيكم انكار أن لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذي هو تأكيد النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم كالآيسين من النصر ومعنى الكفاية سد الخلة والقيام بما يجب ومعنى الامداد اعطاء الشيء حالا بعد حال قال بعضهم ما كان على جهة القوة

وصفها ونعم أجر العاملين يعني ونعم جزاء العاملين لله الجنات التي وصفها كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين أي ثواب المطيعين ۞ القول في تأويل قوله (قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني بقوله تعالى ذكره قد خلت من قبلكم سنن مضت وسلفت مني فيمن كان قبلكم يا معشر أصحاب محمد وأهل الايمان به من نحو قوم عاد وثمود وقوم هود وقوم لوط وغيرهم من سلاف الامم قبلكم سنن يعني مثلات سير بها فيهم وفيمن كذبوا به من أنبيائهم الذين أرسلوا اليهم بامهالي أهل التكذيب بهم واستدراجي اياهم حتى بلغ الكتاب فيهم أجله الذي أجلته لادالة أنبيائهم وأهل الايمان بهم عليهم ثم أحللت بهم عقوبتي وأنزلت بساحتهم نقمتي فتركتهم لمن بعدهم أمثالا وعبرا (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يقول فسيروا أيها الظانون أن ادالتي من أدلت من أهل الشرك يوم أحد على محمد وأصحابه لغير استدراج مني لمن أشرك بي وكفر برسلي وخالف أمري في ديار الامم الذين كانوا قبلكم ممن كان على مثل الذي عليه هؤلاء المكذبون برسولي والجاحدون وحدانيتي فانظروا كيف كان عاقبة تكذيبهم أنبيائي وما الذي آل اليه غب خلافهم أمري وانكارهم وحدانيتي فتعلموا عند ذلك أن ادالتي من أدلت من المشركين على نبيي محمد وأصحابه بأحد انما هي استدراج وامهال ليبلغ الكتاب أجله الذي أجلت لهم ثم اما أن يؤل حالهم الى مثل ما آل اليه حال الامم الذين سلفوا قبلهم من تعجيل العقوبة عليهم أو ينيبوا الى طاعتي واتباع رسولي وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر قال ثنا عباد عن الحسن في قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فقال ألم تسيروا في الارض فتنظروا كيف عذب الله قوم نوح وقوم لوط وقوم صالح والامم التي عذب الله عز وجل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله قد خلت من قبلكم سنن يقول في الكفار والمؤمنين والخير والشر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قد خلت من قبلكم سنن في المؤمنين والكفار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال استقبل ذكر المصيبة التي نزلت بهم يعني بالمسلمين يوم أحد والبلاء الذي أصابهم والتمحيص لما كان فيهم واتخاذه الشهداء منهم فقال تعزية لهم وتعريفا لهم فيما صنعوا وما هو صانع بهم قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين أي قد مضت مني وقائع نقمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي عاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين فسيروا في الارض تروا مثلات قد مضت فيهم ولمن كان على مثل ما هم عليه مثل ذلك مني وان أمكنت لهم أي لئلا يظنوا أن نقمتي انقطعت عن عدوهم وعدوي للدولة التي أدلتها عليكم بها لأبتليكم بذلك لأعلم ما عندكم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين يقول متعهم في الدنيا قليلا ثم صيرهم الى النار وأما السنن فانها جمع سنة والسنة هي المثال المتبع والامام المؤتم به يقال منه سن فلان فينا سنة حسنة وسن سنة سيئة اذا عمل عملا اتبع عليه من خير وشر ومنه قول لبيد بن ربيعة

من معشر سنت لهم آباؤهم * ولكل قوم سنة وامامها

والاعانة قيل فيه أمده بمده وما كان على جهة الزيادة قيل فيه مده بمده وقرئ منزلين بكسر الزاى بمعنى منزلين النصر بلى ايجاب لما بعد لن أى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية (٦٦) ثم قال ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم يعنى المشركين من فورهم هذا أى من ساعتهم هذه والفور مصدر من فارت القدر اذا غلت ثم استعمل فى معنى السرعة يقال جاء فلان ورجع من فوره ومنه قول الاصوليين الامر للفور أو للتراخى ثم سميت به الحالة التى لا توقف فيها على صاحبها فقيل خرج من فوره كما يقال من ساعته لم يلبث جعل مجىء خمسة آلاف مشروطا بثلاثة أشياء الصبر والتقوى ومجىء الكفار على الفور فلما لم توجد هذه الشرائط بكلها أو بجلها فلا جرم لم يوجد المشروط ويحتمل أن يعلق قوله من فورهم هذا بما بعده أى عددكم ربكم بالملائكة فى حال اتيانهم لا يتأخر النزول عن الاتيان وفيه بشارة بتعجيل النصر والفتح ان صبروا وعن الغنائم واتقوا مخالفة الرسول وقوله مسومين من السومة العلامة وقد يعلم الفارس يوم اللقاء بعلامة ليعرف بها فمن قرأ بكسر الواو فمعناه معلمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات مخصوصة ومن قرأ بالفتح فالمعنى أن الله سومهم قال الكلبى معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض فى نواصى الخيول وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه يوم بدر تسوموا فان الملائكة قد تسومت وقيل مسومين مرسلين من أسمت الابل وسومتها أرسلتها للرعى فالمعنى أن الملائكة أرسلت فيه خيولهم على الكفار لقتلهم وأسرهم أو أن الله تعالى أرسلهم على المشركين لنهلكوهم كما تهلك الماشية النبات فى المراعى ، وما جعله الله الضمير

وقول سليمن بن قتة

وان الألى بالطف من آل هاشم * تآسوا فسنوا للكرام التآسيا

وقال ابن زيد فى ذلك ما حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله قد خلت من قبلكم سنن قال أمثال ❁ القول فى تأويل قوله عز وجل (هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين) اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى أشير اليه بهذا فقال بعضهم عنى بقوله هذا القرآن ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى قال ثنا عباد عن الحسن فى قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين قال هذا القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله هذا بيان للناس وهو هذا القرآن جعله الله بيانا للناس عامة وهدى وموعظة للمتقين خصوصا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال فى قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج فى قوله هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين خاصة * وقال آخرون انما أشير بقوله هذا الى قوله قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ثم قال هذا الذى عرفتكم يا معشر أصحاب محمد بيان للناس ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بذلك * وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول من قال قوله هذا اشارة الى ما تقدم هذه الآية من تذكير الله جل ثناؤه المؤمنين وتعريفهم حدوده وحضهم على لزوم طاعته والصبر على جهاد أعدائه وأعدائهم لان قوله هذا اشارة الى حاضر اما مرئى وأما مسموع وهو فى هذا الموضع الى حاضر مسموع من الآيات المتقدمة فمعنى الكلام هذا الذى أوضحت لكم وعرفتكموه بيان للناس يعنى بالبيان الشرح والتفسير كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هذا بيان للناس أى هذا تفسير للناس ان قبلوه حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبى هذا بيان للناس قال من العمى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن الشعبى مثله وأما قوله وهدى وموعظة فانه يعنى بالهدى الدلالة على سبيل الحق ومنهج الدين وبالموعظة التذكرة للصواب والرشاد كما حدثنا أحمد بن حازم والمثنى قالا ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن بيان عن الشعبى وهدى قال من الضلالة وموعظة من الجهل حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرازق قال أخبرنا الثورى عن بيان عن الشعبى مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق للمتقين أى لمن أطاعنى وعرف أمرى ❁ القول فى تأويل قوله (ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين) وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما أصابهم من الجراح والقتل بأحد قال ولا تهنوا ولا تحزنوا يا أصحاب محمد يعنى ولا تضعفوا بالذى نالكم من عدوكم بأحد من القتل والقروح عن جهاد عدوكم وحربهم من قول القائل وهن فلان فى هذا الامر فهو يهن وهنا ولا تحزنوا ولا تأسوا فتجزعوا على ما أصابكم من المصيبة يومئذ فانكم أنتم الأعلون يعنى الظاهرون عليهم ولكم العقبى فى الظفر والنصرة عليهم ان كنتم مؤمنين يقول ان كنتم مصدقى نبيى محمد صلى الله عليه وسلم فيما يعدكم وفيما ينبئكم من الخبر عما يؤول اليه أمركم وأمرهم كما حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن يونس عن الزهرى قال كثر فى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم القتل والجراح حتى خلص الى كل امرئ منهم اليأس فانزل الله عز وجل القرآن فآسى

فيه المؤمنين بأحسن ما آسى به قوما من المسلمين كانوا قبلهم من الامم الماضية فقال ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين الى قوله لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين يعزي أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كما تسمعون ويحثهم على قتال عدوهم وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي قال ثنا عباد عن الحسن في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين قال يأمر محمدا يقول ولا تهنوا أن تمضوا في سبيل الله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل ولا تهنوا ولا تضعفوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ولا تهنوا ولا تحزنوا يقول ولا تضعفوا حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج ولا تهنوا قال ابن جريج ولا تضعفوا في أمر عدوكم ولا تحزنوا وأنتم الأعلون قال انهزم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب فقالوا ما فعل فلان ما فعل فلان فنعى بعضهم بعضا وتحدثوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فكانوا في هم وحزن فبينماهم كذلك اذ علا خالد بن الوليد الجبل بخيل المشركين فوقهم وهم أسفل في الشعب فلما رأوا النبي صلى الله عليه وسلم فرحوا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا قوة لنا الا بك وليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر قال وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا فرموا خيل المشركين حتى هزمهم الله وعلا المسلمون الجبل فذلك قوله وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تهنوا أي لا تضعفوا ولا تحزنوا ولا تأسوا على ما أصابكم وأنتم الأعلون أي لكم تكون العاقبة والظهور ان كنتم مؤمنين ان كنتم صدقتم نبيي بما جاءكم به عني حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال أقبل خالد بن الوليد يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا فانزل الله عز وجل ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين

❁ القول في تأويل قوله ﴿ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله﴾ اختلف القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل الحجاز والمدينة والبصرة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله كلاهما بفتح القاف بمعنى ان يمسسكم القتل والجراح يا معشر أصحاب محمد فقد مس القوم من أعدائكم من المشركين قرح قتل وجراح مثله وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله(١) * وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله بفتح القاف في الحرفين لاجماع أهل التأويل على أن معناه القتل والجراح فذلك يدل على أن القراءة هي الفتح وكان بعض أهل العربية يزعم أن القرح والقرح لغتان بمعنى واحد والمعروف عند أهل العلم بكلام العرب ما قلنا ذكر من قال ان القرح الجراح والقتل حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القم قرح مثله قال جراح وقتل حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد

(١) أي بضم القاف فيهما ولعله سقط هنا من قلم الناسخ كتبه مصححه

عائد الى المدد أو الامداد الدال عليه الفعل وقال الزجاج وما جعل الله ذكر المدد الا بشرى وهي اسم من البشارة أي الا لتبشروا بأنكم تنصرون ولتطمئن قلوبكم به كما كانت السكينة لبني اسرائيل بشارة بالنصر وطمأنينة لقلوبهم (٦٧) وما النصر الا من عند الله لا من المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة ويربط به على قلوب المجاهدين وفيه تنبيه على أن ايمان العبد لا يكمل الا عند الاعراض عن الاسباب والاقبال بالكلية على مسببها وقوله العزيز اشارة الى كمال قدرته والحكيم اشارة الى كمال علمه فلا يخفى عليه حاجات العباد ولا يعجز عن انجاحها ليقطع طرفا أي طائفة وقطعة من الذين كفروا وانما حسن في هذا الموضع ذكر الطرف دون الوسط لانه لا وصول الى الوسط الا بعد الاخذ من الطرف كما قال أولم يروا أنا نأتي الارض ننقصها من أطرافها قاتلوا الذين يلونكم من الكفار أو يكبتهم الكبت في اللغة صرع الشئ على وجهه وفسره الأئمة ههنا بالاخزاء والاهلاك واللعن والهزيمة والغيظ والاذلال والكل متقارب فينقلبوا خائبين غير ظافرين بمبتغاهم قيل الخيبة لا تكون الا بعد التوقع ونقيضه الظفر وأما اليأس فقد يكون قبل التوقع وبعده ونقيضه الرجاء واللام في ليقطع يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد نصركم أو بقوله وما النصر ويحتمل أن يكون من تمام قوله ولتطمئن ولكنه ذكر بغير العاطف لانه اذا كان البعض قريبا من البعض جاز حذف العاطف كما يقول السيد لعبده اشتريتك لتخدمني لتعينني لتقوم بخدمتي قوله عز من قائل ليس لك من الامر شئ فيه قولان أحدهما وهو الاشهر أنه نزل في قصة أحد عن أنس بن مالك قال كسرت رباعية رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد ودمي وجهه فجعل يسيل الدم على وجهه ويقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم وفي رواية شج رأسه صلى الله عليه وسلم عتبة بن

أبي وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفي رواية عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن
أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم (٦٨) العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وفيها أو يتوب عليهم فتاب
الله على هؤلاء فحسن إسلامهم
وقيل نزلت في حمزة بن عبد
المطلب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم
لما رآه ورأى ما فعلوا به من المثلة
قال لأمثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل
أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا
أمره والذين انهزموا فمنعه الله عن
ذلك مروي عن ابن عباس وقيل
أراد أن يستغفر للمسلمين الذين
عصوا أمره فنزلت وقال القفال كل
هذه الامور وقعت يوم أحد فلا يمتنع
حمل نزول الآية في الكل (القول
الثاني) وإليه ذهب مقاتل أنها نزلت
في واقعة أخرى وهي أن النبي صلى
الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار
الصحابة زهاء سبعين إلى بني عامر
ليعلموهم القرآن فلما وصلوا إلى
موضع يقال له بئر معونة ذهب إليهم
عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم
وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على
الكفار في القنوت أربعين يوما
يقول بعد ما يرفع رأسه من الركعة
الثانية في الصبح اللهم العن بني لحيان
والعن رعلا وذكوان اللهم أنج
الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام
وعياش بن أبي ربيعة والمستضعفين
بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر
اللهم اجعلها عليهم سنين كسني
يوسف حتى أنزل الله عز وجل ليس
لك من الامر شيء ولا يخفى أن ظاهر
الآية يدل على أنه صلى الله عليه وسلم
كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ
يتوجه الاشكال بأن فعل ذلك الفعل
ان كان من الله تعالى فكيف منعه
منه وإلا فهو قدح في عصمته ومناف لقوله وما ينطق عن الهوى والجواب أن المنع من الفعل لا يدل على أن الممنوع مشتغل
به كقوله ولا تطع الكافرين مع أنه ما أطاعهم وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك مع أنه ما أشرك قط ولعله عليه السلام شاهد من قتل

مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ان يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر حدثنا بشر
قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح
الجراحة وذاكم يوم أحد فشا في أصحاب نبي الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة فأخبرهم
الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذي أصابكم وأن الذي أصابكم عقوبة حدثني
المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع في قوله ان يمسسكم قرح فقد مس
القوم قرح مثله قال ذلك يوم أحد فشا في المسلمين الجراح وفشا فيهم القتل فذلك قوله ان يمسسكم
قرح فقد مس القوم قرح مثله يقول ان كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله يعزي أصحاب
محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم على القتال حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال
ثنا أسباط عن السدي ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح هي الجراحات حدثنا
ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان يمسسكم قرح أي جراح فقد مس القوم قرح مثله أي
جراح مثلها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان
عن عكرمة عن ابن عباس قال نام المسلمون وبهم الكلوم يعني يوم أحد قال عكرمة وفيهم أنزلت ان
يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وأما تأويل قوله ان يمسسكم قرح فانه ان يصبكم
كما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ان يمسسكم
ان يصبكم ۞ القول في تأويل قوله (وتلك الايام نداولها بين الناس) يعني تعالى ذكره وتلك الايام
نداولها بين الناس أيام بدر وأحد ويعني بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولا بين الناس مصرفة
ويعني بالناس المسلمين والمشركين وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم
سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم
يقال منه أدال الله فلانا من فلان فهو يديله منه ادالة اذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال
منه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سنان قال ثنا
أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن وتلك الايام نداولها بين الناس قال جعل الله الايام دولا أدال
الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا
سعيد عن قتادة قوله وتلك الايام نداولها بين الناس انه والله لولا الدول ما أوذي المؤمنون ولكن قد
يدال للكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من
الكاذب حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع
قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فأظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين
يوم بدر وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد وقد يدال الكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله
من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب وأما من ابتلي منهم من المسلمين يوم أحد فكان
عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا
أسباط عن السدي وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لكم ويوما عليكم حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس نداولها بين الناس قال أدال المشركين على
النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثنا

أبي

حزنه وغيره ما أورثه حزنا شديدا وكان من الممكن أن يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته صلى الله عليه وسلم وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا أنه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه (٦٩) محمول على ترك الاولى والنهي ارشادا الى اختيار

أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه كان يوم أحد بيوم بدر قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل له الدولة عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد يا محمد ألا تخرج ألا تخرج الحرب سجال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدكم وموعدنا بدر الصغرى قال عكرمة وفيهم أنزلت وتلك الايام نداولها بين الناس حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن عباس في قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتلك الايام نداولها بين الناس أي نصرفها للناس للبلاء والتمحيص حدثني ابراهيم بن عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي قال ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد في قول الله وتلك الايام نداولها بين الناس قال يعني الامراء ۞ القول في تأويل قوله ﴿وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾ يعني بذلك تعالى ذكره وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله ليعلم متصلا بما قبله وكان وتلك الايام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بان الكلام متصل بما قبلها وأن بعدها خبرا مطلوبا اللام التي في قوله وليعلم متعلقة به فان قال قائل وكيف قيل وليعلم الله الذين آمنوا معرفة وأنت لا تستجيز في الكلام قد سألت فعلمت عبد الله وأنت تريد علمت شخصه الا أن تريد علمت صفته وما هو قيل ان ذلك انما جاز مع الذين لان في الذين تأويل من وأي وكذلك جائز مثله في الالف واللام كما قال تعالى ذكره وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لان في الالف واللام من تأويل أي ومن مثل الذي في الذي ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أي جاز كما يقال سألت لأعلم عبد الله من عمرو ويراد بذلك لأعرف هذا من هذا فتأويل الكلام وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس فاستغنى بقوله وليعلم الله الذين آمنوا منكم عن ذكر قوله من الذين نافقوا لدلالة الكلام عليه اذ كان في قوله الذين آمنوا تأويل أي على ما وصفنا فكأنه قيل وليعلم الله أيكم المؤمن كما قال جل ثناؤه لنعلم أي الحزبين أحصى غير أن الالف واللام والذي ومن اذا وضعت مع العلم موضع أي نصبت بوقوع العلم عليه كما قيل وليعلمن الكاذبين فاما أي فانها ترفع وأما قوله ويتخذ منكم شهداء فانه يعني وليعلم الله الذين آمنوا وليتخذ منكم شهداء أي ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها والشهداء جمع شهيد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء قال فان المسلمين كانوا يسألون ربهم ربنا أرنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبليك فيه خيرا ونلتمس فيه الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثنا

الافضل وأيضا ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به أنه خلاف مسؤله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى أن يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكاة ورحمة والله أعلم وقوله ليس لك من الامر شئ معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شئ فاني أعلم بمصالح عبادي أو المراد الامر الذي هو خلاف النهي أي ليس لك من أمر خلقي شئ الا ما يكون أمري وحكمي وقوله أو يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أي ليس لك من أمرهم شئ أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم ويجوز أن يكون معطوفا على شئ والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل أو قول الا ما كان باذنه وأمره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وأن لا يخوض العبد في أسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج أن قوله أو يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شئ كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذاك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي والمعنى ليس لك من أمرهم شئ الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند أهل السنة بخلق الندم فيهم [illegible] وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل

أبى وقاص يوم أحد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول الحديث فنزلت وفى رواية عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم لعن أقواما فقال اللهم العن أبا سفيان اللهم العن الحرث بن هشام اللهم العن صفوان بن أمية فنزلت هذه الآية وفيها أو يتوب عليهم فتاب الله على هؤلاء فحسن اسلامهم وقيل نزلت فى حمزة بن عبد المطلب وذلك أنه صلى الله عليه وسلم لما رآه ورأى مافعلوا به من المثلة قال لأمثلن منهم بثلاثين فنزلت وقيل أراد أن يلعن المسلمين الذين خالفوا أمره والذين انهزموا فمنعه الله عن ذلك مروى عن ابن عباس وقيل أراد أن يستغفر للمسلمين الذين عصوا أمره فنزلت وقال القفال كل هذه الامور وقعت يوم أحد فلا يمتنع حمل نزول الآية فى الكل (القول الثانى) واليه ذهب مقاتل أنها نزلت فى واقعة أخرى وهى أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث جمعا من خيار الصحابة زهاء سبعين الى بنى عامر ليعلموهم القرآن فلما وصلوا الى موضع يقال له بئر معونة ذهب اليهم عامر بن الطفيل مع عسكره وأخذهم وقتلهم فجزع من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم شديدا ودعا على الكفار فى القنوت أربعين يوما يقول بعد مايرفع رأسه من الركعة الثانية فى الصبح اللهم العن بنى لحيان والعن رعلا وذكوان اللهم أنج الوليد بن الوليد وسلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة والمستضعفين بمكة اللهم اشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف حتى أنزل الله عز وجل ليس لك من الامر شئ ولايخفى أن ظاهر الاية يدل على أنه صلى الله عليه وسلم كان يفعل فعلا فمنع منه وحينئذ يتوجه الاشكال بان فعل ذلك الفعل ان كان من الله تعالى فكيف منعه منه والا فهو قدح فى عصمته ومناف لقوله ومايـنطق عن الهوى والجواب أن المنع من الفعل لايدل على أن الممنوع مشتغل به كقوله ولاتطع الكافرين مع أنه ما أطاعهم وقوله لئن أشركت ليحبطن عملك مع أنه ما أشرك قط ولعله عليه السلام شاهد من قتل

مثله حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن فى قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ان يقتلوا منكم يوم أحد فقد قتلتم منهم يوم بدر حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح الجراحة وذاكم يوم أحد فشا فى أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم يومئذ القتل والجراحة فأخبرهم الله عز وجل أن القوم قد أصابهم من ذلك مثل الذى أصابكم وأن الذى أصابكم عقوبة حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله قال ذلك يوم أحد فشا فى المسلمين الجراح وفشا فيهم القتل فذلك قوله أن يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله يقول ان كان أصابكم قرح فقد أصاب عدوكم مثله يعزى أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ويحثهم على القتال حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله والقرح هى الجراحات حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان يمسسكم قرح أى جراح فقد مس القوم قرح مثله أى جراح مثلها حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال نام المسلمون وبهم الكلوم يعنى يوم أحد قال عكرمة وفيهم أنزلت ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وفيهم أنزلت ان تكونوا تألمون فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وأما تأويل قوله ان يمسسكم قرح فانه ان يصبكم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ان يمسسكم ان يصبكم ۞ القول فى تأويل قوله (وتلك الايام نداولها بين الناس) يعنى تعالى ذكره وتلك الايام نداولها بين الناس أيام بدر وأحد ويعنى بقوله نداولها بين الناس نجعلها دولا بين الناس مصرفة ويعنى بالناس المسلمين والمشركين وذلك أن الله عز وجل أدال المسلمين من المشركين ببدر فقتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين وأدال المشركين من المسلمين بأحد فقتلوا منهم سبعين سوى من جرحوا منهم يقال منه أدال الله فلانا من فلان فهو يديله منه ادالة اذا ظفر به فانتصر منه مما كان نال منه المدال منه وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفى عن عباد عن الحسن وتلك الايام نداولها بين الناس قال جعل الله الايام دولا أدال الكفار يوم أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وتلك الايام نداولها بين الناس انه والله لولا الدول ما أوذى المؤمنون ولكن قد يدال للكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فأظهر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه على المشركين يوم بدر وأظهر عليهم عدوهم يوم أحد وقد يدال الكافر من المؤمن ويبتلى المؤمن بالكافر ليعلم الله من يطيعه ممن يعصيه ويعلم الصادق من الكاذب وأما من ابتلى منهم من المسلمين يوم أحد فكان عقوبة بمعصيتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى وتلك الايام نداولها بين الناس يوما لكم ويوما عليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس نداولها بين الناس قال أدال المشركين على النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنا

أبى

أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه كان يوم أحد بيوم بدر قتل المؤمنون يوم أحد اتخذ الله منهم شهداء وغلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر المشركين فجعل له الدولة عليهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا حفص بن عمر قال ثنا الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس قال لما كان قتال أحد وأصاب المسلمين ما أصاب صعد النبي صلى الله عليه وسلم الجبل فجاء أبو سفيان فقال يا محمد يا محمد ألا تخرج ألا تخرج الحرب سجال يوم لنا ويوم لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاصحابه أجيبوه فقالوا لا سواء لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال أبو سفيان لنا عزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان اعل هبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا الله أعلى وأجل فقال أبو سفيان موعدكم وموعدنا بدر الصغرى قال عكرمة وفيهم أنزلت وتلك الايام نداولها بين الناس حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن عباس في قوله وتلك الايام نداولها بين الناس فانه أدال على النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وتلك الايام نداولها بين الناس أي نصرفها للناس للبلاء والتمحيص حدثني ابراهيم بن عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن عبد الوهاب الحجبي قال ثنا حماد بن زيد عن ابن عون عن محمد في قول الله وتلك الايام نداولها بين الناس قال يعني الامراء ۞ القول في تأويل قوله (وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين) يعني بذلك تعالى ذكره وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء نداولها بين الناس ولو لم يكن في الكلام واو لكان قوله ليعلم متصلا بما قبله وكان وتلك الايام نداولها بين الناس ليعلم الله الذين آمنوا ولكن لما دخلت الواو فيه آذنت بان الكلام متصل بما قبلها وأن بعدها خبرا مطلوبا اللام التي في قوله وليعلم متعلقة به فان قال قائل وكيف قيل وليعلم الله الذين آمنوا معرفة وأنت لا تستجيز في الكلام قد سألت فعلمت عبد الله وأنت تريد علمت شخصه الا أن تريد علمت صفته وما هو قيل ان ذلك انما جاز مع الذين لان في الذين تأويل من وأي وكذلك جائز مثله في الالف واللام كما قال تعالى ذكره وليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين لان في الالف واللام من تأويل أي ومن مثل الذي في الذي ولو جعل مع الاسم المعرفة اسم فيه دلالة على أي جاز كما يقال سألت لأعلم عبد الله من عمرو ويراد بذلك لأعرف هذا من هذا فتأويل الكلام وليعلم الله الذين آمنوا منكم أيها القوم من الذين نافقوا منكم نداول بين الناس فاستغنى بقوله وليعلم الله الذين آمنوا منكم عن ذكر قوله من الذين نافقوا لدلالة الكلام عليه اذ كان في قوله الذين آمنوا تأويل أي على ما وصفنا فكأنه قيل وليعلم الله أيكم المؤمن كما قال جل ثناؤه لنعلم أي الحزبين أحصى غير أن الالف واللام والذي ومن اذا وضعت مع العلم موضع أي نصبت بوقوع العلم عليه كما قيل وليعلمن الكاذبين فاما أي فانها ترفع وأما قوله ويتخذ منكم شهداء فانه يعني وليعلم الله الذين آمنوا وليتخذ منكم شهداء أي ليكرم منكم بالشهادة من أراد أن يكرمه بها والشهداء جمع شهيد كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء أي ليميز بين المؤمنين والمنافقين وليكرم من أكرم من أهل الايمان بالشهادة حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك قراءة على ابن جريج في قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء قال فان المسلمين كانوا يسألون ربهم ربنا أرنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبليك فيه خيرا ونلتمس فيه الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثنا

حمزة وغيره ما أورثه حزنا شديدا وكان من الممكن أن يحمله ذلك على ما لا ينبغي من الفعل والقول فنص الله تعالى على المنع تقوية لعصمته صلى الله عليه وسلم وتأكيدا لطهارته ولئن سلمنا أنه كان مشغولا بذلك الفعل والقول فانه (٦٩) محمول على ترك الاولى والنهي ارشاد الى اختيار الافضل وأيضا ان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لا يكون بمجرد التشهي وانما هو بطلب الاصلح فالذي يظن به أنه خلاف مسؤله صلى الله عليه وسلم وقد وقع فهو بالحقيقة سؤاله صلى الله عليه وسلم ولهذا سأل الله تعالى أن يجعل لعنه على من لا يستحقه طهرا وزكاة ورحمة والله أعلم وقوله ليس لك من الامر شيء معناه ليس لك من قصة هذه الواقعة ومن شأن هذه الحادثة شيء فاني أعلم بمصالح عبادي أو المراد الامر الذي هو خلاف النهي أي ليس لك من أمر خلقي شيء الا ما يكون أمري وحكمي وقوله أو يتوب منصوب باضمار أن وأن يتوب في حكم اسم معطوف بأو على الامر أي ليس لك من أمرهم شيء أو من التوبة عليهم أو من تعذيبهم ويجوز أن يكون معطوفا على شيء والحاصل منع رسول الله صلى الله عليه وسلم من كل فعل أو قول الا ما كان باذنه وأمره وفيه ارشاد الى كمال درجات العبودية وأن لا يخوض العبد في أسرار ملكه تعالى وملكوته وعن الفراء والزجاج أن قوله أو يتوب عليهم عطف على ليقطع وما بعده وقوله ليس لك من الامر شيء كالكلام الاجنبي الواقع بين المعطوف والمعطوف عليه كما تقول ضربت زيدا فاعلم ذلك وعمرا فيكون المعنى ان الله مالك أمرهم فاما أن يهلكهم أو يهزمهم أو يتوب عليهم ان أسلموا أو يعذبهم ان أصروا على الكفر وقيل أو بمعنى الا أن كقولك لألزمنك أو تعطيني حقي والمعنى ليس لك من أمرهم شيء الا أن يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم أو يعذبهم فتتشفى منهم ثم التوبة عليهم مفسرة عند أهل السنة بخلق الندم فيهم على ما مضى وخلق العزم فيهم على أن لا يفعلوا مثل

بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء فكرم الله أولياءه بالشهادة بايدي عدوهم ثم تصير حواصل الامور وعواقبها لاهل طاعة الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء قال قال ابن عباس كانوا يسألون الشهادة فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ منهم شهداء حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا ويرزقون فيه الشهادة ويرزقون الجنة والحياة والرزق فلقي المسلمون يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم الذين ذكرهم الله عز وجل فقال ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات الآية وأما قوله والله لا يحب الظالمين فانه يعني به الذين ظلموا أنفسهم بمعصيتهم ربهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله لا يحب الظالمين أي المنافقين الذين يظهرون بالسنتهم الطاعة وقلوبهم مصرة على المعصية ۞ القول في تأويل قوله ﴿وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وليمحص الله الذين آمنوا وليختبر الله الذين صدقوا الله ورسوله فيبتليهم بادالة المشركين منهم حتى يتبين المؤمن منهم المخلص الصحيح الايمان من المنافق كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله في قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليبتلي حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله وليمحص الله الذين آمنوا قال ليمحص الله المؤمن حتى يصدق حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وليمحص الله الذين آمنوا يقول يبتلي المؤمنين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وليمحص الله الذين آمنوا قال يبتليهم حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين فكان تمحيصا للمؤمنين ومحقا للكافرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وليمحص الله الذين آمنوا أي يختبر الذين آمنوا حتى يخلصهم بالبلاء الذي نزل بهم وكيف صبرهم ويقينهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين قال يمحق من محق في الدنيا وكان بقية من يمحق في الآخرة في النار وأما قوله ويمحق الكافرين فانه يعني به أنه ينقصهم ويفنيهم يقال منه محق فلان هذا الطعام اذا نقصه أو أفناه يمحقه محقا ومنه قيل لمحاق القمر محاق وذلك نقصانه وفناؤه كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس ويمحق الكافرين قال ينقصهم حدثني محمد بن سنان قال ثنا أبو بكر الحنفي عن عباد عن الحسن في قوله ويمحق الكافرين قال يمحق الكافر حتى يكذبه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويمحق الكافرين أي يبطل من المنافقين قولهم بالسنتهم ما ليس في قلوبهم حتى يظهر منهم كفرهم الذي يستترون به منكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه أم حسبتم يا معشر أصحاب محمد وظننتم أن تدخلوا الجنة وتنالوا كرامة ربكم وشرف المنازل عنده ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم يقول ولما

ذلك في المستقبل وأكدوا هذا الظاهر ببرهان عقلي وهو أن الندم كراهة تحصل في القلب عما سلف منه والعزم ارادة تتعلق بترك ذلك الفعل فيما يستقبل فلو كانت هذه الارادة فعل العبد لافتقر في فعلها الى ارادة أخرى وتسلسل فهو اذن بخلق الله تعالى وأما المعتزلة ففسروا التوبة عليهم اما بفعل الالطاف أو بقبول التوبة منهم وقوله فانهم ظالمون تعليل حسن التعذيب بسبب شركهم أو عصيانهم ثم أكد ما ذكر من قوله ليس لك من الامر شيء بقوله ولله ما في السموات وما في الارض أي هما والحقائق والماهيات التي فيهما لله فليس الحكم فيهما الا له ثم ذكر لازم الملك والحكم فقال يغفر لمن يشاء بمحض فضله وان كان من الابالسة والفراعنة ويعذب من يشاء بحكم الالهية والقدرة وان كان من الملائكة المقربين والصديقين وكل ذلك يحسن منه شرعا وعقلا والا لم يحصل كمال الملك والحكم الا أن جانب الرحمة والمغفرة غالب ولهذا ختم الكلام بقوله والله غفور رحيم هذا قول الاشاعرة ويؤكده ما يروى عن ابن عباس في تفسير الآية يهب الذنب الكبير لمن يشاء ويعذب من يشاء على الذنب الصغير وأيدوا هذا النقل بدليل عقلي يشبه ما مر آنفا وهو أن الارادات كلها تستند الى الله تعالى دفعا للتسلسل فاذا خلق الله ارادة الطاعة أطاع واذا خلق ارادة المعصية عصى فطاعة العبد أو معصيته تنتهي الى الله وفعل الله لا يوجب على الله شيأ أما المعتزلة فناقشوا في ذلك ورووا عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء أن يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا يشاء أن يعذب الا المستوجبين للعذاب والحق أن العذاب لازم لملكة العصيان وكذا القرب منه تعالى لازم لملكة الطاعة فان أريد بالوجوب هذا فلا نزاع وان أريد غير ذلك فممنوع والله أعلم * (التأويل) أخبر عن النصر بعد الصبر بقوله واذ غدوت وهو اشارة الى جوهر السالك الصادق والسائر

يتبين

العاشق وذلك أن يغدو في طلب الحق والرجوع الى المبدا من أصله أي صفات نفسه الحيوانية والبهيمية تبوئ المؤمنين أي صفاتك

يتبين لعبادي المؤمنين المجاهد منكم في سبيل الله على ما أمره به وقد بينت معنى قوله ولما يعلم الله وليعلم الله وما أشبه ذلك بادلته فيما مضى بما أغنى عن اعادته وقوله ويعلم الصابرين يعني الصابرين عند البأس على ما ينالهم في ذات الله من جرح وألم ومكروه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أم حسبتم أن تدخلوا الجنة وتصيبوا من ثوابي الكرامة ولم أختبركم بالشدة وأبتليكم بالمكاره حتى أعلم أصدق ذلك منكم الايمان بي والصبر على ما أصابكم في ونصب ويعلم الصابرين على الصرف والصرف أن يجتمع فعلان ببعض حروف النسق وفي أوله ما لا يحسن اعادته مع حرف النسق فينصب الذي بعد حرف العطف على الصرف لانه مصروف عن معنى الاول ولكن يكون مع جحد أو استفهام أو نهي في أول الكلام وذلك كقولهم لا يسعني شيء ويضيق عنك لان لا التي مع يسعني لا يحسن اعادتها مع قوله ويضيق عنك فلذلك نصب والقراء في هذا الحرف على النصب وقد روي عن الحسن أنه كان يقرأ ويعلم الصابرين فيكسر الميم من يعلم لانه كان ينوي جزمها على العطف به على قوله ولما يعلم الله ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ولقد كنتم تمنون الموت ولقد كنتم يا معشر أصحاب محمد تمنون الموت يعني أسباب الموت وذلك القتال فقد رأيتموه فقد رأيتم ما كنتم تمنونه والهاء في قوله رأيتموه عائدة على الموت ومعنى وأنتم تنظرون يعني قد رأيتموه بمرأى منكم ومنظر أي بقرب منكم وكان بعض أهل العربية يزعم أنه قيل وأنتم تنظرون على وجه التوكيد للكلام كما يقال رأيته عيانا ورأيته بعيني وسمعته باذني وانما قيل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه لان قوما من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن لم يشهد بدرا كانوا يتمنون قبل أحد يوما مثل يوم بدر فيبلوا الله من أنفسهم خيرا وينالوا من الاجر مثل ما نال أهل بدر فلما كان يوم أحد فر بعضهم وصبر بعضهم حتى أوفى بما كان عاهد الله قبل ذلك فعاتب الله من فر منهم فقال ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية وأثنى على الصابرين منهم والموفين بعهدهم ذكر الاخبار بما ذكرنا من ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون قال غاب رجال عن بدر فكانوا يتمنون مثل يوم بدر أن يلقوه فيصيبوا من الخير والاجر مثل ما أصاب أهل بدر فلما كان يوم أحد ولى من ولى منهم فعاتبهم الله أو فعابهم أو فعتبهم على ذلك شك أبو عاصم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه الا أنه قال فعاتبهم الله على ذلك ولم يشك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أناس من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطى الله أهل بدر من الفضل والشرف والاجر فكانوا يتمنون أن يرزقوا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان في ناحية المدينة يوم أحد فقال الله عز وجل كما تسمعون ولقد كنتم تمنون الموت حتى بلغ الشاكرين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه قال كانوا يتمنون أن يلقوا المشركين فيقاتلوهم فلما لقوهم يوم أحد ولوا حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال ان أناسا من المؤمنين لم يشهدوا يوم بدر والذي أعطاهم الله من الفضل فكانوا يتمنون أن يروا قتالا فيقاتلوا فسيق اليهم القتال حتى كان بناحية المدينة يوم أحد فأنزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه الآية حدثني

نياتكم في طلب الحق إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا يعني القلب وأوصافه والروح وأخلاقه والله وليهما ليخرجهما من ظلمات البشرية الى نور الربوبية ولقد نصركم الله ببدر الدنيا وأنتم أذلة من غلبات شهوات النفس إذ تقول للمؤمنين فيه اشارة الى أن نور النبي صلى الله عليه وسلم يلهم أرواح المؤمنين على الدوام عند مقاتلة الشياطين ومجاهدة النفس ومكابدة الهوى في الركون الى زخارف الدنيا وثلاثة آلاف من الملائكة اشارة الى الجنود الروحانية الملكوتية التي لا تدركها الحواس كقوله وأنزل جنودا لم تروها بلى ان تصبروا على مخالفة النفس وتتقوا بالله عما سواه يزدكم في الامداد بالجنود ليقطع طرفا ليقهر بعضا من الصفات النفسانية التي هي منشأ الكفر بنصر الروح وصفاته أو يكبتهم أو يغلبهم ويظفر بهم وما النصر الا من عند الله بعز حكمته من يشاء على ما يشاء والله المستعان على ما تصفون ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى

وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء (٧٢) والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ القراآت سارعوا بغير واو

محمد بن بشار قال ثنا هوذة قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لئن لقينا مع النبي صلى الله عليه وسلم لنفعلن ولنفعلن فابتلوا بذلك فلا والله ما كلهم صدق الله فانزل الله عز وجل ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى كان ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهدوا بدرا فلما رأوا فضيلة أهل بدر قالوا اللهم انا نسألك أن ترينا يوما كيوم بدر نبليك فيه خيرا فرأوا أحدا فقال لهم ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أى لقد كنتم تمنون الشهادة على الذى أنتم عليه من الحق قبل ان تلقوا عدوكم يعنى الذين حاولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على خروجه بهم الى عدوهم لما فاتهم من الحضور فى اليوم الذى كان قبله ببدر رغبة فى الشهادة التى قد فاتتهم به يقول فقد رأيتموه وأنتم تنظرون أى الموت بالسيوف فى أيدى الرجال قد حل بينكم وبينهم وأنتم تنظرون اليهم فصددتم عنهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين ﴾ يعنى تعالى ذكره بذلك وما محمد الا رسول كبعض رسل الله الذين أرسلهم الى خلقه داعيا الى الله والى طاعته الذين حين انقضت آجالهم ماتوا وقبضهم الله اليه يقول جل ثناؤه فمحمد صلى الله عليه وسلم انما هو فيما الله به صانع من قبضه اليه عند انقضاء مدة أجله كسائر مدة رسله الى خلقه الذين مضوا قبله وماتوا عند انقضاء مدة آجالهم ثم قال لاصحاب محمد معاتبهم على ما كان منهم من الهلع والجزع حين قيل لهم بأحد ان محمدا قتل ومقبحا اليهم انصراف من انصرف منهم عن عدوهم وانهزامه عنهم أفائن مات محمد أيها القوم لانقضاء مدة أجله أو قتله عدوكم انقلبتم على أعقابكم يعنى ارتددتم عن دينكم الذى بعث الله محمدا بالدعاء اليه ورجعتم عنه كفارا بالله بعد الايمان به وبعد ما قد وضحت لكم صحة ما دعاكم محمد اليه وحقيقة ما جاءكم به من عند ربه ومن ينقلب على عقبيه يعنى بذلك ومن يرتدد منكم عن دينه ويرجع كافرا بعد ايمانه فلن يضر الله شيأ يقول فلن يوهن ذلك عزة الله ولا سلطانه ولا يدخل بذلك نقص فى ملكه بل نفسه يضر بردته وحظ نفسه ينقص بكفره وسيجزى الله الشاكرين يقول وسيثيب الله من شكره على توفيقه وهدايته اياه لدينه بثبوته على ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ان هو مات أو قتل واستقامته على منهاجه وتمسكه بدينه وملته بعده كما حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن هاشم قال أخبرنا سيف بن عمرو عن أبى روق عن أبى أيوب عن على فى قوله وسيجزى الله الشاكرين الثابتين على دينهم أبا بكر وأصحابه فكان على رضى الله عنه يقول كان أبو بكر أمين الشاكرين وأمين أحباء الله وكان أشكرهم وأحبهم الى الله حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر قال ان أبا بكر أمين الشاكرين وتلا هذه الآية وسيجزى الله الشاكرين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسيجزى الله الشاكرين أى من أطاعه وعمل بامره وذكر أن هذه الآية أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن انهزم عنه بأحد من أصحابه ذكر الاخبار الواردة بذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزى الله الشاكرين ذاكم يوم أحد حين أصابهم القرح والقتل ثم تنازعوا نبى الله صلى الله عليه وسلم بقية ذلك فقال أناس لو كان نبيا ما قتل

العطف أبو جعفر ونافع وابن عامر قرح بالضم حيث كان حمزة وعلى وخلف وعاصم غير حفص وجبلة الباقون بالفتح * الوقوف مضاعفة ص لعطف المتفقين تفلحون ه ج للعطف للكافرين ه ترحمون ه ومن قرأ سارعوا بغير واو فوقفه مطلق والارض ص لان ما بعده صفة لجنة أيضا أى جنة واسعة معدة للمتقين لا لأن الذين صفتهم عن الناس ط المحسنين ج ه لان والذين يصلح مبتدأ وخبره أولئك جزاؤهم فلا وقف على يعلمون ويصلح معطوفا لان التائب من الذنب كمن لا ذنب له فيوقف على يعلمون لينصرف عموم أولئك الى المتقين السابقين منهم بعصمة الله واللاحقين بهم برحمة الله والوقف لطول الكلام على لذنوبهم للابتداء بالاستفهام وعلى الا الله لاعتراض الاستفهام ولزوم الجواب بان يقول الروح لا أحد يغفر الذنوب الا أنت خالدين فيها ط العاملين ه سنن لا لتعقب الامر بالاعتبار بعد الاخبار بالتبار المكذبين ه للمتقين ه مؤمنين ه مثله ط بين الناس ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أى ليعتبروا وليعلم شهداء ط الظالمين لا للعطف على ليعلم الكافرين ه * (التفسير) قال القفال يحتمل أن يكون هذا الكلام متصلا بما قبله من جهة أن أكثر أموال المشركين كانت قد اجتمعت من الربا وكانوا ينفقون تلك الاموال على العساكر وكان من

الممكن أن يصير ذلك داعيا للمسلمين الى الاقدام على الربا كى يجمعوا الاموال وينفقوها على العساكر ويتمكنوا من الانتقام منهم فورد النهى عن ذلك نظرا اليهم ورحمة عليهم وقيل ان هذه الآيات ابتداء أمر ونهى وترغيب وترهيب تتميما لما سلف وقال

وقال أناس من علية أصحاب نبى الله صلى الله عليه وسلم قاتلوا على ما قاتل عليه محمد نبيكم حتى يفتح الله لكم أو تلحقوا به فقال الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ان مات نبيكم أو قتل ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه وزاد فيه قال الربيع وذكر لنا والله أعلم أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط فى دمه فقال يافلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصارى ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم فانزل الله عز وجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم يقول ارتددتم كفارا بعد ايمانكم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد اليهم يعنى الى المشركين أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل فى وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين قدم فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح فى خيله ثم حمل فقتل الرماة وحمل على أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تبادروا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم فأتى ابن قميئة الحارثى أحد بنى الحارث بن عبد مناف بن كنانة فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر أنفه ورباعيته وشجه فى وجهه فأثقله وتفرق عنه أصحابه ودخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الىّ عباد الله الىّ عباد الله فاجتمع اليه ثلاثون رجلا فجعلوا يسيرون بين يديه فلم يقف أحد الا طلحة وسهل بن حنيف فحماه طلحة فرمى بسهم فى يده فيبست يده وأقبل أبى بن خلف الجمحى وقد حلف ليقتلن النبى صلى الله عليه وسلم فقال النبى صلى الله عليه وسلم بل أنا أقتلك فقال يا كذاب أين تفر فحمل عليه فطعنه النبى صلى الله عليه وسلم فى جنب الدرع فجرح جرحا خفيفا فوقع يخور خوران الثور فاحتملوه وقالوا ليس بك جراحة قال أليس قال لأقتلنك لو كانت لجميع ربيعة ومضر لقتلتهم ولم يلبث الا يوما أو بعض يوم حتى مات من ذلك الجرح وفشا فى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فقال بعض أصحاب الصخرة ليت لنا رسولا الى عبد الله بن أبىّ فيأخذ لنا أمنة من أبى سفيان ياقوم ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم قال أنس بن النضر ياقوم ان كان محمد قد قتل فان رب محمد لم يقتل فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه وسلم اللهم انى أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما فى قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى أن فى أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون

من الارشاد الى الاصلح فى أمر الدين وفى باب الجهاد وليس المراد النهى عن الربا فى حال كونه أضعافا والمراد علم أنه منهى عنه مطلقا وانما هو نهى عنه مع توبيخ بما كانوا عليه فى الغالب والمعتاد من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين (٧٣) محله زاد فى الاجل وهكذا مرة بعد أخرى حتى استغرق بالشئ الطفيف مال المديون واتقوا الله لعلكم تفلحون فيه أن اتقاء الله فى هذا النهى واجب وأن الفلاح يقف عليه فلو أكل ولم يتق زال الفلاح ويعلم منه أن الربا من الكبائر لا من الصغائر ويؤكده قوله واتقوا النار التى أعدت للكافرين كان أبو حنيفة يقول هى أخوف آية فى القرآن حيث أوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه فى اجتناب محارمه وكون النار معدة للكافرين لا يمنع دخول الفساق وهم مسلمون فيها لان أكثر أهل النار الكفار فغلب جانبهم كما لو قلت أعددت هذه الدابة للقاء المشركين لم يمتنع من أن تركبها البعض حوائجك ومثله قوله فى صفة الجنة أعدت للمتقين فانه لا يدل على أنه لا يدخلها سواهم من الصبيان والمجانين وغيرهم كالملائكة والحور وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون فيه أن رجاء الرحمة موقوف على طاعة الله وطاعة الرسول فلهذا يتمسك به أصحاب الوعيد فى أن من عصى الله ورسوله فى شئ من الاشياء فهو ليس أهلا للرحمة وغيرهم يحمل الآية على الزجر والتخويف وسارعوا معطوف على ما قبله ومن قرأ بغير الواو فلانه جعل قوله سارعوا وقوله أطيعوا الله كالشئ الواحد لانهما متلازمان وتمسك كثير من الاصوليين به فى أن ظاهر الامر يوجب الفور وقالوا فى الكلام محذوف والتقدير سارعوا

الى ما يوجب مغفرة من ربكم ونكر المغفرة لقصد المغفرة العظيمة المتناهية فى العظم وليس ذلك الا المغفرة الحاصلة بسبب الاسلام والاتيان بجميع الطاعات والاجتناب عن كل المنهيات وهذا قول عكرمة وعن على بن أبى طالب هو أداء

الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابه الذين قتلوا فقال الله عزوجل للذين قالوا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى قومكم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ومن ينقلب على عقبيه قال يرتد حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن أبيه وحدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن أبيه أن رجلا من المهاجرين مر على رجل من الانصار وهو يتشحط في دمه فقال يافلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال الانصاري ان كان محمد قد قتل فقد بلغ فقاتلوا عن دينكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثني ابن اسحق قال ثني القاسم بن عبد الرحمن بن رافع أخو بني عدي بن النجار قال انتهى أنس بن النضر عم أنس ابن مالك الى عمر وطلحة بن عبيد الله في رجال من المهاجرين والانصار وقد ألقوا بأيديهم فقال مايجلسكم قالوا قتل محمد رسول الله قال فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله واستقبل القوم فقاتل حتى قتل وبه سمي أنس بن مالك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك قال نادى مناد يوم أحد حين هزم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ألا ان محمدا قد قتل فارجعوا الى دينكم الاول فأنزل الله عزوجل وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال ألقي في أفواه المسلمين يوم أحد أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قتل فنزلت هذه الآية وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتزل هو وعصابة معه يومئذ على أكمة والناس يفرون ورجل قائم على الطريق يسألهم مافعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل كلما مروا عليه يسألهم فيقولون والله ماندري مافعل فقال والذي نفسي بيده لئن كان النبي صلى الله عليه وسلم قتل لنعطينهم بأيدينا انهم لعشائرنا واخواننا وقالوا ان محمدا ان كان حيا لم يهزم ولكنه قد قتل فترخصوا في الفرار حينئذ فأنزل الله عزوجل على نبيه صلى الله عليه وسلم وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية كلها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الآية ناس من أهل الارتياب والمرض والنفاق قالوا يوم فر الناس عن نبي الله صلى الله عليه وسلم وشج فوق حاجبه وكسرت رباعيته قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فذلك قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله أفائن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم قال ما بينكم وبين أن تدعوا الاسلام وتنقلبوا على أعقابكم الا أن يموت محمد أو يقتل فسوف يكون أحد هذين فسوف يموت أو يقتل حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل الى قوله وسيجزي الله الشاكرين أي لقول الناس قتل محمد وانهزامهم عند ذلك وانصرافهم عن عدوهم أي أفائن مات نبيكم أو قتل رجعتم عن دينكم كفارا كما كنتم وتركتم جهاد عدوكم وكتاب الله وماقد خلف نبيه من دينه معكم وعندكم وقد بين لكم فيما جاءكم عني أنه ميت ومفارقكم ومن ينقلب على عقبيه أي يرجع عن دينه فلن يضر الله شيئا أي لن ينقص ذلك من عز الله ولا ملكه ولا سلطانه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني

حجاج

الفرائض وعن عثمان بن عفان انه الاخلاص لانه المقصود من جميع العبادات وعن أبي العالية انه الهجرة وقال الضحاك ومحمد بن اسحق انه الجهاد لانه من تمام قصة أحد وقال الاصم (٧٤) بادروا الى التوبة من الربا لانه ورد عقيب النهي عن الربا ثم عطف عليه المسارعة الى الجنة لان الغفران ظاهره ازالة العقاب والجنة معناها حصول الثواب ولابد للمكلف من تحصيل الامرين ثم وصف الجنة بان عرضها السموات ومن البين أن نفس السموات لاتكون عرض الجنة فالمراد كعرض السموات لقوله في موضع آخر عرضها كعرض السماء والمراد المبالغة في وصف سعة الجنة فشبهت باوسع ماعلمه الناس من خلقه وأبسطه ونظيره خالدين فيها مادامت السموات والارض لانها أطول الاشياء بقاء عندنا وقيل المراد أنه لو جعلت السموات والارضون طبقا طبقا بحيث يكون كل واحد من تلك الطبقات سطحا مؤلفا من أجزاء لاتتجزأ ثم وصل البعض بالبعض طبقا واحدا لكان ذلك مثل عرض الجنة وهذه غاية من السعة لايعلمها الا الله تعالى وقيل ان الجنة التي عرضها عرض السموات والارض انما تكون للرجل الواحد لان الانسان انما يرغب فيما يصير ملكا له فلابد أن تكون الجنة المملوكة لكل أحد مقدارها هكذا وقال أبو مسلم معنى العرض القيمة ومنه عارضت الثوب بكذا معناه لو عرضت السموات والارض على سبيل البيع لكانتا ثمنا للجنة والاكثرون على أن المراد بالعرض ههنا خلاف الطول وخص بالذكر لانه في العادة أدنى من الطول واذا كان العرض هكذا فما ظنك بالطول ونظيره بطائنها من استبرق لان البطائن في العادة تكون أدون حالا من الظهائر واذا كانت البطانة كذلك فكيف الظهارة وقال القفال العرض عبارة عن السعة تقول العرب بلاد عريضة أي واسعة والاصل فيه أن ما اتسع عرضه لم يضق ولم يدق وماضاق عرضه دق فجعل العرض كناية عن

السعة وسئل ههنا انكم تقولون الجنة فى السماء فكيف يكون عرضها كعرض السماء وأجيب بعد تسليم كونها الآن مخلوقة انها فوق السموات وتحت العرش قال صلى الله عليه وسلم فى صفة الفردوس سقفها عرش الرحمن (٧٥) وروى أن رسول هرقل سأل النبى صلى الله عليه وسلم وقال انك تدعو الى جنة عرضها السموات والارض أعدت للمتقين فاين النار فقال النبى صلى الله عليه وسلم سبحان الله فاين الليل اذا جاء النهار والمعنى والله ورسوله أعلم أنه اذا دار الفلك حصل النهار فى جانب من العالم والليل فى ضد ذلك الجانب فكذا الجنة فى جهة العلو والنار فى جهة السفل وسئل أنس ابن مالك عن الجنة أفى الارض أم فى السماء فقال وأى أرض وسماء تسع الجنة قيل فاين هى قال فوق السموات السبع تحت العرش ثم ذكر صفات المتقين حتى يتمكن الانسان من الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات منها قوله الذين ينفقون فى السراء والضراء فى حال الغنى والفقر لا يخلون بان ينفقوا ما قدروا عليه عن بعض السلف أنه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة أنها تصدقت بحبة عنب فكان الفقير أنكر عليها فقالت احسب كم هى من مثقال ذرة وقيل فى عرس أو حبس والمراد فى جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة فهم لا يدعون الاحسان الى الناس فى حالتى فرح وحزن وقيل ان ذلك الاحسان والانفاق سواء سرهم بان كان على وفق طبعهم أو ساءهم بان كان مخالفا له فانهم لا يتركونه وفى افتتاحه بذكر الانفاق دليل على عظم وقعه عند الله لانه طاعة شاقة أو لانه كان أهم فى ذلك الوقت لاجل الحاجة اليه فى الجهاد ومواساة فقراء المسلمين ومنها قوله والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملأها وشد فاها ويقال كظم غيظه اذا سكت عليه ولم يظهره لا بقول ولا بفعل كانه كتمه على امتلائه و[illegible] فى جوفه وكف غضبه عن الامضاء وهو من أقسام

حجاج قال قال ابن جريج قال أهل المرض والارتياب والنفاق حين فر الناس عن النبى صلى الله عليه وسلم قد قتل محمد فالحقوا بدينكم الاول فنزلت هذه الآية ومعنى الكلام وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ بجعل الاستفهام فى حرف الجزاء ومعناه أن يكون فى جوابه وكذلك كل استفهام دخل على جزاء فمعناه أن يكون فى جوابه لان الجواب خبر يقوم بنفسه والجزاء شرط لذلك الخبر ثم يجزم جوابه وهو كذلك ومعناه الرفع لمجيئه بعد الجزاء كما قال الشاعر

حلفت له ان تدلج الليل لا يزل * أمامك بيت من بيوتى سائر

فمعنى لا يزل رفع ولكنه جزم لمجيئه بعد الجزاء فصار كالجواب ومثله أفائن مت فهم الخالدون وكيف تتقون ان كفرتم ولو كان مكان فهم الخالدون يخلدون وقيل أفائن مت يخلدوا جاز الرفع فيه والجزم وكذلك لو كان مكان انقلبتم تنقلبوا جاز الرفع والجزم لما وصفت قبل وتركت اعادة الاستفهام ثانية مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام فى أول الكلام وان الاستفهام فى أوله دال على موضعه ومكانه وقد كان بعض القراء يختار فى قوله أئذا كنا ترابا وعظاما أئنا لمبعوثون ترك اعادة الاستفهام مع أئنا اكتفاء بالاستفهام فى قوله أئذا كنا ترابا ويستشهد على صحة وجه ذلك باجماع القراء على تركهم اعادة الاستفهام مع قوله انقلبتم اكتفاء بالاستفهام فى قوله أفائن مات اذا كان دالا على معنى الكلام وموضع الاستفهام منه وكان يفعل مثل ذلك فى جميع القرآن وسنأتى على الصواب من القول فى ذلك ان شاء الله اذا انتهينا اليه ۞ القول فى تأويل قوله (وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا) يعنى تعالى ذكره بذلك وما يموت محمد ولا غيره من خلق الله الا بعد بلوغ أجله الذى جعله الله غاية لحياته وبقائه فاذا بلغ ذلك من الاجل الذى كتبه الله له وأذن له بالموت فحينئذ يموت فاما قبل ذلك فلن تموت بكيد كائد ولا بحيلة محتال كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا أى ان لمحمد أجلا هو بالغه اذا أذن الله له فى ذلك كان وقد قيل ان معنى ذلك وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقد اختلف أهل العربية فى معنى الناصب قوله كتابا مؤجلا فقال بعض نحويى البصرة هو توكيد ونصبه على كتب الله كتابا مؤجلا قال وكذلك كل شئ فى القرآن من قوله حقا انما هو أحق ذلك حقا وكذلك وعد الله ورحمة من ربك وصنع الله الذى أتقن كل شئ وكتاب الله عليكم انما هو صنع الله هكذا صنعا فهكذا تفسير كل شئ فى القرآن من نحو هذا فانه كثير وقال بعض نحويى الكوفة فى قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله معناه كتب الله آجال النفوس ثم قيل كتابا مؤجلا فاخرج قوله كتابا مؤجلا نصبا من المعنى الذى فى الكلام اذ كان قوله وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله قد أدى عن معناه كتب قال وكذلك سائر ما فى القرآن من نظائر ذلك فهو على هذا النحو * وقال آخرون منهم قول القائل زيد قائم حقا بمعنى أقول زيد قائم حقا لان كل كلام قول فأدى المقول عن القول ثم خرج ما بعده منه كما تقول أقول قولا حقا وكذلك ظنا ويقينا وكذلك وعد الله وما أشبهه والصواب من القول فى ذلك عندى أن كل ذلك منصوب على المصدر من معنى الكلام الذى قبله لان فى كل ما قبل المصادر التى هى مخالفة ألفاظها ألفاظ ما قبلها من الكلام معانى ألفاظ المصادر وان خالفها فى اللفظ فنصبها من معانى ما قبلها دون ألفاظه ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين) يعنى بذلك جل

الصبر والحلم قال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملأ الله قلبه أمنا وايمانا وقال أيضا ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب (٧٦) ومنها قوله والعافين عن الناس قيل يحتمل أن يراد العفو عن المعسرين لانه ورد عقيب قصة الربا
كما قال في البقرة وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم ويحتمل أنه صلى الله عليه وسلم غضب على المشركين حين مثلوا بحمزة فقال لأمثلن بهم فندب الى كظم هذا الغيظ والصبر عليه والعفو عنهم والظاهر أنه عام لجميع المكلفين في الاحوال اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه قال صلى الله عليه وسلم لا يكون العبد ذا فضل حتى يصل من قطعه ويعفو عمن ظلمه ويعطي من حرمه وعن عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم ليس الاحسان أن تحسن الى من أحسن اليك ذالك مكافأة انما الاحسان أن تحسن الى من أساء اليك والله يحب المحسنين يجوز أن يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل فيه هؤلاء المذكورون وأن يكون للعهد فيكون اشارة الى هؤلاء وذلك أن من أنواع الاحسان ايصال النفع الى الغير وهو المعني بالانفاق في السراء والضراء في وجوه الخيرات ويدخل فيه الانفاق بالعلم وبالنفس والجود بالنفس أقصى غاية الجود ومنها دفع الضرر عن الغير اما في الدنيا بان لا يشتغل بمقابلة الاساءة باساءة أخرى وهو المعبر عنه بكظم الغيظ واما في الآخرة بان يبرئ ذمته عن التبعات والمطالبات الأخروية وهو المقصود بالعفو فاذن الآية دالة على جميع جهات الاحسان الى الغير فذكر ثواب المجموع بقوله والله يحب المحسنين فان محبة الله للعبد أعظم درجات الثواب قال ابن عباس في رواية عطاء ان منها لا التمار أتته امرأة حسناء تبتاع منه تمرا فضمها الى نفسه وقبلها ثم ندم على ذلك فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ذلك له فنزلت والذين اذا فعلوا فاحشة الآية وقال في رواية

الكلام

ثناؤه ومن يرد منكم أيها المؤمنون بعمله جزاء منه بعض أعراض الدنيا دون ما عند الله من الكرامة لمن ابتغى بعمله ما عنده نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الدنيا يعني أنه يعطيه منها ما قسم له فيها من رزق أيام حياته ثم لا نصيب له في كرامة الله التي أعدها لمن أطاعه وطلب ما عنده في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة يقول ومن يرد منكم بعمله جزاء منه ثواب الآخرة يعني ما عند الله من كرامته التي أعدها للعاملين له في الآخرة نؤته منها يقول نعطه منها يعني من الآخرة والمعنى من كرامة الله التي خص بها أهل طاعته في الآخرة فخرج الكلام على الدنيا والآخرة والمعنى ما فيهما كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها أي فمن كان منكم يريد الدنيا ليست له رغبة في الآخرة نؤته ما قسم له منها من رزق ولا حظ له في الآخرة ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ما وعده مع ما يجري عليه من رزقه في دنياه وأما قوله وسنجزي الشاكرين يقول وسأثيب من شكر لي ما أوليته من احساني اليه بطاعته اياي وانتهائه الى أمري وتجنبه محارمي في الآخرة مثل الذي وعدت أوليائي من الكرامة على شكرهم اياي وقال ابن اسحق في ذلك بما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وسنجزي الشاكرين أي ذلك جزاء الشاكرين يعني بذلك اعطاء الله اياه ما وعده في الآخرة مع ما يجري عليه من الرزق في الدنيا ﴿ القول في تاويل قوله ﴿وكأين من نبي﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه بعضهم وكأين بهمز الالف وتشديد الياء وقرأه آخرون بمد الالف وتخفيف الياء وهما قراءتان مشهورتان في قراءة المسلمين ولغتان معروفتان لا اختلاف في معناهما فبأي القراءتين قرأ ذلك قارئ فمصيب لاتفاق معنى ذلك وشهرتهما في كلام العرب ومعناه وكم من نبي ﴿ القول في تاويل قوله (قتل معه ربيون كثير) اختلفت القراء في قراءة قوله قتل معه ربيون كثير فقرأ ذلك جماعة من قراء الحجاز والبصرة قتل بضم القاف وقرأه جماعة أخرى بفتح القاف وبالالف وهي قراءة جماعة من قراء الحجاز والكوفة فامامن قرأ قاتل فانه اختار ذلك لانه قال لو قتلوا لم يكن لقوله فما وهنوا وجه معروف لانه يستحيل أن يوصفوا بأنهم لم يهنوا ولم يضعفوا بعد ما قتلوا وأما الذين قرؤا ذلك قتل فانهم قالوا انما عني بالقتل النبي وبعض من معه من الربيين دون جميعهم وانما نفى الوهن والضعف عمن بقي من الربيين ممن لم يقتل وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأ بضم القاف قتل معه ربيون كثير لان الله عز وجل انما عاتب بهذه الآية والآيات التي قبلها من قوله أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم الذين انهزموا يوم أحد وتركوا القتال أو سمعوا الصائح يصيح ان محمدا قد قتل فعذلهم الله عز وجل على فرارهم وتركهم القتال فقال أفائن مات محمد أو قتل أيها المؤمنون ارتددتم عن دينكم وانقلبتم على أعقابكم ثم أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الانبياء قبلهم وقال لهم هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع الانبياء قبلكم يفعلونه اذا قتل نبيهم من المضي على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الانبياء اذا قتل نبيهم ولكنهم صبروا لاعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم وبذلك من التأويل جاء تأويل المتأولين وأما الربيون فانهم مرفوعون بقوله معه لا بقوله قتل وانما تأويل الكلام وكائن من نبي قتل ومعه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وفي الكلام اضمار واو لانها واو تدل على معنى حال قتل النبي صلى الله عليه وسلم غير أنه اجتزأ بدلالة ما ذكر من الكلام عليها من ذكرها وذلك كقول القائل في

الكلام قتل الامير معه جيش عظيم يعني قتل ومعه جيش عظيم وأما الربيون فان أهل العربية اختلفوا في معناه فقال بعض نحويي البصرة هم الذين يعبدون الرب واحدهم ربي وقال بعض نحويي الكوفة لو كانوا منسوبين الى عبادة الرب لكانوا ربيون بفتح الراء ولكنه العلماء والالوف والربيون عندنا الجماعة الكثيرة واحدهم ربي وهم جماعة واختلف أهل التأويل في معناه فقال بعضهم مثل ماقلنا ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن زر عن عبد الله الربيون الالوف حدثني المثنى قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان الثوري عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثنا الحسن بن يحيي قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري وابن عيينة عن عاصم بن أبي النجود عن زر بن حبيش عن عبد الله مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عمرو عن عاصم عن زر عن عبد الله مثله حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عمن حدثه عن ابن عباس في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قوله قاتل معه ربيون كثير قال جموع حدثني حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عاصم عن زر عن عبد الله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الالوف وقال آخرون عما حدثني به سليمان بن عبد الجبار قال ثنا محمد بن الصلت قال ثنا أبو كدينة عن عطاء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال علماء كثير حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال فقهاء علماء حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال الجموع الكثيرة قال يعقوب وكذلك قرأها اسمعيل قتل معه ربيون كثير حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله قتل معه ربيون كثير قال علماء كثيرة وقال قتادة جموع كثيرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة في قوله ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي قال ثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة مثله حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله عز وجل قتل معه ربيون كثير قال جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة قتل نبيهم حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن جعفر بن حيان والمبارك عن الحسن في قوله وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير قال جعفر علماء صبروا وقال ابن المبارك أتقياء صبروا حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله قتل معه ربيون كثير يعني الجموع الكثيرة قتل نبيهم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قاتل معه ربيون كثير يقول جموع كثيرة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله وكأين من نبي قتل معه ربيون كثير قال وكأين من نبي أصابه القتل ومعه جماعات حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني

الكلبي ان رجلين أنصاريا وثقفيا آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فكانا لا يفترقان في أحوالهما فخرج الثقفي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرعة في السفر وخلف الانصاري في أهله وحاجته فأقبل ذات يوم فابصر امرأة صاحبه قد اغتسلت وهي ناشرة شعرها فوقعت في نفسه فدخل ولم يستأذن حتى انتهى اليها فذهب ليلثمها فوضعت كفها على وجهها فقبل ظاهر كفها ثم ندم واستحى فأدبر راجعا فقال سبحان الله خنت أمانتك وعصيت ربك ولم تصب حاجتك قال وندم على صنيعه فخرج يسيح في الجبال ويتوب الى الله من ذنبه حتى وافى الثقفي فأخبرته أهله بفعله فخرج يطلبه حتى دل عليه فوافقه ساجدا وهو يقول رب ذنبي ذنبي قد خنت أخي فقال له يا فلان قم فانطلق الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسئله عن ذنبك لعل الله أن يجعل لك فرجا وتوبة فأقبل معه حتى رجع الى المدينة وكان ذات يوم عند صلاة العصر فنزل جبريل عليه السلام بتوبته فتلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين اذا فعلوا فاحشة الى قوله ونعم أجر العاملين فقال عمر يا رسول الله أخاص هذا لهذا أم للناس عامة فقال بل للناس عامة في التوبة وعن ابن مسعود ان المسلمين قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم أبنو اسرائيل كانوا أكرم على الله منا كانوا اذا أذنب أحدهم أصبحت كفارة ذنبه مكتوبة في عتبة بابه اجدع أذنك اجدع أنفك افعل كذا فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بخير من ذلك فقرأها عليهم وبين أنهم أكرم على الله منهم حيث جعل كفارة ذنبهم الاستغفار

والفاحشة نعت محذوف أي فعلوا فعلة فاحشة متزايدة القبح أو ظلموا أنفسهم أذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذ الانسان به وقيل الفاحشة هي الزنا لقوله تعالى ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وظلم النفس مادونه من القبلة واللمسة وهذا القول أنسب بسبب النزول الذي

عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير الربيون الجموع الكثيرة وقال آخرون الربيون الاتباع ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وكأين من نبى قتل معه ربيون كثير قال الربيون الاتباع والربانيون الولاة والربيون الرعية وهذا عاتبهم الله حين انهزموا عنه حين صاح الشيطان ان محمدا قد قتل قال كانت الهزيمة عند صياحه فى سنينة صاح أيها الناس ان محمدا رسول الله قد قتل فارجعوا الى عشائركم يؤمنوكم ❁ القول فى تأويل قوله ﴿فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين﴾ يعنى بقوله تعالى ذكره فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله فما عجزوا لما نالهم من ألم الجراح الذى نالهم فى سبيل الله ولا لقتل من قتل منهم عن حرب أعداء الله ولا نكلوا عن جهادهم وما ضعفوا يقول وما ضعفت قواهم لقتل نبيهم وما استكانوا يعنى وما ذلوا فيتخشعوا لعدوهم بالدخول فى دينهم ومداهنتهم فيه خيفة منهم ولكن مضوا قدما على بصائرهم ومنهاج نبيهم صبرا على أمر الله وأمر نبيهم وطاعة الله واتباعا لتنزيله ووحيه والله يحب الصابرين يقول والله يحب هؤلاء وأمثالهم من الصابرين لأمره وطاعته وطاعة رسوله فى جهاد عدوه لا من فشل ففر عن عدوه ولا من انقلب على عقبيه فذل لعدوه لأن قتل نبيه أو مات ولا من دخله وهن عن عدوه وضعف لفقد نبيه وبنحو ما قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا يقول ما عجزوا وما تضعضعوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول ما ارتدوا عن نصرتهم ولا عن دينهم بل قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله حتى لحقوا بالله حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا يقول ما عجزوا وما ضعفوا لقتل نبيهم وما استكانوا يقول وما ارتدوا عن نصرتهم قاتلوا على ما قاتل عليه نبى الله صلى الله عليه وسلم حتى لحقوا بالله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى فما وهنوا فما وهن الربيون لما أصابهم فى سبيل الله من قتل النبى صلى الله عليه وسلم وما ضعفوا يقول ما ضعفوا فى سبيل الله لقتل النبى وما استكانوا يقول ما ذلوا حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ليس لهم أن يعلونا ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فما وهنوا لفقد نبيهم وما ضعفوا عن عدوهم وما استكانوا لما أصابهم فى الجهاد عن الله وعن دينهم وذلك الصبر والله يحب الصابرين حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس وما استكانوا قال تخشعوا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وما استكانوا قال ما استكانوا لعدوهم والله يحب الصابرين ❁ القول فى تأويل قوله ﴿وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله وما كان قولهم وما كان قول الربيين والهاء والميم من ذكر أسماء الربيين الا أن قالوا يعنى ما كان لهم قول سوى هذا القول اذ قتل نبيهم وقوله ربنا اغفر لنا ذنوبنا يقول لم يعتصموا اذ قتل نبيهم الا بالصبر على ما أصابهم ومجاهدة عدوهم وبمسئلة ربهم المغفرة والنصر على عدوهم ومعنى الكلام وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وأما الاسراف فانه الافراط فى الشئ يقال منه أسرف فلان فى هذا الامر اذا تجاوز مقداره فأفرط ومعناه ههنا اغفر لنا ذنوبنا الصغار منها وما أسرفنا فيه منها فتخطينا الى العظام وكان معنى

روبناه وقيل الفاحشة هى الكبيرة وظلم النفس هى الصغيرة والصغيرة يجب الاستغفار منها لانه صلى الله عليه وسلم كان مأمورا بالاستغفار واستغفر لذنبك وما كان استغفاره الا عن الصغائر (٧٨) بل ترك الاولى ذكروا الله أى وعيده أو عقابه وأنه سائلهم أو نهيه أو جلاله الموجب للخشية والحياء منه أو ذكروا العرض الاكبر على الله وعلى جميع التقادير فلا بد من مضاف محذوف ويكون الذكر بمعنى ضد النسيان واليه ذهب الضحاك ومقاتل والواقدى ونظيره ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون وقيل المراد ذكروا الله بالثناء والتعظيم والاجلال فان من آداب المسئلة والدعاء تقديم التعظيم والثناء فاستغفروا لذنوبهم يقال استغفر الله لذنبه ومن ذنبه بمعنى والمراد بالاستغفار الاتيان بالتوبة على الوجه الصحيح وهو الندم على فعل ما مضى مع العزم على ترك مثله فى المستقبل فاما الاستغفار بمجرد اللسان فذلك لا أثر له فى ازالة الذنب وانما يجب اظهار هذا الاستغفار لازالة التهمة ولاظهار كونه منقطعا الى الله تعالى ومن يغفر الذنوب الا الله لان كمال قدرته وغناه كما أنه يقتضى ايقاع العبد فى العقاب فكمال رحمته وعفوه يقتضى ازالة ذلك العقاب عنه لكن صدور الرحمة عنه بالذات سبقت رحمتى غضبى فجانب العفو والمغفرة أرجح ولاسيما اذا اقترن الذنب بالتوبة والاعتذار والتنصل باقصى ما يمكن للعبد وفى كتاب مسلم عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وعن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله يا ابن آدم انك ما دعوتنى ورجوتنى غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتنى غفرت لك ولا أبالى يا ابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارضين خطايا ثم لقيتنى

الكلام

لا تشرك بي شيئاً لاتيتك بقرابها مغفرة وعن علي رضي الله عنه قال حدثني أبو بكر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر فيصلي ثم يستغفر الله الا غفر له ثم قرأ والذين اذا فعلوا فاحشة (٧٩) الى قوله ومن يغفر الذنوب الا الله وهذه الجملة معترضة والتقدير فاستغفروا لذنوبهم ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين والتركيب يدل على الشدة ومنه صررت الصرة شددتها وصر الفرس أذنيه ضمهما الى رأسه وأصر أيضاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون حال من فاعل يصروا وحرف النفي منصب عليهما معاً كما لو قلت ما جاءني زيد وهو راكب وأردت نفي المجيء والركوب معاً وذلك أن المقام مقام مدح لهم بعدم الاصرار والمعنى ليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها والوعيد عليها لانه قد يعذر الجاهل ولا يعذر العالم ويحتمل أن يراد بالعلم العقل والتمييز والتمكن من الاحتراز عن الفواحش فيجري مجرى قوله صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاث وعلى هذا يجوز أن يراد نفي الاصرار في حالة العلم لانفيه مطلقاً كما لو أردت في المثال المذكور نفي المجيء في حال الركوب لا نفي المجيء على الاطلاق أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وهي اشارة الى ازالة العقاب وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وهذه اشارة الى ايصال الثواب ونعم أجر العاملين ذلك الجزاء قال القاضي وهذا يبطل قول من قال ان الثواب تفضل من الله وليس جزاء على عملهم وذلك أنه سمى الجزاء أجراً والاجر واجب مستحق فكذلك الجزاء ولقائل أن يقول انه على وجه التشبيه لا التحقيق واستدلوا أيضاً بالآية على أن أهل الجنة هم المتقون والتائبون دون المصرين لقوله ولم [illegible] الجواب ما مر أن كون

الكلام اغفر لنا ذنوبنا الصغائر منها والكبائر كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في قول الله واسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واسرافنا في أمرنا خطايانا وظلمنا أنفسنا حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك في قوله واسرافنا في أمرنا يعني الخطايا الكبار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو عيلة عن عبيد بن سليمان عن الضحاك بن مزاحم قال الكبائر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس واسرافنا في أمرنا قال خطايانا حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله واسرافنا في أمرنا يقول خطايانا وأما قوله وثبت أقدامنا فانه يقول اجعلنا ممن يثبت لحرب عدوك وقتالهم ولا تجعلنا ممن ينهزم فيفر منهم ولا يثبت قدمه في مكان واحد لحربهم وانصرنا على القوم الكافرين يقول وانصرنا على الذين جحدوا وحدانيتك ونبوة نبيك وانما هذا تأنيب من الله عز وجل عباده الذين فروا عن العدو يوم أحد وتركوا قتالهم وتأديب لهم يقول الله عز وجل هلا فعلتم اذ قيل لكم قتل نبيكم كما فعل هؤلاء الربيون الذين كانوا قبلكم من أتباع الانبياء اذ قتلت أنبياؤهم فصبرتم لعدوكم صبرهم ولم تضعفوا وتستكينوا العدو كم فتحاولوا الارتداد على أعقابكم كما لم يضعف هؤلاء الربيون ولم يستكينوا العدوهم وسألتم ربكم النصر والظفر كما سألوا فينصركم الله عليهم كما نصروا فان الله يحب من صبر لأمره وعلى جهاد عدوه فيعطيه النصر والظفر على عدوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين أي فقولوا كما قالوا واعلموا أنما ذلك بذنوب منكم واستغفروا كما استغفروا وامضوا على دينكم كما مضوا على دينهم ولا ترتدوا على أعقابكم راجعين واسألوه كما سألوه أن يثبت أقدامكم واستنصروه كما استنصروه على القوم الكافرين فكل هذا من قولهم قد كان وقد قتل نبيهم فلم يفعلوا كما فعلتم والقراءة التي هي القراءة في قوله وما كان قولهم النصب لاجماع قراء الامصار على ذلك نقلا مستفيضاً وراثة عن الحجة وانما اختير النصب في القول لان الا أن لا تكون الا معرفة فكانت أولى بان تكون هي الاسم دون الاسماء التي قد تكون معرفة أحياناً ونكرة أحياناً ولذلك اختير النصب في كل اسم ولي كان اذا كان بعده أن الخفيفة كقوله وما كان جواب قومه الا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه وقوله ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا فأما اذا كان الذي يلي كان اسماً معرفة والذي بعده مثله فسواء الرفع والنصب في الذي ولي كان فان جعلت الذي ولي كان هو الاسم رفعته ونصبت الذي بعده وان جعلت الذي ولي كان هو الخبر نصبته ورفعت الذي بعده وذلك كقوله جل ثناؤه ثم كان عاقبة الذين أساؤا السوأى ان جعلت العاقبة الاسم رفعتها وجعلت السوأى هي الخبر منصوبة وان جعلت العاقبة الخبر نصبت فقلت وكان عاقبة الذين أساؤا السوأى وجعلت السوأى هي الاسم فكانت مرفوعة وكما قال الشاعر

لقد علم الاقوام ما كان داءها ❊ بثهلان الا الخزي ممن يقودها

وروى أيضاً ما كان داؤها بثهلان الا الخزي نصباً ورفعاً على ما قد بينت ولو فعل مثل ذلك مع أن كان جائزاً غير أن أفصح الكلام ما وصفت عند العرب ❊ القول في تأويل قوله ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين﴾ يعني بذلك تعالى ذكره فأعطى الله الذين وصفهم بما

وصفهم من الصبر على طاعة الله بعد مقتل أنبيائهم وعلى جهاد عدوهم والاستعانة بالله في أمورهم واقتفائهم مناهج امامهم على ما أبلوا في الله ثواب الدنيا يعني جزاء في الدنيا وذلك النصر على عدوهم وعدو الله والظفر والفتح عليهم والتمكين لهم في البلاد وحسن ثواب الآخرة يعني وخير جزاء الآخرة على ما أسلفوا في الدنيا من أعمالهم الصالحة وذلك الجنة ونعيمها كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا فقرأ حتى بلغ والله يحب المحسنين أي والله لآتاهم الله الفتح والظهور والتمكين والنصر على عدوهم في الدنيا وحسن ثواب الآخرة يقول حسن الثواب في الآخرة هي الجنة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان قولهم ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج في قوله فآتاهم الله ثواب الدنيا قال النصر والغنيمة وحسن ثواب الآخرة قال رضوان الله ورحمته حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآتاهم الله ثواب الدنيا حسن الظهور على عدوهم وحسن ثواب الآخرة الجنة وما أعد فيها وقوله والله يحب المحسنين يقول تعالى ذكره فعل الله ذلك بهم باحسانهم فانه يحب المحسنين وهم الذين يفعلون مثل الذي وصف عنهم تعالى ذكره أنهم فعلوه حين قتل نبيهم ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله في وعد الله ووعيده وأمره ونهيه ان تطيعوا الذين كفروا يعني الذين جحدوا نبوة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فيما يأمرونكم به وفيما ينهونكم عنه فتقبلوا رأيهم في ذلك وتنتصحوهم فيما تزعمون أنهم لكم فيه ناصحون يردوكم على أعقابكم يقول يحملوكم على الردة بعد الايمان والكفر بالله وآياته وبرسوله بعد الاسلام فتنقلبوا خاسرين يقول فترجعوا عن ايمانكم ودينكم الذي هداكم الله له خاسرين يعني هالكين قد خسرتم أنفسكم وضللتم عن دينكم وذهبت دنياكم وآخرتكم ينهى بذلك أهل الايمان بالله أن يطيعوا أهل الكفر في آرائهم وينتصحوهم في أديانهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين أي عن دينكم فتذهب دنياكم وآخرتكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا قال ابن جريج يقول لا تنتصحوا اليهود والنصارى على دينكم ولا تصدقوهم بشئ في دينكم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين يقول ان تطيعوا أبا سفيان يردكم كفارا ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره أن الله مسددكم أيها المؤمنون فمنقذكم من طاعة الذين كفروا وانما قيل بل الله مولاكم لان في قوله ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم نهيا لهم عن طاعتهم فكأنه قال يا أيها الذين آمنوا لا تطيعوا الذين كفروا فيردوكم على أعقابكم ثم ابتدأ الخبر فقال بل الله مولاكم فأطيعوه دون الذين كفروا فهو خير من نصر ولذلك رفع اسم الله ولو كان منصوبا على معنى بل أطيعوا الله مولاكم دون الذين كفروا كان وجها صحيحا ويعني بقوله بل الله مولاكم وليكم وناصركم على أعدائكم الذين كفروا وهو خير الناصرين لا من فررتم اليه من اليهود وأهل الكفر بالله فبالله الذي هو ناصركم ومولاكم فاعتصموا واياه فاستنصروا دون غيره ممن يبغيكم

الجنة معدة للمتقين الموصوفين لا يوجب أن لا يدخلها غيرهم بفضل الله وبرحمته ثم ذكر ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة وعلى التوبة من المعصية وهو تأمل أحوال القرون (٨٠) الخالية فقال قد خلت من قبلكم سنن وأصل الخلو الانفراد والمكان الخالي هو المنفرد عن من يسكن فيه وكل ما انقرض ومضى فقد انفرد عن الوجود والسنة الطريقة المستقيمة والمثال المتبع وهي فعلة بمعنى مفعولة من سن الماء يسنه اذا والى صبه فكأنه أجراه على نهج واحد أو من سننت النصل أحددته أو من سن الابل اذا أحسن الرعى والمراد قد مضت من قبلكم سنن الله تعالى في الامم السالفة يعني سنن الهلاك والاستئصال بدليل قوله فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين فانهم خالفوا رسلهم للحرص على الدنيا وطلب لذاتها ثم انقرضوا ولم يبق من دنياهم أثر وبقي عليهم اللعن في الدنيا والعقاب في الآخرة هذا قول أكثر المفسرين قال مجاهد المراد سنن الله في الكافرين والمؤمنين فان الدنيا ما بقيت لا مع المؤمن ولا مع الكافر ولكن المؤمن يبقى له الثناء الجميل والثواب الجزيل والكافر له اللعن والعقاب ثم قال فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين لان التأمل في حال أحد القسمين يكفي في معرفة حال القسم الآخر أو لان الغرض زجر الكفار عن كفرهم وذلك انما يحصل بتأمل أحوال أمثالهم وليس المراد من قوله فسيروا في الارض الامر بالسير بل المقصود تعرف أحوالهم فان حصلت هذه المعرفة بغير المسير في الارض كان المقصود حاصلا ولا يبعد أن يقال ندب الى السير لان لمشاهدة آثار الاقدمين أثرا أقوى من أثر السماع كما قيل

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

العوائل

هذا بيان المشار اليه بهذا اما أن يكون جميع ما تقدم من الامر والنهي والوعد والوعيد للمتقين والتائبين والمصرين ويكون قوله قد خلت

الغوائل ويرصدكم بالمكاره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق بل الله مولاكم ان كان ما تقولون بألسنتكم صدقا في قلوبكم وهو خير الناصرين أي فاعتصموا به ولا تستنصروا بغيره ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين عن دينكم ❁ القول في تأويل قوله ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه سيلقي الله أيها المؤمنون في قلوب الذين كفروا بربهم وجحدوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ممن حاربكم بأحد الرعب وهو الجزع والهلع بما أشركوا بالله يعني بشركهم بالله وعبادتهم الاصنام وطاعتهم الشيطان التي لم أجعل لهم بها حجة وهي السلطان التي أخبر عز وجل أنه لم ينزله بكفرهم وشركهم وهذا وعد من الله جل ثناؤه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر على أعدائهم والفلج عليهم ما استقاموا على عهده وتمسكوا بطاعته ثم أخبرهم ما هو فاعل بأعدائهم بعد مصيرهم اليه فقال جل ثناؤه ومأواهم النار يعني ومرجعهم الذي يرجعون اليه يوم القيامة النار وبئس مثوى الظالمين يقول وبئس مقام الظالمين الذين ظلموا أنفسهم باكتسابهم ما أوجب لها عقاب الله النار كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين اني سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب الذي به كنت أنصركم عليهم بما أشركوا بي ما لم أجعل لهم به حجة أي فلا تظنوا أن لهم عاقبة نصر ولا ظهور عليكم ما اعتصمتم واتبعتم أمري للمصيبة التي أصابتكم منهم بذنوب قدمتموها لانفسكم خالفتم بها أمري وعصيتم فيها نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين نحو مكة انطلق أبو سفيان حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا فقالوا بئس ما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله عز وجل في قلوبهم الرعب فانهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا وقالوا له ان لقيت محمدا فأخبره بما قد جمعنا لهم فأخبر الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فأنزل الله عز وجل في ذلك فذكر أبا سفيان حين أراد أن يرجع الى النبي صلى الله عليه وسلم وما قذف في قلبه من الرعب فقال سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ❁ القول في تأويل قوله ﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾ يعني بقوله تعالى ذكره ولقد صدقكم الله أيها المؤمنون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم بأحد وعده الذي وعدهم على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم والوعد الذي كان وعدهم على لسانه بأحد قوله للرماة اثبتوا مكانكم ولا تبرحوا وان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وكان وعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم النصر يومئذ ان انتهوا الى أمره كالذي حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما برز رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين بأحد أمر الرماة فقاموا بأصل الجبل في وجوه خيل المشركين وقال لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا قد هزمناهم فانا لن نزال غالبين ما ثبتم مكانكم وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير ثم ان طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين قام فقال يا معشر أصحاب محمد انكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم الى النار ويعجلكم بسيوفنا الى الجنة فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة أو يعجلني بسيفه الى النار فقام اليه علي بن أبي طالب فقال والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي الى النار أو يعجلني بسيفك الى الجنة فضربه علي فقطع رجله

جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به من الاجر واما أن يكون ما حثهم عليه من النظر في سوء عواقب المكذبين ومن الاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وأما البيان والهدى والموعظة فلا بد من الفرق بينها لان العطف يقتضي المغايرة فقيل البيان كالجنس وهو ازالة الشبهات وتحته نوعان أحدهما الكلام الذي يهدي المكلف الى ما ينبغي في الدين وهو الهدى وثانيهما الكلام الزاجر عما لا ينبغي في طريق الدين وهو الموعظة وخص الهدى والموعظة بالمتقين لانهم هم المنتفعون به وقيل البيان عام للناس والهدى والموعظة خاصان بالمتقين لان الهدى اسم للدلالة بشرط كونها موصلة الى البغية وأقول يشبه أن يكون البيان عاما لجميع المكلفين و بأي طريق كان من طرق الدلالة والهدى يراد به الكلام البرهاني والجدلي والموعظة يراد بها الكلام الاقناعي الخطابي كقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن وخص المتقون بالذكر لان البيان في حق غيرهم غير مثمر ثم لما بين هذه المقدمات ومهدها ذكر المقصود وهو قوله ولا تهنوا كأنه قال اذا بحثتم عن أحوال القرون الخالية علمتم أن صولة الباطل تضمحل وأن العاقبة والغلبة لارباب الحق والوهن الضعف أي لا تضعفوا عن الجهاد ولا يورثنكم ما أصابكم يوم أحد وهنا وجبنا ولا تحزنوا على من قتل منكم بجرح وأنتم الاعلون وحالكم أنكم أعلى منهم وأغلب لانكم أصبتم منهم يوم بدر أكثر مما أصابوا منكم يوم أحد أو أنتم الاعلون شأنا لان قتالكم لله وقتالهم للشيطان وقتلاكم في الجنة وقتلاهم في النار أو أنتم الاعلون بالحجة والعاقبة الحميدة كقوله والعاقبة للمتقين وفي هذا تسلية لهم وبشارة وقوله ان كنتم مؤمنين اما أن يكون قيدا لقوله وأنتم الاعلون أي ان كنتم مصدقين

عما بعدكم الله ويبشركم به من الغلبة واما أن يكون قيدا لقوله ولا تهنوا أي ان صح ايمانكم بالله وبحقية هذا الدين فلا تضعفوا لثقتكم بأن الله سيتم هذا الامر قال ابن عباس انهزم أصحاب (٨٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فبيناهم كذلك اذ أقبل خالد بن الوليد بخيل المشركين يريد أن يعلو عليهم الجبل فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يعلون علينا اللهم لا قوة لنا الا بك اللهم ليس يعبدك بهذه البلدة غير هؤلاء النفر فأنزل الله تعالى هذه الآية وثاب نفر من المسلمين رماة فصعدوا الجبل ورموا خيل المشركين حتى هزموهم فذلك قوله وأنتم الاعلون وقال راشد بن سعد لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد كئيبا حزينا جعلت المرأة تجيء بزوجها وأبيها وابنها مقتولين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أهكذا تفعل برسولك فنزلت ان يمسسكم قرح بفتح القاف وبضمها وهما لغتان كالضعف والضعف والجهد والجهد وقيل بالفتح لغة تهامة والحجاز وقيل بالفتح مصدر وبالضم اسم وقال الفراء انه بالفتح الجراحة بعينها وبالضم ألم الجراحة وقال ابن مقسم هما لغتان الا أن المفتوحة توهم أنها جمع قرحة ومعنى الآية ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبل ذلك في يوم بدر ثم لم يثبطهم ذلك عن معاودة القتال فأنتم أولى بأن لا تفرقوا ولا تجبنوا ونظيره فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وقيل القرحان في يوم أحد وذلك أنه قتل يومئذ خلق من الكفار نيف وعشرون رجلا وقتل صاحب لوائهم وكثرت الجراحات فيهم وعقرت عامة خيلهم بالنبل وقد كانت الهزيمة عليهم في أول النهار كما يجيء من قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم والمماثلة في عدد القتلى والجرحى غير لازمة وانما تكفي المثلية في نفس القتل والجراحة وتلك الايام موصوفة أو صفته

فسقط فانكشفت عورته فقال أنشدك الله والرحم يا ابن عم فتركه فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لعلي أصحابه ما منعك أن تجهز عليه قال ان ابن عمي ناشدني حين انكشفت عورته فاستحييت منه ثم شد الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود على المشركين فهزماهم وحمل النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فهزموا أبا سفيان فلما رأى ذلك خالد بن الوليد وهو على خيل المشركين حمل فرمته الرماة فانقمع فلما نظر الرماة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه في جوف عسكر المشركين ينتهبونه بادروا الغنيمة فقال بعضهم لا نترك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلق عامتهم فلحقوا بالعسكر فلما رأى خالد قلة الرماة صاح في خيله ثم حمل فقتل الرماة ثم حمل على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأى المشركون أن خيلهم تقاتل تنادوا فشدوا على المسلمين فهزموهم وقتلوهم حدثنا هرون بن اسحق قال ثنا مصعب بن المقدام قال ثنا اسرائيل قال ثنا أبو اسحق عن البراء قال لما كان يوم أحد ولقينا المشركين أجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم رجالا بازاء الرماة وأمر عليهم عبد الله بن جبير أخا خوات بن جبير وقال لهم لا تبرحوا مكانكم ان رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا فلما التقى القوم هزم المشركون حتى رأيت النساء قد رفعن عن سوقهن وبدت خلاخلهن فجعلوا يقولون الغنيمة الغنيمة قال عبد الله مهلا أما علمتم ما عهد اليكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأبوا فانطلقوا فلما أتوهم صرف الله وجوههم فأصيب من المسلمين سبعون قتيلا حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن البراء بنحوه حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه فان أبا سفيان أقبل في ثلاث ليال خلون من شوال حتى نزل أحدا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأذن في الناس فاجتمعوا وأمر على الخيل الزبير بن العوام ومعه يومئذ المقداد بن الاسود الكندي وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء رجلا من قريش يقال له مصعب بن عمير وخرج حمزة ابن عبد المطلب بالحسر وبعث حمزة بين يديه وأقبل خالد بن الوليد على خيل المشركين ومعه عكرمة ابن أبي جهل فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير وقال استقبل خالد بن الوليد فكن بازائه حتى أوذنك وأمر بخيل أخرى فكانوا من جانب آخر فقال لا تبرحوا حتى أوذنكم وأقبل أبو سفيان يحمل اللات والعزى فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم الى الزبير أن يحمل فحمل على خالد بن الوليد فهزمه ومن معه كما قال لقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وان الله وعد المؤمنين أن ينصرهم وأنه معهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا في قصة ذكرها عن أحد ذكر أن كلهم قد حدث ببعضها وأن حديثهم اجتمع فيما ساق من الحديث فكان فيما ذكر في ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الشعب من أحد في عدوة الوادي الى الجبل فجعل ظهره وعسكره الى أحد وقال لا تقاتلوا حتى نأمر بالقتال وقد سرحت قريش الظهر والكراع في زروع كانت بالصمغة من قناة للمسلمين فقال رجل من الانصار حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القتال أترعى زروع بني قيلة ولما نضارب وصففنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم للقتال وهو في سبعمائة رجل وتصاف قريش وهم ثلاثة آلاف ومعهم مائتا فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وعلى ميسرتها عكرمة بن أبي جهل وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على الرماة عبد الله بن جبير أخا بني عمرو بن عوف وهو يومئذ معلم بثياب بيض والرماة خمسون رجلا وقال انضح عنا الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا ان كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك فلما التقى الناس ودنا بعضهم من بعض واقتتلوا حتى حميت الحرب وقاتل أبو دجانة حتى أمعن في الناس وحمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين فأنزل الله عز وجل نصره وصدقهم وعده فحسوهم بالسيوف حتى كشفوهم وكانت الهزيمة لا شك فيها **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جده قال قال الزبير والله لقد رأيتني أنظر الى خدم هند ابنة عتبة وصواحبها مشمرات هوازم ما دون اخذاهن قليل ولا كثير اذ مالت الرماة الى العسكر حين كشفنا القوم عنه يريدون النهب وخلوا ظهورنا للخيل فأتينا من أدبارنا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن هزمنا أصحاب اللواء حتى ما يدنو منه أحد من القوم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق في قوله ولقد صدقكم الله وعده أي لقد وفيت لكم بما وعدتكم من النصر على عدوكم **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ولقد صدقكم الله وعده وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا تأخذوا ما أصبتم من غنائمهم شيئا حتى تفرغوا فتركوا أمر نبي الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا في الغنائم ونسوا عهده الذي عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به ❁ القول في تأويل قوله (اذ تحسونهم باذنه) يعني تعالى ذكره بذلك ولقد وفى الله لكم أيها المؤمنون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بما وعدكم من النصر على عدوكم بأحد حين تحسونهم يعني حين تقتلونهم يقال منه حسه يحسه حسا اذا قتله كما **حدثني** محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطي قال ثنا يعقوب بن عيسى قال ثني عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه عن عبد الرحمن بن عوف في قوله اذ تحسونهم باذنه قال الحس القتل **حدثني** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا ابن أبي الزناد عن أبيه قال سمعت عبيد الله بن عبد الله يقول في قول الله عز وجل اذ تحسونهم قال القتل **حدثني** محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اذ تحسونهم باذنه قال تقتلونهم **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم أي قتلا باذنه **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله اذ تحسونهم يقول اذ تقتلونهم **حدثت** عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع اذ تحسونهم باذنه والحس القتل **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم بالسيوف أي بالقتل **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن اذ تحسونهم باذنه يعني القتل **حدثني** علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اذ تحسونهم باذنه يقول تقتلونهم وأما قوله

مبتدأ خبره نداولها أو تلك مبتدأ والايام خبره كقولك هي الايام تبلى كل جديد فان الضمير لا يوصف ويكون تلك اشارة الى الوقائع والاحوال العجيبة التي يعرفها أهل التجارب من أبناء الزمان والمراد بالايام ما في تلك الاوقات من الظفر والغلبة والحالات الغريبة وقوله نداولها كالتفسير لما تقدمه والمداولة نقل الشيء من واحد الى آخر يقال تداولته الايدي أي تناقلته والدنيا دول أي تنتقل من قوم الى آخرين لا تدوم مسارها ومغامها فيوم يحصل فيه السرور له والغم لعدوه ويوم آخر بالعكس فلا يبقى شيء من أحوالها ولا يستقر أثر من آثارها ونظيره قولهم الحرب سجال شبهت بالدلاء لكونها تارة مملوءة وأخرى فارغة وليس المراد من هذه المداولة أنه تعالى تارة ينصر المؤمنين وأخرى ينصر الكافرين فان نصرة الله منصب شريف لا يناله الكافرون بل المراد أنه تارة يشدد المحنة على الكافرين وأخرى على المؤمنين وذلك أنه لو شدد المحنة على الكفار في جميع الاوقات وأزالها عن المؤمنين في جميعها لحصل العلم الاضطراري بان الايمان حق وما سواه باطل ولو كان كذلك لبطل التكليف والثواب والعقاب والحكمة في المداولة أن تكون الشبهات باقية والمكلف يدفعها بواسطة النظر في الدلائل الدالة على صحة الاسلام فيعظم ثوابه عند الله والى هذا يشير قوله سبحانه وليعلم الله الذين آمنوا وحذف المعطوف عليه ليذهب الوهم كل مذهب ويقرر الفوائد والتقدير نداولها بين الناس ليكون كيت وكيت وليعلم وفيه ايذان بان المصلحة في هذه المداولة ليست بواحدة ولكن في ضمنها مصالح جمة لو عرفوها انقلبت مساءتهم مسرة منها أن يعلم الله وقد احتج هشام بن الحكم بظاهر هذه الآية ونحوها كقوله ولما يعلم الله

الذين جاهدوا وعلى أنه تعالى لا يعلم الحوادث الا عند وقوعها وقد سبق الاجوبة عنها فى تفسير قوله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه وتأويل الآية أن الطلاق لفظ العلم على المعلوم والقدرة على (٩٨) المقدور مجاز مشهور يقال هذا علم فلان أو قدرته والمراد معلومه أو مقدوره فكل آية يشعر ظاهرها بتجدد العلم فالمراد تجدد المعلوم لان التغير فى علم الله تعالى محال فمعنى الآية ليظهر معلومنا وهو المخلص من المنافق والمؤمن من الكافر وقيل معناه ليحكم بالامتياز فوضع العلم مقام الحكم وقيل ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمهم موجودا منهم الثبات لان المجازاة تقع على الواقع دون المعلوم الذى لم يوجد وقيل ليعلم أولياء الله فاضاف الى نفسه تفخيما لهم وعلى الاقوال العلم بمعنى العرفان ولهذا تعدى الى مفعول واحد وقيل انه بمعنى فعل القلب الذى يتعدى الى مفعولين والتقدير وليعلمهم مميزين عن غيرهم ويحتمل على جميع التقادير ان يضمر متعلق وليعلم بعده ومعناه وليتميز الثابتون على الايمان من المضطربين فعلنا ما فعلنا من حكم المداولة قوله ويتخذ منكم شهداء من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة كقوله لتكونوا شهداء على الناس فان كونهم كذلك منصب شريف لا يناله الا هذه الامة ولن يكونوا من الامة الا بالصبر على ما ابتلوا به من الشدائد أو المراد ليكرم ناسا منكم بالشهادة والشهداء جمع شهيد كالكرماء والظرفاء والمقتول من المسلمين بسيف الكفار يسمى شهيدا قال النضر ابن شميل لانهم أحياء حضروا دار السلام كما ماتوا بخلاف غيرهم وقال ابن الانبارى لان الله وملائكته شهدوا له بالجنة والله لا يحب الظالمين

باذنه فانه يعنى بحكمى وقضائى لكم بذلك وتسليطى اياكم عليهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذ تحسونهم باذنى وتسليطى أيديكم عليهم وكفى أيديهم عنكم ❊ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون) يعنى بقوله جل ثناؤه حتى اذا فشلتم حتى اذا جبنتم وضعفتم وتنازعتم فى الامر يقول واختلفتم فى أمر الله يقول وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد اليكم وانما يعنى بذلك الرماة الذين كان أمرهم صلى الله عليه وسلم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشعب باحد بازاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين الذين ذكرنا قبل أمرهم وأما قوله من بعد ما أراكم ما تحبون فانه يعنى بذلك من بعد الذى أراكم الله أيها المؤمنون بمحمد من النصر والظفر بالمشركين وذلك هو الهزيمة التى كانوا هزموهم عن نسائهم وأموالهم قبل ترك الرماة مقاعدهم التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أقعدهم فيها وقبل خروج خيل المشركين على المؤمنين من ورائهم وبنحو الذى قلنا تظاهرت الاخبار عن أهل التأويل وقد مضى ذكر بعض من قال وسنذكر قول بعض من لم يذكر قوله فيما مضى ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذاكم يوم أحد عهد اليهم نبى الله صلى الله عليه وسلم وأمرهم بأمر فنسوا العهد وجاوزوا وخالفوا ما أمرهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فانصرف عليهم عدوهم بعد ما أراهم من عدوهم ما يحبون حدثنى محمد ابن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث ناسا من الناس يعنى يوم أحد فكانوا من ورائهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كونوا ههنا فردوا وجه من فدمنا وكونوا حرسا لنا من قبل ظهورنا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم القوم هو وأصحابه اختلف الذين كانوا جعلوا من ورائهم فقال بعضهم لبعض لما رأوا النساء مصعدات فى الجبل ورأوا الغنائم قالوا انطلقوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فادركوا الغنيمة قبل أن تسبقوا اليها وقالت طائفة أخرى بل نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنثبت مكاننا فذلك قوله منكم من يريد الدنيا للذين أرادوا الغنيمة ومنكم من يريد الآخرة للذين قالوا نطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونثبت مكاننا فأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فكان فشلا حين تنازعوا بينهم يقول وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون كانوا قد رأوا الفتح والغنيمة حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع حتى اذا فشلتم يقول جبنتم عن عدوكم وتنازعتم فى الامر يقول اختلفتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون وذلك يوم أحد قال لهم انكم ستظهرون فلا أعرفن ما أصبتم من غنائمهم شيأ حتى تفرغوا فتركوا أمر نبى الله صلى الله عليه وسلم وعصوا ووقعوا فى الغنائم ونسوا عهده الذى عهده اليهم وخالفوا الى غير ما أمرهم به فانصرف عليهم عدوهم من بعد ما أراهم فيهم ما يحبون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج حتى اذا فشلتم قال ابن جريج قال ابن عباس الفشل الجبن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون من الفتح حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق حتى اذا فشلتم أى تخاذلتم وتنازعتم فى الامر أى اختلفتم فى أمرى وعصيتم أى تركتم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم وما عهد اليكم يعنى الرماة من بعد ما أراكم ما تحبون أى الفتح لا شك فيه وهزيمة القوم عن نسائهم وأموالهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

أى المشركين ان الشرك لظلم عظيم قال ابن عباس وقيل لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان الصابرين على البلوى وهو اعتراض بين بعض المعللات وبعض وفيه أن دولة الكافرين على المؤمنين للفوائد المذكورة لا لانه يحبهم ومن

حجاج عن المبارك عن الحسن من بعد ما أراكم ما تحبون يعنى من الفتح وقيل معنى قوله حتى اذا فشلتم وتنازعتم فى الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون حتى اذا تنازعتم فى الامر فشلتم وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون انه من المقدم الذى معناه التأخير وان الواو دخلت فى ذلك ومعناها السقوط كما قلنا فى فلما أسلما وتله للجبين وناديناه معناه ناديناه وهذا مقول فى حتى اذا وفى لما ومنه قول الله عز وجل حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج ثم قال واقترب الوعد الحق ومعناه اقترب وكما قال الشاعر

حتى اذا قملت بطونكم * ورأيتم أبناءكم شبوا

وقلبتم ظهر المجن لنا * ان اللئيم العاجز الخب

القول فى تأويل قوله ﴿ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله منكم من يريد الدنيا الذين تركوا مقعدهم الذى أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب من أحد للخيل المشركين ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب اذ رأوا هزيمة المشركين ومنكم من يريد الآخرة يعنى بذلك الذين ثبتوا من الرماة فى مقاعدهم التى أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم واتبعوا أمره محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فالذين انطلقوا يريدون الغنيمة هم أصحاب الدنيا والذين بقوا وقالوا لا نخالف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم أرادوا الآخرة حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس مثله حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ان نبى الله صلى الله عليه وسلم أمر يوم أحد طائفة من المسلمين فقال كونوا مسلحة للناس بمنزلة أمرهم أن يثبتوا بها وأمرهم أن لا يبرحوا مكانهم حتى يأذن لهم فلما لقى نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد أبا سفيان ومن معه من المشركين هزمهم نبى الله صلى الله عليه وسلم فلما رأى المسلحة أن الله عز وجل هزم المشركين انطلق بعضهم وهم يتنادون الغنيمة الغنيمة لا تفتكم وثبت بعضهم مكانهم وقالوا لا نريم موضعنا حتى يأذن لنا نبى الله صلى الله عليه وسلم ففى ذلك نزل منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة فكان ابن مسعود يقول ما شعرت أن أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يوم أحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قال ابن عباس لما هزم الله المشركين يوم أحد قال الرماة أدركوا الناس ونبى الله صلى الله عليه وسلم لا يسبقوكم الى الغنائم فتكون لهم دونكم وقال بعضهم لا نريم حتى يأذن لنا النبى صلى الله عليه وسلم فنزلت منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة قال ابن جريج قال ابن مسعود ما علمنا أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن المبارك عن الحسن منكم من يريد الدنيا هؤلاء الذين يحوزون الغنائم ومنكم من يريد الآخرة الذين يتبعونهم يقتلونهم حدثنا الحسين ابن عمرو بن محمد العنقزى قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى عن عبد خير قال قال عبد الله ما كنت أرى أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى نزل فينا يوم أحد منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط

الحكم قوله وليمحص الله الذين امنوا ويمحق الكافرين والمحص فى اللغة التنقية والمحق النقصان وقال المفضل هو أن يذهب الشئ كله حتى لا يرى منه شئ وقال الزجاج معنى الآية انه ان حصلت الغلبة للكافرين على المؤمنين كان المراد تمحيص ذنوب المؤمنين أى تطهيرهم وتصفيتهم وان كان بالعكس فالمراد محو آثار الكفار وهذه مقابلة لطيفة لان تمحيص هؤلاء باهلاك ذنوبهم نظير محق أولئك باهلاك أنفسهم لا بالكلية فان ذلك غير واقع بل بتدريج ومهل ليقطع طرفا ننقصها من أطرافها * (التأويل) لا تأكلوا الربا بما يؤدى الى الحرص على طلب الدنيا أضعافا مضاعفة الى ما لا يتناهى فلا يملأ جوف ابن آدم الا التراب واتقوا الله خطاب للخواص أى اتقوا بالله عن غير الله فى طلب الله لعلكم تفلحون عن حجب ما سوى الله وتظفرون بالوصول الى الله ثم خاطب العوام الذين هم أرباب الوسائط بقوله واتقوا أى بالقناعة النار أى نار الحرص التى تورى عنها نار القطيعة وجوز وابقصدى طاعة الله وطاعة رسوله ثم أخبر عن المسارعة الى الجنان بمسارعة النفس والجنان عرضها السموات والارض أى المسافة بين العبد وبينها هذا القدر لان الوصول اليها بعد العبور عما فى السموات والارض وهو عالم المحسوسات كما قال النبى صلى الله عليه وسلم عن عيسى انه قال لن يلج ملكوت السموات والارض من لم يولد مرتين فالولادة الثانية هى الخروج عن الصفات الحيوانية بتزكية النفس عنها وولوج الملكوت هو التحلية بالصفات الروحانية ينفقون أموالهم فى السراء وأرواحهم فى الضراء بل من سوى الله فى طلب الله فعلوا فاحشة هى رؤية غير الله أو ظلموا أنفسهم بالتعلق بما سوى الله ذكروا الله بالنظر اليه وبرؤيته ومن يغفر من يستر بكنف عواطفه ذنوب وجود الاغيار الا الله ولم يصروا على ما فعلوا من رؤية الوسائط والتعلق بها وهم يعلمون أن كل شئ ما خلا الله باطل أولئك

عن السدى عن عبد خير قال قال ابن مسعود ما كنت أظن فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ أحدا يريد الدنيا حتى قال الله ما قال حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قال قال عبد الله بن مسعود لما رآهم وقعوا فى الغنائم ما كنت أحسب أن أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد الدنيا حتى كان اليوم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قال كان ابن مسعود يقول ماشعرت أن أحدا من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم كان يريد الدنيا وعرضها حتى كان يومئذ حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق منكم من يريد الدنيا أى الذين أرادوا النهب رغبة فى الدنيا وترك ما أمروا به من الطاعة التى عليها ثواب الآخرة ومنكم من يريد الآخرة أى الذين جاهدوا فى الله لم يخالفوا الى ما نهوا عنه لعرض من الدنيا رغبة فى رجاء ما عند الله من حسن ثوابه فى الآخرة ❁ القول فى تأويل قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) يعنى بذلك جل ثناؤه ثم صرفكم أيها المؤمنون عن المشركين بعد ما أراكم ما تحبون فيهم وفى أنفسكم من هزيمتكم اياهم وظهوركم عليهم فرد وجوهكم عنهم لمعصيتكم أمر رسولى ومخالفتكم طاعته وايثاركم الدنيا على الآخرة عقوبة لكم على ما فعلتم ليبتليكم يقول ليختبركم فيتميز المنافق منكم من المخلص الصادق فى ايمانه منكم كما حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى ثم ذكر حين مال عليهم خالد بن الوليد ثم صرفكم عنهم ليبتليكم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ثم صرفكم عنهم قال صرف القوم عنهم فقتل من المسلمين بعدة من أسروا يوم بدر وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه وكان يمسح الدم عن وجهه ويقول كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت ليس لك من الامر شئ الآية فقالوا أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدنا النصر فأنزل الله عز وجل ولقد صدقكم الله وعده الى قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم صرفكم عنهم ليبتليكم أى صرفكم عنهم ليختبركم وذلك ببعض ذنوبكم ❁ القول فى تأويل قوله (ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين) يعنى بقوله جل ثناؤه ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله أيها المخالفون أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم والتاركون طاعته فيما تقدم اليكم من لزوم الموضع الذى أمركم بلزومه عنكم فصفح لكم من عقوبة ذنبكم الذى أتيتموه عما هو أعظم مما عاقبكم به من هزيمة أعدائكم اياكم وصرف وجوهكم عنهم اذ لم يستأصل جمعكم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن مبارك عن الحسن فى قوله ولقد عفا عنكم قال قال الحسن وصفق بيديه وكيف عفا عنهم وقد قتل منهم سبعون وقتل عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وشج فى وجهه قال ثم يقول قال الله عز وجل قد عفوت عنكم اذ عصيتمونى أن لا أكون استأصلتكم قال ثم يقول الحسن هؤلاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى سبيل الله غضاب لله يقاتلون أعداء الله نهوا عن شئ فصنعوه فوالله ما تركوا حتى غموا بهذا الغم فأفسق الفاسقين اليوم يتجرأ على كل كبيرة ويركب كل داهية ويسحب عليها ثيابه ويزعم أن لا بأس عليه فسوف يعلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ولقد عفا عنكم قال لم يستأصلكم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم ولقد عفا الله عن عظيم ذلك لم يهلككم بما أتيتم من معصية نبيكم ولكن عدت بفضلى عليكم وأما قوله والله

ذو

جزاؤهم مغفرة أى هم مستحقون لمقامات القرب من ربهم وجنات من أصناف ألطافه تجرى من تحتها الانهار العناية ونعم أجر العاملين لان نيل المقصود فى بذل المجهود قد خلت من قبلكم أمم لهم سنن فسيروا فى الارض نفوسكم الحيوانية بالعبور على أوصافها الدنية لتبلغوا سماء قلوبكم الروحانية فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين بهذه المقامات الروحانية والمكاشفات الربانية ولا تهنوا أيها السائرون فى السير الى الله ولا تحزنوا على ما فاتكم من اللذات الفانية وأنتم الأعلون من أهل الدنيا والآخرة لانكم من أهل الله ان يمسسكم فى أثناء المجاهدات قرح ابتلاء وامتحان فقد مس القوم من الانبياء والاولياء قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس السائرين يوما نعمة ويوما نقمة ويوما محنة ويوما منحة ويتخذ منكم شهداء أرباب المشاهدات والمكاشفات وليمحص الله فيه اشارة الى أن كل ألم ونصب يصيب المؤمن فهو تطهير لقلبه وتكفير لسره وما يصيب الكافر من نعمة ودولة وغنى ومنى فهو سبب لكفرانه ومزيد لطغيانه وبوجه آخر البلاء لأهل الولاء تمحيص للقلوب عن ظلمات العيوب وتنويرها بأنوار الغيوب ويمحق صفات نفوسهم الكافرة ومحو سمات أخلاقهم الفاجرة ليتخلصوا عن قفص الاشباح الى حظائر الارواح (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه فقد رأيتموه وأنتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا

في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين (٨٧)

ذو فضل على المؤمنين فانه يعني والله ذو طول على أهل الايمان به وبرسوله بعفوه لهم عن كثير ما يستوجبون به العقوبة عليه من ذنوبهم فان عاقبهم على بعض ذلك فذو احسان اليهم بجميل أياديه عندهم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين يقول وكذلك من الله على المؤمنين أن عاقبهم ببعض الذنوب في عاجل الدنيا أدبا وموعظة فانه غير مستأصل لكل ما فيهم من الحق له عليهم لما أصابوا من معصيته رحمة لهم وعائدة عليهم لما فيهم من الايمان ۞ القول في تأويل قوله (اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم) يعني بذلك جل ثناؤه ولقد عفا عنكم أيها المؤمنون اذ لم يستأصلكم اهلاكا منه جمعكم بذنوبكم وهربكم اذ تصعدون ولا تلوون على أحد واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه عامة قراء الحجاز والعراق والشام سوى الحسن البصري اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين وبه القراءة عندنا لاجماع الحجة من القراء على القراءة به واستنكارهم ما خالفه وروي عن الحسن البصري أنه كان يقرؤه اذ تصعدون بفتح التاء والعين حدثني بذلك أحمد بن يوسف قال ثنا القاسم بن سلام قال ثنا حجاج عن هرون عن يونس بن عبيد عن الحسن فأما الذين قرؤا تصعدون بضم التاء وكسر العين فانهم وجهوا معنى ذلك الى أن القوم حين انهزموا عن عدوهم أخذوا في الوادي هاربين وذكروا أن ذلك في قراءة أبي اذ تصعدون في الوادي حدثنا أحمد ابن يوسف قال ثنا أبو عبيد قال ثنا حجاج عن هرون قالوا فالهرب في مستوى الارض وبطون الاودية والشعاب اصعاد لا صعود قالوا وانما يكون الصعود على الجبال والسلاليم والدرج لان معنى الصعود الارتقاء والارتفاع على الشئ علوا قالوا فاما الاخذ في مستوى الارض والهبوط فانما هو اصعاد كما يقال أصعدنا من مكة اذا ابتدأت في السفر منها والخروج وأصعدنا من الكوفة الى خراسان بمعنى خرجنا منها سفرا اليها وابتدأنا منها الخروج اليها قالوا وانما جاء تأويل أكثر أهل التأويل بان القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوهم في بطن الوادي ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولا تلوون على أحد ذاكم يوم أحد أصعدوا في الوادي فرارا ونبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم في أخراهم قال الي عباد الله الي عباد الله وأما الحسن فاني أراه ذهب في قراءته اذ تصعدون بفتح التاء والعين الى أن القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل وقد قال ذلك عدد من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال لما شد المشركون على المسلمين بأحد فهزموهم دخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الناس الي عباد الله الي عباد الله فذكر الله صعودهم على الجبل ثم ذكر دعاء نبي الله صلى الله عليه وسلم اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله اذ تصعدون ولا تلوون على أحد قال صعدوا في أحد فرارا * قال أبو جعفر وقد ذكرنا أن أولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ اذ تصعدون بضم التاء وكسر العين بمعنى السبق والهرب في مستوى الارض أو في المهابط لاجماع

۞ القراآت رايتموه بغير همزة يعني بالتليين ونحوه رأولي ورأوه وروى هبة الله بن جعفر عن الاصفهاني عن ورش وحمزة في الوقف يرد ثواب وبابه مدغما أبو عمرو (٣) وشان ابن عامر وسهل وحمزة وعلي وخلف نؤته مثل يؤده وكائن بالمد والهمز مثل كاعن حيث كان ابن كثير وقرأ يزيد وكاين بالمد بغير همزة وقرأ أبو عمرو وسهل ويعقوب وعلي بغير نون في الوقف وكأي الباقون وكأين في الحالين قتل أبو عمرو وسهل ويعقوب وابن كثير ونافع وقتيبة والمفضل الباقون قاتل ۞ الوقوف الصابرين ه تلقوه ص لطول الكلام رسول ج لان ما بعده يصلح صفة واستئنافا الرسل ط أعقابكم ط لتناهي الاستفهام شيأ ط الشاكرين ه مؤجلا ج لابتداء الشرط منها ج للعطف منها ط الشاكرين ه قتل ط ليكون قتل النبي صلى الله عليه وسلم الزاما للحجة على من اعتذر في الانهزام بما سمع من نداء ابليس ألا ان محمدا قد قتل والتقدير ومعه ربيون كثير ولو وصل كان الربيون مقتولين ومن قرأ قاتل فله أن لا يقف كثير ج لابتداء النفي مع فاء التعقيب وما استكانوا ط الصابرين ه الكافرين ه الآخرة ط المحسنين ه خاسرين ه مولاكم ج الناصرين ه ۞ التفسير انه سبحانه لما ذكر فوائد مداولة الايام وحكمها أتبعها ما هو السبب الاصلي في ذلك فقال (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة) بدون تحمل المشاق وأم منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار ولما بمعنى لم مع زيادة التوقع وليس المراد نفي العلم بالمجاهدين ولكن المراد نفي المعلوم وانما حسن اقامة ذلك مقام هذا لان العلم متعلق بالمعلوم كما هو عليه فلما حصلت بينهما هذه المطابقة حسن اقامة أحدهما مقام الآخر تقول ما علم الله في فلان

خيرا أي ما فيه خير حتى يعلمه فحاصل الكلام لا تحسبوا أن تدخلوا الجنة ولم تجاهدوا بعد وانما أنكر هذا الحسبان لانه تعالى أوجب الجهاد قبل هذه الواقعة وأوجب الصبر على تحمل متاعبها (٨٨) وبين وجوه المصالح المنوطة بها في الدين والدنيا واذا كان كذلك فمن البعيد أن يصل الانسان الى السعادة والجنة مع اهمال مثل هذه الطاعة والواو في قوله ويعلم الصابرين واو الجمع في قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن كأنه قيل ان دخول الجنة وترك المصابرة على الجهاد مما لا يجتمعان فليس كل من أقر بدين الله كان صادقا ولكن الفيصل فيه تسليط المكروهات ومخالفات النفس فان الحب هو الذي لا ينقص بالجفاء ولا يزداد بالوفاء وقيل التقدير أظننتم أن تدخلوا الجنة قبل أن يعلم الله المجاهدين وأن يعلم الصابرين ووجه آخر وهو أن يكون مجزوما أيضا لكن الميم لما حركت للساكنين حركت بالفتحة اتباعا للفتحة قبلها وهذا كما قرئ ولما يعلم الله بفتح الميم الا أن يراد ولما يعلمن بالنون الخفيفة ثم حذفت وقرأ الحسن ويعلم بالجزم على العطف وروى عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على الحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) الخطاب فيه للذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة ويراد بالموت سببه وهو الجهاد والقتل قال المحققون انه لم يكن تمنيهم للموت تمنيا لان يقتلوا لان قتل المشركين لهم كفر ولا يجوز للمؤمن أن يتمنى الكفر أو يريده أو يرضى به بل انما تمنوا الفوز بدرجات الشهداء والوصول الى كراماتهم وشبهوا ذلك عن شرب دواء الطبيب النصراني وان غرضه حصول الشفاء ولا يخطر بباله جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيق صناعته قالت الاشاعرة ههنا من أراد شيأ أراد ما هو من لوازمه وثواب الشهداء لا يحصل الا بالشهادة ولا قد

ريب انه تعالى أراد ايصال ثواب الشهداء الى المؤمنين ولهذا ورد من الترغيبات ما ورد فأراد صيرورتهم شهداء ولن يصيروا شهداء الا اذا قتلهم

الحجة على أن ذلك هو القراءة الصحيحة في اجماعها على ذلك الا ليسل الواضح على أن أولى التأويلين بالآية تأويل من قال أصعدوا في الوادي ومضوا فيه دون قول من قال صعدوا على الجبل وأما قوله ولا تلوون على أحد فانه يعني ولا تعطفون على أحد منكم ولا يلتفت بعضكم الى بعض هربا من عدوكم مصعدين في الوادي ويعني بقوله والرسول يدعوكم في أخراكم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوكم أيها المؤمنون به من أصحابه في أخراكم يعني أنه يناديكم من خلفكم الى عباد الله الى عباد الله كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس والرسول يدعوكم في أخراكم الى عباد الله ارجعوا الى عباد الله ارجعوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة والرسول يدعوكم في أخراكم رأوا نبي الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى عباد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال أبنهم الله بالفرار عن نبيهم صلى الله عليه وسلم وهو يدعوهم لا يعطفون عليه لدعائه اياهم فقال اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله والرسول يدعوكم في أخراكم هذا يوم أحد حين انكشف الناس عنه ﴿ القول في تأويل قوله (فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون) يعني بقوله جل ثناؤه فأثابكم غما بغم يعني فجازاكم بفراركم عن نبيكم وفشلكم عن عدوكم ومعصيتكم ربكم غما بغم يقول غما على غم وسمى العقوبة التي عاقبهم بها من تسليط عدوهم عليهم حتى نال منهم ما نال ثوابا اذ كان ذلك من عملهم الذي سخطه ولم يرضه منهم فدل بذلك جل ثناؤه أن كل عوض كان لمعوض من شيء من العمل خيرا كان أو شرا أو العوض الذي بذله رجل لرجل أو يد سلفت له اليه فانه مستحق اسم ثواب كان ذلك العوض تكرمة أو عقوبة ونظير ذلك قول الشاعر

أخاف زيادا أن يكون عطاؤه ❊ أداهم سودا أو محدرجة سمرا

فجعل العطاء العقوبة وذلك كقول القائل لآخر سلف اليه منه مكروه لأجازينك على فعلك ولأثيبنك ثوابك وأما قوله غما بغم فانه قيل غما بغم معناه غما على غم كما قيل ولأصلبنكم في جذوع النخل بمعنى ولأصلبنكم على جذوع النخل وانما جاز ذلك لان معنى قول القائل أثابك الله غما على غم جزاك الله غما بعد غم تقدمه فكان كذلك معنى فأثابكم غما بغم لان معناه فجزاكم الله غما بعقب غم تقدمه وهو نظير قول القائل نزلت ببني فلان ونزلت على بني فلان وضربته بالسيف وعلى السيف واختلف أهل التأويل في الغم الذي أثيب القوم على الغم وما كان غمهم الاول والثاني فقال بعضهم أما الغم الاول فكان ما تحدث به القوم أن نبيهم صلى الله عليه وسلم قد قتل وأما الغم الآخر فانه كان ما نالهم من القتل والجراح ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فأثابكم غما بغم كانوا تحدثوا يومئذ أن نبي الله صلى الله عليه وسلم أصيب وكان الغم الآخر قتل أصحابهم والجراحات التي أصابتهم قال وذكر لنا انه قتل يومئذ سبعون رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة وستون رجلا من الانصار وأربعة من المهاجرين وقوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم يقول ما فاتكم من غنيمة القوم ولا ما أصابكم في أنفسكم من القتل والجراحات حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله فأثابكم غما بغم قال فرة بعد فرة الاولى حين سمعوا الصوت أن محمدا

قد قتل والثانية حين رجع الكفار فضربوهم مدبرين حتى قتلوا منهم سبعين رجلا ثم انحازوا الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعلوا يصعدون في الجبل والرسول يدعوهم في أخراهم حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه * وقال آخرون بل غمهم الاول كان قتل من قتل منهم وجرح من جرح منهم والغم الثاني كان من سماعهم صوت القائل قتل محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الثاني حين سمعوا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فأثابكم غما بغم قال الغم الاول الجراح والقتل والغم الآخر حين سمعوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الآخر ما أصابهم من الجراح والقتل وما كانوا يرجون من الغنيمة وذلك حين يقول الله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم * وقال آخرون بل الغم الاول ما كان فاتهم من الفتح والغنيمة والثاني اشراف أبي سفيان عليهم في الشعب. وذلك أن أبا سفيان فيما زعم بعض أهل السير لما أصاب من المسلمين ما أصاب وهرب المسلمون جاء حتى أشرف عليهم وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعب أحد الذي كانوا ولوا اليه عند الهزيمة فخافوا أن يصطلمهم أبو سفيان وأصحابه ذكر الخبر بذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ يدعو الناس حتى انتهى الى أصحاب الصخرة فلما رأوه وضع رجل سهما في قوسه فأراد أن يرميه فقال أنا رسول الله ففرحوا بذلك حين وجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا وفرح رسول الله حين رأى أن في أصحابه من يمتنع فلما اجتمعوا وفيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذهب عنهم الحزن فأقبلوا يذكرون الفتح وما فاتهم منه ويذكرون أصحابهم الذين قتلوا فأقبل أبو سفيان حتى أشرف عليهم فلما نظروا اليه نسوا ذلك الذي كانوا عليه وهمهم أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس لهم أن يعلونا اللهم ان تقتل هذه العصابة لا تعبد ثم ندب أصحابه فرموهم بالحجارة حتى أنزلوهم فقال أبو سفيان يومئذ اعل هبل حنظلة بحنظلة ويوم بيوم بدر وقتلوا يومئذ حنظلة بن الراهب وكان جنبا فغسلته الملائكة وكان حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر قال أبو سفيان لنا العزى ولا عزى لكم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قل الله مولانا ولا مولى لكم فقال أبو سفيان فيكم محمد قالوا نعم قال أما انها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها ولا سرتني ولا ساءتني فذكر الله اشراف أبي سفيان عليهم فقال فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم الغم الاول ما فاتهم من الغنيمة والفتح والغم الثاني اشراف العدو عليهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ولا ما أصابكم من القتل حين تذكرون فشغلهم أبو سفيان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني ابن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن ابن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا فيما ذكروا من حديث أحد قالوا كان المسلمون في ذلك اليوم لما أصابهم فيه من شدة البلاء أثلاثا ثلث قتيل وثلث جريح وثلث منهزم وقد بلغته الحرب حتى ما يدري ما يصنع وحتى خلص العدو الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدث بالحجارة حتى

كقولهم رأيته بعيني أي رأيتموه معاينين حين قتل بين أيديكم من قتل من اخوانكم وشارفتم أن تقتلوا ويحتمل أن يراد رأيتم اقدام القوم وشدة حرصهم على قتلكم وعلى قتل الرسول ثم بقيتم أنتم تنظرون اليهم من غير جد في دفعهم ولا اجتهاد في مقاتلتهم وفيه توبيخ لهم على تمنيهم الجهاد وعلى الحاحهم في الخروج اليه ثم انهزامهم وقلة ثباتهم عنده قال ابن عباس ومجاهد والضحاك لما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالشعب أمر الرماة أن يلزموا أصل الجبل ولا ينتقلوا سواء كان الأمر لهم أو عليهم فلما وقفوا وحملوا على الكفار هزموهم وقتل علي عليه السلام طلحة بن أبي طلحة صاحب لوائهم والزبير والمقداد شدا على المشركين ثم حمل الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصحابه فهزموا أبا سفيان ثم ان بعض القوم لما رأوا انهزام الكفار بادر قوم من الرماة الى الغنيمة وكان خالد بن الوليد صاحب ميمنة الكفار فلما رأى تفرق الرماة حمل على المسلمين فهزمهم وفرق جمعهم وكثر القتل في المسلمين ورمى عبد الله بن قميئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه وأقبل يريد قتله فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قميئة واحتمل طلحة بن عبيد الله رسول الله ودافع عنه أبو بكر وعلي عليه السلام وظن ابن قميئة انه قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل قيل وكان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله صلى الله عليه وسلم فانكفؤا وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الي عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا

يارسول الله فدينالك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فنزلت (وما محمد الا رسول) أى مرسل قال أبو على وقد يكون الرسول فى غير هذا الموضع بمعنى الرسالة أى حاله مقصور على الرسالة لا يتخطاها الى البقاء والدوام (قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما

وقع لشفته وأصيبت رباعيته وشج فى وجهه وكلمت شفته وكان الذى أصابه عتبة بن أبى وقاص وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه لواؤه حتى قتل وكان الذى أصابه ابن قميئة الليثى وهو يظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع الى قريش فقال قتلت محمدا **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فكان أول من عرف رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الهزيمة وقول الناس قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق قال ثنى ابن شهاب الزهرى كعب بن مالك أخو بنى سلمة قال عرفت عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتى يامعشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأشار الى رسول الله أن أنصت فلما عرف المسلمون رسول الله صلى الله عليه وسلم نهضوا به ونهض نحو الشعب معه على بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة وعمر بن الخطاب وطلحة بن عبيد الله والزبير ابن العوام والحرث بن الصامت فى رهط من المسلمين قال فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الشعب ومعه أولئك النفر من أصحابه اذ علت عالية من قريش الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انه لا ينبغى لهم أن يعلونا فقاتل عمر بن الخطاب ورهط معه من المهاجرين حتى أهبطوهم عن الجبل ونهض رسول الله صلى الله عليه وسلم الى صخرة من الجبل ليعلوها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بدن فظاهر بين درعين فلما ذهب لينهض فلم يستطع جلس تحته طلحة بن عبيد الله فنهض حتى استوى عليها ثم ان أبا سفيان حين أراد الانصراف أشرف على الجبل ثم صرخ بأعلى صوته أنعمت فعال ان الحرب سجال يوم بيوم بدر أعل هبل أى ظهر دينك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر قم فأجبه فقل الله أعلى وأجل لا سواء قتلانا فى الجنة وقتلاكم فى النار فلما أجاب عمر رضى الله عنه أبا سفيان قال له أبو سفيان هلم الى ياعمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ائته فانظر ماشأنه فجاءه فقال له أبو سفيان أنشدك الله ياعمر أقتلنا محمدا فقال عمر اللهم لا وانه ليسمع كلامك الآن فقال أنت أصدق عندى من ابن قميئة وأبر لقول ابن قميئة لهم انى قتلت محمدا ثم نادى أبو سفيان فقال انه قد كان فى قتلاكم مثلة والله مارضيت ولا سخطت ولا نهيت ولا أمرت **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة قال ثنى ابن اسحق فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم ولا ما أصابكم أى كربا بعد كرب قتل من قتل من اخوانكم وعلو عدوكم عليكم وما وقع فى أنفسكم من قول من قال قتل نبيكم فكان ذلك مما تتابع عليكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم من ظهوركم على عدوكم بعد أن رأيتموه بأعينكم ولا ما أصابكم من قتل اخوانكم حتى فرجت بذلك الكرب عنكم والله خبير بما تعملون وكان الذى فرج عنهم ما كانوا فيه من الكرب والغم الذى أصابهم أن الله عز وجل رد عنهم كذبة الشيطان بقتل نبيهم فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيا بين أظهرهم هان عليهم مافاتهم من القوم فهان الظهور عليهم والمصيبة التى أصابتهم فى اخوانهم حين صرف الله القتل عن نبيهم صلى الله عليه وسلم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فأثابكم غما بغم قال ابن جريج قال مجاهد أصاب الناس حزن وغم على ما أصابهم فى أصحابهم الذين قتلوا فلما تولوا فى الشعب تداعوا وقف أبو سفيان وأصحابه بباب الشعب فظن المؤمنون أنهم سوف يميلون عليهم فيقتلونهم أيضا فأصابهم حزن فى ذلك أيضا أنساهم حزنهم فى أصحابهم فذلك قوله فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على مافاتكم قال ابن جريج قوله على مافاتكم يقول على مافاتكم من غنائم القوم ولا ما أصابكم فى أنفسكم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

أن أتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فكونوا أنتم كذلك لأن الغرض من ارسال الرسل التبليغ والزام الحجة لا وجودهم بين أممهم أبدا (أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم) الفاء لتسبيب الجملة الشرطية عن الجملة التى قبلها والهمزة لانكار الجزاء لانه فى الحقيقة كأنه دخل عليه والمعنى أفتنقلبون على أعقابكم ان مات محمد أو قتل وسبب الانكار ماتقدم من الدليلين أحدهما أن الحاجة الى الرسول هى التبليغ وبعد ذلك لا حاجة اليه فلا يلزم من قتله أو موته الادبار عما كان هو عليه من الدين ومايلزم كالجهاد وثانيهما القياس على موت سائر الأنبياء وقتلهم فان موسى عليه السلام مات ولم ترجع أمته عن ذلك الدين والنصارى زعموا أن عيسى عليه السلام قتل وهم لم يرجعوا عن دينه وانما ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل لكونه مجوزا عند المخاطبين وقوله والله يعصمك من الناس لو سلم أنه متقدم فى النزول فانه مما كان يختص بمعرفته العلماء منهم على أنه ليس نصا فى العصمة عن القتل بل يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم وقوله انك ميت يراد به المفارقة الى الآخرة بأى طريق كان بدليل وانهم ميتون وكثير منهم قد قتلوا ويمكن أن يقال صدق القضية الشرطية لا يتوقف على صدق جزأيها لصدق قولنا ان كانت الخمسة زوجا فهى تنقسم بمتساويين مع كذب جزأيها ومعنى أو هو الترديد والتشكيك أى سواء فرض وقوع الموت أو القتل فلا تأثير له فى ضعف الدين ووجوب الادبار أو الارتداد (ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ) بل لا يضر الا نفسه وهذا كما يقول الوالد لولده عند العتاب ان هذا الذى تأتى به من الأفعال لا يضر السماء والأرض

عن ابن جريج قال أخبرني عبد الله بن كثير عن عبيد بن عمير قال جاء أبو سفيان بن حرب ومن معه حتى وقف بالشعب ثم نادى أفي القوم ابن أبي كبشة فسكتوا فقال أبو سفيان قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم ابن أبي قحافة فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أفي القوم عمر بن الخطاب فسكتوا فقال قتل ورب الكعبة ثم قال أبو سفيان اعل هبل يوم بيوم بدر وحنظلة بحنظلة وأنتم واجدون في القوم مثلا لم يكن عن رأى سراتنا وخيارنا ولم نكرهه حين رأيناه فقال النبي صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب قم فناد فقل الله أعلى وأجل نعم هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا أبو بكر وها أناذا لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار * وقال آخرون في ذلك بما حدثني به محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم فرجعوا فقالوا والله لنأتينهم ثم لنقتلنهم (١) قد خرجوا منا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مهلا فانما أصابكم الذي أصابكم من أجل أنكم عصيتموني فبينماهم كذلك اذ أتاهم القوم قد أنسوا وقد اخترطوا اسيوفهم فكان غم الهزيمة وغمهم حين أتوهم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من القتل ولا ما أصابكم من الجراحة فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا الآية وهو يوم أحد * وأولى هذه الأقوال بتأويل الآية قول من قال معنى قوله فأثابكم غما بغم أيها المؤمنون بحرمان الله اياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم وما أصابكم من القتل والجراح يومئذ بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون بمعصيتكم ربكم وخلافكم أمر نبيكم صلى الله عليه وسلم غم ظنكم ان نبيكم صلى الله عليه وسلم قد قتل وميل العدو عليكم بعد فلولكم منهم والذي يدل على أن ذلك أولى بتأويل الآية مما خالفه قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والفائت لاشك أنه هو ما كانوا رجوا الوصول اليه من غيرهم اما من ظهور عليهم بغلبهم واما من غنيمة يحتازونها وان قوله ولا ما أصابكم هو ما أصابهم اما في أبدانهم واما في اخوانهم فاذ كان ذلك كذلك فمعلوم أن الغم الثاني هو معنى غير هذين لان الله عز وجل أخبر عباده المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه أثابهم غما بغم لئلا يحزنهم ما نالهم من الغم الناشئ عما فاتهم من غيرهم ولا ما أصابهم قبل ذلك في أنفسهم وهو الغم الأول على ما قد بيناه قبل وأما قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم فان تأويله على ما قد بينت من أنه لكيلا تحزنوا على ما فاتكم فلم تدركوه مما كنتم ترجون ادراكه من عدوكم بالظفر عليهم والظهور وحيازة غنائمهم ولا ما أصابكم في أنفسكم من جرح من جرح وقتل من قتل من اخوانكم وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه قبل على السبيل التي اختلفوا فيه كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم قال على ما فاتكم من الغنيمة التي كنتم ترجون ولا تحزنوا على ما أصابكم من الهزيمة وأما قوله والله خبير بما تعملون فانه يعني جل ثناؤه والله بالذي تعملون أيها المؤمنون من اصعادكم في الوادي هربا من عدوكم وانهزامكم منهم وترككم نبيكم وهو يدعوكم في أخراكم وحزنكم على ما فاتكم من عدوكم وما أصابكم في أنفسكم ذو خبرة وعلم وهو محص ذلك كله عليكم حتى يجازيكم به المحسن منكم باحسانه والمسيء باساءته أو يعفو عنه

(١) قوله قد خرجوا منا سقطت هذه الجملة من رواية الدر المنثور وهي أوضح فحرر ما هنا كتبه مصححه

يريد أنه يعود ضرره عليه وما ارتد أحد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز أن يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم روى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك ياقوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني أعتذر اليك مما يقول هؤلاء وأبرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بأنصاري يتشحط في دمه فقال يافلان أشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم ففي أمثالهم قال تعالى (وسيجزي الله الشاكرين) لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا من الصبر والثبات ثم قال (وما كان لنفس أن تموت) ووجه النظم أن المنافقين أرجفوا أن محمدا قتل فارجعوا الى ما كنتم عليه من الأديان فأبطل قولهم بأن القتل مثل الموت في أنه لا يحصل الا في الوقت المقدر وكما أنه لو مات في بلده لم يدل ذلك على فساد دينه فكذا القتل وفيه تحريض المؤمنين على الجهاد باعلامهم أن الحذر لا يغني عن القدر وأن أحدا لا يموت قبل الاجل وان خوض المهالك واقتحم المعارك أو الغرض بيان حفظه وكلاءته لنبيه فانه ما بقي في تلك الواقعة سبب من أسباب الهلاك والشر الا وقد حصل الا أنه تعالى لما كان حافظا لنبيه ولم يقدر في ذلك الوقت أجله لم يضره ذلك وفيه تقريع لأصحابه انهم قد قصروا في الذب عنه صلى الله عليه وسلم وجواب عما قاله المنافقون للصحابة لما رجعوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا قال الأخفش والزجاج تقدير الكلام وما كانت نفس لتموت الا باذن الله وقال ابن عباس الاذن هو قضاء الله وقدره فانه

القول في تأويل قوله (ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه ثم أنزل الله أيها المؤمنون من بعد الغم الذي أثابكم ربكم بعد غم تقدمه قبله أمنة وهي الأمان على أهل الاخلاص منكم واليقين دون أهل النفاق والشك ثم بين جل ثناؤه عن الامنة التي أنزلها عليهم ماهي فقال نعاسا بنصب النعاس على الابدال من الامنة ثم اختلفت القراء في قراءة قوله يغشى فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض الكوفيين بالتذكير بالياء يغشى وقرأ جماعة من قراء الكوفيين بالتأنيث تغشى بالتاء وذهب الذين قرؤا ذلك بالتذكير الى أن النعاس هو الذي يغشى الطائفة من المؤمنين دون الامنة فذكره بتذكير النعاس وذهب الذين قرؤا ذلك بالتأنيث الى أن الأمنة هي التي تغشاهم فأنثوه لتأنيث الامنة والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان مستفيضتان في قراءة الامصار غير مختلفتين في معنى ولا غيره لان الأمنة في هذا الموضع هي النعاس والنعاس هو الامنة وسواء ذلك وبأيتهما قرأ القارئ فهو مصيب الحق في قراءته وكذلك جميع ما في القرآن من نظائره من نحو قوله ان شجرة الزقوم طعام الأثيم كالمهل تغلي في البطون وألم يك نطفة من مني تمنى وهزي اليك بجذع النخلة تساقط فان قال قائل وما كان السبب الذي من أجله افترقت الطائفتان اللتان ذكرهما الله عز وجل فيما افترقتا فيه من صفتهما فأمنت احداهما بنفسها حتى نعست وأهمت الأخرى أنفسها حتى ظنت بالله غير الحق ظن الجاهلية قيل كان سبب ذلك فيما ذكر لنا كما **حدثنا** محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أن المشركين انصرفوا يوم أحد بعد الذي كان من أمرهم وأمر المسلمين فواعدوا النبي صلى الله عليه وسلم بدرا من قابل فقال لهم نعم فتخوف المسلمون أن ينزلوا المدينة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقال انظر فان رأيتهم قعدوا على أثقالهم وجنبوا خيولهم فان القوم ذاهبون وان رأيتهم قد قعدوا على خيولهم وجنبوا على أثقالهم فان القوم ينزلون المدينة فاتقوا الله واصبروا ووطنهم على القتال فلما أبصرهم الرسول قعدوا على الأثقال سراعا عجالا نادى بأعلى صوته بذهابهم فلما رأى المؤمنون ذلك صدقوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فناموا وبقي أناس من المنافقين يظنون أن القوم يأتونهم فقال الله جل وعز يذكر حين أخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان كانوا ركبوا الاثقال فانهم منطلقون فناموا ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس أمنهم يومئذ بنعاس غشاهم وانما ينعس من يأمن يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية **حدثنا** ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن حميد عن أنس بن مالك عن أبي طلحة قال كنت فيمن أنزل عليه النعاس يوم أحد أمنة حتى سقط من يدي مرارا «قال أبو جعفر» يعني سوطه أو سيفه **حدثنا** عمرو بن علي قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس عن أبي طلحة قال رفعت رأسي يوم أحد فجعلت ما أرى أحدا من القوم الا تحت حجفته يميد من النعاس **حدثنا** ابن بشار وابن المثنى قالا ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة عن أنس عن أبي طلحة قال كنت فيمن صب عليه النعاس يوم أحد **حدثنا** بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال ثنا أنس بن مالك عن أبي طلحة أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس

لا يحدث شيء الا بمشيئة الله وارادته فأورد الكلام على سبيل التمثيل كأنه فعل لا ينبغي لأحد أن يقدم عليه الا أن يأذن الله فيه وذلك أن اسناد الموت الى النفس نسبة الفعل الى القابل لا الى الفاعل فأقيم القابل مقام الفاعل وقال أبو مسلم الاذن هو الامر والمعنى ان الله تعالى يأمر ملك الموت بقبض الارواح فلا يموت أحد الا بهذا الامر وقيل المراد التكوين والتخليق لانه لا يقدر على خلق الموت والحياة أحد الا الله وقيل التخلية والاطلاق وترك المنع بالقهر والاجبار والمعنى ما كان لنفس أن تموت بالقتل الا بأن يخلي الله بين القاتل والمقتول وفيه أنه تعالى لا يخلي بين نبيه وبين أحد ليقتله صلى الله عليه وسلم ولكنه جعل من بين يديه صلى الله عليه وسلم ومن خلفه رصدا ليتم على يديه بلاغ ما أرسله به فلا تهنوا في غزواتكم بعد ذلك بارجاف مرجف وقيل الاذن العلم أي لن تموت نفس الا في الوقت الذي علم الله موتها فيه وفي الآية دليل على أن المقتول ميت بأجله وأن تغيير الآجال ممتنع ولذا أكد هذا المعنى بقوله (كتابا مؤجلا) وهو مصدر مؤكد لنفسه لدلالة ما قبله عليه أي كتب الموت كتابا مؤجلا موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر وقيل الكتاب المؤجل هو المشتمل على الآجال وقيل هو اللوح المحفوظ الذي كتب فيه جميع الحوادث من الخلق والرزق والاجل والسعادة والشقاوة قال القاضي الأجل والرزق مضافان الى الله تعالى وأما الكفر والفسق والايمان والطاعة فكل ذلك مضاف الى العبد واذا كتب تعالى ذلك فانما يكتب ما يعلمه من اختيار العبد وذلك لا يخرج فيه العبد من أن يكون مذموما أو ممدوحا والحق أن هذا تعكيس للقضية فان الله تعالى اذا علم من العبد الكفر استحال أن يأتي هو بالايمان والا انقلب علم الله جهلا واذا كان هو غير قادر على الايمان حينئذ فما معنى اختياره ثم انه كان في الذين حضروا يوم أحد من يريد الدنيا ومن

قال

يد الآخرة كما أخبر الله تعالى في هذه السورة فقوله (ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها) أي من ثوابها تعريض بالفريق الدنيوي وهم الذين شغلتهم الغنائم وباقي الآية مدح للفريق الآخر الاخروي وان فضله تعالى وعطيته شامل لكلا الفريقين لكن ثواب الفريق الثاني هو المعتد به في الحقيقة ولهذا ختم الكلام بقوله (وسنجزي الشاكرين) فابهم الجزاء وأضافه الى نفسه تنبيها على أن جزاء الذين شكروا نعمة الاسلام فلم يشغلهم عن الجهاد شئ لا يكتنه كنهه وتقصر عنه العبارة وأنه كما يليق بعميم فضله وجسيم طوله وهذه الآية وان وردت في الجهاد لكنها عامة في جميع الاعمال كما قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات وذلك لأن المؤثر في جانب الثواب والعقاب القصود والدواعي فمن وضع الجبهة على الارض والوقت ظهر والشمس أمامه فان قصد بذلك السجود عبادة الله تعالى كان من الايمان وان قصد تعظيم الشمس كان من الكفر (وكأين) الأكثرون على أنها في الاصل مركبة من كاف التشبيه وأي التي هي في غاية الابهام اذا قطعت عن الاضافة كما أن كذا مركبة من الكاف وذا المقصود به الاشارة فكأين مثل كذا في كون المجرورين مبهمين عند السامع الأن في ذا اشارة في الاصل الى ما في ذهن المتكلم بخلاف أي فانه للعدد المبهم ومميزها منصوب ومفرد على الاصل والاكثر ادخال من في مميز كأين وبه ورد القرآن والتمييز بعد كذا وكأين في الاصل عن الكاف لا عن ذا وأي كما في مثلك رجلا لانك تبين في كذا رجلا وكأين رجلا أن مثل العدد المبهم من أي جنس هو ولم تبين العدد المبهم فأي في الاصل كان معربا لكنه انمحى عن الجزأين

قال كان السيف يسقط من يدي ثم آخذه من النعاس حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا والله أعلم عن أنس أن أبا طلحة حدثهم أنه كان يومئذ ممن غشيه النعاس قال فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه ويسقط وآخذه ويسقط والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية الآية كلها حدثنا أحمد ابن الحسن الترمذي قال ثنا ضرار بن صرد قال ثنا عبد العزيز بن محمد عن محمد بن عبد العزيز عن الزهري عن عبد الرحمن بن المسور بن مخرمة عن أبيه قال سألت عبد الرحمن بن عوف عن قول الله عز وجل ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال ألقى علينا النوم يوم أحد حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا الآية وذاكم يوم أحد كانوا يومئذ فريقين فأما المؤمنون فغشاهم الله النعاس أمنة منه ورحمة حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بن أنس نحوه حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله أمنة نعاسا قال ألقى عليهم النعاس فكان ذلك أمنة لهم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال قال عبد الله النعاس في القتال أمنة والنعاس في الصلاة من الشيطان حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا قال أنزل النعاس أمنة منه على أهل اليقين به فهم نيام لا يخافون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله أمنة نعاسا قال ألقى الله عليهم النعاس فكان أمنة لهم وذكر أن أبا طلحة قال ألقي عليّ النعاس يومئذ فكنت أنعس حتى يسقط سيفي من يدي حدثنا ابن بشار قال ثنا اسحق بن ادريس قال ثنا حماد بن سلمة قال أخبرنا ثابت عن أنس بن مالك عن أبي طلحة * وهشام بن عروة عن عروة عن الزبير أنهما قالا لقد رفعنا رؤسنا يوم أحد فجعلنا ننظر فما منهم من أحد الا وهو يميل بجنب حجفته قال وتلا هذه الآية ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا ۞ القول في تأويل قوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية) يعني بذلك جل ثناؤه وطائفة منكم أيها المؤمنون قد أهمتهم أنفسهم يقول هم المنافقون لا هم لهم غير أنفسهم فهم من حذر القتل على أنفسهم وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أعينهم الكرى يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله شكا في أمر الله وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه ومعل عليه أهل الكفر به يقولون هل لنا من الامر من شئ كالذي حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال والطائفة الاخرى المنافقون ليس لهم هم الا أنفسهم أجبن قوم وأرعبه وأخذله للحق يظنون بالله غير الحق ظنونا كاذبة انما هم أهل شك وريبة في أمر الله يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال والطائفة الأخرى المنافقون ليس لهم همة الا أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قال الله عز وجل قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وطائفة قد أهمتهم أنفسهم قال أهل النفاق قد أهمتهم أنفسهم تخوف القتل وذلك أنهم لا يرجون عاقبة

معناهما الافرادي وصار المجموع كاسم مفرد بمعنى كم الخبرية فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكين فلهذا تكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له خطا ولاجل التركيب تصرف فيه فقيل كائن مثل كاعن وربما ظن بعضهم

أنه اسم فاعل من كان ولكنه بني لكثرة الاستعمال وهاتان اللغتان فيه مشهورتان ولهذا قرئ بهما وفيه لغات أخر غير مشهورة تركنا ذكرها
لانه لم يقرأ بها ولعلك تجدها في كتبنا الادبية ومحل كأين ههنا رفع على الابتداء وقوله قتل أو قاتل خبره والضمير يعود الى

حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وطائفة قد أهمتهم أنفسهم الى آخر الآية قال هؤلاء المنافقون وأما قوله ظن الجاهلية فانه يعني أهل الشرك كالذي حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قوله ظن الجاهلية قال ظن أهل الشرك * وفي رفع قوله وطائفة وجهان أحدهما أن تكون مرفوعة بالعائد من ذكرها في قوله قد أهمتهم والآخر بقوله يظنون بالله غير الحق ولو كانت منصوبة كان جائزا وكانت الواو في قوله وطائفة ظرفا للفعل بمعنى وأهمت طائفة أنفسهم كما قال والسماء بنيناها بأيد ﴿ القول في تأويل قوله (يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) يعني بذلك الطائفة المنافقة التي قد أهمتهم أنفسهم يقولون ليس لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله ولو كان لنا من الامر شئ ما خرجنا القتال من قاتلنا فقتلونا كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم قال وهل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله وهذا أمر مبتدأ من الله عز وجل يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المنافقين ان الامر كله لله يصرفه كيف يشاء ويدبره كيف يحب ثم عاد الى الخبر عن ذكر نفاق المنافقين فقال يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقول يخفي يا محمد هؤلاء المنافقون الذين وصفت لك صفتهم في أنفسهم من الكفر والشك في الله ما لا يبدون لك ثم أظهر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما كانوا يخفونه بينهم من نفاقهم والحسرة التي أصابتهم على حضورهم مع المسلمين مشهدهم بأحد فقال مخبرا عن قيلهم الكفر واعلانهم النفاق بينهم يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا يعني بذلك أن هؤلاء المنافقين يقولون لو كان الخروج الى حرب من خرجنا لحربه من المشركين الينا ما خرجنا اليهم ولا قتل منا أحد في الموضع الذي قتلوا فيه بأحد وذكر أن ممن قال هذا القول معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف ذكر الخبر بذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال ابن اسحق ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن الزبير قال والله اني لأسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف والنعاس يغشاني ما أسمعه الا كالحلم حين قال لو كان لنا من الأمر شئ ما قتلنا ههنا حدثني سعيد بن يحيى الاموي قال ثني أبي عن ابن اسحق قال ثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عبد الله بن الزبير عن أبيه بمثله * واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء الحجاز والعراق قل ان الامر كله لله بنصب الكل على وجه النعت للامر والصفة له وقرأه بعض قراء أهل البصرة قل ان الامر كله لله برفع الكل على توجيه الكل الى أنه اسم وقوله لله خبره كقول القائل ان الامر بعضه لعبد الله وقد يجوز أن يكون الكل في قراءة من قرأه بالنصب منصوبا على البدل والقراءة التي هي القراءة عندنا النصب في الكل لاجماع أكثر القراء عليه من غير أن تكون القراءة الأخرى خطأ في معنى أو عربية ولو كانت القراءة بالرفع في ذلك مستفيضة في القراء لكانت سواء عندي القراءة بأي ذلك قرئ لاتفاق معاني ذلك بأي وجهيه قرئ ﴿ القول في تأويل قوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور) يعني بذلك جل ثناؤه قل يا محمد للذين

لفظ كأين فانه مفرد اللفظ وان كان مجموع المعنى والربيون معناه الالوف أو الجماعات الكثيرة الواحد ربي عن الفراء والزجاج قال ابن قتيبة أصله من الربة الجماعة فحذفت الهاء في النسبة ويقال تربوا أي تجمعوا وقال ابن زيد الربانيون الائمة والولاة والربيون الرعية والكسر فيه من تغييرات النسب كالضم في دهري والقياس الفتح ثم من قرأ قتل فمعنى الآية ان كثيرا من الانبياء قتلوا والذين بقوا بعده ما وهنوا في دينهم بل استمروا على جهاد عدوهم ونصرة دينهم وكان ينبغي أن يكون لكم فيهم أسوة حسنة فيكون المقصود من الآية حكاية ما جرى لسائر الانبياء لتقتدي هذه الامة بهم ومن قرأ قاتل فالمعنى وكم من نبي قاتل معه العدد الكثير من أصحابه فأصابهم من عدوهم قرح فما وهنوا فعلى هذا يكون الغرض من الآية ترغيب الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في القتال وربما تؤيد هذه القراءة ما روي عن سعيد بن جبير أنه قال ما سمعنا بنبي قتل في القتال ويحتمل أن تنزل القراءة الاولى على هذه الرواية أيضا بأن يقال المعنى وكأين من نبي قتل ممن كان معه وعلى دينه ربيون كثير فما ضعف الباقون وما استكانوا لقتل من قتل من اخوانهم بل مضوا على جهاد عدوهم ثم انه تعالى مدح هؤلاء الربيين بصفات وذلك قوله فما وهنوا الخ ولابد من تغايرها فقيل فما وهنوا عند
قتل النبي وما ضعفوا عن الجهاد بعده وما استكانوا للعدو أي لم يخضعوا له وفيه تعريض بما أصاب المسلمين من
الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن جهاد الكفار واستكانتهم لهم حين أرادوا

وصفت

وصفت لك صفتهم من المنافقين لو كنتم في بيوتكم لم تشهدوا مع المؤمنين مشهدهم ولم تحضروا معهم حرب أعدائهم من المشركين فيظهر للمؤمنين ما كنتم تخفونه من نفاقكم وتكتمونه من شرككم في دينكم لبرز الذين كتب عليهم القتل يقول لظهر للموضع الذي كتب عليه مصرعه فيه من قد كتب عليه القتل منهم ويخرج من بيته اليه حتى يصرع في الموضع الذي كتب عليه أن يصرع فيه وأما قوله وليبتلي الله ما في صدوركم فانه يعني به وليبتلي الله ما في صدوركم أيها المنافقون كنتم تبرزون من بيوتكم الى مضاجعكم ويعني بقوله وليبتلي الله ما في صدوركم وليختبر الله الذي في صدوركم من الشك فيميزكم بما يظهره للمؤمنين من نفاقكم من المؤمنين وقد دللنا فيما مضى على أن معاني نظائر قوله ليبتلي الله وليعلم الله وما أشبه ذلك وان كان في ظاهر الكلام مضافا الى الله الوصف به فمراد به أولياؤه وأهل طاعته وأن معنى ذلك وليختبر أولياء الله وأهل طاعته الذي في صدوركم من الشك والمرض فيعرفوكم من أهل الاخلاص واليقين وليمحص ما في قلوبكم يقول وليتبينوا ما في قلوبكم من الاعتقاد لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من العداوة أو الولاية والله عليم بذات الصدور يقول والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وايمان وكفر لا يخفى عليه شئ من أمورهم سرائرها وعلانيتها وهو لجميع ذلك حافظ حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم وبنحو الذي قلنا في ذلك كان ابن اسحق يقول حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ذكر الله تلاومهم يعني تلاوم المنافقين وحسرتهم على ما أصابهم ثم قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل لو كنتم في بيوتكم لم تحضروا هذا الموضع الذي أظهر الله جل ثناؤه فيه منكم ما أظهر من سرائركم لأخرج الذين كتب عليهم القتل الى موطن غيره يصرعون فيه حتى يبتلي به ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم والله عليم بذات الصدور أي لا يخفى عليه شئ مما في صدورهم مما استخفوا به منكم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن بحر السقاء عن عمرو بن عبيد عن الحسن قال سئل عن قوله قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم قال كتب الله على المؤمنين أن يقاتلوا في سبيله وليس كل من يقاتل يقتل ولكن يقتل من كتب الله عليه القتل ۞ القول في تأويل قوله (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم) يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد وانهزموا عنهم وقوله تولوا تفعلوا من قولهم ولى فلان ظهره وقوله يوم التقى الجمعان يعني يوم التقى جمع المشركين والمسلمين بأحد انما استزلهم الشيطان أي انما دعاهم الى الزلة الشيطان وقوله استزل استفعل من الزلة والزلة هي الخطيئة ببعض ما كسبوا يعني ببعض ما عملوا من الذنوب ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد تجاوز الله عن عقوبة ذنوبهم فصفح لهم عنه ان الله غفور يعني به مغط على ذنوب من آمن به واتبع رسوله بعفوه عن عقوبته اياهم عليها حليم يعني أنه ذو أناة لا يعجل على من عصاه وخالف أمره بالنقمة ثم اختلف أهل التأويل في أعيان القوم الذين عنوا بهذه الآية فقال بعضهم عني بها كل من ولى الدبر عن المشركين بأحد

ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا أبو بكر بن عياش قال ثنا عاصم بن كليب عن أبيه قال خطب عمر يوم الجمعة فقرأ آل عمران وكان يعجبه اذا خطب أن يقرأها فلما انتهى الى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال لما كان يوم أحد هزمناهم ففررت

أن يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من أبي سفيان وقيل الوهن استيلاء الخوف عليهم والضعف ضعف الايمان واختلاج الشبهات في صدورهم والاستكانة الانتقال من دينهم الى دين عدوهم وقيل الوهن ضعف يلحق القلب والضعف مطلقا اختلال القوة الجسمية والاستكانة اظهار ذلك العجز والضعف واستكان قيل افتعل من السكون كأنه سكن لصاحبه ليفعل به ما يريد وعلى هذا فالمد شاذ كقولهم هو منه بمنتزاح أي ببعد يراد بمنتزح والأصح أنه استفعل من كان والمد قياسي كأن صاحبه تغير من كون الى كون أي من حال الى حال (والله يحب الصابرين) بأن يريد اكرامهم والحكم بالثواب والجنة لهم ثم أخبر أنهم كانوا مستعينين عند ذلك التصبر والتجلد بالدعاء والتضرع وطلب الامداد والنصر من الله والغرض أن تقتدي هذه الامة بهم فان من عول في تحصيل مهماته على نفسه وعدده وعدده ذل ومن اعتصم بالله والتجأ اليه فاز بالظفر وفي اضافتهم الذنوب والاسراف الى أنفسهم وهم ربانيون هضم للنفس واستصغار لها قال المحققون انما قدموا الاستغفار لعلمهم بأنه تعالى ضمن نصر المؤمنين فاذا لم يحصل النصرة وظهرت أمارات استيلاء الاعداء دل ذلك على صدور ذنب وتقصير من المؤمنين فيلزم تقديم التوبة والاستغفار على طلب النصرة ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاة وطهارة أقرب الى الاستجابة انهم عمموا الذنوب أولا الصغائر والكبائر بقولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا ثم خصصوا الذنوب الكبائر بقولهم واسرافنا في أمرنا لأن الاسراف في كل شئ هو الافراط فيه والمراد بتثبيت الاقدام ازالة الخوف عن قلوبهم واماطة الخواطر الفاسدة عن صدورهم والمراد بالنصر الامور الزائدة على القوة والعدة والشدة كالقاء الرعب في قلوب الاعداء وكاحداث أحوال سماوية أو أرضية توجب انهزامهم كهبوب ريح تثير الغبار في وجوههم واجراء سيل في مواضع وقوفهم وفي الآية تأديب وارشاد من الله تعالى

فى كيفية الطلب عند النوائب جهادا كان أو غيره (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر وانشراح الصدر (وحسن ثواب الآخرة) وهو الجنة ومافيها من المنافع واللذات (٩٦) وذلك غير حاصل فى الحال والمراد أنه حكم لهم بحصولها فى الآخرة وحكم الله

بالحصول كنفس الحصول أو المراد أنه سيؤتيهم مثل أتى أمر الله أى سيأتى قال القاضى ولا يمتنع أن تكون الآية مختصة بالشهداء وانهم فى الجنة عند ربهم كما ماتوا أحياء وثواب الآخرة كله حسن فما ظنك بحسن ثوابها وانما لم يصف ثواب الدنيا بالحسن لقلتها وامتزاجها بالمضار وكدر صفوها بالانقطاع والزوال قال القفال يحتمل أن يكون الحسن هو الحسن كقوله وقولوا للناس حسنا والغرض منه المبالغة كما يقال فلان جود وعدل اذا كان غاية فى الجود ونهاية فى العدل وههنا نكتة وهى أنه أدخل من التبعيضية فى الآية المتقدمة فى قوله نؤته منها فى الموضعين ولم يذكر فى هذه الآية لان أولئك اشتغلوا بالثواب عن العبودية فلم ينالوا الا البعض بخلاف هؤلاء فانهم لم يذكروا أنفسهم الا بالعيب والقصور ولم يسألوا ربهم الا ما يوجب اعلاء كلمته فلا جرم فازوا بالكل وفيه تنبيه على أن من أقبل على خدمة الله أقبل على خدمته كل ما سوى الله ثم قال (والله يحب المحسنين) والاحسان أن تعبد الله كأنك تراه وههنا سر وهو أنه تعالى وفقهم للطاعة ثم أثابهم عليها ثم مدحهم على ذلك فسماهم محسنين ليعلم العبد أن الكل بعنايته وفضله (يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا) عن السدى المراد بالذين كفروا هو أبو سفيان وأصحابه فانه كان كبير القوم فى ذلك اليوم والمعنى ان تستكينوا لهم وتستأمنوهم وعن على عليه السلام هم المنافقون عبد الله بن أبى وأشياعه قالوا للمؤمنين عند الهزيمة أنهم ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا فى دينهم وعن الحسن هم اليهود والنصارى يستغوونهم ويوقعون لهم الشبهة فى الدين ولا سيما عند هذه الواقعة

حتى صعدت الجبل فلقد رأيتنى أنزو كأننى أروى والناس يقولون قتل محمد فقلت لا أجد أحدا يقول قتل محمد الا قتلته حتى اجتمعنا على الجبل فنزلت ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية كلها حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية وذلك يوم أحد ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم تولوا عن القتال وعن نبى الله يومئذ وكان ذلك من أمر الشيطان وتخويفه فأنزل الله عز وجل ما تسمعون أنه قد تجاوز لهم عن ذلك وعفا عنهم حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنى عبد الله بن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع فى قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية فذكر نحو قول قتادة * وقال آخرون بل عنى بذلك خاص ممن ولى الدبر يومئذ قالوا وانما عنى به الذين لحقوا بالمدينة منهم دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال لما انهزموا يومئذ تفرق عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فدخل بعضهم المدينة وانطلق بعضهم فوق الجبل الى الصخرة فقاموا عليها فذكر الله عز وجل الذين انهزموا فدخلوا المدينة فقال ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان الآية * وقال آخرون بل نزل ذلك فى رجال بأعيانهم معروفين ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان قال نزلت فى رافع بن المعلى وغيره من الأنصار وأبى حذيفة بن عتبة ورجل آخر قال ابن جريج وقوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فر عثمان بن عفان وعقبة بن عثمان وسعد بن عثمان رجلان من الانصار حتى بلغوا الجلعب جبل بناحية المدينة مما يلى الأعوص فأقاموا به ثلاثا ثم رجعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم لقد ذهبتم فيها عريضة حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قوله ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الآية والذين استزلهم الشيطان عثمان بن عفان وسعد بن عثمان وعقبة بن عثمان الانصاريان ثم الزرقيان وأما قوله ولقد عفا الله عنهم فان معناه ولقد تجاوز الله عن الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان أن يعاقبهم بتوليهم عن عدوهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج قوله ولقد عفا الله عنهم يقول ولقد عفا الله عنهم اذ لم يعاقبهم حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله فى توليهم يوم أحد ولقد عفا الله عنهم فلا أدرى أذلك العفو عن تلك العصابة أم عفو عن المسلمين كلهم وقد بينا تأويل قوله ان الله غفور حليم فيما مضى

القول فى تأويل قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم) يعنى بذلك جل ثناؤه يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وأقروا بما جاء به محمد من عند الله لا تكونوا كمن كفر بالله وبرسوله فجحد نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقال لاخوانه من أهل الكفر اذا ضربوا فى الارض فخرجوا من بلادهم سفرا فى تجارة أو كانوا غزى يقول أو كان خروجهم من بلادهم غزاة فهلكوا فماتوا فى سفرهم أو قتلوا فى غزوهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا يخبر بذلك عن قول هؤلاء الكفار انهم يقولون لمن غزا منهم فقتل أو مات فى سفر خرج فيه فى طاعة الله أو تجارة لو لم يكونوا خرجوا من عندنا وكانوا أقاموا فى بلادهم ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم يعنى

أنهم يقولون ذلك كي يجعل الله قولهم ذلك حزنا في قلوبهم وغما ويجهلون أن ذلك الى الله جل ثناؤه وبيده وقد قيل ان الذين نهى الله المؤمنين بهذه الآية أن يتشبهوا بهم فيما نهاهم عنه من سوء اليقين بالله هم عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه ذكر من قال ذلك حدثني محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية قال هؤلاء المنافقون أصحاب عبد الله بن أبي حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزا قول المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله * وقال آخرون في ذلك هم جميع المنافقين ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم الآية أي لا تكونوا كالمنافقين الذين ينهون اخوانهم عن الجهاد في سبيل الله والضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله ويقولون اذا ماتوا أو قتلوا لو أطاعونا ما ماتوا وما قتلوا وأما قوله اذا ضربوا في الارض فانه اختلف في تأويله فقال بعضهم هو السفر في التجارة والسير في الارض لطلب المعيشة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي اذا ضربوا في الارض وهي التجارة * وقال آخرون بل هو السير في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق اذا ضربوا في الارض الضرب في الارض في طاعة الله وطاعة رسوله وأصل الضرب في الارض الابعاد فيها سيرا وأما قوله أو كانوا غزا فانه يعني أو كانوا غزاة في سبيل الله والغزى جمع غاز جمع على فعل كما يجمع شاهد شهد وقائل قول وقد ينشد بيت رؤبة

فاليوم قد نهنهني تنهنهي * وأول حلم ليس بالمسفه * وقول الا ده فلا ده

وينشد أيضا * وقولهم الا ده فلا ده * وانما قيل لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض أو كانوا غزى فأصحب ماضي الفعل الحرف الذي لا يصحب مع الماضي منه الا المستقبل فقيل وقالوا لاخوانهم ثم قيل اذا ضربوا وانما يقال في الكلام أكرمتك اذ زرتني ولا يقال أكرمتك اذا زرتني لان القول الذي في قوله وقالوا لاخوانهم وان كان في لفظ الماضي فانه بمعنى المستقبل وذلك أن العرب تذهب بالذين مذهب الجزاء وتعاملها في ذلك معاملة من وما لتقارب معاني ذلك في كثير من الاشياء وان جمعهن أشياء مجهولات غير مؤقتات توقيت عمرو وزيد فلما كان ذلك كذلك وكان صحيحا في الكلام فصيحا أن يقال للرجل أكرم من أكرمك وأكرم كل رجل أكرمك فيكون الكلام خارجا بلفظ الماضي مع من وكل مجهول ومعناه الاستقبال اذ كان الموصوف بالفعل غير موقت وكان الذين في قوله لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا في الارض غير موقتين أجريت مجرى من وما في ترجمتها التي تذهب مذهب الجزاء واخراج صلاتها بألفاظ الماضي من الافعال وهي بمعنى الاستقبال كما قال الشاعر في ما

واني لآتيكم تشكر ما مضى * من الامر واستيجاب ما كان في غد

فقال ما كان في غد وهو يريد ما يكون في غد ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولم يجز له أن يقول ما كان في غد ولو كان الذي موقتا لم يجز أن يقال ذلك خطأ أن يقال لك من هذا الذي

كانوا يقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما أصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوم له و يوم عليه والاقرب أنه عام في جميع الكفار فان خصوص السبب لا ينافي ارادة العموم فعلى المؤمنين أن لا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم وعلى مشورتهم حتى لا يستجرهم الى موافقتهم وهو المراد بقوله (يردوكم على أعقابكم) أي الى الكفر بعد الايمان (فتنقلبوا خاسرين) في الدنيا باستبدال ذلة الكفر بعزة الاسلام والانقياد للاعداء الذي هو أشق الأشياء لدى العقلاء وفي الآخرة بالحرمان عن الثواب المؤبد والوقوع في العقاب المخلد (بل الله مولاكم) ناصركم وهو اضراب عما كانوا بصدده من طاعة الكفار والمعنى أنكم انما تطيعون الكفار لينصروكم ويعينوكم على مطالبكم وهذا خطأ وجهالة لانهم عاجزون مثلكم متحيرون وبغير اذن الله لا ينفعون ولا يضرون (وهو خير الناصرين) لو فرض أن لأحد سواه قدرة على النصر لانه خبير بمواقع الحاجات قدير على انجاز الطلبات ينصر في الدنيا والآخرة بلا شائبة علة من العلات ونصرة غيره لو فرض فانه مخصوص بالدنيا وببعض الامور وفي بعض الاوقات ولغرض من الاغراض الفاسدات كيف ولا ناصر بالحقيقة سواه * التأويل أم حسبتم أن تدخلوا الجنة أن تلجوا عالم الملكوت ولم تظهر منكم مجاهدات تورث المشاهدات ولا الصبر على تزكية النفوس وتصفية القلوب على وفق الشريعة وقانون الطريقة لتتحلى الارواح بأنوار الحقيقة ولقد كنتم بأرباب الصدق وأصحاب الطلب تمنون موت النفوس عن صفاتها تزكية لها من قبل أن تلقوه بالمجاهدات والرياضات في خلاف النفس وقهرها عند لقاء العدو في الجهاد الاصغر ظاهرا وفي الجهاد الاكبر باطنا فقد رأيتم هذه الاسباب التي كنتم تمنونها عيانا وأنتم تنظرون لا تفقدون أرواحكم ولا تجاهدون حق الجهاد في الله بأرواحكم وأشباحكم أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم فيه أن الايمان التقليدي لا اعتبار له

فينقلب المقلد عن ايمانه عند اعدام المقلد من الوالدين أو الاستاذ وكذا عند موت المقلد فيعجز عند سؤال الملكين في قولهما له من ربك فيقول هاه لا أدري فيقولان ما تقول في هذا الرجل فيقول هاه لا أدري كنت أقول فيه ما قال الناس فيقولان له لا دريت ولا تليت

أكرمك اذ أزرته لان الذي ههنا موقت فقد خرج من معنى الجزاء ولو لم يكن في الكلام هذا لكان جائزا فصيحا لان الذي يصير حينئذ مجهولا غير موقت ومن ذلك قول الله عز وجل ان الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله فرد يصدون على كفروا لأن الذين غير موقتة فقوله كفروا وان كان في لفظ ماض فمعناه الاستقبال وكذلك قوله الا من تاب وآمن وعمل صالحا وقوله الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم معناه الا الذين يتوبون من قبل أن تقدروا عليهم والا من يتوب ويؤمن ونظائر ذلك في القرآن والكلام كثير والعلة في كل ذلك واحدة وأما قوله ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فانه يعني بذلك حزنا في قلوبهم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله في قلوبهم قال يحزنهم قولهم لا ينفعهم شيأ حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم لقلة اليقين بربهم جل ثناؤه ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير) يعني جل ثناؤه بقوله والله يحيي ويميت والله المعجل الموت لمن يشاء من حيث يشاء والمميت من يشاء كلما شاء دون غيره من سائر خلقه وهذا من الله عز وجل ترغيب لعباده المؤمنين على جهاد عدوه والصبر على قتالهم واخراج هيبتهم من صدورهم وان قل عددهم وكثر عدد أعدائهم وأعداء الله واعلام منه لهم أن الاماتة والاحياء بيده وأنه لن يموت أحد ولا يقتل الا بعد فناء أجله الذي كتب له ونهي منه لهم اذ كان كذلك أن يجزعوا لموت من مات منهم أو قتل من قتل منهم في حرب المشركين ثم قال جل ثناؤه والله بما تعملون بصير يقول ان الله يرى ما تعملون من خير وشر فاتقوه أيها المؤمنون انه محص ذلك كله حتى يجازي كل عامل بعمله على قدر استحقاقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله يحيي ويميت أي يعجل ما يشاء ويؤخر ما يشاء من آجالهم بقدرته ۞ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون) يخاطب جل ثناؤه عباده المؤمنين يقول لهم لا تكونوا أيها المؤمنون في شك من أن الامور كلها بيد الله وأن اليه الاحياء والاماتة كما شك المنافقون في ذلك ولكن جاهدوا في سبيل الله وقاتلوا أعداء الله على يقين منكم بأنه لا يقتل في حرب ولا يموت في سفر الا من بلغ أجله وحانت وفاته ثم وعدهم على جهادهم في سبيله المغفرة والرحمة وأخبرهم أن موتا في سبيل الله وقتلا في الله خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها الذي من أجله يتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله ويتأخرون عن لقاء العدو كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون أي ان الموت كائن لا بد منه فموت في سبيل الله أو قتل خير لو علموا فأيقنوا مما يجمعون في الدنيا التي لها يتأخرون عن الجهاد تخوفا من الموت والقتل لما جمعوا من زهيد الدنيا وزهادة في الآخرة وانما قال الله عز وجل لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وابتدأ الكلام ولئن متم أو قتلتم بحذف جزاء لئن لان في قوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون معنى جواز للجزاء وذلك أنه وعد خرج مخرج الخبر فتأويل الكلام ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم ليغفرن الله لكم وليرحمنكم فدل على ذلك بقوله لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون وجمع مع الدلالة به عليه الخبر عن فضل ذلك على ما يؤثرونه من الدنيا وما يجمعون فيها وقد زعم بعض أهل العربية من أهل البصرة انه ان قيل كيف يكون لمغفرة من الله ورحمة

جوابا

وسيجزي الله بالايمان الحقيقي الشاكرين الذين شكروا نعمة الايمان التقليدي باداء حقوقه وهو الائتمار بأوامر الشرع والانتهاء عن نواهيه وما كان لنفس أن تموت عن أوصافها الدنية وأخلاقها الردية وتتخلص عنها بطبعها الا بتوفيق الله وجذبه واشراق نوره كما أن ظلمة الليل لا تنتهي الا باشراق طلوع الشمس ثم أثبت للعبد كسبا في طلب الهداية واستجلاب العناية بقوله ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها وهذه رتبة الخواص أي من عمل شوقا الى الحق فقد رأى نعمة وجود المنعم فثوابه نقد في الدنيا لانه حاضر لا غيبة له وهو معنى قولهم الصوفي ابن الوقت وفيه أنشد

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما
بأكرم من مولى تمشى الى عبد
أتى زائرا من غير وعد وقال لي
أصونك عن تعذيب قلبك بالوعد

ومن عمل شوقا الى الجنة فنظره على النعمة فثوابه في الآخرة وسنجزي الشاكرين أي كلا الفريقين على قدر شكرهما وكأين من نبي قاتل أعدى العدو الذي بين جنبيه ومعه ربيون متخلقون بأخلاق الرب فما وهنوا لما أصابهم من تعب المجاهدات وما ضعفوا في طلب الحق وما استكانوا باحتمال الذلة والالتفات الى غير الله ان تطيعوا الذين كفروا أي النفوس الكافرة وصفاتها يردوكم الى أسفل سافلين بشريتكم وبهيميتكم (سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما

أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم

ولقد عفى عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا

يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم

جوابا لقوله ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم فان القول فيه (١) أن يقال فيه كأنه قال ولئن متم أو قتلتم فذكر لهم رحمة من الله ومغفرة اذ كان ذلك فى السبيل فقال لمغفرة من الله ورحمة يقول لذلك خير مما تجمعون يعنى لتلك المغفرة والرحمة خير مما تجمعون ودخلت اللام فى قوله لمغفرة من الله لدخولها فى قوله ولئن كما قيل ولئن نصروهم ليولن الادبار ❁ القول فى تأويل قوله (ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون) يعنى بذلك جل ثناؤه ولئن متم أو قتلتم أيها المؤمنون فان الى الله مرجعكم ومحشركم فيجازيكم بأعمالكم فآثروا ما يقربكم من الله ويوجب لكم رضاه ويقربكم من الجنة من الجهاد فى سبيل الله والعمل بطاعته على الركون الى الدنيا وما تجمعون فيها من حطامها الذى هو غير باق لكم بل هو زائل عنكم وعلى ترك طاعة الله والجهاد فان ذلك يبعدكم عن ربكم ويوجب لكم سخطه ويقربكم من النار وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال ابن اسحق حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ولئن متم أو قتلتم أى ذلك كان لالى الله تحشرون أى ان الى الله المرجع فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا تغتروا بها وليكن الجهاد وما رغبكم الله فيه منه آثر عندكم منها وأدخلت اللام فى قوله لالى الله تحشرون لدخولها فى قوله ولئن ولو كانت اللام مؤخرة الى قوله تحشرون لأحدثت النون الثقيلة فيه كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لأحسنن اليك بنون مثقلة فكان كذلك قوله ولئن متم أو قتلتم لتحشرن الى الله ولكن لما حيز بين اللام وبين تحشرون بالصفة أدخلت فى الصفة وسلمت تحشرون فلم تدخلها النون الثقيلة كما تقول فى الكلام لئن أحسنت الى لاليك أحسن بغير نون مثقلة ❁ القول فى تأويل قوله (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) يعنى جل ثناؤه بقوله فبما رحمة فبرحمة من الله وما صلة وقد بينت وجه دخولها فى الكلام فى قوله ان الله لا يستحيى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها والعرب تجعل ما صلة فى المعرفة والنكرة كما قال فبما نقضهم ميثاقهم والمعنى فبنقضهم ميثاقهم وهذا فى المعرفة وقال فى النكرة عما قليل ليصبحن نادمين والمعنى عن قليل وربما جعلت اسما وهى فى مذهب صلة فيرفع ما بعدها أحيانا على وجه الصلة ويخفض على اتباع الصلة ما قبلها كما قال الشاعر

فكفى بنا فضلا على من غيرنا ❁ حب النبى محمد إيانا

اذا جعلت غير صلة رفعت باضمار هو وان خفضت أتبعت من فأعربته فذلك حكمه على ما وصفنا مع النكرات فأما اذا كانت الصلة معرفة كان الفصيح من الكلام الاتباع كما قيل فبما نقضهم ميثاقهم والرفع جائز فى العربية وبنحو ما قلنا فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يقول فبرحمة من الله لنت لهم وأما قوله ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فانه يعنى بالفظ الجافى وبالغليظ القلب القاسى القلب غير ذى رحمة ولا رأفة وكذلك كانت صفته صلى الله عليه وسلم كما وصفه الله به بالمؤمنين رؤف رحيم فتأويل الكلام فبرحمة الله يا محمد ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك لنت لهم لتباعك وأصحابك فسهلت لهم خلائقك وحسنت لهم أخلاقك حتى احتملت أذى من نالك منهم أذاه وعفوت عن ذى الجرم منهم

(١) قوله أن يقال فيه الى آخر العبارة كذا فى الأصول وتأمل وحرر كتبه مصححه

أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شئ قل ان الامر كله لله يخفون فى أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفى الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض أو كانوا غزى لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم فى سبيل الله أومتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم أو قتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ❁ القراآت الرعب بضمتين حيث كان ابن عامر وعلى ويزيد وسهل ويعقوب الباقون بسكون العين ومأواهم وبابه بغير همز أبو عمرو وغير شجاع ويزيد والاعشى والاصفهانى عن ورش وحمزة فى الوقف ولقد صدقكم وبابه بادغام الدال فى الصاد حمزة وعلى وخلف وأبو عمرو وهشام وسهل وتغشى بتاء فوقانية وبالامالة حمزة وعلى وخلف الباقون بياء الغيبة كله بالرفع أبو عمرو وسهل ويعقوب الباقون بالنصب يعملون بصير بياء الغيبة ابن كثير وعباس وعلى وخلف وحمزة الباقون بالخطاب متم ومتنا بكسر

الميم من مات يمات ميت كان نافع وعلى وحمزة وخلف وافق حفصا الاههنا لجوار قتلتم الباقون بضم الميم من مات يموت يجمعون بياء الغيبة حفص والمفضل وسائر القراء بتاء الخطاب (١٠٠) ۞ الوقوف سلطانا ج لعطف المختلفتين النار ط الظالمين ٥ باذنه ج لان حتى تحتمل انتهاء الحس ووجه الابتداء أظهر لاقتران اذا مع حذف الجواب أى اذا فعلتم وفعلتم انقلب الامر وعنعكم نصره والوقف على تحبون ظاهر فى الوجهين الآخرة ج لأن ثم لترتيب الاخبار وقيل لعطف صرفكم على الجواب المحذوف ليبتليكم ج عفا عنكم ط المؤمنين ٥ أصابكم ط تعملون ٥ طائفة منكم (لا) لان الواو للحال الجاهلية ط من شئ ط لله ط يبدون لك ط ههنا ط مضاجعهم ج لان الواو مقحمة أو عاطفة على محذوف أى لينفذ الحكم فيكم وليبتلى ما فى قلوبكم ط الصدور ٥ الجمعان (لا) لان انما خبر ان كسبوا ج لاحتمال الواو حالا واستئنافا عنهم ط حليم ٥ وما قتلوا ج لان لام ليجعل قد يتعلق بقوله وقالوا لاخوانهم أو بمحذوف اى ذلك ليجعل فى قلوبهم ط ويميت ط بصير ٥ تجمعون ٥ تحشرون ٥ لنت لهم ج لأن الواو للعطف ولو للشرط من حولك ص والوصل أولى لعطف الامر بالرحمة على النهى عن الغلظة تعريضا الامر ج لفاء التعقيب مع اذا الشرطية على الله ط المتوكلين ٥ لكم ج لابتداء شرط آخر مع الواو من بعده ط المؤمنون ٥ ۞ التفسير انه تعالى يذكر فى هذه الآيات وجوها كثيرة فى باب الترغيب فى الجهاد وعدم المبالاة بالكفار من جملتها الوعد بالقاء الرعب فى قلوب الكفرة ولاشك أن هذا من معاظم أسباب الاستيلاء ثم ان هذا الوعد مخصوص بيوم أحد أو هو عام فى جميع الاوقات الاظهر الثانى كانه قيل انه وان وقعت لكم هذه الواقعة فى يوم أحد الا أنا سنلقى الرعب فى قلوب الكفار بعد ذلك حتى يظهر هذا الدين على سائر الاديان ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر وذهب كثير من المفسرين الى أنه مختص

جرمه وأغضيت عن كثير ممن لو جفوت به وأغلظت عليه لتركك ففارقك ولم يتبعك ولا ما بعثت به من الرحمة ولكن الله رحمهم ورحمك معهم فبرحمة من الله لنت لهم كما حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك أى والله لطهره الله من الفظاظة والغلظة وجعله قريبا رحيما بالمؤمنين رؤفا وذكر لنا أن نعت محمد صلى الله عليه وسلم فى التوراة ليس بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الاسواق ولا يجزى بالسيئة مثلها ولكن يعفو ويصفح حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فى قوله فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك قال ذكر لينه لهم وصبره عليهم لضعفهم وقلة صبرهم على الغلظة لو كانت منه فى كل ما خالفوا فيه مما افترض عليهم من طاعة نبيهم وأما قوله لانفضوا من حولك فانه يعنى لتفرقوا عنك كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله لانفضوا من حولك قال انصرفوا عنك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق لانفضوا من حولك أى لتركوك ۞ القول فى تأويل قوله (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين) يعنى تعالى ذكره بقوله فاعف عنهم فتجاوز يا محمد عن تباعك وأصحابك من المؤمنين بك وبما جئت به من عندى ما نالك من أذاهم ومكروه فى نفسك واستغفر لهم وادع ربك لهم بالمغفرة لما أتوا من جرم واستحقوا عليه عقوبة منه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاعف عنهم أى فتجاوز عنهم واستغفر لهم ذنوب من قارف من أهل الايمان منهم ثم اختلف أهل التأويل فى المعنى الذى من أجله أمر تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاورهم وما المعنى الذى أمره أن يشاورهم فيه فقال بعضهم أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله وشاورهم فى الامر بمشاورة أصحابه فى مكايد الحرب وعند لقاء العدو تطييبا منه بذلك أنفسهم وتألفا لهم على دينهم وليروا أنه يسمع منهم ويستعين بهم وان كان الله عز وجل قد أغناه بتدبيره له أموره وسياسته اياه وتقويمه أسبابه عنهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الامور وهو يأتيه وحى السماء لانه أطيب لأنفس القوم وان القوم اذا شاور بعضهم بعضا وأرادوا بذلك وجه الله عزم لهم على أرشده حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع وشاورهم فى الامر قال أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يشاور أصحابه فى الامور وهو يأتيه الوحى من السماء لانه أطيب لأنفسهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وشاورهم فى الامر أى لتريهم أنك تسمع منهم وتستعين بهم وان كنت عنهم غنيا تؤلفهم بذلك على دينهم * وقال آخرون بل أمره بذلك فى ذلك وان كان له الرأى وأصوب الامور فى التدبير لما علم فى المشورة تعالى ذكره من الفضل ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سلمة بن نبيط عن الضحاك بن مزاحم قوله وشاورهم فى الأمر قال ما أمر الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بالمشورة الا لما علم فيها من الفضل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمن عن اياس بن دغفل عن الحسن ما شاور قوم قط الا هدوا لأرشد أمورهم * وقال آخرون انما أمره الله بمشاورة أصحابه فيما أمره

بمشاورتهم

يوم أحد لورود فى مساق تلك القصة قال السدى لما ارتحل أبو سفيان والمشركون يوم أحد متوجهين الى مكة انطلقوا حتى بلغوا بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا بئسما صنعنا قتلناهم حتى اذا لم يبق منهم الا الشريد تركناهم ارجعوا فاستأصلوهم فلما

بمشاورتهم فيه مع اغنائه بتقويمه اياه وتدبيره أسبابه عن ارائهم ليتبعه المؤمنون من بعده فيما حزبهم من أمر دينهم ويستنوا بسنته فى ذلك ويحتذوا المثال الذى رأوه يفعله فى حياته من مشاورته فى أموره مع المنزلة التى هو بها من الله أصحابه وتباعه فى الامر ينزل بهم من أمر دينهم ودنياهم فيتشاوروا بينهم ثم يصدروا عما اجتمع عليه ملؤهم لأن المؤمنين اذا تشاوروا فى أمور دينهم متبعين الحق فى ذلك لم يخلهم الله عز وجل من لطفه وتوفيقه للصواب من الرأى والقول فيه قالوا وذلك نظير قوله عز وجل الذى مدح به أهل الايمان وأمرهم شورى بينهم ذكر من قال ذلك حدثنا سوار بن عبد الله العنبرى قال قال سفيان بن عيينة فى قوله وشاورهم فى الامر قال هى للمؤمنين أن يتشاوروا فيما لم يأتهم عن النبى صلى الله عليه وسلم فيه أثر ❊ قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب فى ذلك أن يقال ان الله عز وجل أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه فيما حزبه من أمر عدوه ومكايد حربه تألفا منه بذلك من لم تكن بصيرته بالاسلام البصيرة التى يؤمن عليه معها فتنة الشيطان وتعريفا منه أمته ما فى الامور التى تحزبهم من بعده ومطلبها ليقتدوا به فى ذلك عند النوازل التى تنزل بهم فيتشاوروا فيما بينهم كما كانوا يرونه فى حياته صلى الله عليه وسلم يفعله فأما النبى صلى الله عليه وسلم فان الله كان يعرفه مطالب وجوه ما حزبه من الأمور بوحيه أو الهامه اياه صواب ذلك وأما أمته فانهم اذا تشاوروا مستنين بفعله فى ذلك على تصادق وتآخ للحق وارادة جميعهم للصواب من غير ميل الى هوى ولا حيد عن هدى فالله مسددهم وموفقهم وأما قوله فاذا عزمت فتوكل على الله فانه يعنى فاذا صح عزمك بتثبيتنا اياك وتسديدنا لك فيما نابك وحزبك من أمر دينك ودنياك فامض لما أمرناك به على ما أمرناك به وافق ذلك آراء أصحابك وما أشاروا به عليك أو خالفها وتوكل فيما تأتى من أمورك وتدع وتحاول أو تزاول على ربك فثق به فى كل ذلك وارض بقضائه فى جميعه دون آراء سائر خلقه ومعونتهم فان الله يحب المتوكلين وهم الراضون بقضائه والمستسلمون لحكمه فيهم وافق ذلك منهم هوى أو خالفه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين فاذا عزمت أى على أمر جاءك منى أو أمر من دينك فى جهاد عدوك لا يصلحك ولا يصلحهم الا ذلك فامض على ما أمرت به على خلاف من خالفك وموافقة من وافقك وتوكل على الله أى ارض به من العباد ان الله يحب المتوكلين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فاذا عزمت فتوكل على الله أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم اذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويستقيم على أمر الله ويتوكل على الله حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله فاذا عزمت فتوكل على الله الآية أمره الله اذا عزم على أمر أن يمضى فيه ويتوكل عليه ❊ القول فى تأويل قوله (ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون) يعنى تعالى ذكره بذلك ان ينصركم الله أيها المؤمنون بالله ورسوله على من ناواكم وعاداكم من أعدائه والكافرين به فلا غالب لكم من الناس يقول فلن يغلبكم مع نصره اياكم أحد ولو اجتمع عليكم من بين أقطارها من خلقه فلا تهابوا أعداء الله لقلة عددكم وكثرة عددهم ما كنتم على أمره واستقمتم على طاعته وطاعة رسوله فان الغلبة لكم والظفر دونهم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده يعنى ان يخذلكم ربكم بخلافكم أمره وترككم طاعته وطاعة رسوله فيكلكم الى أنفسكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده يقول فأيسوا من نصرة الناس فانكم لا تجدون ناصرا من بعد خذلان الله اياكم ان خذلكم يقول

عزموا على ذلك ألقى الله الرعب فى قلوبهم حتى رجعوا عما هموا به ففى ذلك نزلت الآية وقيل ان الكفار لما استولوا على المسلمين وهزموهم أوقع الله الرعب فى قلوبهم فتركوهم وفروا منهم من غير سبب حتى روى أن أبا سفيان صعد الجبل من الخوف وقال أين ابن أبى كبشة يعنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين ابن أبى قحافة أين ابن الخطاب فأجابه عمر وجرى بينهم من الكلمات ما جرى والرعب الخوف الذى يملأ القلب فزعا ومنه سيل راعب اذا ملأ الأودية والانهار والقاء الرعب فى قلوبهم لا يقتضى القاء جميع أنواعه فيها وانما يقتضى وقوع هذه الحقيقة فيها من بعض الوجوه ولكن ظاهر قوله فى قلوب الذين كفروا يقتضى وقوع الرعب فى قلوب جميع الكفرة وهكذا هو فى الواقع لانه لا أحد يخالف دين الاسلام الا وفى قلبه خوف المسلمين وهيبتهم اما فى الحرب واما فى المحاجة وقيل انه مخصوص بأولئك الكفار (بما أشركوا) أى بسبب اشراكهم بالله وفيه وجه معقول وهو أن الدعاء انما يصير فى محل الاجابة عند الاضطرار كما قال أمن يجيب المضطر اذا دعاه ومن اعتقد أن لله شريكا لم يحصل له الاضطرار لانه يقول ان كان هذا المعبود لا ينصرنى فذلك الآخر ينصرنى فلا يحصل له الاجابة فيلزمهم الرعب والخوف هذا على تقدير أن معبودهم يصح منهم الاجابة كيف وانهم لا يملكون نفعا ولا ضرا (ما لم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة والتركيب يدل على القدرة والشدة والحدة ومنه يقال للوالى سلطان ومنه سلاطة اللسان والسليط الزيت كأنه استخرج بالقهر قال الجوهرى السلطان بمعنى الحجة والبرهان لا يجمع لان مجراه مجرى المصدر وليس المراد أن

فلا تتركوا أمري وطاعتي وطاعة رسولي فتهلكوا بخذلاني اياكم وعلى الله فليتوكل المؤمنون يعني ولكن على ربكم أيها المؤمنون فتوكلوا دون سائر خلقه وبه فارضوا من جميع من دونه ولقضائه فاستسلموا وجاهدوا فيه أعداءه يكفكم بعونه ويمددكم بنصره كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ان ينصرك الله فلا غالب لك من الناس لن يضرك خذلان من خذلك وان يخذلك فلن ينصرك الناس فمن الذي ينصركم من بعده أي لاتترك أمري للناس وارفض الناس لأمري وعلى الله فليتوكل المؤمنون ۞ القول في تأويل قوله (وما كان لنبي أن يغل) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته جماعة من قراء الحجاز والعراق وما كان لنبي أن يغل بمعنى أن يخون أصحابه فيما أفاء الله عليهم من أموال أعدائهم واحتج بعض قارئي هذه القراءة أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قطيفة فقدت من مغانم القوم يوم بدر فقال بعض من كان مع النبي صلى الله عليه وسلم لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروا في ذلك روايات فمنها ما حدثنا به محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد بن زياد قال ثنا خصيف قال ثنا مقسم قال ثني ابن عباس أن هذه الآية وما كان لنبي أن يغل نزلت في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر قال فقال بعض الناس أخذها قال فأكثروا في ذلك فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا عبد الواحد قال ثنا خصيف قال سألت سعيد بن جبير كيف تقرأ هذه الآية وما كان لنبي أن يغل أو يغل قال لا بل يغل فقد كان النبي والله يغل ويقتل حدثني اسحق بن ابراهيم بن حبيب بن الشهيد قال ثنا عتاب بن بشير عن خصيف عن مقسم عن ابن عباس وما كان لنبي أن يغل قال كان ذلك في قطيفة حمراء فقدت في غزوة بدر فقال أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فلعل النبي أخذها فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل قال سعيد بل والله ان النبي ليغل ويقتل حدثنا أبو كريب قال ثنا خلاد عن زهير عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثنا أبو كريب قال ثنا مالك بن اسمعيل قال ثنا زهير قال ثنا خصيف عن سعيد بن جبير وعكرمة في قوله وما كان لنبي أن يغل قالا يغل قال قال عكرمة أو غيره عن ابن عباس قال كانت قطيفة فقدت يوم بدر فقالوا أخذها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأنزل الله هذه الآية وما كان لنبي أن يغل حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال ثنا قزعة بن سويد الباهلي عن حميد الاعرج عن سعيد بن جبير قال نزلت هذه الآية وما كان لنبي أن يغل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر من الغنيمة حدثنا نصر بن علي الجهضمي قال ثنا معتمر عن أبيه عن سليمن الاعمش قال كان ابن مسعود يقرأ ما كان لنبي أن يغل فقال ابن عباس بلى ويقتل قال فذكر ابن عباس انه انما كانت في قطيفة قالوا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلها يوم بدر فأنزل الله وما كان لنبي أن يغل * وقال آخرون ممن قرأ ذلك كذلك بفتح الياء وضم الغين انما نزلت هذه الآية في طلائع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وجههم في وجه ثم غنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم يعلمه فيها أن فعله الذي فعله خطأ وأن الواجب عليه في الحكم أن يقسم للطلائع

هنالك حجة الأنها لم تنزل لان الشرك لن يقوم عليه حجة ولكن المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * قال المتكلمون التقليد باطل لان كل مالادليل عليه لم يجز اثباته ومنهم من يبالغ فيقول مالادليل عليه فيجب نفيه ومنهم من احتج بهذا الحرف على وحدانية الصانع فقال لاسبيل الى اثبات الصانع الا باحتياج المحدثات اليه ويكفي في رفع هذه الحاجة اثبات الصانع الواحد فما زاد لاسبيل الى اثباته فلم يجز اثباته أقول هذا اذا استدللنا بعدم الدليل على وجود الشريك على نفيه أما اذا استدللنا بوجود الدليل على نفيه فلا شريك لاجل الدليل ولا دليل على الاشتراك لوجود الدليل على نفي الشريك ولما ذكر حال الكفرة في الدنيا وهو استيلاء الرعب عليهم أتبعه حالهم في الآخرة فقال (ومأواهم) أي والمكان الذي يأوون اليه (النار وبئس مثوى الظالمين) مقام المشركين من ثوى بالمكان يثوى اذا أقام به ثم أكد وعد القاء الرعب بقوله (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم) تستأصلونهم قتلا قال أصحاب الاشتقاق حسه أي قتله لانه أبطل حسه بالقتل كما يقال بطنه اذا أصاب بطنه ورأسه اذا أصاب رأسه (باذنه) بعلمه وقيل المراد بهذا الوعد أنه صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أنه يذبح كبشا فصدق الله رؤياه بقتل طلحة صاحب لواء المشركين يوم أحد وقتل تسعة نفر بعده على اللواء وقيل هو ماذكره من قوله ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم الآن هذا كان مشروطا بشرط هو الصبر والتقوى وقيل المراد هو أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال للرماة لاتبرحوا هذا المكان فانا لانزال غالبين مادمتم فيه فلما أقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتى انهزموا والمسلمون على آثارهم يقتلونهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت (حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم) قال بعض العلماء هذا النص شرط

للطلائع مثل ما قسم لغيرهم ويعرّفه الواجب عليه من الحكم فيما أفاء الله عليه من الغنائم وأنه ليس له أن يخص بشيء منها أحدا ممن شهد الوقعة أو ممن كان ردأ لهم في غزوهم دون أحد ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة يقول ما كان للنبي أن يقسم لطائفة من المسلمين ويترك طائفة ويجور في القسم ولكن يقسم بالعدل ويأخذ فيه بأمر الله ويحكم فيه بما أنزل الله يقول ما كان الله ليجعل نبيا يغل من أصحابه فاذا فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم استنوا به حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك أنه كان يقرأ ما كان لنبي أن يغل قال أن يعطي بعضا ويترك بعضا اذا أصاب مغنما حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم طلائع فغنم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يقسم للطلائع فأنزل الله عز وجل وما كان لنبي أن يغل حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان لنبي أن يقسم لطائفة من أصحابه ويترك طائفة ولكن يعدل ويأخذ في ذلك بأمر الله عز وجل ويحكم فيه بما أنزل الله حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وما كان لنبي أن يغل قال ما كان له اذا أصاب مغنما أن يقسم لبعض أصحابه ويدع بعضا ولكن يقسم بينهم بالسوية * وقال آخرون ممن قرأ ذلك بفتح الياء وضم الغين انما أنزل ذلك تعريفا للناس أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يكتم من وحي الله شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أي ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم عن رهبة من الناس ولا رغبة ومن يعمل ذلك يأت به يوم القيامة فتأويل قراءة من قرأ ذلك كذلك ما ينبغي لنبي أن يكون غالا بمعنى أنه ليس من أفعال الانبياء خيانة أممهم يقال منه غل الرجل فهو يغل اذا خان غلولا ويقال أيضا منه أغل الرجل فهو يغل اغلالا كما قال شريح ليس على المستعير غير المغل ضمان يعني غير الخائن ويقال منه أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد وبما قلنا في ذلك جاء تأويل أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ما كان لنبي أن يغل يقول ما كان ينبغي له أن يخون فكما لا ينبغي له أن يخون فلا تخونوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ما كان لنبي أن يغل قال أن يخون * وقرأ ذلك آخرون وما كان لنبي أن يغل بضم الياء وفتح الغين وهي قراءة عظم قراء أهل المدينة والكوفة واختلف قارئو ذلك كذلك في تأويله فقال بعضهم معناه ما كان لنبي أن يغله أصحابه ثم أسقط الاصحاب فبقي الفعل غير مسمى فاعله وتأويله وما كان لنبي أن يخان ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه كان يقرأ وما كان لنبي أن يغل قال عوف قال الحسن أن يخان حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وما كان لنبي أن يغل يقول وما كان لنبي أن يغله أصحابه الذين معه من المؤمنين ذكر لنا أن هذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما

فلهذا لم يقتض الجواب والمعنى قد نصركم الله الى حين كان منكم الفشل لان وعدهم بالنصر كان مشروطا بالصبر وقال آخرون انه للمجازاة ثم اختلفوا في الجزاء على وجوه أحدها قال البصريون انه محذوف كما مر في الوقوف وذلك لدلالة سياق الكلام عليه وثانيها قال الكوفيون جوابه وعصيتم والواو زائدة والمراد بالعصيان خروجهم من ذلك المكان فان الفشل والتنازع أخرجهم من المكان الذي وقفهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وثالثها قال أبو مسلم جوابه ثم صرفكم وثم ههنا كالساقطة وقيل جوابه ما يدل عليه قوله منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة والتقدير حتى اذا فشلتم صرتم فريقين والمراد بالفشل الجبن والخور وبالتنازع أن الرماة لما انهزم المشركون ونساؤهم يصعدن الجبل وكشفن عن سوقهن بحيث بدت خلاخلهن قالوا الغنيمة فقال عبد الله بن جبير أمير الرماة عهد الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا نبرح هذا المكان فأبوا عليه وذهبوا الى طلب الغنيمة وبقي عبد الله مع طائفة دون العشرة الى أن قتلهم المشركون وقوله (في الامر) اما أن يكون بمعنى الشأن والقصة أي تنازعتم فيما كنتم فيه من الشأن أو بمعنى الأمر الذي يضاد النهي أي تنازعتم فيما أمركم الرسول به وعصيتم بترك ملازمة ذلك المكان وانما قدم ذكر الفشل على التنازع والمعصية كأنهم فشلوا في أنفسهم عن الثبات طمعا في الغنيمة ثم تنازعوا من طريق القول في أنا هل نذهب في طلب الغنيمة أم لا ثم اشتغل بعضهم بطلب الغنيمة وانما ورد الخطاب عاما وان كانت المعصية بمفارقة ذلك الموضع خاصة بالبعض اعتمادا على المخصص بعده وهو قوله ومنكم من يريد الآخرة وفائدة قوله (من بعد ما أراكم ما تحبون) التنبيه على عظم شأن المعصية لانهم لما شاهدوا أن الله أكرمهم بانجاز الوعد كان من حقهم أن يمتنعوا عن المعصية فلما أقدموا عليها سلبهم الله ذلك الاكرام وأذاقهم وبال أمرهم قوله (ثم صرفكم عنهم)

قالت الاشاعرة معنى هذا الصرف أنه تعالى رد المسلمين عن الكفار وصالت الريح دبورا وكانت صباحتى وقعت الهزيمة على المسلمين وقتل منهم من قتل واستولى الكفرة ولا يتوجه عليهم اشكال (١٠٤) لان من مذهبهم أن الخير والشر بارادة الله وتخليقه وأما المعتزلة فلم يرضوا بهذا التفسير وقالوا كيف يضف الصرف بهذا المعنى الى نفسه والصرف عن الكفار معصية وقد أضافها الى الشيطان فى قوله انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا وأيضا انه تعالى عاتبهم على ذلك الانصراف ولو كان بفعل الله لم يجز معاتبة القوم عليه كما لا يجوز المعاتبة على طولهم وقصرهم وصحتهم ومرضهم فعند ذلك ذكروا فى تأويل الآية وجوها قال الجبائى ان الرماة كانوا فريقين بعضهم فارقوا المكان أولا لطلب الغنائم وبعضهم بقوا هنالك الى أن أحاط بهم العدو وعلموا أنهم لو استمروا على المكث هنالك لقتلهم العدو من غير فائدة أصلا فلهذا السبب جاز لهم أن يتنحوا عن ذلك الموضع الى موضع يتحرزون فيه عن العدو ألا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الى الجبل فى جماعة من أصحابه فتحصنوا به فلما كان ذلك الانصراف جائزا أضافه الله الى نفسه بمعنى أنه كان بأمره وباذنه ثم قال ليبتليكم والمراد أنه تعالى لما صرفهم الى ذلك المكان وتحصنوا فيه أمرهم هنالك بالجهاد والذب عن بقية المسلمين ولا شك أن الاقدام على الجهاد بعد الانهزام وبعد أن شاهدوا فى تلك المعركة قتل أقاربهم وأحبائهم من أعظم أنواع الابتلاء فاذن الآية مشتملة على المعذورين فى الانصراف وعلى غير المعذورين فقوله ثم صرفكم عنهم يرجع الى المعذورين وقوله ولقد عفا عنكم يرجع الى غير المعذورين وسبب العفو ما علم من ندمهم على ما فرط منهم من عصيان أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان لنبى أن يغل قال أن يغله أصحابه حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله وما كان لنبى أن يغل قال الربيع بن أنس يقول ما كان لنبى أن يغله أصحابه الذين معه قال ذكر لنا والله أعلم أن هذه الآية أنزلت على نبى الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر وقد غل طوائف من أصحابه * وقال آخرون منهم معنى ذلك وما كان لنبى أن يتهم بالغلول فيخونون ويسرق وكأن متأولى ذلك كذلك وجهوا قوله وما كان لنبى أن يغل الى أنه مراد به يغلل ثم خففت العين من يفعل فصارت يفعل كما قرأ من قرأ قوله فانهم لا يكذبونك بتأويل يكذبونك وأولى القراءتين بالصواب فى ذلك عندى قراءة من قرأ وما كان لنبى أن يغل بمعنى ما الغلول من صفات الأنبياء ولا يكون نبيا من غل وانما اخترنا ذلك لان الله عز وجل أوعد عقب قوله وما كان لنبى أن يغل أهل الغلول فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآية والتى بعدها فكان فى وعيده عقب ذلك أهل الغلول الدليل الواضح على أنه انما نهى بذلك عن الغلول وأخبر عباده أن الغلول ليس من صفات أنبيائه بقوله وما كان لنبى أن يغل لأنه لو كان انما نهى بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالغلول لعقب ذلك بالوعيد على التهمة وسوء الظن برسول الله صلى الله عليه وسلم لا بالوعيد على الغلول وفى تعقيبه ذلك بالوعيد على الغلول بيان بين أنه انما عرف المؤمنين وغيرهم من عباده أن الغلول منتف من صفة الانبياء وأخلاقهم لان ذلك جرم عظيم والانبياء لا تأتى مثله فان قال قائل ممن قرأ ذلك كذلك (١) فأولى منه وما كان لنبى أن يخونه أصحابه ان ذلك كما ذكرت ولم يعقب الله قوله وما كان لنبى أن يغل الا بالوعيد على الغلول ولكنه انما وجب الحكم بالصحة لقراءة من قرأ يغل بضم الياء وفتح الغين لأن معنى ذلك وما كان للنبى أن يغله أصحابه فيخونوه فى الغنائم قيل له أفكان لهم أن يغلوا غير النبى صلى الله عليه وسلم فيخونوه حتى خصوا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم فان قالوا نعم خرجوا من قول أهل الاسلام لان الله لم يبح خيانة أحد فى قول أحد من أهل الاسلام قط وان قال قائل لم يكن ذلك لهم فى نبى ولا غيره قيل فما وجه خصوصهم اذا بالنهى عن خيانة النبى صلى الله عليه وسلم وغلوله وغلول بعض اليهود بمنزلة فيما حرم الله على الغال من أموالهما وما يلزم المؤتمن من أداء الامانة اليهما واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى ذلك هو ما قلنا من أن الله عز وجل نفى بذلك أن يكون الغلول والخيانة من صفات أنبيائه ناهيا بذلك عباده عن الغلول وآمرا لهم بالاستنان بمنهاج نبيهم كما قال ابن عباس فى الرواية التى ذكرناها من رواية عطية ثم عقب تعالى ذكره نهيهم عن الغلول بالوعيد عليه فقال ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة الآيتين معا ۞ القول فى تأويل قوله (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) يعنى بذلك تعالى ذكره ومن يخن من غنائم المسلمين شيأ وفيئهم وغير ذلك يأت به يوم القيامة فى المحشر كما حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن يحيى بن سعيد أبى حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قام خطيبا فوعظ وذكر ثم قال ألا عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجىء يوم القيامة على رقبته فرس لها حمحمة يقول يا رسول الله أغثنى فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجىء

(١) قوله فأولى منه لعله فأوله وما كان الخ وقوله من رواية عطية لم يتقدم هذا الراوى تأمل

وقال الكعبى ثم صرفكم عنهم بأن لم يأمركم بمعاودتهم من فورهم ليبتليكم بكثرة الانعام عليكم والتخفيف عنكم ۞ وقال أبو مسلم الاصفهانى المعنى من الصرف أنه تعالى أزال ما كان فى قلوب الكفار من الرعب من المسلمين عقوبة لهم على عصيانهم وفشلهم ومعنى الابتلاء

يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته بقرة لها خوار يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ألا هل عسى رجل منكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحمن عن أبي حيان عن أبي زرعة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثل هذا زاد فيه على رقبته بعير له رغاء لا ألفين أحدكم على رقبته نفس لها صياح **حدثني** يعقوب قال ثنا ابن علية قال ثنا أبو حيان عن أبي زرعة عن عمرو بن جرير عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا يوما فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره فقال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يا رسول الله أغثني ثم ذكر نحو حديث أبي كريب عن عبد الرحمن **حدثنا** أبو كريب قال ثنا حفص بن بشر عن يعقوب القمي قال ثنا حفص بن حميد عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل شاة لها ثغاء ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل جملا له رغاء يقول يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل فرسا له حمحمة ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك ولا أعرفن أحدكم يأتي يوم القيامة يحمل قشعا من أدم ينادي يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ قد بلغتك **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق الشيباني عن عبد الله ابن ذكوان عن عروة بن الزبير عن أبي حميد قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقا فجاء بسواد كثير قال فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من يقبضه منه فلما أتوه جعل يقول هذا لي وهذا لكم قال فقالوا من أين لك هذا قال أهدي الي فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه بذلك فخرج فخطب فقال أيها الناس ما بالي أبعث قوما الى الصدقة فيجيء أحدهم بالسواد الكثير فاذا بعثت من يقبضه قال هذا لي وهذا لكم فان كان صادقا أفلا أهدي له وهو في بيت أبيه أو في بيت أمه ثم قال أيها الناس من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء به يوم القيامة على عنقه يحمله فاتقوا الله أن يأتي أحدكم يوم القيامة على عنقه بعير له رغاء أو بقرة تخور أو شاة تثغو **حدثنا** أبو كريب قال ثنا أبو معاوية وابن نمير وعبدة بن سليمن عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد الساعدي قال استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من الازد يقال له ابن اللتبية على صدقات بني سليم فلما جاء قال هذا لكم وهذا هدية أهديت لي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا يجلس أحدكم في بيته فتأتيه هديته ثم حمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فاني أستعمل رجالا منكم على أمور مما ولاني الله فيقول أحدهم هذا الذي لكم وهذا هدية أهديت الي أفلا جلس في بيت أبيه أو بيت أمه فتأتيه هديته والذي نفسي بيده لا يأخذ أحدكم من ذلك شيأ الا جاء به يوم القيامة يحمله على عنقه فلا أعرفن ما جاء رجل يحمل بعيرا له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تثغو ثم رفع يديه فقال ألا هل بلغت **حدثنا** أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم عن هشام بن عروة عن أبيه عن أبي حميد حدثه بمثل هذا الحديث قال أفلا جلست في بيت أبيك وأمك حتى تأتيك هديتك ثم رفع يده حتى اني لأنظر الى بياض ابطيه ثم قال اللهم هل بلغت قال أبو حميد بصر عيني وسمع أذني **حدثنا** أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال ثني عمي عبد الله بن وهب قال أخبرني

أنه جعل ذلك الصرف محنة عليهم ليتوبوا عما خالفوا فيه أمره ثم أعلمهم أنه قد عفا عنهم قال القاضي ظاهر قوله ولقد عفا عنكم يقتضي تقدم ذنب منهم فان كان ذلك الذنب من الصغائر صح أن يصف نفسه بالعفو عنهم من غير توبة وان كان من باب الكبائر فلا بد من انضمار توبتهم لقيام الدلالة على أن صاحب الكبيرة اذا لم يتب لم يكن من أهل العفو وقالت الاشاعرة لا شك أن ذلك الذنب كان من الكبائر لانهم خالفوا صريح نص الرسول وصارت تلك المخالفة سببا لانهزام عسكر الاسلام وقتل جم غفير من الصحابة ثم ان ظاهر الآية دل على أنه تعالى قد عفا عنهم من غير توبة لانها غير مذكورة فصارت الآية دالة على أنه قد يعفو عن أصحاب الكبائر (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو أو هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء كانت الدولة لهم أو عليهم لان الابتلاء رحمة كما أن النصرة رحمة وقد يستدل بالآية على أن صاحب الكبيرة مؤمن لانه سماهم مؤمنين خلاف ما يقوله المعتزلة من أنه لا مؤمن ولا كافر قوله سبحانه (اذ تصعدون) اما مستأنف باضمار واذكر واما أن يتعلق بما قبله أي عفا عنكم اذ تصعدون لأن ما صدر عنهم من مفارقة ذلك المكان والاخذ في الوادي كالمنهزمين ذنب اقترفوه أو المعنى ليبتليكم اذ تصعدون أو ثم صرفكم حين اصعادكم والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيها قال أبو معاذ النحوي كل شئ له أسفل وأعلى كالوادي والنهر والازقة فيقال فيه أصعد اذا أخذ من أسفله الى أعلاه وأما ما ارتفع كالسلم والجبل فانه يقال صعد (ولا تلوون على أحد) لا تلتفتون اليه وأصله أن المعرج على الشئ يلوي اليه عنقه أو عنانه

دابته (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله أنا رسول الله من كر فله الجنة فيحتمل أنه كان يدعوهم الى نفسه حتى يجتمعوا عنده ولا يتفرقوا ويحتمل أنه كان يدعوهم الى محاربة العدو (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الأخرى لان القوم

بسبب الهزيمة قد تقدموه صلى الله عليه وسلم وبقي هو في الجماعة المتأخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في أولهم وأولاهم بتأويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) قال (١٠٦) في الكشاف انه عطف على صرفكم وأقول لا يبعد أن يعطف على تصعدون لانه بمعنى أصعدتم بدليل أن يقال ثاب اليه أي رجع والمرأة تسمى ثيبا لان واطئها عائد اليها فأصل الثواب كل ما يعود الى الفاعل من جزاء فعله خيرا كان أو شرا الا أن العرف خصصه بالخير فان حملنا لفظ الآية على أصل اللغة استقام بلا تأويل وان حملناه على مقتضى العرف كان واردا على سبيل التهكم كقولهم عتابك السيف وتحيتك الضرب أي جعل مكان ما يرجون من الثواب الغم وهو في الاصل التغطية ومنه الغمام فكأن الغم يستر وجه اللذة والسرور والباء في بغم يحتمل أن تكون بمعنى المعاوضة نحو بعت هذا بذاك ويحتمل أن تكون بمعنى المصاحبة أما الاحتمال الاول ففيه وجوه قال الزجاج انكم لما أذقتم الرسول غما بسبب عصيان أمره أذاقكم الله غم الانهزام وقيل المجازاة والمعنى جازاكم من ذلك الغم بهذا الغم وقال الحسن يريد غم يوم أحد للمسلمين بغم يوم بدر للمشركين وفي الكشاف يجوز أن يكون الضمير في فأثابكم للرسول أي فآساكم في الاغتمام فكما غمكم ما نزل به من كسر رباعيته وشج وجهه وقتل عمه وغيره غمه ما نزل بكم من قتل الأعزة ومن الانضمام في سلك العصاة لطلب الغنيمة ثم الحرمان عنها وأما الاحتمال الثاني ففيه وجهان أحدهما أن يكون هناك غمان الاول ما أصابهم عند الفشل والتنازع والثاني ما حصل عند الهزيمة أو الاول غم فوت الغنائم والثاني أن أبا سفيان وخالد بن الوليد اطلعا على المسلمين فحملوا عليهم وقتلوا منهم جمعا عظيما أو الاول هذا والثاني خوفهم من رجوع المشركين واستئصال المسلمين أو الاول ما أصابهم في أنفسهم وأموالهم والثاني غم الارجاف بقتل الرسول صلى الله عليه وسلم أو الاول خوف عقاب المعصية

أفمن

عمرو بن الحرث أن موسى بن جبير حدثه أن عبد الله بن عبد الرحمن بن الحباب الانصاري حدثه أن عبد الله بن أنيس حدثه أنه تذاكر هو وعمر يوما الصدقة فقال ألم تسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر غلول الصدقة من غل منها بعيرا أو شاة فانه يحمله يوم القيامة قال عبد الله بن أنيس بلى حدثنا سعيد بن يحيى الأموي قال ثنا أبي قال ثنا يحيى بن سعيد الانصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سعد بن عبادة مصدقا فقال اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء قال لا آخذه ولا أجيء به فأعفاه حدثنا أحمد بن المغيرة الحمصي أبو حميد قال ثنا الربيع بن روح قال ثنا ابن عياش قال ثني عبيد الله بن عمر ابن حفص عن نافع مولى ابن عمر عن عبد الله بن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعمل سعد ابن عبادة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اياك يا سعد أن تجيء يوم القيامة تحمل على عنقك بعيرا له رغاء فقال سعد فان فعلت يا رسول الله ان ذلك لكائن قال نعم قال سعد قد علمت يا رسول الله اني أسأل فأعطى فأعفني فأعفاه حدثنا أبو كريب قال ثنا زيد بن حبان قال ثنا عبد الرحمن بن الحرث قال ثني جدي عبيد بن أبي عبيد وكان أول مولود بالمدينة قال استعملت على صدقة دوس فجاءني أبو هريرة في اليوم الذي خرجت فيه فسلم فخرجت اليه فسلمت عليه فقال كيف أنت والبعير كيف أنت والبقر كيف أنت والغنم ثم قال سمعت حبي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أخذ بعيرا بغير حقه جاء به يوم القيامة له رغاء ومن أخذ بقرة بغير حقها جاء بها يوم القيامة لها خوار ومن أخذ شاة بغير حقها جاء بها يوم القيامة على عنقه لها ثغاء فاياك والبقر فانها أحد قرونا وأشد أظلافا حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثني محمد عن عبد الرحمن بن الحرث عن جده عبيد بن أبي عبيد قال استعملت على صدقة دوس فلما قضيت العمل قدمت فجاءني أبو هريرة فسلم علي فقال أخبرني كيف أنت والابل ثم ذكر نحو حديثه عن زيد الا أنه قال جاء به يوم القيامة على عنقه له رغاء حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة قال قتادة كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا غنم مغنما بعث مناديا ألا لا يغلن رجل مخيطا فما دونه ألا لا يغلن رجل بعيرا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له رغاء ألا لا يغلن رجل فرسا فيأتي به على ظهره يوم القيامة له حمحمة القول في تأويل قوله (ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) يعني بذلك جل ثناؤه ثم توفى كل نفس ثم تعطى كل نفس جزاء ما كسبت بكسبها وافيا غير منقوص مما استحقه واستوجبه من ذلك وهم لا يظلمون يقول لا يفعل بهم الا الذي ينبغي أن يفعل بهم من غير أن يعتدى عليهم فينقصوا عما استحقوه كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون ثم يجزي بكسبه غير مظلوم ولا معتدى عليه القول في تأويل قوله (أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك أفمن اتبع رضوان الله في ترك الغلول كمن باء بسخط من الله بغلوله ما غل ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن مطرف عن الضحاك في قوله أفمن اتبع رضوان الله قال من لم يغل كمن باء بسخط من الله كمن غل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني سفيان بن عيينة عن مطرف بن طريف عن الضحاك قوله

أفمن اتبع رضوان الله قال من أدى الخمس كمن باء بسخط من الله فاستوجب سخطا من الله * وقال آخرون فى ذلك بما حدثنى به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا كمن باء بسخط من الله لرضا الناس وسخطهم يقول أفمن كان على طاعتى فثوابه الجنة ورضوان من ربه كمن باء بسخط من الله فاستوجب غضبه وكان مأواه جهنم وبئس المصير أسواء المثلان أى فاعرفوا * وأولى التأويلين بتأويل الآية عندى قول الضحاك بن مزاحم لان ذلك عقيب وعيد الله على الغلول ونهيه عباده عنه ثم قال لهم بعد نهيه عن ذلك ووعيده أسواء المطيع لله فيما أمره ونهاه والعاصى له فى ذلك أى انهما لا يستويان ولا تستوى حالتاهما عنده لأن لمن أطاع الله فيما أمره ونهاه الجنة ولمن عصاه فيما أمره ونهاه النار فمعنى قوله أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله اذا أفمن ترك الغلول وما نهاه الله عنه من معاصيه وعمل بطاعة الله فى تركه ذلك وفى غيره مما أمره به ونهاه من فرائضه متبعا فى كل ذلك رضا الله ومجتنبا سخطه كمن باء بسخط من الله يعنى كمن انصرف متحملا سخط الله وغضبه فاستحق بذلك سكنى جهنم يقول ليسا سواء وأما قوله وبئس المصير فانه يعنى وبئس المصير الذى يصير اليه ويؤب اليه من باء بسخط من الله جهنم ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) يعنى تعالى ذكره بذلك أن من اتبع رضوان الله ومن باء بسخط من الله مختلفو المنازل عند الله فلمن اتبع رضوان الله الكرامة والثواب الجزيل ولمن باء بسخط من الله المهانة والعقاب الاليم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون أى لكل درجات مما عملوا فى الجنة والنار ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس هم درجات عند الله يقول بأعمالهم * وقال آخرون معنى ذلك لهم درجات عند الله يعنى لمن اتبع رضوان الله منازل عند الله كريمة ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله هم درجات عند الله قال هى كقوله لهم درجات عند الله حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى هم درجات عند الله يقول لهم درجات عند الله وقيل قوله هم درجات كقول القائل هم طبقات كما قال ابن هرمة

أإن حم المنون يكون قوم * لريب الدهر أم درج السيول

وأما قوله والله بصير بما يعملون فانه يعنى والله ذو علم بما يعمل أهل طاعته ومعصيته لا يخفى عليه من أعمالهم شئ يحصى على الفريقين جميعا أعمالهم حتى توفى كل نفس منهم جزاء ما كسبت من خير وشر كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق والله بصير بما يعملون يقول ان الله لا يخفى عليه أهل طاعته من أهل معصيته ۞ القول فى تأويل قوله (لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين) يعنى بذلك لقد تطول الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا حين أرسل فيهم رسولا من أنفسهم نبيا من أهل لسانهم ولم يجعله من غير أهل لسانهم فلا يفقهوا عنه ما يقول يتلوا عليهم آياته يقول يقرأ عليهم آى كتابه وتنزيله ويزكيهم يعنى يطهرهم من ذنوبهم باتباعهم

والثانى غم التوبة فانها لا تتم الا بالعود الى المحاربة واذا أمر بالمعاودة بعد القلة والذلة فان فعل غلب على ظنه القتل وان لم يفعل خاف الكفر وعقوبة الآخرة وثانيهما أن يراد بغم مع غم مواصلة الغموم وتتابعها وكثرتها (١٠٧) فيشمل جميع الغموم المعدودة وما ينخرط فى سلكها ثم اللام فى قوله (لكيلا تحزنوا) يحتمل أن يتعلق بقوله ولقد عفا عنكم لان فى عفوه تعالى ما يزيل كل هم وحزن واما أن يتعلق بقوله فأثابكم فيكون المعنى على قول الزجاج انه عاقبهم بغم الهزيمة ليتمرنوا على تجرع الغموم واحتمال الشدائد فلا يحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار وليصير ذلك زاجرا لهم عن الاقدام على المعصية والاشتغال بما يخالف أمر الله وعلى قول الحسن جعلكم مغمومين يوم أحد فى مقابلة ما جعلهم مغمومين يوم بدر لكيلا تحزنوا بادبار الدنيا ومصائبها ولا تفرحوا باقبالها وعوائدها قالت الاشاعرة معنى اثابة الغم من الله تعالى خلق الغم فيهم ولا يقبح منه شئ وأما المعتزلة فانهم يقولون الغم فعل العبد لكنه أسند اليه تعالى لانه طبع العباد طبعا يغتمون بالمصائب وهم لا يحمدون على ذلك ولا يذمون وان سلم أنه يخلق الله فلرعاية المصالح وليس الغرض تسليط الكفار على المسلمين فان ذلك كفر ومعصية ولكن الغرض أن لا يبقى فى قلوب المؤمنين اشتغال بغير الله ولا يحزنوا بالادبار ولا يفرحوا بالاقبال وان جعل الاثابة مسندا الى الرسول فانما فعل ذلك ليسليهم وينفس عنهم لئلا يحزنوا على ما فاتهم من نصر الله ولا على ما أصابهم من غلبة العدو وان جعلت الباء بمعنى مع فالمعنى كما فى قول الزجاج أن المراد انكم قلتم لو بقينا فى هذا المكان وامتثلنا وقعنا فى غم فوت الغنيمة فاعلموا انكم لما خالفتم أمر الرسول وطلبتم الغنيمة وقعتم فى غموم أخر كل واحد منها أعظم من ذلك فيصير هذا مانعا لهم من أن يحزنوا على فوات الغنيمة فى وقعة أخرى ثم كما زجرهم على تلك المعصية بزاجر دنيوى زجرهم بزاجر أخروى فقال

(والله خبير بما تعملون) عالم بجميع أعمالكم وقصودكم ودواعيكم فيجازيكم بحسب ذلك ثم أخبر أن الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم
أحد فريقان أحدهما الجازمون بحقية هذا الدين وأن هذه الواقعة لا تؤدي الى الاستئصال لاخبار الصادق أن هذا الدين
سيظهر على سائر الأديان فخاطب
الجماعة بقوله (ثم أنزل عليكم من
بعد الغم أمنة نعاسا) وأراد هؤلاء
بقوله (يغشى طائفة منكم) والأمنة
مصدر كالأمن ومثله من المصادر
العظمة والغلبة والنعاس فتور في
أوائل النوم وانتصاب أمنة على أنها
حال متقدمة من نعاسا مثل رأيت
راكبا رجلا أو مفعول له بمعنى
نعستم أمنة أو على أنه حال من
المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على أنه
جمع آمن كبار وبررة أو على أنه
مفعول أنزل ونعاسا بدل منه قال
أبو طلحة غشينا النعاس ونحن في
مصافنا فكان السيف يسقط من
يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه
وما أحد الا ويميل تحت حجفته وعن
الزبير كنت مع الرسول صلى الله عليه
وسلم حين اشتد الخوف فأرسل الله
علينا النوم والله اني لأسمع قول
معتب بن قشير والنعاس يغشاني
يقول لو كان لنا من الأمر شئ
ما قتلنا ههنا وعن ابن مسعود النعاس
في القتال أمنة والنعاس في الصلاة
من الشيطان وذلك أنه في القتال
لا يكون الا من غاية الوثوق بالله
والفراغ عن الدنيا ولا يكون في
الصلاة الا من غاية البعد عن الله
وكان في ذلك النعاس فوائد منها
أن شموله للمؤمنين كلهم لا في
الوقت المعتاد معجزة ظاهرة جديدة
له صلى الله عليه وسلم موجبة لزيادة
وثوقهم بان الله ينجز وعده وينصرهم
فيزداد جدهم واجتهادهم في
الجهاد ومنها أن الارق والسهر
يوجبان الفتور والكلال والنعاس
يجدد القوة والنشاط ومنها شغلهم
عن مشاهدة قتل الاعزة والأحبة ومنها أن الاعداء كانوا حراصا على قتلهم فبقاؤهم سالمين في تلك المعركة وهم
في النوم من أدل الدلائل على أن حفظ الله وكلاءته معهم ومن الناس من زعم أن ذكر النعاس ههنا كناية عن غاية الامن وهذا صرف للفظ

اياه وطاعتهم له فيما أمرهم ونهاهم ويعلمهم الكتاب والحكمة يعني ويعلمهم كتاب الله الذي
أنزله عليه ويبين لهم تأويله ومعانيه والحكمة ويعني بالحكمة السنة التي سنها الله جل ثناؤه للمؤمنين
على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيانه لهم وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين يعني ان
كانوا من قبل أن من الله عليهم بارساله رسوله الذي هذه صفته لفي ضلال مبين يقول في جهالة
جهلاء وفي حيرة عن الهدى عمياء لا يعرفون حقا ولا يبطلون باطلا وقد بينا أصل الضلالة فيما
مضى وأنه الاخذ على غير هدى بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع والمبين الذي يبين لمن تأمله
بعقله وتدبره بفهمه أنه على غير استقامة ولا هدى وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل
التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لقد من
الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم من الله عليهم من غير دعوة ولا رغبة من هذه
الامة جعله الله رحمة لهم ليخرجهم من الظلمات الى النور ويهديهم الى صراط مستقيم قوله
ويعلمهم الكتاب والحكمة الحكمة السنة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ليس والله كما تقول
أهل حروراء محنة غالبة من أخطأها أهريق دمه ولكن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم الى قوم
لا يعلمون فعلمهم والى قوم لا أدب لهم فأدبهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال
لقد من الله على المؤمنين الى قوله لفي ضلال مبين أي لقد من الله عليكم يا أهل الايمان اذ بعث فيكم
رسولا من أنفسكم يتلو عليكم آياته ويزكيكم فيما أخذتم وفيما عملتم ويعلمكم الخير والشر لتعرفوا الخير
فتعملوا به والشر فتتقوه ويخبركم برضاه عنكم اذا أطعتموه لتستكثروا من طاعته وتجتنبوا ما سخط
منكم من معصيته فتتخلصوا بذلك من نقمته وتدركوا بذلك ثوابه من جنته وان كنتم من قبل
لفي ضلال مبين أي في عمياء من الجاهلية لا تعرفون حسنة ولا تستغفرون من سيئة صم عن الحق
عمي عن الهدى ❊ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم
أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير) يعني تعالى ذكره بذلك أو حين أصابتكم
أيها المؤمنون مصيبة وهي القتلى الذين قتلوا منهم يوم أحد والجرحى الذين جرحوا منهم بأحد
وكان المشركون قتلوا منهم يومئذ سبعين نفرا قد أصبتم مثليها يقول قد أصبتم أنتم أيها المؤمنون من
المشركين مثلي هذه المصيبة التي أصابوا هم منكم وهي المصيبة التي أصابها المسلمون من المشركين
ببدر وذلك أنهم قتلوا منهم سبعين وأسروا سبعين قلتم أنى هذا يعني قلتم لما أصابتكم مصيبتكم
بأحد أنى هذا من أي وجه هذا ومن أين أصابنا هذا الذي أصابنا ونحن مسلمون وهم مشركون
وفينا نبي الله صلى الله عليه وسلم يأتيه الوحي من السماء وعدونا أهل كفر بالله وشرك قل يا محمد
للمؤمنين بك من أصحابك هو من عند أنفسكم يقول قل لهم أصابكم هذا الذي أصابكم من عند
أنفسكم بخلافكم أمري وترككم طاعتي لا من عند غيركم ولا من قبل أحد سواكم ان الله على كل
شئ قدير يقول ان الله على جميع ما أراد بخلقه من عفو وعقوبة وتفضل وانتقام قدير يعني ذو
قدرة ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله قل هو من عند أنفسكم بعد اجماع جميعهم على
أن تأويل سائر الآية على ما قلنا في ذلك من التأويل فقال بعضهم تأويل ذلك قل هو من عند
أنفسكم بخلافكم على نبي الله صلى الله عليه وسلم اذ أشار عليكم بترك الخروج الى عدوكم والاصحار
لهم حتى يدخلوا عليكم مدينتكم ويصيروا بين آطامكم فأبيتم ذلك عليه وقلتم اخرج بنا اليهم حتى
نصحر لهم فنقاتلهم خارج المدينة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد

عن

عن قتادة قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا أصيبوا يوم أحد قتل منهم سبعون يومئذ وأصابوا مثليها يوم بدر قتلوا من المشركين سبعين وأسروا سبعين قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم أحد حين قدم أبو سفيان والمشركون فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه انا في جنة حصينة يعني بذلك المدينة فدعوا القوم أن يدخلوا علينا نقاتلهم فقال له ناس من أصحابه من الانصار يا نبي الله انا نكره أن نقتل في طرق المدينة وقد كنا نمتنع في الغزو في الجاهلية فبالاسلام أحق أن نمتنع فيه فابرز بنا الى القوم فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبس لأمته فتلاوم القوم فقالوا عرض نبي الله صلى الله عليه وسلم بأمر وعرضتم بغيره اذهب يا حمزة فقل لنبي الله صلى الله عليه وسلم أمرنا لأمرك تبع فأتى حمزة فقال له يا نبي الله ان القوم قد تلاوموا وقالوا أمرنا لأمرك تبع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس لنبي اذا لبس لأمته أن يضعها حتى يناجز وانه ستكون فيكم مصيبة قالوا يا نبي الله خاصة أو عامة قال سترونها ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم رأى في المنام أن بقرا تنحر فتأولها قتلا في أصحابه ورأى أن سيفه ذا الفقار انقصم فكان قتل عمه حمزة قتل يومئذ وكان يقال له أسد الله (١) ورأى أن كبشا أغبر فتأوله كبش الكتيبة عثمان بن أبي طلحة أصيب يومئذ وكان معه لواء المشركين حدثت عن عمار عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه غير أنه قال قد أصبتم مثليها يقول مثلي ما أصيب منكم قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم يقول بما عصيتم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال أصيب المسلمون يوم أحد مصيبة وكانوا قد أصابوا مثليها يوم بدر ممن قتلوا وأسروا فقال الله عز وجل أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عمر بن عطاء عن عكرمة قال قتل المسلمون من المشركين يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقتل المشركون يوم أحد من المسلمين سبعين فذلك قوله قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا اذ نحن مسلمون نقاتل غضبا لله وهؤلاء مشركون قل هو من عند أنفسكم عقوبة لكم بمعصيتكم النبي صلى الله عليه وسلم حين قال ما قال حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم قالوا انما أصابنا هذا لأنا قبلنا الفداء يوم بدر من الاسارى وعصينا النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد فمن قتل منا كان شهيدا ومن بقي منا كان مطهرا رضينا بالله ربا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن مبارك عن الحسن وابن جريج قالا معصيتهم أنه قال لهم لا تتبعوهم يوم أحد فاتبعوهم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ثم ذكر ما أصيب من المؤمنين يعني بأحد وقتل منهم سبعون انسانا أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها كانوا يوم بدر أسروا سبعين رجلا وقتلوا سبعين قلتم أنى هذا أي من أين هذا قل هو من عند أنفسكم بما عصيتم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها يقول انكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم أحد حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ثم ذكر المصيبة التي أصابتهم فقال أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم أي ان تك قد أصابتكم مصيبة في اخوانكم فبذنوبكم قد أصبتم مثليها (٣) قتلا من عدوكم في اليوم الذي كان قبله ببدر قتلى

(١) الذي في السير ورأيت أني مردف كبشا فلعل فيه سقطا أو زيادة من الناسخ تأمل كتبه مصححه

عن ظاهره من غير ضرورة مع أن فيه ابطال الفوائد والحكم المذكورة واعلم أن من قرأ تغشى بالتاء فللعود الى الامنة ويؤيده أن الامنة مقصودة بالذات والنعاس مقصود بالعرض ولانها متبوع وانه تابع ومن قرأ بالياء فللعود الى النعاس ويقصره كونه أقرب وكون المبدل منه في حكم المنحى وموافقته لقوله في قصة بدر اذ يغشاكم النعاس ولان العرب تقول غشيه النعاس وقلما يقولون غشيه الأمن ولان النعاس والأمنة لما كانا شيأ واحدا كان التذكير أولى وأما الفريق الثاني فهم المنافقون الذين كانوا في شك من نبوته صلى الله عليه وسلم وما حضروا الا لطلب الغنيمة كعبد الله بن أبي ومعتب بن قشير ونظرائهم فأخبر عنهم بقوله (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) ما بهم الا هم أنفسهم لا هم الدين ولا هم النبي ولا المسلمين والهم الامر الشديد يقال أهمه ذلك الامر أي أقلقه وأحزنه فالمعنى أوقعتهم أنفسهم وما حل بهم في الهموم والأشجان (١) منهم بسبب التشكك وعدم الثبات والتحقيق فيه ان الانسان اذا اشتد اشتغاله بالشئ واستغراقه فيه صار غافلا عما سواه فلما كان أحب الاشيا عندهم هو النفس وكانت أسباب الخوف على النفس هنالك موجودة والدافع لذلك وهو الوثوق بنصر الله ووعده غير حاصل لهم لم يكن لهم هنالك الا هم أنفسهم (يظنون بالله غير الحق) وهو في حكم المصدر أي غير الظن الحق الذي يجب أن يظن به و (ظن الجاهلية) بدل منه والفائدة في هذا الترتيب أن غير الحق أديان كثيرة وأردأها مقالات أهل الجاهلية فذكر أولا أنهم يظنون بالله ظنا باطلا ثم بين أنهم اختاروا من الاديان أرذلها كما يقال فلان دينه ليس بحق دينه دين الملاحدة أو ظن الجاهلية مصدر وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق مما أضيف للملابسة أي الظن المختص بالملة الجاهلية وهي زمان الفترة قبل الاسلام

(١) عبارة الكشاف فهم في التشاكي والتباث وهي واضحة اه

أو أريد ظن أهل الجاهلية وهم أهل الشرك الجاهلون بالله فالجاهلية مصدر كالعالمية والقادرية قيل ان ذلك الظن هو أنهم كانوا ينكرون الاله
العالم بكل المعلومات القادر على كل المقدورات وينكرون النبوة والمعاد فلا جرم ما وثقوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله

وأسرى ونسيتم معصيتكم وخلافكم ما أمركم به نبيكم صلى الله عليه وسلم انكم أحللتم ذلك بأنفسكم
ان الله على كل شيء قدير أي ان الله على كل ما أراد بعباده من نقمة أو عفو قدير حدثت عن
الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول في قوله أولما أصابتكم
مصيبة قد أصبتم مثليها الآية يعني بذلك أنكم أصبتم من المشركين يوم بدر مثلي ما أصابوا منكم يوم
أحد * وقال بعضهم بل تأويل ذلك قل هو من عند أنفسكم باساركم المشركين يوم بدر وأخذكم
منهم الفداء وترككم قتلهم ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن فضيل عن
أشعث بن سوار عن ابن سيرين عن عبيدة قال أسر المسلمون من المشركين سبعين وقتلوا سبعين
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اختاروا أن تأخذوا منهم الفداء فتتقووا به على عدوكم وان
قبلتموه قتل منكم سبعون أو تقتلوهم فقالوا بل نأخذ الفدية منهم ويقتل منا سبعون قال فأخذوا
الفدية منهم وقتلوا منهم سبعين قال عبيدة وطلبوا الخيرتين كلتيهما حدثني يعقوب بن ابراهيم
قال ثنا ابن علية قال ثنا ابن عون عن ابن سيرين عن عبيدة أنه قال في أسارى بدر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان شئتم قتلتموهم وان شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم قالوا بل نأخذ
الفداء فنستمتع به ويستشهد منا بعدتهم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني اسمعيل
عن ابن عون عن محمد عن عبيدة السلماني * وحدثني حجاج عن جرير عن محمد عن عبيدة
السلماني عن علي قال جاء جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له يا محمد ان الله قد كره ما صنع
قومك في أخذهم الاسارى وقد أمرك أن تخيرهم بين أمرين أن يقدموا فتضرب أعناقهم وبين
أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم قال فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فذكر
ذلك لهم فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا لا بل نأخذ فداءهم فنتقوى به على قتال عدونا
ويستشهد منا عدتهم فليس في ذلك ما نكره قال فقتل منهم يوم أحد سبعون رجلا عدة أسارى أهل
بدر * القول في تأويل قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين
نافقوا) يعني تعالى ذكره بذلك والذي أصابكم يوم التقى الجمعان وهو يوم أحد حين التقى جمع
المسلمين والمشركين ويعني بالذي أصابهم ما نال من القتل من قتل منهم ومن الجراح من جرح منهم
فباذن الله يقول فهو باذن الله كان يعني بقضائه وقدره فيكم وأجاب ما بالفاء لأن ما حرف جزاء وقد
بينت نظير ذلك فيما مضى قبل وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا يعني وليعلم الله المؤمنين وليعلم
الذين نافقوا أصابكم ما أصابكم يوم التقى الجمعان أحد ليميز أهل الايمان بالله ورسوله المؤمنين
منكم من المنافقين فيعرفونهم لا يخفى عليهم أمر الفريقين وقد بينا تأويل قوله وليعلم المؤمنين
فيما مضى وما وجه ذلك بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع وبنحو ما قلنا في ذلك قال ابن اسحق
حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم
المؤمنين أي ما أصابكم حين التقيتم أنتم وعدوكم فباذني كان ذلك حين فعلتم ما فعلتم بعد أن
جاءكم نصري وصدقتم وعدي ليميز بين المنافقين والمؤمنين وليعلم الذين نافقوا منكم أي ليظهروا
ما فيهم * القول في تأويل قوله جل ثناؤه (وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم
قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم
بما يكتمون) يعني تعالى ذكره بذلك عبد الله بن أبي ابن سلول المنافق وأصحابه الذين رجعوا عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه حين سار نبي الله صلى الله عليه وسلم الى المشركين بأحد

يقويهم وينصرهم وقيل الظن
هو أنهم كانوا يقولون لو كان محمد
حقا لم يسلط الله الكفار عليه وهذا
ظن فاسد أما عند أهل السنة فلانه
تعالى فاعل لما يشاء ولا اعتراض
لأحد عليه واذا شرف المولى عبده
بخلعة لم يجب أن يشرفه بأخرى
وأما عند من يعتبر المصالح في أفعاله
وأحكامه فلا يبعد أن يكون في
التخلية بين الكافر والمسلم وغير
ذلك من المصائب حكم خفية ولو
كان كون المؤمن محقا يوجب زوال
المصائب عنه لاضطر الناس الى معرفة
الحق وكان ينافي التكاليف
واستحقاق الثواب والعقاب وانما
يعرف كون الانسان محقا بالدلائل
والبينات ولا يجوز الاستدلال
بالدولة والشوكة ووفور القوة والمال
والجاه على حقية صاحبها والله أعلم
(يقولون هل لنا من الأمر من شيء)
حكاية شبهة تمسك بها أهل النفاق
فاستفهموا عنها على سبيل الانكار
وانما يحتمل وجوها أحدها هل
لنا من التدبير من شيء يعنون رأي
عبد الله بن أبي وان النبي صلى الله
عليه وسلم لم يقبل قوله حين أمره
أن يسكن في المدينة ولا يخرج منها
ونظيره ما حكى عنه لو أطاعونا
ما قتلوا وثانيها من عادة العرب أنه
اذا كانت الدولة لاحد قالوا له الامر
واذا كانت لعدوه قالوا عليه الامر
أي هل لنا من الامر الذي كان
يعدنا به محمد وهو النصر والقدرة
شيء وثالثها أنطمع أن يكون لنا
الغلبة على هؤلاء والغرض منه
تعيير المسلمين على التشديد في الجهاد

فأمره الله تعالى أن يجيب عنها بقوله (قل ان الامر كله لله) والحوادث بأسرها مستندة الى قضائه وقدره لقتالهم
فاذا كان قدر الخروج الى الكفار واختصاص جمع من الصحابة بالشهادة فلا مفر من ذلك واذا أراد إعلاء كلمة الاسلام واظهار هذا الدين

على الأديان وقع لا محالة (يخفون في أنفسهم) في ضمائرهم أو فيما بينهم (ما لا يبدون لك) وذلك المخفي قولهم (لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ههنا) أي لو كان هذا الدين حقا لما سلط الله الكفار على من يذب عنه ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة فأمر الله

لقتالهم فقال لهم المسلمون تعالوا قاتلوا المشركين معنا أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم ولكنا معكم عليهم ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال فأبدوا من نفاق أنفسهم ما كانوا يكتمونه وأبدوا بألسنتهم بقولهم لو نعلم قتالا لاتبعناكم غير ما كانوا يكتمونه ويخفونه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل الإيمان به كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهري ومحمد بن يحيى ابن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ وغيرهم من علمائنا كلهم قد حدث قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني حين خرج إلى أحد في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كانوا بالشوط بين أحد والمدينة انخزل عنهم عبد الله بن أبي ابن سلول بثلث الناس فقال أطاعهم فخرج وعصاني والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ههنا أيها الناس فرجع بمن اتبعه من الناس من قومه من أهل النفاق وأهل الريب واتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام أخو بني سلمة يقول يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا نبيكم وقومكم عندما حضر من عدوهم فقالوا لو نعلم أنكم تقاتلون ما أسلمناكم ولكنا لا نرى أن يكون قتال فلما استعصوا عليه وأبوا إلا الانصراف عنهم قال أبعدكم الله أعداء الله فسيغني الله عنكم ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا يعني عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سار إلى عدوه من المشركين بأحد وقوله لو نعلم قتالا لاتبعناكم يقول لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم ولدفعنا عنكم ولكن لا نظن أن يكون قتال فظهر منهم ما كانوا يخفون في أنفسهم يقول الله عز وجل هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان وليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون أي يخفون حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني يوم أحد في ألف رجل وقد وعدهم الفتح إن صبروا فلما خرجوا رجع عبد الله بن أبي ابن سلول في ثلثمائة فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم (١) فلما غلبوه وقالوا له ما نعلم قتالا ولئن أطعتنا لترجعن معنا قال فذكر الله أصحاب عبد الله بن أبي ابن سلول وقول عبد الله أبي جابر بن عبد الله الأنصاري حين دعاهم فقالوا ما نعلم قتالا ولئن أطعتمونا لترجعن معنا فقال الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قال عكرمة قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم قال نزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد لو نعلم قتالا قال لو نعلم أنا واجدون معكم قتالا لو نعلم مكان قتال لاتبعناكم * واختلفوا في تأويل قوله أو ادفعوا فقال بعضهم معناه أو كثروا فإنكم إذا كثرتم دفعتم القوم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي أو ادفعوا يقول أو كثروا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج أو ادفعوا قال بكثرتكم العدو وإن لم يكن قتال * وقال آخرون معنى ذلك أو رابطوا إن لم تقاتلوا ذكر من قال ذلك حدثنا

(١) قوله فلما غلبوه الخ شرط وجوابه قال والمقول محذوف ولعل أصله قال أبعدكم الله الخ كما ذكره في السابق فاختصره لذلك كتبه مصححه

تعالى نبيه أن يجيبهم بقوله (قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) وهي مصارعهم التي قدر لهم أن يقتلوا فيها لأن ما كتب الله في اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم في بيوتكم لخرج منكم من كتب الله عليهم أن يقتلوا في المصارع المعلومة حتى يوجد ما علم الله وجوده وقيل معناه لو تخلفتم أيها المنافقون عن الجهاد لخرج المؤمنون الذين كتب الله عليهم قتال الكفار إلى مصارعهم ولم يتخلفوا عن هذه الطاعة بسبب تخلفكم على أن البروز إلى هذه المصارع لا يخلو عن الفوائد وذلك قوله (وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في قلوبكم) خص الابتلاء بما في الصدور والتمحيص بما في القلوب إما لاختلاف العبارة وإما لأن الابتلاء محله القلب الذي في الصدر والتمحيص مورده الهيئات والعقائد التي في القلب واعلم أن نسق هذه الآية أنسق ونظمه عجب أما نسقه فقوله وطائفة مبتدأ وأهمتهم صفته ويظنون خبره ويحتمل أن يكون خبره محذوفا أي وثمة أو ومنهم طائفة أهمتهم ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى أهمتهم أنفسهم ظانين أو استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون أو بيان له وإنما صح وقوع القول الذي مقوله إنشاء بدلا من الإخبار بالظن لأن سؤالهم كان صادرا عن الظن ويخفون حال من يقولون وقل إن الأمر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال فمن قرأ كله بالرفع فلأنه مبتدأ ولله خبره والجملة خبر إن ومن قرأ بالنصب فلكونه تأكيدا

للأمر ولله خبر إن كما لو قلت إن الأمر أجمع لله وقوله يقولون استئناف وقوله وليبتلي تقدم ذكره في الوقوف وأما نظمه فإنه لما أخبر عن هذه الطائفة بأنهم يظنون ظن الجاهلية فسر ذلك الظن بأنهم يقولون هل لنا من الأمر من شيء لأن هذا القول لا يصدر إلا عمن كان ظانا بل شاكا

اسمعيل بن حفص الآملى وعلى بن سهل الرملى قالا ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا عتبة بن ضمرة قال سمعت أبا عون الانصارى فى قوله قاتلوا فى سبيل الله أو ادفعوا قال رابطوا وأما قوله والله أعلم بما يكتمون فانه يعنى به والله أعلم من هؤلاء المنافقين الذين يقولون للمؤمنين لو نعلم قتالا لاتبعناكم بما يضمرون فى أنفسهم للمؤمنين ويكتمونه فيسترونه من العداوة والشنآن وأنهم لو علموا قتالا ما تبعوهم ولا دافعوا عنهم وهو تعالى ذكره محيط بما يخفونه من ذلك مطلع عليه ومحصيه عليهم حتى يهتك أستارهم فى عاجل الدنيا فيفضحهم به ويصليهم به الدرك الاسفل من النار فى الآخرة ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين) يعنى تعالى ذكره بذلك وليعلم الله الذين نافقوا الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا فموضع الذين نصب على الابدال من الذين نافقوا وقد يجوز أن يكون رفعا على الترجمة عما فى قوله يكتمون من ذكر الذين نافقوا فمعنى الآية وليعلم الله الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا مع المسلمين فى حربهم المشركين باحد يوم أحد فقتلوا هنالك من عشائرهم وقومهم وقعدوا يعنى وقعد هؤلاء المنافقون القائلون ما قالوا مما أخبر الله عز وجل عنهم من قيلهم عن الجهاد مع اخوانهم وعشائرهم فى سبيل الله لو أطاعونا يعنى لو أطاعنا من قتل باحد من اخواننا وعشائرنا ما قتلوا يعنى ما قتلوا هنالك قال الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء القائلين هذه المقالة من المنافقين فادرؤا يعنى فادفعوا من قول القائل درأت عن فلان القتل بمعنى دفعت عنه أدرؤه درأ ومنه قول الشاعر

تقول وقد درأت لها وضينى ☼ أهذا دينه أبدا ودينى

يقول تعالى ذكره قل لهم فادفعوا ان كنتم أيها المنافقون صادقين فى قيلكم لو أطاعنا اخواننا فى ترك الجهاد فى سبيل الله مع محمد صلى الله عليه وسلم وقتالهم أبا سفيان ومن معه من قريش ما قتلوا هنالك بالسيف ولكانوا أحياء بقعودهم معكم وتخلفهم عن محمد صلى الله عليه وسلم وشهود جهاد أعداء الله معه الموت فانكم قد قعدتم عن حربهم وقد تخلفتم عن جهادهم وأنتم لا محالة ميتون كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق الذين قالوا لاخوانهم الذين أصيبوا معكم من عشائرهم وقومهم لو أطاعونا ما قتلوا الآية أى انه لا بد من الموت فان استطعتم أن تدفعوه عن أنفسكم فافعلوا وذلك أنهم انما نافقوا وتركوا الجهاد فى سبيل الله حرصا على البقاء فى الدنيا وفرارا من الموت ذكر من قال الذين قالوا لاخوانهم هذا القول هم الذين قال الله فيهم وليعلم الذين نافقوا حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا الآية ذكر لنا أنها نزلت فى عدو الله عبد الله بن أبى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى قال هم عبد الله بن أبى وأصحابه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال هو عبد الله بن أبى الذى قعد وقال لاخوانه الذين خرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد لو أطاعونا ما قتلوا الآية قال ابن جريج عن مجاهد قال قال جابر بن عبد الله هو عبد الله بن أبى ابن سلول حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع قوله الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا الآية قال نزلت فى عدو الله عبد الله بن أبى ۞ القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله) يعنى تعالى ذكره ولا تحسبن ولا تظنن كما حدثنا ابن حميد قال

فى حقية هذا الدين وفى المبدا والمعاد وفى القضاء والقدر فأزال ذلك الظن بقوله قل ان الامر كله لله بيده الاماتة والاحياء والفقر والاغناء والسراء والضراء ثم لما كان سؤالهم ذلك مظنة أن يكون سؤال المؤمنين المسترشدين لا المعاندين المنكرين أراد أن يكشف عن حالهم ويبين مقالهم كيلا يغتر به المؤمنون فقال (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) أى ذلك القول انما صدر عنهم فى هذه الحالة فكان لسائل أن يسأل ما الذى يخفونه فى أنفسهم فقيل (يقولون لو كان لنا من الامر شئ ما قتلنا ههنا) وقد مر تفسيره ويحتمل أن يراد لو كان لنا رأى مطاع لم نخرج من المدينة فلم نقتل ههنا فيكون كالطعن فى قوله قل ان الأمر كله لله قال فى التفسير الكبير هذا بعينه هو المناظرة الدائرة بين السنى والمعتزلى فذلك يقول الطاعة والعصيان والكفر والايمان من الله وهذا يقول الانسان مختار مستقل ان شاء آمن وان شاء كفر فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يجيب عن هذا الاعتقاد بأن ما قضى الله فهو كائن والحذر لا يرد القدر والتدبير لا يبطل التقدير وان شئتم المصالح ففائدته الابتلاء وهو أن يتميز الموافق عن المنافق كما فى المثل لا تكرهوا الفتن فانها حصاد المنافقين وتطهير القلوب عن وساوس الشبهات وتبعات المعاصى والسيئات ثم قال (والله عليم بذات الصدور) صاحبتها وهى الاسرار والضمائر ليعلم أن ابتلاءه ليس لانه يخفى عليه شئ وانما ذلك لمحض الالهية أو للاستصلاح قوله عز من قائل (ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان) يعنى يوم أحد وذكر محمد بن اسحق أن ثلث الناس كانوا مجروحين وثلثهم انهزموا وثلثهم ثبتوا ومن المنهزمين من ورد المدينة وكان أولهم سعد بن عثمان أخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل ثم بعده رجال ودخلوا على نسائهم وجعل النساء يقلن أعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرون وكن ثنا يحثين التراب فى وجوههم ويقلن هاك المغزل اغزل وقال بعض الرواة ان المسلمين لم يعدوا الجبل قال القفال الذى تدل عليه الاخبار فى الجملة

أن نفرا قليلا تولوا وأبعدوا فمنهم من دخل المدينة ومنهم من ذهب الى سائر الجوانب وأما الاكثرون فانهم نزلوا عند الجبل واجتمعوا هنالك ومن المنهزمين عمر الا أنه لم يكن في أوائل المنهزمين ولم يبعد بل ثبت على الجبل الى أن صعد النبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أيضا عثمان انهزم هو ومع رجلين من الانصار يقال لهما سعد وعقبة انهزموا حتى بلغوا موضعا بعيدا ثم رجعوا بعد ثلاثة أيام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم لقد ذهبتم فيها عريضة وأما الذين ثبتوا مع الرسول صلى الله عليه وسلم فكانوا أربعة عشر رجلا سبعة من المهاجرين أبو بكر وعلي وعبد الرحمن بن عوف وسعد ابن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله وأبو عبيدة بن الجراح والزبير بن العوام وسبعة من الانصار الحباب ابن المنذر وأبو دجانة وعاصم بن ثابت والحرث بن الصمة وسهل بن حنيف وأسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذكر أن ثمانية من هؤلاء كانوا بايعوه يومئذ على الموت ثلاثة من المهاجرين علي وطلحة والزبير وخمسة من الانصار أبو دجانة والحرث بن الصمة وحباب بن المنذر وعاصم بن ثابت وسهل بن حنيف ثم لم يقتل منهم أحد وروى ابن عيينة أنه أصيب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو من ثلاثين كلهم يجيء ويجثو بين يديه ويقول وجهي لوجهك الفداء وعليك السلام غير مودع (انما استزلهم الشيطان) تقول زلت يا فلان تزل زللا اذا زل في طين أو منطق والاسم الزلة واستزله غيره كأنه طلب منه الزلة ودعاه اليها والباء في (ببعض ما كسبوا) للاستعانة مثلها في كتبت بالقلم والمعنى أنه كان قد صدر عنهم جنايات فبواسطة تلك الجنايات قدر الشيطان على استزلالهم في التولي وعلى هذا التقدير ففيه وجوه قال الزجاج انهم لم يتولوا على جهة المعاندة ولا على جهة الفرار من الزحف رغبة منهم في الدنيا وانما ذكرهم الشيطان ذنوبا كانت لهم فكرهوا القاء الله الا على حال يرضونها والا بعد الاخلاص في التوبة فهذا خاطر خطر ببالهم وكانوا مخطئين

ثنا سلمة عن ابن اسحق ولا تحسبن ولا تظنن وقوله الذين قتلوا في سبيل الله يعني الذين قتلوا باحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أمواتا يقول ولا تحسبنهم يا محمد أمواتا لا يحسون شيأ ولا يلتذون ولا يتنعمون فانهم أحياء عندي متنعمون في رزقي فرحون مسرورون بما آتيتهم من كرامتي وفضلي وحبوتهم به من جزيل ثوابي وعطائي كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق * وحدثني يونس بن عبد الأعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا اسمعيل بن عياش عن ابن اسحق عن اسمعيل بن أمية عن أبي الزبير المكي عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم قالوا ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله بنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هؤلاء الآيات حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير بن عبد الحميد * وحدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قالا جميعا ثنا محمد بن اسحق عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق بن الأجدع قال سألنا عبد الله ابن مسعود عن هذه الآيات ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآية قال أما انا قد سألنا عنها فقيل لنا انه لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب في ظل العرش فيطلع الله اليهم اطلاعة فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا ثلاث مرات ثم يطلع فيقول يا عبادي ما تشتهون فأزيدكم فيقولون ربنا لا فوق ما أعطيتنا الجنة نأكل منها حيث شئنا الا أنا نختار أن ترد أرواحنا في أجسادنا ثم ترد الى الدنيا فنقاتل فيك حتى نقتل فيك مرة أخرى حدثنا الحسن بن يحيى العبدي قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن الاعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآية ثم ذكر نحوه وزاد فيه اني قد قضيت أن لا ترجعوا حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة عن سليمن عن عبد الله ابن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن أرواح الشهداء ولولا عبد الله ما أخبرنا به أحد قال أرواح الشهداء عند الله في أجواف طير خضر في قناديل تحت العرش تسرح في الجنة حيث شاءت ثم ترجع الى قناديلها فيطلع اليها ربها فيقول ماذا تريدون فيقولون نريد أن نرجع الى الدنيا فنقتل مرة أخرى حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الرحيم بن سليمن وعبدة بن سليمن عن محمد بن اسحق عن الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء وقال عبدة في روضة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا حدثنا أبو كريب وأنبأنا يونس بن بكير عن محمد بن اسحق قال ثني الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله الا أنه قال في قبة خضراء وقال يخرج عليهم فيها حدثنا ابن وكيع وأنبأنا ابن ادريس عن محمد ابن اسحق قال ثني الحرث بن فضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وحدثني الحرث بن الفضيل الانصاري عن محمود بن لبيد الانصاري عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة

فيه وقيل انهم لما أذنبوا بسبب مفارقة المركز أوقعهم الشيطان بشؤم تلك المعصية في الهزيمة وقيل كانت لهم ذنوب قد تقدمت فبشؤمها
قدر الشيطان على دعائهم الى التولي لان الذنب يجر الى الذنب كما أن الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وانما قال ببعض
ما كسبوا لأن الكسب قد يكون
خيرا كقوله لها ما كسبت أو لان
جميع الذنوب لا يؤاخذ بها الله تعالى
كقوله وما أصابكم من مصيبة فبما
كسبت أيديكم ويعفو عن كثير وقال
الحسن استزلهم بقبول ما زين
لهم من الهزيمة ويحتمل أن تكون
الباء بمعنى في أي السبب في توليهم
أنهم كانوا أطاعوا الشيطان في
بعض الاعمال إما قبل هذه الغزوة
وإما فيها كالفشل والتنازع
والتحول عن المركز وطلب الغنيمة
فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم
التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا
وعلى هذا التقدير لا يكون الفعل
المسند الى استزلال الشيطان فيه
هو التولي وانما يكون أعمالا أخر
اما في هذه الغزوة أو قبلها (ولقد عفا
الله عنهم) فيه بيان أنهم ما كفروا
وما تركوا دينهم لان العفو عن
الكفر لا يجوز بقي البحث في أنه أي
ذنب هو والظاهر أنه التولي لان
التوبيخ وقع عليه والآية سيقت
لاجله ثم انه من الصغائر أو من
الكبائر قالت المعتزلة كلاهما
محتمل لكنه ان كان من الصغائر فلا
حاجة الى اضمار التوبة وان كان
من الكبائر فلا بد من اضمار توبتهم
وان كانت غير مذكورة في الآية
قال القاضي الاقرب انه من الصغائر
لانه لا يكاد يقال في الكبائر انها زلة
ولانهم ظنوا أن الهزيمة لما وقعت
على المشركين لم يبق في ثباتهم حاجة
فلا جرم تحولوا لطلب الغنيمة والخطأ
في الاجتهاد ليس من الكبائر وقالت
الاشاعرة انه من الكبائر لانهم خالفوا
النص وحيث عفا عنه من غير ذكر التوبة والاصل عدم الاضمار غلب على الظن أن العفو عن الكبائر واقع من غير شرط في
ثم ندب الى المؤمنين ما يزيد رغبتهم في الجهاد فقال (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا) قيل انه عام وقيل يعني المنافقين وقيل منافق

وعشيا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال ثني أيضا يعني اسمعيل بن عياش عن
ابن اسحق عن الحرث بن الفضيل عن محمود بن لبيد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
بنحوه حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة قال قال محمد بن اسحق وحدثني بعض أصحابي عن
عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب قال سمعت جابر بن عبد الله يقول قال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم ألا أبشرك يا جابر قال قلت بلى يا رسول الله قال ان أباك حيث أصيب باحد
أحياه الله ثم قال له ما تحب يا عبد الله بن عمرو أن أفعل بك قال يا رب أحب أن تردني الى الدنيا
فأقاتل فيك فأقتل مرة أخرى حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن
رجالا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا ليتنا نعلم ما فعل اخواننا الذين قتلوا يوم أحد
فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك القرآن ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم
يرزقون كنا نحدث أن أرواح الشهداء تعارف في طير بيض تأكل من ثمار الجنة وان مساكنهم
السدرة حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع بنحوه الا أنه قال تعارف
في طير خضر وبيض وزاد فيه أيضا وذكر لنا عن بعضهم في قوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله
أمواتا بل أحياء قال هم قتلى بدر وأحد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج
عن ابن جريج عن محمد بن قيس بن مخرمة قال قالوا يا رب ألا رسول لنا يخبر النبي صلى الله عليه وسلم
عنا بما أعطيتنا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم فأمر جبريل عليه السلام أن يأتي بهذه الآية
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله الآيتين حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال
أخبرنا الثوري عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله عن هذه الآيات
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال أرواح الشهداء عند الله
كطير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت قال فاطلع اليهم ربك اطلاعة
فقال هل تشتهون من شيء فأزيدكموه قالوا ربنا ألسنا نسرح في الجنة في أيها شئنا ثم اطلع عليهم
الثالثة فقال هل تشتهون من شيء فأزيدكموه قالوا تعيد أرواحنا في أجسادنا فنقاتل في سبيلك مرة
أخرى فسكت عنهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن
عطاء بن السائب عن أبي عبيدة عن عبد الله أنهم قالوا في الثالثة حين قال لهم هل تشتهون من شيء
فأزيدكموه قالوا تقرئ نبينا عنا السلام وتخبره أن قد رضينا ورضي عنا حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق قال قال الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم يرغب المؤمنين في ثواب
الجنة ويهون عليهم القتل ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون
أي قد أحييتهم فهم عندي يرزقون في روح الجنة وفضلها مسرورين بما آتاهم الله من ثوابه على
جهادهم عنه حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سليمان قال سمعت
الضحاك قال كان المسلمون يسألون ربهم أن يريهم يوما كيوم بدر يبلون فيه خيرا ويرزقون فيه
الشهادة ويرزقون فيه الجنة والحياة في الرزق فلقوا المشركين يوم أحد فاتخذ الله منهم شهداء وهم
الذين ذكرهم الله فقال ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية حدثنا محمد بن الحسين
قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قال ذكر الشهداء فقال ولا تحسبن الذين
قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم الى قوله ولا هم يحزنون زعم أن أرواح الشهداء في
أجواف طير خضر في قناديل من ذهب معلقة بالعرش فهي ترعى بكرة وعشية في الجنة تبيت

في القناديل فاذا سرحن نادى مناد ماذا تريدون ماذا تشتهون فيقولون ربنا نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسألهم ربهم أيضا ماذا تشتهون وماذا تريدون فيقولون نحن فيما اشتهت أنفسنا فيسئلون الثالثة فيقولون ما قالوا ولكنا نحب أن ترد أرواحنا في أجسادنا لما يرون من فضل الثواب حدثنا ابن حميد قال ثنا عباد قال ثنا ابراهيم بن معمر عن الحسن قال ما زال ابن آدم يتحمد حتى صار حيا ما يموت ثم تلا هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا محمد بن مرزوق قال ثنا عمر بن يونس قال ثنا اسحق بن أبي طلحة قال ثني أنس بن مالك في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين أرسلهم نبي الله صلى الله عليه وسلم الى أهل بئر معونة قال لا أدري أربعين أو سبعين قال وعلى ذلك الماء عامر بن الطفيل الجعفري فخرج أولئك النفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حتى أتوا غارا مشرفا على الماء فقعدوا فيه ثم قال بعضهم لبعض أيكم يبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل هذا الماء فقال أراه أبو ملحان الانصاري أنا أبلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج حتى أتى حيا منهم فاحتبى أمام البيوت ثم قال يا أهل بئر معونة اني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم اني أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله فآمنوا بالله ورسوله فخرج اليه رجل من كسر البيت برمح فضرب به في جنبه حتى خرج من الشق الآخر فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة فاتبعوا أثره حتى أتوا أصحابه فقتلهم أجمعين عامر بن الطفيل قال قال اسحق حدثني أنس بن مالك أن الله تعالى أنزل فيهم قرآنا رفع بعد ما قرأناه زمانا وأنزل الله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون حدثنا يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال لما أصيب الذين أصيبوا يوم أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لقوا ربهم فأكرمهم فأصابوا الحياة والشهادة والرزق الطيب قالوا يا ليت بيننا وبين اخواننا من يبلغهم أنا لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا فقال الله تبارك وتعالى أنا رسولكم الى نبيكم واخوانكم فأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون الى قوله ولا هم يحزنون فهذا النبأ الذي بلغ الله رسوله والمؤمنين ما قال الشهداء وفي نصب قوله فرحين وجهان أحدهما أن يكون منصوبا على الخروج من قوله عند ربهم والآخر من قوله يرزقون ولو كان رفعا بالرد على قوله بل أحياء فرحون كان جائزا ❁ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يعني بذلك تعالى ذكره ويفرحون بمن لم يلحق بهم من اخوانهم الذين فارقوهم وهم أحياء في الدنيا على مناهجهم من جهاد أعداء الله مع رسوله لعلمهم بأنهم ان استشهدوا فلحقوا بهم صاروا من كرامة الله الى مثل الذي صاروا هم اليه فهم لذلك مستبشرون بهم فرحون أنهم اذا صاروا كذلك لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يعني بذلك لا خوف عليهم لانهم قد أمنوا عقاب الله وأيقنوا برضاه عنهم فقد أمنوا الخوف الذي كانوا يخافونه من ذلك في الدنيا ولا هم يحزنون على ما خلفوا وراءهم من أسباب الدنيا ونكد عيشها للخفض الذي صاروا اليه والدعة والزلفة ونصب أن لا بمعنى يستبشرون لهم بأنهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية يقول لاخوانهم الذين فارقوهم على دينهم

يوم أحد كعبد الله بن أبي وأصحابه وفيه دليل على أن الايمان ليس عبارة عن مجرد الاقرار باللسان كما يقوله الكرامية والا لم يسم المنافق كافرا (وقالوا لاخوانهم) أي لاجل اخوانهم مثل وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه وذلك أنهم قالوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا والميت والمقتول لا يكلم وعلى تقدير فرض التكلم كان المناسب أن لو قيل لو كنتم عندنا ما متم وما قتلتم ومعنى الاخوة اشتراك النسب فلعل المقتولين كانوا أقارب المنافقين وان كانوا مسلمين أو اتفاق الجنس فلعل بعض المنافقين صار مقتولا في بعض الغزوات والضرب في الارض الابعاد فيها للتجارة وغيرها والغزو قصد محاربة العدو قريبا كان أو بعيدا والفاعل غاز والجمع غزى مثل سابق وسبق وراكع وركع وانما قال اذا ضربوا دون اذ ضربوا أو حين ضربوا لان كلا في المعنى قوله وقالوا لانه أراد حكاية الحال الماضية والمعنى أن اخوانهم اذا ضربوا في الارض فالكافرون يقولون لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا فمن أخبر عنهم بعد ذلك لابد أن يقول قالوا ويجوز أن يكون قالوا في تقدير يقولون لكنه وقع التعبير عنه بلفظ الماضي لانه لازم الحصول في المستقبل مثل أتى أمر الله وفيه دلالة على أن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة قد بلغ الغاية فكأن هذا المستقبل كالكائن الواقع ويمكن أن يقال عبر عن المستقبل بلفظ الماضي ليعلم أن المقصود الاخبار عن جدهم واجتهادهم في تقرير هذه الشبهة وقال قطرب كلمة اذ واذا يجوز اقامة كل منهما مقام الاخرى وهذا وان لم يوجد له في كلام العرب نظير لكن القرآن أولى ما يستشهد به وهو حجة على غيره وليس غيره حجة عليه قال الواحدي في الكلام محذوف والتقدير اذا ضربوا في الارض فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا وأما اللام في قوله (ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم) ففي متعلقه وجهان الاول انه قالوا أي قالوا ذلك الكلام واعتقدوه ليجعل الله

ذلك الكلام حسرة فتكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا وكيف استعقب ذلك القول حصول الحسرة فيه وجوه فقيل لان أقارب ذلك المقتول اذا سمعوا هذا الكلام تخيلوا أنهم لو بالغوا فى منعه عن ذلك السفر أو الغزو لم يمت أو لم يقتل

وأمرهم لما قدموا عليه من الكرامة والفضل والنعيم الذى أعطاهم **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم الآية قال يقول اخواننا يقتلون كما قتلنا يلحقونا فيصيبون من كرامة الله تعالى ما أصبنا **حدثت** عن عمار قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع ذكر لنا عن بعضهم فى قوله ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون قال هم قتلى بدر وأحد زعموا أن الله تبارك وتعالى لما قبض أرواحهم وأدخلهم الجنة جعلت أرواحهم فى طير خضر ترعى فى الجنة وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش فلما رأوا ما أعطاهم الله من الكرامة قالوا ليت اخواننا الذين بعدنا يعلمون ما نحن فيه فاذا شهدوا قتالا تعجلوا الى ما نحن فيه فقال الله تعالى انى منزل على نبيكم ومخبر اخوانكم بالذى أنتم فيه ففرحوا به واستبشروا وقالوا يخبر الله نبيكم واخوانكم بالذى أنتم فيه فاذا شهدوا قتالا أتوكم قال فذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله الى قوله أجر المؤمنين **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أى ويسرون بلحوق من لحق بهم من اخوانهم على ما مضوا عليه من جهادهم ليشركوهم فيما هم فيه من ثواب الله الذى أعطاهم وأذهب الله عنهم الخوف والحزن **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم قال هم اخوانهم من الشهداء ممن يستشهد من بعدهم لا خوف عليهم ولا هم يحزنون حتى بلغ وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى أما يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم فان الشهيد يؤتى بكتاب فيه من يقدم عليه من اخوانه وأهله فيقال يقدم عليك فلان يوم كذا وكذا ويقدم عليك فلان يوم كذا وكذا فيستبشر حين يقدم عليه كما يستبشر أهل الغائب بقدومه فى الدنيا ۞ القول فى تأويل قوله (يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين) يقول جل ثناؤه يستبشرون يفرحون بنعمة من الله يعنى بما حباهم به تعالى ذكره من عظيم كرامته عند ورودهم عليه وفضل يقول وبما أسبغ عليهم من الفضل وجزيل الثواب على ما سلف منهم من طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وجهاد أعدائه وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين كما **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق يستبشرون بنعمة من الله وفضل الآية لما عاينوا من وفاء الموعود وعظيم الثواب واختلف القراء فى قراءة قوله وان الله لا يضيع أجر المؤمنين فقرأ ذلك بعضهم بفتح الالف من أن بمعنى يستبشرون بنعمة من الله وفضل وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وبكسر الالف على الاستئناف واحتج من قرأ ذلك كذلك بأنها فى قراءة عبد الله وفضل والله لا يضيع أجر المؤمنين قالوا فذلك دليل على أن قوله وان الله مستأنف غير متصل بالاول ومعنى قوله لا يضيع أجر المؤمنين لا يبطل جزاء أعمال من صدق رسوله واتبعه وعمل بما جاءه من عند الله وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك وأن الله بفتح الالف لاجماع الحجة من القراء على ذلك ۞ القول فى تأويل قوله (الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم) يعنى بذلك جل ثناؤه وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين المستجيبين لله والرسول من بعد ما أصابهم الجراح والكلوم وانما عنى الله تعالى ذكره بذلك الذين تبعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حمراء الاسد فى طلب العدو أبى سفيان ومن كان معه من مشركى قريش منصرفهم عن أحد وذلك أن أبا سفيان لما انصرف عن أحد خرج

فازدادت حسرتهم وتلهفهم بسبب أنهم قصروا فى منعه بخلاف المسلم المعتقد فى أن الحياة والموت لا يكونان الا بتقدير الله فانه لا يحصل له شئ من هذا النوع من الاسف وقيل لانهم اذا ألقوا هذه الشبهة الى اخوانهم تثبطوا عن الجهاد فاذا نال المسلمون فى الجهاد غنيمة بقى أولئك المتخلفون فى الخيبة والندامة وقيل المراد حسرتهم يوم القيامة اذا رأوا ثواب المجاهدين وقيل المقصود خيبتهم عن ترويج شبهتهم بعد ما أعلم الله المؤمنين بطلانها وقيل الغرض أن جدهم واجتهادهم فى تكثير الشبهات يقسى قلوبهم ويضيق صدورهم فيقعون لذلك فى الحيرة والحسرة ۞ الوجه الثانى أن متعلق اللام قوله لا تكونوا وذلك اشارة الى ما دل عليه النهى أى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله ذلك الانتفاء انتفاء كونكم مثلهم حسرة لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيى ويميت) رد لجهالتهم وجواب عن مقالتهم أى الامر بيده والخلق له فقد يحيى المسافر والغازى ويميت المقيم والقاعد فعلى المكلف أن يتلقى أوامره بالامتثال والله أعلم بحقيقة الاحوال ولا يجرى الامور الا على وفق امضائه وأحكامه ونقضه وابرامه وكل ميسر لما خلق له عن خالد بن الوليد أنه قال عند موته ما فى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت أعين الجبناء وفى أمثالهم الشجاع موقى والجبان ملقى وكان على يقول ان لم تقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون من موت على فراش ويجوز أن يكون المراد والله يحيى قلوب أوليائه بنور اليقين والعرفان ويميت قلوب أعدائه بظلمة الشك والخذلان (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم ومن قرأ على الغيبة فالضمير للذين

كفروا ويكون وعيدا لهم ثم انه لما كذب الكافرين في قولهم لاخوانهم لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ونهى المؤمنين عن كونهم مثلهم لانه
يسبب التقاعد عن الجهاد وينفر الطبع عنه رغبهم فيه بقوله (ولئن قتلتم في سبيل الله (١١٧) أومتم لمغفرة من الله ورحمة) شئ من مغفرته
ورحمته (خير مما يجمعون) فاللام
الاولى هي الموطئة والثانية لام
جواب القسم المقدر وكذا في الآية
الاخرى والمعنى أن القتل والموت في
السفر غير لازم الحصول لان ذلك
منوط بالقدر لا بالسفر ولئن سلم أنه
لازم فانه يستعقب المغفرة ويستجلب
الرحمة من الله وان ذلك خير مما
تجمعون من الدنيا ومافيها لو لم تموتوا
وعن ابن عباس خير من طلاع
الارض ذهبة حمراء ومن قرأ بالياء
فالضمير للكفار لان الذي يجمعونه
في الدنيا قد يكون من باب الحلال
الذي يعد خيرا أو ورد على حسب
معتقدهم ان أموالهم خيرات لهم
وانما كانت المغفرة والرحمة خيرا
من المال لان المال الذي يجمع
لاجل الغد قد يموت صاحبه قبل
الغد وان لم يمت فلعل المال لا يبقى في
الغد فكم من أمير أصبح أسيرا وعلى
تقدير بقاء المال وبقاء صاحبه
الى الغد فلعل مانعا من مرض أو
خوف يمنعه عن الانتفاع به وبتقدير
عدم المانع فلذات الدنيا مشوبة
بالآلام ومنافعها مخلوطة بالمضار
وبتقدير صفائها عن الشوائب
فلا بد لها من الزوال والانقطاع
ومنافع الآخرة أصفى وأضفى وأبقى
وأنقى ولا سيما منافعها العقلية وأي
نسبة لانتفاع الحمار بلذة قبقبه
فذبذبه الى ابتهاج الملائكة المقربين
بشروق أنوار العزة عليهم ثم رغبهم
بنوع آخر فقال (ولئن متم أو قتلتم لالى
الله تحشرون) كأنه قيل ان تركتم
الجهاد وتم لكم الاحتراز عن الموت
أو القتل بقيتم أياما قلائل في الدنيا مع اللذات الخسيسة الحسية والخيالية فتتركونها لا محالة فتكون لذاتها لغيركم وتبعاتها عليكم ولو أعرضتم
عن اللذات الفانية وبذلتم النفس والمال في دين الله وصلتم الى أعلى الدرجات وهي مقام العندية وانما قدم القتل على الموت في الآية

رسول الله صلى الله عليه وسلم في أثره حتى بلغ حمراء الاسد وهي على ثمانية أميال من المدينة ليرى
الناس أن به وأصحابه قوة على عدوهم كالذي حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق
قال ثني حسان بن عبد الله عن عكرمة قال كان يوم أحد السبت للنصف من شوال فلما كان الغد
من يوم أحد يوم الاحد لست عشرة ليلة مضت من شوال أذن مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في
الناس بطلب العدو وأذن مؤذنه أن لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فكلمه جابر بن
عبد الله بن عمرو بن حرام فقال يارسول الله ان أبي كان خلفني على أخوات لي سبع وقال لي يابني انه
لا ينبغي لي ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ولست بالذي أوثرك بالجهاد مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم على نفسي فتخلف على أخواتك فتخلفت عليهن فأذن له رسول الله صلى الله
عليه وسلم فخرج معه وانما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مرهبا للعدو وليبلغهم أنه خرج
في طلبهم ليظنوا به قوة وأن الذي أصابهم لم يوهنهم عن عدوهم حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة
عن محمد بن اسحق قال فحدثني عبد الله بن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبي السائب مولى عائشة بنت
عثمان أن رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني عبد الأشهل كان شهد أحدا
قال شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا أنا وأخ لي فرجعنا جريحين فلما أذن رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالخروج في طلب العدو قلت لأخي أو قال لي أتفوتنا غزوة مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم والله مالنا من دابة نركبها ومامنا الا جريح ثقيل فخرجنا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وكنت أيسر جرحا منه فكنت اذا غلب حملته عقبة ومشى عقبة حتى انتهينا الى ما انتهى اليه
المسلمون فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية
أميال فأقام بها ثلاثا الاثنين والثلاثاء والاربعاء ثم رجع الى المدينة حدثنا ابن حميد قال ثنا
سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله تبارك وتعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم
القرح أي الجراح وهم الذين ساروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الغد من يوم أحد الى حمراء
الاسد على ما بهم من ألم الجراح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح الآية وذلك يوم
أحد بعد القتل والجراح وبعد ما انصرف المشركون أبو سفيان وأصحابه فقال صلى الله عليه وسلم
لاصحابه ألا عصابة تشد لامر الله تطلب عدوها فانه أنكى للعدو وأبعد للسمع فانطلق عصابة منهم
على ما يعلم الله تعالى من الجهد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط
عن السدي انطلق أبو سفيان منصرفا من أحد حتى بلغ بعض الطريق ثم انهم ندموا وقالوا
بئسما صنعتم انكم قتلتموهم حتى اذا لم يبق الا الشريد تركتموهم ارجعوا واستأصلوهم فقذف الله
في قلوبهم الرعب فهزموا فأخبر الله رسوله فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد ثم رجعوا من حمراء الاسد
فأنزل الله جل ثناؤه فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح حدثني محمد بن
سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال ان الله جل وعز
قذف في قلب أبي سفيان الرعب يعني يوم أحد بعد ما كان منه ما كان فرجع الى مكة فقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان أبا سفيان قد أصاب منكم طرفا وقد رجع وقذف الله في قلبه الرعب وكانت
وقعة أحد في شوال وكان التجار يقدمون المدينة في ذي القعدة فينزلون ببدر الصغرى في كل سنة
مرة وانهم قدموا بعد وقعة أحد وكان أصاب المؤمنين القرح واشتكوا ذلك الى نبي الله صلى الله عليه

الاولى وعكس فى الثانية ليقع الابتداء والختم على ماهو أفضل أولأن الآية الاولى سيقت لبيان فضل الجهاد والقتل فى سبيله فقدم ماهو الأغلب من حال المجاهدين الذين يفارقون الدنيا وهو القتل والثانية سيقت لبيان أن حشر الخلائق كلهم اليه بأى وجه يفارقون الدنيا ولاشك أن الغالب على أحوال الخلق كلهم الموت ولهذا السر أطلق القتل اطلاقا فاتبع أنواع القتل كلها وفى قوله لالى الله تحشرون لطائف منها تقديم الجار على الفعل لافادة الحصر وأنهم لايحشرون الى غيره وأنه لاحكم لأحد فى ذلك اليوم إلا له ومنها تخصيص اسم الله بالذكر ليدل على كمال اللطف والقهر فهو لدلالته على كمال اللطف أعظم أنواع الوعد ولدلالته على كمال القهر أشد أنواع الوعيد ومنها ادخال لام التوكيد القسمى فى الحرف المتصل باسم الله تنبيها على أن الالهية تقتضى هذا الحشر لحكمة المجازاة ومنها بناء تحشرون على المفعول تعويلا على ماهو مركوز فى العقول من أنه هو الذى يبدئ و يعيد لاقدرة على الاعادة لأحد غيره ومنها أنه أضاف حشرهم الى غيرهم ليعلم أنهم أحياء كانوا أو أمواتا لايخرجون عن قبضته ومنها أنه خاطب الكل ليعلم أن القاتل والمقتول والظالم والمظلوم والقاعد والمجاهد كلهم فى بساط العدل وفناء القضاء موقوفون واعلم أنه تعالى ذكر فى الآيتين المغفرة والرحمة والحشر اليه فالاول اشارة الى من يعبده خوفا من عقابه والثانى اشارة الى من يعبده طمعا فى ثوابه والثالث اشارة الى من يعبده لانه يستحق العبادة فهم أهل الحشر الى الله لا الى ثوابه ولا الى ازالة عقابه وما أحسن هذا النسق يروى أن عيسى صلى الله عليه وسلم مر بأقوام نحفت أبدانهم واصفرت وجوههم ورأى عليهم سيما الطاعة فقال ماذا تطلبون فقالوا نخشى عذاب الله فقال هو أكرم من أن لا يخلصكم من عذابه ثم مر بآخرين فرأى عليهم تلك اليه الآثار فسألهم فقالوا نطلب الجنة والرحمة فقال هو أكرم من أن يمنعكم رحمته ثم مر بقوم ثالث ورأى عليهم سمات العبودية أكثر فسألهم فقالوا

وسلم واشتد عليهم الذى أصابهم وان رسول الله ندب الناس لينطلقوا معه ويتبعوا ما كانوا متبعين وقال انما يرتحلون الآن فيأتون الحج ولا يقدرون على مثلها حتى عام مقبل فجاء الشيطان يخوف أولياءه فقال ان الناس قد جمعوا لكم فأبى عليه الناس أن يتبعوه فقال انى ذاهب وان لم يتبعنى أحد لاحضض الناس فانتدب معه أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلى والزبير وسعد وطلحة وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وأبو عبيدة بن الجراح فى سبعين رجلا فساروا فى طلب أبى سفيان فطلبوه حتى بلغوا الصفراء فأنزل الله تعالى الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم **حدثنى** يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هاشم بن القاسم قال ثنا أبو سعيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أنها قالت لعبد الله بن الزبير يا ابن أختى أما والله ان أباك وجدك تعنى أبا بكر والزبير لمن قال الله تعالى فيهم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قال أخبرت أن أبا سفيان بن حرب لما راح هو وأصحابه يوم أحد قال المسلمون للنبى صلى الله عليه وسلم انهم عامدون الى المدينة فقال ان ركبوا الخيل وتركوا الأثقال فانهم عامدون الى المدينة وان جلسوا على الأثقال وتركوا الخيل فقد أرعبهم الله وليسوا بعامديها فركبوا الأثقال فرعبهم الله ثم ندب ناسا يتبعونهم ليروا أن بهم قوة فاتبعوهم ليلتين أو ثلاثا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح **حدثنى** سعيد بن الربيع قال ثنا سفيان عن هشام بن عروة عن أبيه قال قالت لى عائشة ان كان أبواك لمن الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح تعنى أبا بكر والزبير **حدثنا** ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن ابراهيم قال كان عبد الله من الذين استجابوا لله والرسول فوعد تعالى ذكره محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح اذا اتقى الله فخافه فأدى فرائضه وأطاعه فى أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرا عظيما وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم على ماقدم من صالح أعماله فى الدنيا

القول فى تأويل قوله (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل) يعنى تعالى ذكره وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم والذين فى موضع خفض مردود على المؤمنين وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول والناس الاول هم قوم فيما ذكر لنا كان أبو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الذين خرجوا فى طلبه بعد منصرفه عن أحد الى حمراء الاسد والناس الثانى هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد يعنى بقوله قد جمعوا لكم قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم فاخشوهم يقول فاحذروهم واتقوا لقاءهم فانه لا طاقة لكم بهم فزادهم ايمانا يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبى سفيان وأصحابه من المشركين يقينا الى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله الى تصديقهم ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذى أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير فيه ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه وقالوا ثقة بالله وتوكلا عليه اذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين حسبنا الله ونعم الوكيل يعنى بقوله حسبنا الله كفانا الله يعنى يكفينا الله ونعم الوكيل يقول ونعم المولى لمن وليه وكفله وانما وصف تعالى نفسه بذلك لان الوكيل فى كلام العرب هو المسند

نعبده لانه الهنا ونحن عبيده لا لرهبة ولا لرغبة فقال أنتم العبيد المخلصون والمتعبدون المحقون قال القاضي في الآية دليل على أن المقتول ليس بميت والا كان قوله ولئن متم أو قتلتم عطفا الشيء على نفسه قلت لا ولكنه عطف الأخص على الأعم ثم انه سبحانه لما أرشدهم في الآيات المتقدمة الى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم وكان من جملة ذلك أن عفا عنهم زاد في الفضل والاحسان بأن مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حين عفا عنهم وترك التغليظ عليهم في انهزامهم روى أن امرأة عثمان دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان النبي صلى الله عليه وسلم وعلي يغسلان السلاح فقالت ما فعل عثمان أما والله لا تجدونه امام القوم فقال لها علي ألا ان عثمان فضح الذمار اليوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مه وروى أنه قال حينئذ أعياني أزواج الأخوات أن يتحابوا ولما دخل عثمان مع صاحبيه ما زاد على أن قال لقد ذهبتم فيها عريضة وعنه أنه قال انما أنا لكم مثل الوالد لولده فاذا ذهب أحدكم الى الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها وقال صلى الله عليه وسلم لا حلم أحب الى الله من حلم امام ورفقه ولا جهل أبغض الى الله من جهل امام وخرقه فلما كان صلى الله عليه وسلم امام العالمين وجب أن يكون أكثرهم حلما وأحسنهم خلقا لان الغرض من البعثة وهو التزام التكاليف لا يتم الا اذا مالت قلوب الامة اليه وسكنت نفوسهم لديه ورأوا فيه آثار الشفقة وأمارات النصيحة وعن بعض الصحابة أنه قال لقد أحسن الله الينا كل الاحسان كنا مشركين فلو جاءنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدين جملة وبالقرآن دفعة لثقلت هذه التكاليف علينا فما كنا ندخل في الاسلام ولكنه دعانا الى كلمة واحدة فلما قبلناها وعرفنا حلاوة الايمان قبلنا ما وراءها كلمة بعد كلمة على سبيل الرفق الى أن تم هذا الدين وكملت هذه الشريعة واعلم أن من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب فانه يعلم أن الحوادث الأرضية كلها مستندة الى الأسباب الالهية فيعلم أن

اليه القيام بأمر من أسند اليه القيام بأمره فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم الى الله ووثقوا به وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة فقال ونعم الوكيل الله تعالى لهم واختلف أهل التأويل في الوقت الذي قال من قال لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الناس قد جمعوا لكم فقال بعضهم قيل ذلك لهم في وجههم الذي خرجوا فيه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد الى حمراء الاسد في طلب أبي سفيان ومن معه من المشركين ذكر من قال ذلك وذكر السبب الذي من أجله قيل ذلك ومن قائله **حدثنا** محمد بن حميد قال ثنا سلمة عن محمد بن اسحق عن عبد الله بن أبي بكر ابن محمد بن عمرو بن حزم قال مر به يعني برسول الله صلى الله عليه وسلم معبد الخزاعي بحمراء الاسد وكانت خزاعة مسلمهم ومشركهم عيبة نصح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بتهامة صفقتهم معه لا يخفون عليه شيأ كان بها ومعبد يومئذ مشرك فقال والله يا محمد أما والله لقد عز علينا ما أصابك في أصحابك ولوددنا أن الله كان أعفاك فيهم ثم خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم من حمراء الاسد حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء قد أجمعوا الرجعة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا أصبنا في أحد أصحابه وقادتهم وأشرافهم ثم نرجع قبل أن نستأصلهم لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم فلما رأى أبو سفيان معبدا قال ما وراءك يا معبد قال محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقا قد اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا على ما صنعوا فيهم من الحنق عليكم شيء لم أر مثله قط قال ويلك ما تقول قال والله ما أراك ترتحل حتى ترى نواصي الخيل قال فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال فاني أنهاك عن ذلك فوالله لقد حملني ما رأيت على أن قلت فيه أبياتا من شعر قال وما قلت قال قلت

كادت تهد من الاصوات راحلتي ... اذ سالت الارض بالجرد الابابيل
تردى بأسد كرام لا تنابلة ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
فظلت عدوا أظن الارض مائلة ... لما سموا برئيس غير مخذول
فقلت ويل ابن حرب من لقائكم ... اذا تغطمطت البطحاء بالخيل
اني نذير لاهل البسل ضاحية ... لكل ذي اربة منهم ومعقول
من جيش أحمد لا وخش تنابلة ... وليس يوصف ما أنذرت بالقيل

قال فثنى ذلك أبا سفيان ومن معه ومر به ركب من عبد القيس فقال أين تريدون قالوا نريد المدينة قال ولم قالوا نريد الميرة قال فهل أنتم مبلغون عني محمدا رسالة أرسلكم بها وأحمل لكم ابلكم هذه غدا زبيبا بعكاظ اذا وافيتموها قالوا نعم قال فاذا جئتموه فأخبروه انا قد أجمعنا السير اليه والى أصحابه لنستأصل بقيتهم فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذي قال أبو سفيان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل **حدثنا** ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال فقال الله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والناس الذين قال لهم ما قالوا النفر من عبد القيس الذين قال لهم أبو سفيان ما قال ان أبا سفيان ومن معه راجعون اليكم يقول الله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الآية **حدثنا** محمد قال ثنا أحمد بن مفضل قال

الحذر لا يدفع القدر فلا جرم اذا فاته مطلوب له لم يغضب واذا حصل له مطلوب لم يأنس به لانه مطلع على الروحانيات التي هي أشرف من هذه الجسمانيات فلا ينازع أحدا في هذا العالم في طلب شيء من لذاتها وطيباتها ولا يغضب على شيء بسبب فوات شيء من مطالبها فيكون

حسن الخلق طيب العشرة مع الخلق ولما كان صلى الله عليه وسلم أكمل البشر في القوتين النظرية والعملية وقد بعث ليتمم مكارم الاخلاق وجب أن يكون أكمل الناس خلقا وذلك من فضل الله ورحمته على الناس كما قال (فبما رحمة من الله لنت لهم) وما مزيدة للتوكيد أما الحكم بزيادتها فالنظر الى أصل المعنى وعمل حرف الجر فيما بعدها فكأنه قال فبرحمة وأما افادتها التوكيد فلاستحالة زيادة حرف لا فائدة فيه أصلا وجوز بعضهم أن تكون استفهامية للتعجب والتقدير فبأي رحمة وانما كان لينه ورفقه رحمة من الله لان الدواعي والقصود والارادات كلها بفعل الله تعالى فلا رحمة بالحقيقة الا له ولا رحيم الا هو لان كل رحيم سواه فانه يستفيد برحمته عوضا كالخوف من العقاب أو الطمع في الثواب أو الثناء او يحمله على ذلك رقة طبع أو حمية او عصبية الى غير ذلك من الاغراض وأيضا رحمة المخلوق على غيره لن تتم ولن ينتفع بها المرحوم الا بعد مواتاة سائر الاسباب السماوية من سلامة الاعضاء وغيرها فلا رحمة الا باعانة الله وتوفيقه بربطه على جأش الراحم وضبطه حال المرحوم ثم بين أن الحكمة في لين جانبه ماهي فقال (ولو كنت فظا) سيئ الخلق وأصله فظظ كحذر فظظت يا رجل بالكسر فظاظة (غليظ القلب) قاسيه بحيث لا يتأثر عن شيء يوجب الرقة والعطف (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك أحد والتركيب يدل على التفريق ومنه فض الختام و يقال لا يفضض الله فاك أي أسنانك ومنهم من حمل الآية على واقعة أحد فقال فبما رحمة من الله لنت لهم يوم أحد حين عادوا اليك بعد الانهزام ولو كنت فظا غليظ القلب تشافههم بالملامة على ذلك لانفضوا من حولك هيبة منك وحياء بسبب

ثنا أسباط عن السدي قال لما ندموا يعني أبا سفيان وأصحابه على الرجوع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقالوا ارجعوا فاستأصلوهم فقذف الله في قلوبهم الرعب فهزموا فلقوا أعرابيا فجعلوا له جعلا فقالوا له ان لقيت محمدا وأصحابه فأخبرهم أنا قد جمعنا لهم فأخبر الله جل ثناؤه رسوله صلى الله عليه وسلم فطلبهم حتى بلغ حمراء الاسد فلقوا الاعرابي في الطريق فأخبرهم الخبر فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ثم رجعوا من حمراء الاسد فأنزل الله تعالى فيهم وفي الأعرابي الذي لقيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قال استقبل أبو سفيان في منصرفه من أحد عيرا واردة المدينة ببضاعة لهم وبينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم حبال فقال ان لكم علي رضا ان أنتم رددتم عني محمدا ومن معه ان أنتم وجدتموه في طلبي وأخبرتموه أني قد جمعت له جموعا كثيرة فاستقبلت العير رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا له يا محمد انا نخبرك أن أبا سفيان قد جمع لك جموعا كثيرة وأنه مقبل الى المدينة وان شئت أن ترجع فافعل ولم يزده ذلك ومن معه الا يقينا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تبارك وتعالى الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم الآية حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وعصابة من أصحابه بعد ما انصرف أبو سفيان وأصحابه من أحد خلفهم حتى كانوا بذي الحليفة فجعل الأعراب والناس يأتون عليهم فيقولون لهم هذا أبو سفيان مائل عليكم بالناس فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأنزل الله تعالى فيهم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل * وقال آخرون بل قال ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من قال ذلك له في غزوة بدر الصغرى وذلك في مسير النبي صلى الله عليه وسلم عام قابل من وقعة أحد للقاء عدوه أبي سفيان وأصحابه للموعد الذي كان واعده الالتقاء بها ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم قال هذا أبو سفيان قال لمحمد موعدكم بدر حيث قتلتم أصحابنا فقال محمد صلى الله عليه وسلم عسى فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم لموعده حتى نزل بدرا فوافقوا السوق فيها وابتاعوا فذلك قوله تبارك وتعالى فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء وهي غزوة بدر الصغرى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد بنحوه وزاد فيه وهي بدر الصغرى قال ابن جريج لما عمد النبي صلى الله عليه وسلم لموعد أبي سفيان فجعلوا يلقون المشركين ويسألونهم عن قريش فيقولون قد جمعوا لكم يكيدونهم بذلك يريدون أن يرعبوهم فيقول المؤمنون حسبنا الله ونعم الوكيل حتى قدموا بدرا فوجدوا أسواقها عافية لم ينازعهم فيها أحد قال وقدم رجل من المشركين وأخبر أهل مكة بخيل محمد عليه السلام وقال في ذلك

نفرت قلوصي عن خيول محمد * وعجوة منثورة كالعنجد

* واتخذت ماء قديد موعدي *

«قال أبو جعفر» هكذا أنشدنا القاسم وهو خطأ وانما هو

قد نفرت من رفقتي محمد * وعجوة من يثرب كالعنجد

تهوى

تهوى على دين أبيها الأتلد * قد جعلت ماء قديد موعدي

* وماء ضجنان لها ضحى الغد *

حدثني الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو عن عكرمة قال كانت بدر متجرا في الجاهلية فخرج ناس من المسلمين يريدونه ولقيهم ناس من المشركين فقالوا لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فأما الجبان فرجع وأما الشجاع فأخذ الاهبة للقتال وأهبة التجارة وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فأتوهم فلم يلقوا أحدا فأنزل الله عز وجل فيهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم * قال ابن يحيى قال عبد الرزاق قال ابن عيينة وأخبرني زكريا عن الشعبي عن عبد الله بن عمرو قال هي كلمة ابراهيم صلى الله عليه وسلم حين ألقي في النار فقال حسبنا الله ونعم الوكيل * وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال ان الذي قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كان في حال خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم وخروج من خرج معه في أثر أبي سفيان ومن كان معه من مشركي قريش منصرفهم عن أحد الى حمراء الأسد لأن الله تعالى ذكره انما مدح الذين وصفهم بقيلهم حسبنا الله ونعم الوكيل لما قيل لهم ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم بعد الذي قد كان نالهم من القروح والكلوم بقوله الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ولم تكن هذه الصفة الا صفة من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جرحى أصحابه بأحد الى حمراء الاسد وأما الذين خرجوا معه الى غزوة بدر الصغرى فانه لم يكن فيهم جريح الا جريح قد تقادم اندمال جرحه وبرأ كلمه وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم انما خرج الى بدر الخرجة الثانية اليها لموعد أبي سفيان الذي كان واعده اللقاء بها بعد سنة من غزوة أحد في شعبان سنة أربع من الهجرة وذلك أن وقعة أحد كانت في النصف من شوال من سنة ثلاث وخروج النبي صلى الله عليه وسلم لغزوة بدر الصغرى اليها في شعبان من سنة أربع ولم يكن للنبي صلى الله عليه وسلم بين ذلك وقعة مع المشركين كانت بينهم فيها حرب جرح فيها أصحابه ولكن قد كان قتل في وقعة الرجيع من أصحابه جماعة لم يشهد أحد منهم غزوة بدر الصغرى وكانت وقعة الرجيع فيما بين وقعة أحد وغزوة النبي صلى الله عليه وسلم بدر الصغرى * القول في تأويل قوله (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) يعني جل ثناؤه بقوله فانقلبوا بنعمة من الله فانصرف الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح من وجههم الذي توجهوا فيه وهو سيرهم في أثر عدوهم الى حمراء الاسد بنعمة من الله يعني بعافية من ربهم لم يلقوا بها عدوا وفضل يعني أصابوا فيها من الارباح بتجارتهم التي اتجروا بها والاجر الذي اكتسبوه لم يمسسهم سوء يعني لم ينلهم بها مكروه من عدوهم ولا أذى واتبعوا رضوان الله يعني بذلك أنهم أرضوا الله بفعلهم ذلك واتباعهم رسوله الى ما دعاهم اليه من اتباع أثر العدو وطاعتهم والله ذو فضل عظيم يعني والله ذو احسان وطول عليهم بصرف عدوهم الذي كانوا قد هموا بالكرة اليهم وغير ذلك من أياديه عندهم وعلى غيرهم بنعمه عظيم عند من أنعم به عليه من خلقه وبنحو الذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل

ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانقلبوا بنعمة من الله وفضل قال الفضل ما أصابوا من التجارة والأجر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال وافقوا السوق فابتاعوا وذلك

ما كان منهم فكان ذلك مما يطمع العدو فيك وفيهم وههنا دقيقة هي أن اللين والرفق انما يجوز اذا لم يفض الى اهمال حق من حقوق الله ولهذا أمر بالغلظة في قوله يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقال في اقامة حد الزنا ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ومثله أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين أشداء على الكفار رحماء بينهم فعلم من المدح على اللين في موضع ومن الامر بالغلظة في موضع آخر أن الفضيلة في الوسط وهو استعمال كل شئ في موضعه وأن طرفي الافراط والتفريط مذمومان ومنه المثل لا تكن حلوا فتسترط ولا مرا فتعقى واحتجت الاشاعرة بالآية في مسئلة القضاء والقدر وذلك أن حسن خلقه مع الخلق انما كان بسبب رحمة الله وهي عند المعتزلة عامة في حق جميع المكلفين فكل ما فعله مع محمد صلى الله عليه وسلم من الهداية والدعوة والبيان والارشاد فقد فعل مثل ذلك مع فرعون وهامان وأبي جهل وأبي لهب فلطف الله ورحمته مشترك بين أصفى الاصفياء وبين أشقى الاشقياء فلا يكون اختصاص بعضهم بحسن الخلق وكمال الطريقة مستفادا من رحمة الله وهذا خلاف نص الآية فاذن جميع أفعال العباد بقضاء الله وقدره والمعتزلة يحملون هذا على زيادة الالطاف واستبعده الاشاعرة لان كل ما كان ممكنا من الألطاف فقد فعله في حق كل المكلفين والذي يستحقه المكلف بناء على طاعته من مزيد الالطاف فذلك بالحقيقة كسب نفسه ويجب عندهم ايصاله اليه فلا يكون برحمة من الله ثم قال (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم قيل في فاء التعقيب دلالة على أنه أوجب عليه أن يعفو عنهم في الحال كأنه تعالى قد عفا عنهم كأنه قيل اعف عنهم فاني قد عفوت عنهم قبل عفوك عنهم واستغفر لهم فاني قد غفرت لهم قبل أن تستغفر لهم وهذا من كمال رحمة الله بهذه الامة ثم قال (وشاورهم في الأمر) والمشاورة مأخوذة من قولهم شرت العسل أي اجتنيتها واستخرجتها من موضعها

خـيرلانفـسهم فقرأ ذلك جماعة منهـم ولا يحسبن بالياء و بفتح الالف من قوله أنما على المعنى الذى وصفت من تأويله وقرأه آخرون ولا تحسـبن بالتاء وأنما أيضا بفتح الالف من انما بمعنى ولا تحسبن يا محمـد الذين كفروا أنما نملى لهم خـيرلانفـسهم فان قال قائل فما الذى من أجله فتحت الالف من قوله انما فى قراءة من قرأ بالتاء وقد علمت أن ذلك اذا قرئ بالتاء فقـد أعملت تحسـبن فى الذين كفروا واذا أعملتها فى ذلك لم يجز لها أن تقع على انما لان أنما انما يعمـل فيها عامل يعمـل فى شيئين نصبا قيل أما الصواب فى العربية و وجـه الـكلام المعروف من كلام العرب كسر ان اذا قرئت تحسـبن بالتاء لان تحسـبن اذا قرئت بالتاء فانها قد نصبت الذين كفروا فلا يجـوز أن تعمـل وقد نصبت اسما فى أن ولـكنى أظن أن من قرأ ذلك بالتاء فى تحسـبن وفتح الالف من أنما انما أراد تكرير تحسبن على أنما كأنه قصد الى أن معنى الكلام ولا تحسبن يا محمد أنت الذين كفروا لا تحسبن أنما نملى لهم خـيرلانفسهم كما قال جل ثناؤه فهـل ينظرون الا الساعة أن تأتيهم بغتـة بتأويل هل ينظرون الا الساعة هـل ينظرون الا أن تأتيهـم بغتة وذلك وان كان وجها جائزا فى العربيـة فوجه كلام العرب ما وصفنا قبـل والصواب من القراءة فى ذلك عندنا قراءة من قرأ ولا يحسـبن الذين كفروا بالياء من يحسـبن و بفتح الالف من أنما على معنى الحسبان للذين كفروا دون غيرهم ثم يعمل فى أنما نصبا لأن يحسبن حينئذ لم يشغل بشئ عمل فيـه وهى تطلب منصوبين وانما اخترنا ذلك لاجماع القراء على فتح الالف من انما الاولى فدل ذلك على أن القـراءة الصحيحة فى يحسـبن بالياء لما وصفنا وأما ألف انما الثانيـة فالـكسر على الابتداء باجماع من القراء عليه وتأويل قوله انما نملى لهـم ليزدادوا اثما انما نؤخر آجالهـم فنطيلها ليزدادوا اثما يقول يكتسـبوا المعاصى فتزداد آثامهم وتكثر ولهم عذاب مهين يقول ولهؤلاء الذين كفروا بالله ورسوله فى الآخرة عقوبة لهم مهينة مذلة وبنحو ما قلنا فى ذلك جاء الأثر حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود قال قال عبـد الله ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خـير لها وقرأ ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملى لهم خير لانفسهم انما نملى لهم ليزدادوا اثما وقرأ نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار ۞ القول فى تأويل قوله (ما كان الله ليـذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب) يعنى بقوله ما كان الله ليذر المؤمنين ما كان الله ليـدع المؤمنين على ما أنتم عليه من التباس المؤمن منكم بالمنافق فلا يعرف هذا من هـذا حتى يميز الخبيث من الطيب يعنى بذلك حتى يميز الخبيث وهو المنافق المستسر للـكفر من الطيب وهو المؤمن المخلص الصادق الايمان بالمحن والاختبار كما ميز بينهـم يوم أحـد عنـد لقاء العدو وعنـد خروجهم اليهم واختلف أهل التأويل فى الخبيث الذى عنى الله بهذه الآية فقال بعضهم فيه مثل قولنا ذكر من قال ذلك حدثنى محمـد بن عمرو قال ثنى أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد فى قول الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ميز بينهم يوم أحـد المنافق من المؤمن حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج ما كان الله ليـذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قال ابن جريج يقول ليبين الصادق بايمانه من الـكاذب قال ابن جريج قال مجاهد يوم أحد ميز بعضهم عن بعض المنافق عن المؤمن حدثنا ابن حميـد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق ما كان الله ليذر المؤمـنين على ما أنتم عليـه حتى يميز الخبيث من الطيب أى المنـافق ۞ وقال آخرون معنى ذلك

۞ التأويل ولقد صدقكم الله أيها الطلاب وعده ألا من طلبنى وجدنى اذ تقتلون جنود الصفات البشرية بأمره لا على وفق الطبع حتى اذا تركتم قتال النفس وخالستم فى أمر الطلب وعصيتم الدليل المربى من بعد ما أراكم الدليل بالتربية ما تحبون من دلالة الطريق وانما عصيتم الدليل اذ دلكم على الله لان منكم من كان همته زخارف الدنيا ومنكم من كان همته طلب نعيم الآخرة قرئت هذه الآية عند الشبلى فصاح صيحة وقال ما كان من احـد يقال له ومنكم من يريد الله ثم صرفكم عن جهاد النفس وقتـل صفاتها باستيلائها عليكم ليمتحنكم بالستر بعد ما تجلى لكم أنوار المشاهدات وبالصحو بعـد ما أسكركم باقداح الواردات وبالفطام بعد ما أرضعكم بألبان الملاطفات ولقد عفا عنكم يعنى بعـد ابتلائكم عفا عـن التفاتاتكم الى الدنيـا والآخرة بالعناية الازلية والله ذو فضل عـلى المؤمنـين فى الازل اذ تصعدون فى طريق الحق طالبين بعـد ما كنتم هاربين ولا تلتفتون الى أحـد من الامرين الدنيا والآخرة ورسـول الوارد من الحق يدعوكم الىّ عبادى الىّ عبادى فأثابكم بدل غم الدنيا والآخرة غم طلب الحق لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من زخارف الدنيا ولا لما أصابكم من نعيم الآخرة والله خبير بما تعمـلون من ترك نعـيم الدنيا والآخرة فى طلب وجدانه فلا يخيب رجاءكم ويوفى جزاءكم ثم أخـبر عن انزال حقائق أصناف ألطافه عـلى عباده فى صور مختلفة فانزل الامن فى صـورة النعاس على الصحابة وأخرج جـواهر الوقائع السنيـة لارباب القلوب والمكاشفات من معـدن النعاس فان أكثرها يقع بين النوم واليقظـة وطائفـة من أرباب النفوس ومدعى الاسلام لا هم لهم الا هم أنفسهم من استيفاء حظوظها واستيفاء لذاتها ظن الجاهليـة وهو أن الامور الى الخلق لا الى الله ولا حتى بقضائه وقدره هل لنا من أمر النصرة والظفـر من شئ ما قتلنا ههنا بالباطـل على أيدى حزب الشيطان وليبتلى الله ما فى صدوركم أيها

حتى يميز المؤمن من الكافر بالهجرة والجهاد ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه يعني الكفار يقول لم يكن الله ليدع المؤمنين على ما أنتم عليه من الضلالة حتى يميز الخبيث من الطيب يميز بينهم في الجهاد والهجرة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حتى يميز الخبيث من الطيب قال حتى يميز الفاجر من المؤمن حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب قالوا ان كان محمد صادقا فليخبرنا عن يؤمن بالله ومن يكفر فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يخرج المؤمن من الكافر والتأويل الاول أولى بتأويل الآية لان الآيات قبلها في ذكر المنافقين وهذه في سياقتها فكونها بان تكون فيهم أشبه منها بان تكون في غيرهم ۞ القول في تأويل قوله (وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم بما حدثنا به محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وما كان الله ليطلعكم على الغيب وما كان الله ليطلع محمدا على الغيب ولكن الله اجتباه فجعله رسولا * وقال آخرون بما حدثنا به ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق وما كان الله ليطلعكم على الغيب أي فيما يريد أن يبتليكم به لتحذروا ما يدخل عليكم فيه ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء بعلمه وأولى الاقوال في ذلك بتأويله وما كان الله ليطلعكم على ضمائر قلوب عباده فتعرفوا المؤمن منهم من المنافق والكافر ولكنه يميز بينهم بالمحن والابتلاء كما ميز بينهم بالبأساء يوم أحد وجهاد عدوه وما أشبه ذلك من صنوف المحن حتى تعرفوا مؤمنهم وكافرهم ومنافقهم غير أنه تعالى ذكره يجتبي من رسله من يشاء فيصطفيه فيطلعه على بعض ما في ضمائر بعضهم بوحيه ذلك اليه ورسالته كما حدثنا محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء قال يخلصهم لنفسه وانما قلنا هذا التأويل أولى بتأويل الآية وابتدأوها خبر من الله تعالى ذكره أنه غير تارك عباده يعني بغير محن حتى يفرق بالابتلاء بين مؤمنهم وكافرهم وأهل نفاقهم ثم عقب ذلك بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب فكان فيما افتتح به من صفة اظهار الله نفاق المنافق وكفر الكافر دلالة واضحة على أن الذي ولي ذلك هو الخبر عن أنه لم يكن ليطلعهم على ما يخفى عنهم من باطن سرائرهم الا بالذي ذكر أنه مميز به نعتهم الا من استثناه من رسله الذي خصه بعلمه ۞ القول في تأويل قوله (فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم) يعني بذلك جل ثناؤه بقوله وان تؤمنوا وان تصدقوا من اجتبيته من رسلي بعلمي وأطلعته على المنافقين منكم وتتقوا ربكم بطاعته فيما أمركم به نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم وفيما نهاكم عنه فلكم أجر عظيم يقول فلكم بذلك من ايمانكم واتقائكم ربكم ثواب عظيم كما حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا أي ترجعوا وتتوبوا فلكم أجر عظيم ۞ القول في تأويل قوله (ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم) اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأه جماعة من أهل الحجاز والعراق ولا يحسبن الذين يبخلون بالياء من يحسبن وقرأته جماعة أخر ولا تحسبن بالتاء ثم اختلف أهل العربية في تأويل ذلك فقال بعض نحويي الكوفة معنى ذلك لا يحسبن الباخلون البخل هو خيرا لهم فاكتفى

المنافقون لان الصدور معدن النفاق والغل ووسوسة الشيطان ونزعنا ما في صدورهم من غل يوسوس في صدور الناس وليمحص ما في قلوبكم أيها المؤمنون لان القلوب محل الايمان ولا طمئنان كتب في قلوبهم الايمان ألا بذكر الله تطمئن القلوب ونسبة الاسلام باللسان الى الايمان بالجنان كنسبة الصدر الى القلب انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا الشيطان خلق من نار فلهذا استخرج من معدن الانسان حديد ما كسبوا من التولي ليجعله مرآة ظهور صفاته العفو والمغفرة والحلم ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم ليعلم ان الله تعالى في كل شئ من الخير والشر أسرارا لا يعلمها الا هو ومن هنا قال لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم اذا ضربوا في الارض سافروا في البلاد مستفيدين من العباد أو سلكوا في أرض نفوسهم سبيل الرشاد أو كانوا غزى مجاهدين مع كفار النفس والهوى والشيطان لو كانوا موافقين معنا ما ماتوا بمقاساة الرياضة وما قتلوا بسيف المجاهدة ليجعل الله ذلك القول حسرة في قلوب الصديقين والله يحيي قلوب أهل المجاهدة بانوار المشاهدة فلا يحسرون على ما يقاسون وعميت قلوب المنكرين بظلمة الانكار وغلبة صفات النفس فيحسبون أنهم يحسنون وباقي الحقائق قد مرت في التفسير وقد سنح عند تحرير هذا الموضع ان قوله فبما رحمة من الله لنت لهم يمكن ان يفهم منه الخطاب مع الروح الانساني أنه لان برحمة الله لصفات النفس وقواها الشهوية والغضبية حتى يستوفي كل منها حظها ويرتبط بذلك بقاء النسل وصلاح المعاش ولولا ذلك لاضمحلت تلك القوى وانفضت من الجوانب وتلاشت واختلت حكمة التمدن وفقدت الكمالات التي خلق الانسان لاجلها ثم الكلام في أن هذا اللين لا بد له من الغلظة حتى لا يجاوز عن الوسط ولا يخرج عن قانون الشرع والعقل كما تقدم (وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس

كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم ان الله على كل شئ قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم والله أعلم بما يكتمون الذين قالوا لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وأن الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ﴿القراآت﴾ يغل بفتح الياء وضم الغين ابن كثير وأبو عمرو وعاصم غير المفضل ويعقوب غير رويس الباقون بالضم والفتح على البناء للمفعول ولا يحسبن بياء

بذكر يبخلون من البخل كما تقول قدم فلان فسررت به وأنت تريد فسررت بقدومه وهو عماد وقال بعض نحويي أهل البصرة انما أراد بقوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم لا تحسبن البخل هو خيرا لهم فألقى الاسم الذي أوقع عليه الحسبان به وهو البخل لانه قد ذكر الحسبان وذكر ما آتاهم الله من فضله (١) فأضمرهما اذ ذكرهما قال وقد جاء من الحذف ما هو أشد من هذا قال لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ولم يقل ومن أنفق من بعد الفتح لانه لما قال أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد كان فيه دليل على أنه قد عناهم وقال بعض من أنكر قول من ذكرنا قوله من أهل البصرة ان من في قوله لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في معنى جمع ومعنى الكلام لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح في منازلهم وحالاتهم فكيف من أنفق من بعد الفتح والاول مكتف وقال في قوله لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم محذوف غير أنه لم يحذف الا وفي الكلام ما قام مقام المحذوف لان هو عائد البخل وخيرا لهم عائد الاسماء فقد دل هذان العائدان على أن قبلهما اسمين واكتفى بقوله يبخلون من البخل قال وهذا اذا قرئ بالتاء فالبخل قبل الذين واذا قرئ بالياء فالبخل بعد الذين وقد اكتفى بالذين يبخلون من البخل كما قال الشاعر

اذا نهي السفيه جرى اليه * وخالف والسفيه الى خلاف

كأنه قال جرى الى السفه فاكتفى عن السفه بالسفيه كذلك اكتفى بالذين يبخلون من البخل وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بالتاء بتأويل ولا تحسبن أنت يا محمد بخل الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم ثم ترك ذكر البخل اذ كان في قوله هو خيرا لهم دلالة على أنه مراد في الكلام اذ كان قد تقدمه قوله الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله وانما قلنا قراءة ذلك بالتاء أولى بالصواب من قراءته بالياء لان المحسبة من شأنها طلب اسم وخبر فاذا قرئ قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بالياء لم يكن للمحسبة اسم يكون قوله هو خيرا لهم خبرا عنه واذا قرئ ذلك بالتاء كان قوله الذين يبخلون اسما له قد أدى عن معنى البخل الذي هو اسم المحسبة المتروك وكان قوله هو خيرا لهم خبرا لها فكان جاريا مجرى المعروف من كلام العرب الفصيح فلذلك اخترنا القراءة بالتاء في ذلك على ما بيناه وان كانت القراءة بالياء غير خطا ولكنه ليس بالافصح ولا الأشهر من كلام العرب وأما تأويل الآية الذي هو تأويلها على ما اخترنا من القراءة في ذلك ولا تحسبن يا محمد بخل الذين يبخلون بما أعطاهم الله في الدنيا من الاموال فلا يخرجون منه حق الله الذي فرضه عليهم فيه من الزكوات هو خيرا لهم عند الله يوم القيامة بل هو شر لهم عنده في الآخرة كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم هم الذين آتاهم الله من فضله فبخلوا أن ينفقوها في سبيل الله ولم يؤدوا زكاتها * وقال آخرون بل عنى بذلك اليهود الذين بخلوا أن يبينوا للناس ما أنزل الله في التوراة من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله الى سيطوقون ما بخلوا

(١) لعله فأضمره أي البخل تأمل كتبه مصححه

الغيبة الحلواني عن هشام الباقون بتاء الخطاب قتلوا بالتشديد ابن عامر الباقون بالتخفيف وان الله بالكسر على الابتداء علي الباقون بالفتح وخافوني بالياء في الحالين سهل ويعقوب وابن شنبوذ عن قنبل وافق أبو عمرو ويزيد واسمعيل في الوصل الباقون به

به يوم القيامة يعني بذلك أهل الكتاب أنهم بخلوا بالكتاب أن يبينوه للناس حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله قال هم يهود الى قوله والكتاب المنير وأولى التأويلين بتأويل هذه الآية التأويل الاول وهو أنه معنى بالبخل في هذا الموضع منع الزكاة لتظاهر الاخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة قال البخيل الذي منع حق الله منه أنه يصير ثعبانا في عنقه ولقول الله عقيب هذه الآية لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله اياهم بالزكاة أن الله فقير

﴿القول في تأويل قوله (سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة)﴾ يعني بقوله جل ثناؤه سيطوّقون سيجعل الله ما بخل به المانعون الزكاة طوقا في أعناقهم كهيئة الاطواق المعروفة كالذي حدثني الحسن بن قزعة قال ثنا مسلمة بن علقمة قال ثنا داود عن أبي قزعة عن أبي مالك العبدي قال ما من عبد يأتيه ذو رحم له يسأله من فضل عنده فيبخل عليه الا أخرج له الذي بخل به عليه شجاعا أقرع قال وقرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة الى آخر الآية حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا داود عن أبي قزعة عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل جعله الله عنده فيبخل به عليه الا أخرج له من جهنم شجاع يتلمظ حتى يطوقه حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو معاوية محمد بن خازم قال ثنا داود عن أبي قزعة حجر بن بيان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من ذي رحم يأتي ذا رحمه فيسأله من فضل أعطاه الله اياه فيبخل به عليه الا أخرج له يوم القيامة شجاع من النار يتلمظ حتى يطوقه ثم قرأ ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله حتى انتهى الى قوله سيطوّقون ما بخلوا به يوم القيامة حدثني زياد بن عبيد الله المرّي قال ثنا مروان بن معاوية وحدثني محمد بن عبد الله الكلابي قال ثنا عبد الله بن بكر السهمي وحدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا عبد الواحد بن واصل أبو عبيدة الحداد واللفظ ليعقوب جميعا عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه عن جده قال سمعت نبي الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يأتي رجل مولاه فيسأله من فضل مال عنده فيمنعه اياه الا دعا له يوم القيامة شجاعا يتلمظ فضله الذي منع حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال ثعبان ينقر رأس أحدهم يقول أنا مالك الذي بخلت به حدثنا محمد ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبي اسحق قال سمعت أبا وائل يحدّث أنه سمع عبد الله قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال شجاع يلتوي برأس أحدهم حدثني ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي عن شعبة * قال ثنا خلاد بن أسلم قال أخبرنا النضر بن شميل قال أخبرنا شعبة عن أبي اسحق عن أبي وائل عن عبد الله مثله الا أنهما قالا قال شجاع أسود حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي اسحق عن ابي وائل عن ابن مسعود قال يجيء ماله يوم القيامة ثعبانا فينقر رأسه فيقول أنا مالك الذي بخلت به فينطوي على عنقه حدثت عن سفيان بن عيينة قال ثنا جامع بن شداد

بالحذف ﴿الوقوف﴾ أن يغل ط لابتداء الشرط يوم القيامة ج لانتهاء جزاء الشرط مع العطف لا يظلمون ٥ جهنم ط المصير ٥ عند الله ط بما تعملون ٥ والحكمة ج لمكان العطف مبين ٥ مثليها (لا) لان استفهام الانكار دخل على قلتم هذا ط أنفسكم ط قدير ٥ وليعلم المؤمنين ٥ لا نافقوا ج لاحتمال العطف والاستئناف والوصل أولى على تقدير وقد قيل لهم أو ادفعوا ط لاتبعناكم ط للايمان ج لاحتمال الحال والاستئناف في قلوبهم ط يكتمون ج لاحتمال كون الذين بدلا عن ضمير يكتمون أو خبر مبتدا محذوف ما قتلوا ط صادقين ٥ أمواتا ط عند ربهم ص يرزقون ٥ لا لان فرحين حالهم من فضله (لا) للعطف من خلفهم (لا) لتعلق أن يحزنون ٥ م للآية واستئناف الفعل اذ يستحيل أن يكون الاستبشار حالا الا الذين يحزنون وفضل (لا) لان التقدير وبان ومن كسر وقف والجملة حينئذ اعتراضية المؤمنين ٥ ج لان الذين يصلح صفة للمؤمنين ومبتدأ خبره للذين أحسنوا أو نصبا على المدح والاول أوجه لاتحاد الصفة القرح ط لمن لم يقف على المؤمنين عظيم ج لاحتمال البدل وكونه خبر مبتدا محذوف ايمانا ق والوصل أولى للعطف واتصال توكل اللسان بيقين القلب الوكيل ٥ سوء لا للعطف رضوان الله ط عظيم ٥ أولياءه ص لوصل النهي عن الخوف بعد ذكر التخويف مؤمنين ٥

﴿التفسير﴾ هذا حكم من أحكام الجهاد وأصل الغلول أخذ الشيء في خفية يقال أغل الجازر والسالخ اذا أبقى في الجلد شيأ من اللحم ليسرقه والغل الحقد الكامن في الصدر والغلالة الثوب الذي يلبس تحت الدرع والثياب والغلل الماء الذي يجري في أصول الشجر لانه مستتر بالاشجار وقال صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيأ جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقال أيضا هدايا الولاة غلول وقال الجوهري غل يغل غلولا أي خان وأغل مثله الا أن العرف جعله في الغالب مخصوصا بالخيانة في الغنيمة حتى قال أبو عبيدة الغلول في المغنم

خاصة وقد جعله النبي صلى الله عليه وسلم من الكبائر عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من فارق روحه جسده وهو برىء من ثلاثة دخل الجنة الكبر والغلول والدين وفي الصحيحين (١٢٨) عن أبي هريرة قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره حتى قال لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيأ قد أبلغتك ومعنى الآية فيمن قرأ بفتح الياء وضم الغين ما كان لنبي أن يخون أي ما صح وما ينبغي له ذلك لان النبوة تنافي الغلول لانها أعلى المراتب الانسانية فلا يليق بصاحبها ما هو عار في الدنيا ونار في الآخرة كيف وانه أمين على الوحي النازل عليه من فوق سبع سموات أفلا يكون أمينا في الارض هيهات وقيل اللام منقولة والتقدير وما كان نبي ليغل كقوله ما كان لله أن يتخذ من ولد أي ما كان الله ليتخذ ولدا ومن قرأ بضم الياء وفتح الغين ففيه وجهان أحدهما يخان أي يؤخذ من غنيمته

وعبد الملك بن أعين عن أبي وائل عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد لا يؤدي زكاة ماله الا مثل له شجاع أقرع يطوقه ثم قرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية حدثنا محمد بن الحسين قال ثني أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما سيطوقون ما بخلوا به فانه يجعل ماله يوم القيامة شجاعا أقرع يطوقه فيأخذ بعنقه فيتبعه حتى يقذفه في النار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن أبي وائل قال هو الرجل الذي يرزقه الله مالا فيمنع قرابته الحق الذي جعل الله لهم في ماله فيجعل حية فيطوقها فيقول مالي ولك فيقول أنا مالك حدثنا المثنى قال ثنا أبو غسان قال ثنا اسرائيل عن حكيم بن جبير عن سالم بن أبي الجعد عن مسروق قال سألت ابن مسعود عن قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال يطوقون شجاعا أقرع ينهش رأسه * وقال آخرون معنى ذلك سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة فيجعل في أعناقهم طوقا من نار ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من النار حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوقا من نار حدثنا الحسن قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن منصور عن ابراهيم في قوله سيطوقون قال طوقا من نار حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال طوق من نار * وقال آخرون معنى ذلك سيحمل الذين كتموا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم من أحبار اليهود ما كتموا من ذلك ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ألم تسمع أنه قال يبخلون ويأمرون الناس بالبخل يعني أهل الكتاب يقول يكتمون ويأمرون الناس بالكتمان * وقال آخرون معنى ذلك سيكلفون يوم القيامة أن يأتوا بما بخلوا به في الدنيا من أموالهم ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة قال سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به الى قوله والكتاب المنير حدثنا ابن المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد سيطوقون سيكلفون أن يأتوا بمثل ما بخلوا به من أموالهم يوم القيامة وأولى الاقوال بتأويل هذه الآية التأويل الذي قلناه في ذلك في مبدإ قوله سيطوقون ما بخلوا به للاخبار التي ذكرنا في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحد أعلم بما عنى الله تبارك وتعالى بتنزيله منه عليه السلام

القول في تأويل قوله (ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير) يعني بذلك جل ثناؤه أنه الحي الذي لا يموت والباقي بعد فناء جميع خلقه فان قال قائل فما معنى قوله له ميراث السموات والارض والميراث المعروف هو ما انتقل من ملك مالك الى وارثه بموته ولله الدنيا قبل فناء خلقه وبعده قيل ان معنى ذلك ما وصفنا من وصفه نفسه بالبقاء واعلام خلقه أنه كتب عليهم الفناء وذلك ان ملك المالك انما يصير ميراثا بعد وفاته فانما قال جل ثناؤه ولله ميراث السموات والارض اعلاما بذلك منه عباده أن أملاك جميع خلقه منتقلة عنهم بموتهم وأنه لا أحد الا وهو فان سواه فانه الذي اذا هلك جميع خلقه فزالت أملاكهم عنهم لم يبق أحد يكون له ما كانوا يملكونه

وفي تخصيصه بهذا الحرمة والخيانة محرمة على الاطلاق فوائد منها ان المجني عليه كلما كان أجل منصبا كانت الخيانة في حقه أفحش ومنها انه لا يكاد يخفى عليه من قبل الوحي فكان فيه مع عذاب الآخرة فضيحة الدنيا ومنها ان المسلمين في ذلك الوقت غيره

كانوا فى غاية الفقر فكانت تلك الخيانة وقتئذ أقبح وثانيهما يخوّن أى ينسب الى الخيانة فيكون من الاغلال قال المبرد تقول العرب أكفرت الرجل جعلته كافرا أو نسبته الى الكفر قال القتيبي لو كان هذا هو المراد لقيل يغلل كما يقال يفسق و يكفر و الاولى أن يقال هو

غيره وانما معنى الآية لا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة بعد ما يهلكون وتزول عنهم أملاكهم فى الحين الذى لا يملكون شيأ وصار لله ميراثه وميراث غيره من خلقه ثم أخبر تعالى ذكره أنه بما يعمل هؤلاء الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضل وغيرهم من سائر خلقه ذو خبرة وعلم محيط بذلك كله حتى يجازى كلا منهم على قدر استحقاقه المحسن بالاحسان والمسىء على ما يرى تعالى ذكره ۞ القول فى تأويل قوله (لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق) ذكر أن هذه الآية وآيات بعدها نزلت فى بعض اليهود الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الآثار بذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنا محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس قال دخل أبو بكر الصديق رضى الله عنه بيت المدراس فوجد من يهود ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم يقال له فنحاص كان من علمائهم وأحبارهم ومعه حبر يقال له أشيع فقال أبو بكر رضى الله عنه لفنحاص ويحك يا فنحاص اتق الله وأسلم فوالله انك لتعلم أن محمدا رسول الله قد جاءكم بالحق من عند الله تجدونه مكتوبا عندكم فى التوراة والانجيل قال فنحاص والله يا أبا بكر ما بنا الى الله من فقر وانه الينا الفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا وانا عنه لأغنياء ولو كان عنا غنيا ما استقرض منا كما يزعم صاحبكم ينهاكم عن الربا ويعطيناه ولو كان غنيا عنا ما أعطانا الربا فغضب أبو بكر فضرب وجه فنحاص ضربة شديدة وقال والذى نفسى بيده لولا العهد الذى بيننا وبينك لضربت عنقك يا عدو الله فأكذبونا ما استطعتم ان كنتم صادقين فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انظر ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال قولا عظيما زعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه فجحد ذلك فنحاص وقال ما قلت ذلك فأنزل الله تبارك وتعالى فيما قال فنحاص ردا عليه وتصديقا لأبى بكر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق وفى قول أبى بكر وما بلغه فى ذلك من الغضب لتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس قال دخل أبو بكر فذكر نحوه غير أنه قال وإنا عنه لأغنياء وما هو عنا بغنى ولو كان غنيا ثم ذكر سائر الحديث نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قالها فنحاص اليهودى من بنى مرثد لقيه أبو بكر فكلمه فقال له يا فنحاص اتق الله وآمن وصدق وأقرض الله قرضا حسنا فقال فنحاص يا أبا بكر تزعم أن ربنا فقير يستقرضنا أموالنا وما يستقرض الا الفقير من الغنى ان كان ما تقول حقا فان الله اذا لفقير فأنزل الله عز وجل هذا فقال أبو بكر فلولا هدنة كانت بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين بنى مرثد لقتلته حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم

من أغللته أى وجدته غالا كما يقال أبخلته أى وجدته كذلك ومن هنا قال فى الكشاف معناه راجع الى القراءة الاولى اذ معناه ما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وكان ابن عباس ينكر على هذه القراءة ويقول كيف لا ينسب الى الخيانة وقد كان يقتل وقال خصيف قلت لسعيد بن جبير ما كان لنبى أن يغل فقال بل يغل ويقتل ولا يخفى أن الانكار لا يتوجه اذا كان أغل بمعنى وجده غالا وانما يتوجه اذا كان الاغلال بمعنى النسبة الى الخيانة كما روى أن قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وقد طعن بعضهم فى هذه القراءة وقال ان أكثر ما جاء من هذا القبيل فى التنزيل أسند الفعل فيه الى الفاعل ما كان لنا أن نشرك ما كان ليأخذ أخاه ما كان لنفس أن تموت ما كان الله ليضل قوما وما كان الله ليطلعكم وحكى أبو عبيدة عن يونس أنه قال ليس فى الكلام ما كان لك أن تضرب بضم التاء والحق أن القرآن حجة على غيره لا بالعكس ويوافق هذه القراءة ما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما وقعت غنائم هوازن فى يده غله رجل بمخيط فنزلت وعلى هذا يغل بمعنى يخان وان جعل يغل بمعنى يوجد غالا فالقراءتان متعاضدتان ويوافقهما أسباب النزول أكثرها يروى انه تأخرت قسمة الغنيمة فى بعض الغزوات لمانع جاءه قوم وقالوا ألا تقسم غنائمنا فقال صلى الله عليه وسلم لو كان لكم مثل أحد ذهبا ما حبست منكم درهما أترون أنى أغلكم مغنمكم فنزلت وعن ابن عباس ان أشراف الناس طمعوا أن يخصهم النبى صلى الله عليه وسلم من الغنائم بشئ زائد فنزلت وقال الكلبى ومقاتل نزلت فى غنائم أحد حين ترك الرماة المركز طلبا للغنيمة وقالوا نخشى أن يقول رسول الله من أخذ شيئا فهو له وأن لا يقسم الغنائم كما لم

عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال صك أبو بكر رجلا منهم الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني وهم يهود حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح قال الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء لم يستقرضنا وهو غني قال شبل بلغني أنه فنحاص اليهودي وهو الذي قال ان الله ثالث ثلاثة ويد الله مغلولة حدثنا ابن حميد قال ثني يحيى بن واضح قال حدثت عن عطاء عن الحسن قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود ان ربكم يستقرض منكم فانزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن عطاء عن الحسن البصري قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال عجبت اليهود فقالت ان الله فقير يستقرض فنزلت لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء ذكر لنا أنها نزلت في حيي بن أخطب لما أنزل الله من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة قال يستقرضنا ربنا انما يستقرض الفقير الغني حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال لما نزلت من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قالت اليهود انما يستقرض الفقير من الغني قال فأنزل الله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء قال هؤلاء اليهود فتأويل الآية اذا لقد سمع الله قول الذين قالوا من اليهود ان الله فقير الينا ونحن أغنياء عنه سنكتب ما قالوا من الافك والفرية على ربهم وقتلهم أنبياءهم بغير حق

واختلفت القراء في قراءة قوله سنكتب ما قالوا وقتلهم فقرأ ذلك قراء الحجاز وعامة قراء العراق سنكتب ما قالوا بالنون وقتلهم الانبياء بغير حق بنصب القتل وقرأ ذلك بعض قراء الكوفيين سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق بالياء من سيكتب وبضمها ورفع القتل على مذهب ما لم يسم فاعله اعتبارا بقراءة يذكر أنها من قراءة عبد الله في قوله ونقول ذوقوا يذكر أنها في قراءة عبد الله ويقال فأغفل قارئ ذلك وجه الصواب فيما قصد اليه من تأويل القراءة التي تنسب الى عبد الله وخالف الحجة من قراء الاسلام وذلك أن الذي ينبغي لمن قرأ سيكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء على وجه ما لم يسم فاعله أن يقرأ ويقال لان قوله ونقول عطف على قوله سنكتب فالصواب من القراءة أن يوفق بينهما في المعنى بأن يقرآ جميعا على مذهب ما لم يسم فاعله أو على مذهب ما يسمى فاعله فأما أن يقرأ أحدهما على مذهب ما لم يسم فاعله والآخر على وجه ما قد سمي فاعله من غير معنى ألجأه على ذلك فاختيار خارج عن الفصيح من كلام العرب والصواب من القراءة في ذلك عندنا سنكتب بالنون وقتلهم بالنصب لقوله ونقول ولو كانت القراءة في سيكتب بالياء وضمها لقيل ويقال على ما قد بينا فان قال قائل كيف قيل وقتلهم الانبياء بغير حق وقد ذكرت الآثار التي رويت أن الذين عنوا بقوله لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير بعض اليهود الذين كانوا على عهد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولم يكن من أولئك أحد قتل نبيا من الانبياء لانهم لم يدركوا نبيا من أنبياء الله فيقتلوه قيل ان معنى ذلك على غير الوجه الذي ذهبت اليه وانما قيل ذلك كذلك لان الذين عنى الله تبارك وتعالى بهذه الآية كانوا راضين بما فعل أوائلهم من قتل من قتلوا من الانبياء وكانوا منهم وعلى منهاجهم من استحلال ذلك واستجازته فأضاف جل ثناؤه فعل ما فعله

يقسمها يوم بدر فقال لهم صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم أن لا تتركوا المركز حتى يأتيكم أمري فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم أنا نغل ولا نقسم لكم وروى (١٣٠) أنه صلى الله عليه وسلم بعث طلائع فغنم بعدهم غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت مبالغة في النهي لرسوله يعني وما كان لنبي أن يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه أن يقسم بالسوية وسمى حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر وقيل نزلت في أداء الوحي كان يقرأ القرآن وفيه عيب دينهم وسب آلهتهم فسألوه أن يترك ذلك فقيل ما كان لنبي أن يكتم الناس ما بعثه الله به اليهم رغبة في الناس أو رهبة منهم (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) أكثر المفسرين أجروه على ظاهره ونظيره في مانع الزكاة يوم يحمى عليها في نار جهنم ويدل عليه الحديث الذي رويناه وعن ابن عباس أنه قال يمثل له ذلك الشئ في قعر جهنم ثم يقال له انزل اليه فخذه فيهبط اليه فاذا انتهى اليه حمله على ظهره فلا يقبل منه وعن بعض جفاة الاعراب أنه سرق نافجة مسك فتليت عليه هذه الآية فقال اذن أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل قلت ذلك الشقي قاس الامور الاخروية على الامور الدنيوية ولم يعلم أن ذلك المسك وقتئذ يكون أنتن من الجيفة وأثقل من الجبل وذلك ليذوق وبال أمره ويرى نقيض مقصوده قال المحققون والفائدة فيه أنه اذا جاء يوم القيامة وعلى رقبته ذلك الغلول ازدادت فضيحته ومثله قوله صلى الله عليه وسلم لكل غادر لواء يوم القيامة وقال أبو مسلم هذا على سبيل التمثيل والتصوير لوباله وتبعته والمراد أنه تعالى يحفظ عليه هذا الغلول ويعزره عليه يوم القيامة ويجازيه به لانه لا يخفى عليه خافية وقيل المراد أنه يشتهر بذلك مثل اشتهار من يحمل ذلك الشئ وفيه صرف اللفظ عن ظاهره من غير دليل ولا ضرورة (ثم توفى كل نفس ما كسبت) اثبات للجزاء لكل كاسب على سبيل العموم ليعلم صاحب الغلول أنه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهذا

من

من كانوا على منهاجه وطريقته الى جميعهم اذ كانوا أهل ملة واحدة ونحلة واحدة وبالرضا من جميعهم فعل ما فعل فاعل ذلك منهم على ما بينا من نظائره فيما مضى قبل ۞ القول فى تأويل قوله (ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد) يعنى بذلك جل ثناؤه ونقول للقائلين بان الله فقير ونحن أغنياء القاتلين أنبياء الله بغير حق يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق يعنى بذلك عذاب نار محرقة ملتهبة والنار اسم جامع للملتهبة منها وغير الملتهبة وانما الحريق صفة لها يراد أنها محرقة كما قيل عذاب أليم يعنى مؤلم ووجيع يعنى موجع وأما قوله ذلك بما قدمت أيديكم أى قولنا لهم يوم القيامة ذوقوا عذاب الحريق بما أسلفت أيديكم واكتسبتها أيام حياتكم فى الدنيا وبأن الله عدل لا يجور فيعاقب عبداله بغير استحقاق منه العقوبة ولكنه يجازى كل نفس بما كسبت ويوفى كل عامل جزاء ما عمل فجازى الذين قال لهم يوم القيامة من اليهود الذين وصف صفتهم فأخبر عنهم أنهم قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وقتلوا الأنبياء بغير حق بما جازاهم به من عذاب الحريق بما اكتسبوا من الآثام واجترحوا من السيئات وكذبوا على الله بعد الاعذار اليهم بالانذار فلم يكن تعالى ذكره بما عاقبهم به من اذاقتهم عذاب الحريق ظالما ولا واضعا عقوبته فى غير أهلها وكذلك هو جل ثناؤه غير ظلام أحدا من خلقه ولكنه العادل بينهم والمتفضل على جميعهم بما أحب من فواضله ونعمه ۞ القول فى تأويل قوله (الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين) يعنى بذلك جل ثناؤه لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول وقوله الذين قالوا ان الله فى موضع خفض ردا على قوله الذين قالوا لن الله فقير ويعنى بقوله قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول أوصانا وتقدم الينا فى كتبه وعلى ألسن أنبيائه أن لا نؤمن لرسول يقول أن لا نصدق رسولا فيما يقول انه جاء به من عند الله من أمر ونهى وغير ذلك حتى يأتينا بقربان تأكله النار يقول حتى يجيئنا بقربان وهو ما تقرب به العبد الى ربه من صدقة وهو مصدر مثل العدوان والخسران من قولك قربت قربانا وانما قال تأكله النار لان أكل النار ما قربه أحدهم لله فى ذلك الزمان كان دليلا على قبول الله منه ما قرب له ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال كما حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله حتى يأتينا بقربان تأكله النار كان الرجل يتصدق فاذا تقبل منه أنزلت عليه نار من السماء فأكلته حدثت عن الحسين قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد قال سمعت الضحاك يقول فى قوله بقربان تأكله النار كان الرجل اذا تصدق بصدقة فتقبلت منه بعث الله نارا من السماء فنزلت على القربان فأكلته فقال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات يعنى بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم وبالذى قلتم يعنى وبالذى ادعيتم انه اذا جاء به لزمكم تصديقه والاقرار بنبوته من أكل النار قربانه اذ قربه لله دلالة على صدقه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين يقول له قل لهم قد جاءتكم الرسل الذين كانوا من قبلى بالذى زعمتم أنه حجة لهم عليكم فقتلتموهم فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاؤكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم ان كنتم صادقين فى أن الله عهد اليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته وانما أعلم الله عباده بهذه الآية أن الذين وصف صفتهم من اليهود الذين كانوا

أبلغ بما لو خص الغال بتوفية الجزاء فقيل ثم يوفى ما كسب ثم فصل ما أجمل فقال (أفمن اتبع) والهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أمن اتقى فاتبع قال الكلبى والضحاك أفمن اتبع رضوان الله فى ترك الغلول (كمن باء بسخط من الله) رجع منه بشدة ارادة انتقام لأجل الغلول وقال الزجاج أفمن اتبع رضوان الله بامتثال أمر النبى صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى دفع المشركين يوم أحد كمن باء بسخط من الله وهم الذين لم يمتثلوا وقيل الاولون المهاجرون والآخرون المنافقون وقيل أفمن اتبع رضوان الله بالايمان والعمل بطاعته كمن باء بسخط من الله بالكفر به والاشتغال بمعصيته وهذا القول أقرب لتكون الآية مجراة على العموم وان كان سبب النزول خاصا وقوله (ومأواه جهنم) من تمام صلة من باء وقوله (وبئس المصير) اعتراض قال القفال لا يجوز فى الحكمة أن يسوى بين المسىء والمحسن والا كان اغراء بالمعاصى واباحة لها واهمالا للطاعات وتنفيرا عنها (هم درجات) قيل أى لهم درجات وحسن هذا الحذف لان اختلاف أعمالهم كأنه قد صيرهم بمنزلة الاشياء المختلفة فى ذواتها وقالت الحكماء النفوس الانسانية مختلفة بالماهية يدل عليها اختلاف صفاتها بالاشراق والاظلام ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فهم فى أنفسهم درجات لا أن لهم درجات وقيل المراد ذوو درجات ثم الضمير الى أى شىء يعود قيل الى من اتبع رضوان الله لان الغالب فى العرف استعمال الدرجات فى أهل الثواب والدركات فى أهل العقاب ولانه قد ذكر وصف من باء بسخط من الله وهو أن مأواه جهنم فيكون هذا وصفا لمن اتبع الرضوان ويؤيده قوله (عند الله) وهذا وان كان معناه فى علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة عند الشافعى كذا ولا يراد به عندية المكان لتنزهه تعالى عن ذلك الا انه يفيد فى الجملة تشريفا وأنه يليق بأهل الثواب وقال الحسن يعود الى من باء بسخط لانه أقرب لانهم متفاوتون

فى العذاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان منها ضحضاحا وغمرا وقال ان أهون أهل النار عذابا رجل يحذى له نعلان من نار يغلي من حرهما دماغه ينادي يارب وهل يعذب أحد عذابي والأوجه (١٣٣) أن يكون عائدا الى الكل لان درجات أهل الثواب متفاوتة وكذا دركات أهل العقاب حسب تفاوت أعمال الخلق وقد تستعمل الدرجات في مراتب أهل النار كقوله ولكل درجات مما عملوا (والله بصير بما يعملون) فيجازيهم على مقدارها قوله عز من قائل (لقد من الله على المؤمنين) في النظم وجوه منها أن هذا الرسول نشأ فيما بينهم ولم يظهر منه طول عمره الا الصدق والامانة فكيف يليق بمن هذا حاله الخيانة ومنها كأنه تعالى قال لا أكتفي في وصفه بأن أنزهه عن الخيانة ولكني أقول ان وجوده فيكم من أعظم نعمي عليكم ومنها انكم كنتم خاملين جاهلين وانما حصل لكم الشرف والعلم بسبب هذا الرسول فالطعن فيه طعن فيكم ومنها أن مثل هذا الرجل يجب على كل عاقل أن يعينه بأقصى ما يقدر عليه ويكون معه باليد واللسان والسيف والسنان فيكون المقصود العود الى ترغيب المسلمين في الجهاد ومعنى المن ههنا الانعام على من لا يطلب الجزاء منه والوجه في المنة اما أن يعود الى أصل البعثة واما أن يعود الى بعثة هذا الرسول فمن الاول أن الخلق مجبولون على النقصان والجهالة والنبي يورد عليهم وجوه دلائل الكمال ويزيح عللهم في كل حال وأيضا انهم وان شهدت فطرتهم بوجوب خدمة مولاهم لكن لا يعرفون كيفية تلك الخدمة الى أن يشرحها النبي صلى الله عليه وسلم لهم وأيضا انهم جبلوا على الكسل والملل فهو يورد عليهم انواع الترغيبات والترهيبات فيزول فتورهم ويتجدد نشاطهم وبالجملة فعقول البشر بمنزلة أنوار البصر وعقل النبي بمنزلة نور الشمس فكما لا يتم الانتفاع بنور البصر الا عند ذلك سطوع نور الشمس فكذلك لا يحصل الاهتداء بمجرد العقل ما لم ينضم اليه ارشاد النبي صلى الله عليه وسلم ومن الثاني أن هذا الرسول بعث (من

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لن يغفروا وأن يكونوا في كذبهم على الله وافترائهم على ربهم وتكذيبهم محمدا صلى الله عليه وسلم وهم يعلمونه صادقا محقا وجحودهم نبوته وهم يجدونه مكتوبا عندهم في عهد الله تعالى اليهم أنه رسوله الى خلقه مفروضة طاعته الا كمن مضى من أسلافهم الذين كانوا يقتلون أنبياء الله بعد قطع الله عذرهم بالحجج التي أيدهم الله بها والأدلة التي أبان صدقهم بها افتراء على الله واستخفافا بحقوقه ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه (فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير) وهذا تعزية من الله جل ثناؤه نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم على الأذى الذي كان يناله من اليهود وأهل الشرك بالله من سائر أهل الملل يقول الله تعالى له لا يحزنك يا محمد كذب هؤلاء الذين قالوا ان الله فقير وقالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار وافتراؤهم على ربهم اغترارا بامهال الله اياهم ولا يعظمن عليك تكذيبهم اياك وادعاؤهم الاباطيل من عهود الله اليهم فانهم ان فعلوا ذلك بك فكذبوك وكذبوا على الله فقد كذبت أسلافهم من رسل الله قبلك من جاءهم بالحجج القاطعة العذر والادلة الباهرة العقل والآيات المعجزة الخلق وذلك هو البينات وأما الزبر فانه جمع زبور وهو الكتاب وكل كتاب فهو زبور ومنه قول امرئ القيس

لمن طلل أبصرته فشجاني ... كخط زبور في عسيب يماني

ويعني بالكتاب التوراة والانجيل وذلك أن اليهود كذبت عيسى وما جاء به وحرفت ما جاء به موسى عليه السلام من صفة محمد صلى الله عليه وسلم وبدلت عهده اليهم فيه وأن النصارى جحدت ما في الانجيل من نعته وغيرت ما أمرهم به في أمره وأما قوله المنير فانه يعني الذي ينير فيبين الحق لمن التبس عليه ويوضحه وانما هو من النور والاضاءة يقال قد أنار لك هذا الامر بمعنى أضاء لك وتبين فهو ينير انارة والشيء المنير وقد حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا الحرف في مصاحف أهل الحجاز والعراق والزبر بغير باء وهو في مصاحف أهل الشام وبالزبر بالباء مثل الذي في سورة فاطر ﴿ القول في تأويل قوله (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور) يعني بذلك تعالى ذكره أن مصير هؤلاء المفترين على الله من اليهود المكذبين برسوله الذين وصف صفتهم وأخبر عن جراءتهم على ربهم ومصير غيرهم من جميع خلقه تعالى ذكره ومرجع جميعهم اليه لانه قد حتم الموت على جميعهم فقال لنبيه صلى الله عليه وسلم لا يحزنك تكذيب من كذبك يا محمد من هؤلاء اليهود وغيرهم وافتراء من افترى علي فقد كذب قبلك رسل جاؤا من الآيات والحجج من أرسلوا اليه بمثل الذي جئت من أرسلت اليه فلك فيهم أسوة تتعزى بهم ومصير من كذبك وافترى علي وغيرهم ومرجعهم الي فأوفي كل نفس منهم جزاء عمله يوم القيامة كما قال جل ثناؤه وانما توفون أجوركم يوم القيامة يعني أجور أعمالكم ان خيرا فخير وان شرا فشر فمن زحزح عن النار يقول فمن نحي عن النار وأبعد منها فقد فاز يقول فقد نجا وظفر بحاجته يقال منه فاز فلان بطلبته يفوز فوزا ومفازا ومفازة اذا ظفر بها وانما معنى

ذلك فمن نجى عن النار فابعد منها وأدخل الجنة فقد نجا وظفر بعظيم الكرامة وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور يقول وما لذات الدنيا وشهواتها وما فيها من زينتها وزخارفها الا متاع الغرور يقول الا متعة يمتعكموها الغرور والخداع المضمحل الذي لا حقيقة له عند الامتحان ولا صحة له عند الاختبار فانتم تلتذون بما متعكم الغرور من دنياكم ثم هو عائد عليكم بالفجائع والمصائب والمكاره يقول تعالى ذكره ولا تركنوا الى الدنيا فتسكنوا اليها فانما أنتم منها في غرور تمتعون ثم أنتم عنها بعد قليل راحلون وقد روى في تأويل ذلك ما حدثني به المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جرير عن الاعمش عن بكير بن الاخنس عن عبد الرحمن بن سابط في قوله وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور قال كزاد الراعي تزوده الكف من التمر أو الشيء من الدقيق أو الشيء يشرب عليه اللبن فكأن ابن سابط ذهب في تأويله هذا الى أن معنى الآية وما الحياة الدنيا الا متاع قليل لا يبلغ من تمتعه ولا يكفيه لسفره وهذا التأويل وان كان وجها من وجوه التأويل فان الصحيح من القول فيه هو ما قلنا لان الغرور انما هو الخداع في كلام العرب واذ كان كذلك فلا وجه لصرفه الى معنى القلة لان الشيء قد يكون قليلا وصاحبه منه في غير خداع ولا غرور وأما الذي هو في غرور فلا القليل يصح له ولا الكثير مما هو منه في غرور والغرور مصدر من قول القائل غرني فلان فهو يغرني غرورا بضم الغين وأما اذا فتحت الغين من الغرور فهو صفة للشيطان الغرور الذي يغر ابن آدم حتى يدخله من معصية الله فيما يستوجب به عقوبته وقد حدثنا أبو كريب قال ثنا عبدة وعبد الرحيم قالا ثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو سلمة عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها واقرؤا ان شئتم وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ۞ القول في تأويل قوله (لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور) يعني بذلك تعالى ذكره لتبلون في أموالكم لتختبرن بالمصائب في أموالكم وأنفسكم يعني وبهلاك الاقرباء والعشائر من أهل نصرتكم وملتكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني من اليهود وقولهم ان الله فقير ونحن أغنياء وقولهم يد الله مغلولة وما أشبه ذلك من افترائهم على الله ومن الذين أشركوا يعني النصارى أذى كثيرا والاذى من اليهود ما ذكرنا ومن النصارى قولهم المسيح ابن الله وما أشبه ذلك من كفرهم بالله وان تصبروا وتتقوا يقول وان تصبروا لامر الله الذي أمركم به فيهم وفي غيرهم من طاعته وتتقوا يقول وتتقوا الله فيما أمركم ونهاكم فتعملوا في ذلك بطاعته فان ذلك من عزم الامور يقول فان ذلك الصبر والتقوى مما عزم الله عليه وأمركم به وقيل ان ذلك كله نزل في فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع كالذي حدثنا به القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عكرمة في قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال نزلت هذه الآية في النبي صلى الله عليه وسلم وفي أبي بكر رضوان الله عليه وفي فنحاص اليهودي سيد بني قينقاع قال بعث النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رحمه الله الى فنحاص يستمده وكتب اليه بكتاب وقال لابي بكر لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فجاء أبو بكر وهو متوشح السيف فأعطاه الكتاب فلما قرأه قال قد احتاج ربكم أن نمده فهم أبو بكر أن يضربه بالسيف ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تفتاتن علي بشيء حتى ترجع فكف ونزلت ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم

أنفسهم) أي من جنسهم عربيا مثلهم أو من ولد اسمعيل كما أنهم من ولده فعلى هذا يكون المراد بالمؤمنين من آمن مع الرسول من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون به ووجه المنة انه اذا كان اللسان واحدا سهل عليهم أخذ ما يجب أخذه عنه واذا كانوا واقفين على أحواله في الصدق والامانة كان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفيه أيضا شرف لهم وفخر كما قال وانه لذكر لك ولقومك وذلك أن الافتخار بابراهيم صلى الله عليه وسلم كان مشتركا فيه بين اليهود والنصارى والعرب ثم اليهود والنصارى كانوا يفتخرون بموسى وعيسى وبالتوراة والانجيل وما كان للعرب ما يقابل ذلك فلما بعث الله محمدا وأنزل القرآن صار شرف العرب بذلك زائدا على شرف جميع الامم وقيل من أنفسهم أي من جنس الانس لا من الملك لان الجنس الى الجنس أميل ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن فاطمة أنهما قرآ من أنفسهم بفتح الفاء أي أشرفهم وعلى هذا يكون المؤمنون عاما ويحتمل أن يراد بهم العرب ويصح لأن عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وأما سائر أوصافه من قوله (يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة) فقد مر تفسيرها في البقرة عند قوله ربنا وابعث فيهم رسولا واعراب قوله (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) كما سلف في قوله وان كانت لكبيرة ومعنى المنة فيه أن النعمة اذا وردت بعد المحنة كان موقعها أعظم فبعثة هذا الرسول عقيب الجهل والذهاب عن الدين تكون أعم نفعا وأتم وقعا ثم لما أجاب عن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم الى الغلول حكى عنهم شبهة أخرى وهي قولهم لو كان رسولا من عند الله ما انهزم عسكره وهو المراد بقوله (أنى هذا) وأجاب عنها بقوله (قل هو من عند أنفسكم) والواو في قوله أولما أصابتكم لعطف هذه الجملة الاستفهامية على ما قبلها من قصة أحد الا أن حرف الاستفهام قدم

على واو العطف لان له صدر الكلام ولما ظرف قلتم ومقول القول أنى هذا وأصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه والتقدير أقلتم حين أصابتكم ويجوز أن تكون الجملة معطوفة على محذوف كأنه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ من أين أصابنا هذا وكيف نصروا علينا ونحن على الحق ومعنا الرسول وهم على الباطل ولا نبي معهم والمراد بالمصيبة واقعة أحد وبمثليها واقعة بدر وذلك أن المشركين قتلوا من المسلمين يوم أحد سبعين وقتل المسلمون منهم يوم بدر سبعين وأسروا سبعين وقيل أراد نسبة الضعف في الهزيمة لا في عدد القتلى والاسرى فالمسلمون هزموا الكفار يوم بدر وهزموهم أيضا في الاولى يوم أحد ثم لما عصوا الله هزمهم المشركون فانهزام المشركين حصل مرتين وانهزام المسلمين حصل مرة واحدة فخرج عن قوله قد أصبتم مثليها جواب ضمني يعني أن أحوال الدنيا لا تدوم على حالة واحدة فاذا أصبتم منهم مثلي ما نالوا منكم فما وجه الاستبعاد لكنه صرح بجواب آخر فقال قل هو من عند أنفسكم وفي تقريره وجهان الاول أن هذه المصيبة بشؤم معصيتكم وذلك أنهم عصوا الرسول في أمور في الخروج عن المدينة وكان رأيه في الاقامة ثم في الفشل وفي التنازع وفي مفارقة المركز وفي الاشتغال بطلب الغنيمة الثاني ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال يا محمد إن الله قد كره ما صنع قومك في أخذهم الفداء من الاسارى وأمرك أن تخيرهم بين أن يقدموا الاسارى فيضربوا أعناقهم وبين أن يأخذوا الفداء على أن يقتل منهم عدتهم فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك لقومه فقالوا يا رسول الله عشائرنا واخواننا نأخذ الفداء منهم فنتقوى به على قتال العدو ونرضى أن يستشهد منا بعددهم فقتل يوم أحد سبعون رجلا بعدد أسارى بدر فمعنى هو من عند أنفسكم هو بأخذكم الفداء واختياركم القتل وتمسك المعتزلة بالآية على أن للعبد اختيارا في الفعل والترك وانه من عند نفسه وعارضهم الاشاعرة بقوله

الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم وما بين الآيتين الى قوله لتبلون في أموالكم وأنفسكم نزلت هذه الآيات في بني قينقاع الى قوله فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك قال ابن جريج يعزي نبيه صلى الله عليه وسلم قال لتبلون في أموالكم وأنفسكم قال أعلم الله المؤمنين أنه سيبتليهم فينظر كيف صبرهم على دينهم ثم قال ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم يعني اليهود والنصارى ومن الذين أشركوا أذى كثيرا فكان المسلمون يسمعون من اليهود قولهم عزير ابن الله ومن النصارى المسيح ابن الله فكان المسلمون ينصبون لهم الحرب ويسمعون اشراكهم فقال الله وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور يقول من القوة مما عزم الله عليه وأمركم به * وقال آخرون بل نزلت في كعب بن الأشرف وذلك أنه كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتشبب بنساء المسلمين ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري في قوله ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا قال هو كعب بن الاشرف وكان يحرض المشركين على النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شعره ويهجو النبي صلى الله عليه وسلم فانطلق اليه خمسة نفر من الانصار فيهم محمد بن مسلمة ورجل يقال له أبو عبس فأتوه وهو في مجلس قومه بالعوالي فلما رآهم ذعر منهم فأنكر شأنهم وقالوا جئناك لحاجة قال فليدن الي بعضكم فليحدثني بحاجته فجاءه رجل منهم فقال جئناك لنبيعك أدراعا عندنا لنستنفق بها فقال والله لئن فعلتم لقد جهدتم منذ نزل بكم هذا الرجل فواعدوه أن يأتوه عشاء حين هدأ عنهم الناس فأتوه فنادوه فقالت امرأته ما طرقك هؤلاء ساعتهم هذه لشيء مما تحب قال انهم حدثوني بحديثهم وشأنهم قال معمر فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه أشرف عليهم فكلمهم فقال أترهنوني أبناءكم وأرادوا أن يبيعهم تمرا قال فقالوا انا نستحيي أن تعير أبناؤنا فيقال هذا رهينة وسق وهذا رهينة وسقين فقال أترهنوني نساءكم قالوا أنت أجمل الناس ولا نأمنك وأي امرأة تمتنع منك لجمالك ولكنا نرهنك سلاحنا فقد علمت حاجتنا الى السلاح اليوم فقال ائتوني بسلاحكم واحتملوا ما شئتم قالوا فانزل الينا نأخذ عليك وتأخذ علينا فذهب ينزل فتعلقت به امرأته وقالت أرسل الى أمثالهم من قومك يكونوا معك قال لو وجدني هؤلاء نائما ما أيقظوني قالت فكلمهم من فوق البيت فأبى عليها فنزل اليهم يفوح ريحه قالوا ما هذه الريح يا فلان قال هذا عطر أم فلان امرأته فدنا اليه بعضهم يشم رائحته ثم اعتنقه ثم قال اقتلوا عدو الله فطعنه أبو عبس في خاصرته وعلاه محمد بن مسلمة بالسيف فقتلوه ثم رجعوا فأصبحت اليهود مذعورين فجاؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اقتل سيدنا غيلة فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحض عليهم ويحرض في قتالهم ويؤذيهم ثم دعاهم الى أن يكتب بينه وبينهم صلحا قال فكان ذلك الكتاب مع علي رضوان الله عليه

القول في تأويل قوله (واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون) يعني بذلك تعالى ذكره واذكر أيضا من هؤلاء اليهود وغيرهم من أهل الكتاب منهم يا محمد اذ أخذ الله ميثاقهم ليبينن للناس أمرك الذي أخذ ميثاقهم على بيانه للناس في كتابهم الذي في أيديهم وهو التوراة والانجيل وانك لله رسول مرسل بالحق ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم يقول فتركوا أمر الله وضيعوه ونقضوا ميثاقه الذي أخذ عليهم بذلك فكتموا أمرك وكذبوا بك واشتروا به ثمنا قليلا يقول وابتاعوا بكتمانهم ما أخذ عليهم الميثاق أن لا يكتموه من أمر نبوتك عوضا منه خسيسا قليلا من عرض الدنيا ثم ذم جل ثناؤه

شراءهم

(ان الله على كل شئ قدير) فان فعل العبد من جملة الاشياء فيكون الله قادرا عليه فلو وجد بايجاد العبد امتنع من الله أن يقدر عليه اذ لاقدرة على ايجاد الموجود والحق أن وجود الواسطة لا ينافى انتهاء الكل الى مسبب الاسباب و يؤيده (١٣٥) قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله) قال ابن عباس أى وقع بقضائه وحكمه وفيه تسلية للمؤمنين لان الرضا بالقضاء لازم وقيل بتخليته لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده فاستعير الاذن للتخلية وان اعتبرتم المصالح فذلك قد وقع (ليعلم المؤمنين) أى ليتميز وا عن أهل النفاق وانما لم يقل وليعلم المنافقين ليناسب المؤمنين لفظا لان الغرض تصوير أنهم شرعوا فى الاعمال اللائقة بالنفاق فى ذلك الوقت وأحدثوها ولانه عطف على الصلة (وقيل لهم) قال الاصم هذا القائل رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعوهم الى القتال وقيل هو أبو جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الانصارى لما انخزل عبد الله بن أبى بثلث الناس تبعهم وقال أنشدكم الله فى نبيكم وأنفسكم (تعالوا قاتلوا فى سبيل الله) ان كان فى قلبكم حب هذا الدين (أو ادفعوا) عن أنفسكم وأهليكم وأموالكم ان لم يكن بكم هم الآخرة وطلب مرضاة الله أى كونوا من رجال الدين أو من رجال الدنيا وقال السدى وابن جريج ادفعوا العدو بتكثير سوادنا ان لم تقاتلوا معنا لان الكثرة أحد أسباب الهيبة والرعب ثم انه كأن سائلا سأل فاذا أجاب المنافقون عند دعاء المؤمنين اياهم الى القتال فقيل (قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم) كأنهم جحدوا أن يكون بين الفريقين قتال البتة أو المراد لو نعلم ما يصح أن يسمى قتالا لوافقناكم عليه ولكنكم تلقون بأيديكم الى التهلكة وذلك أن رأى عبد الله كان فى الاقامة وما كان يستصوب الخروج من

شراءهم ما اشتروا به من ذلك فقال فبئس ما يشترون واختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها اليهود خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه الى قوله عذاب أليم يعنى فنحاص وأشيع وأشباههما من الأحبار حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد ابن أبى محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس مثله حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم كان أمرهم أن يتبعوا النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته وقال اتبعوه لعلكم تهتدون فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم قال أوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون عاهدهم على ذلك فقال حين بعث محمدا صدقوه وتلقون الذى أحببتم عندى حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدى واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الآية قال ان الله أخذ ميثاق اليهود لتبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن أبى الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج ابن يوسف جلساءه عن هذه الآية واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب فقام رجل الى سعيد ابن جبير فسأله فقال واذ أخذ الله ميثاق أهل الكتاب يهود لتبيننه للناس محمدا صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه فنبذوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه قال وكان فيه أن الاسلام دين الله الذى افترضه على عباده وأن محمدا يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل * وقال آخرون عنى بذلك كل من أوتى علما بأمر الدين ذكر من قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم الآية هذا ميثاق أخذه الله على أهل العلم فمن علم شيأ فليعلمه واياكم وكتمان العلم فان كتمان العلم هلكة ولا يتكلفن رجل ما لا علم له به فيخرج من دين الله فيكون من المتكلفين كان يقال مثل علم لا يقال به كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا يشرب وكان يقال طوبى لعالم ناطق وطوبى لمستمع واع هذا رجل علم علما فعلمه وبذله ودعا اليه ورجل سمع خيرا فحفظه ووعاه وانتفع به حدثنى يحيى بن ابراهيم المسعودى قال ثنى أبى عن أبيه عن جده عن الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة قال جاء رجل الى قوم فى المسجد وفيه عبد الله بن مسعود فقال ان أخاكم كعبا يقرئكم السلام ويبشركم أن هذه الآية ليست فيكم واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه فقال له عبد الله وأنت فاقرئه السلام وأخبره أنها نزلت وهو يهودى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبى عبيدة بنحوه عن عبد الله وكعب * وقال آخرون معنى ذلك واذ أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال ثنى يحيى ابن أبى ثابت عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ ربك من الذين أوتوا الكتاب ميثاقهم قال من النبيين على قومهم حدثنا أبو كريب قال ثنا قبيصة قال

المدينة وكلا المعنيين منهم فى الجواب فاسد أما الاول فلان ظهور أمارات الحرب كاف فى وجوب القتال والدفع عن النفس والمال والظن فى أمور الدنيا قائم مقام العلم ولا أمارة أقوى من قرب الاعداء من المدينة عند جبل أحد وأما الثانى فلانه تعالى لما وعدهم النصر والغلبة

ان صبروا واتقوا لم يكن الخروج الى ذلك القتال القاء النفس الى التهلكة ولتركه جوابهم قال (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) لانهم
تباعدوا بهذا الجواب المنبئ عن الدغل والنفاق عن الايمان المظنون بهم قبل اليوم والمراد أنهم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم
لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية لجانب المشركين وعلى الاول قال أكثر العلماء انه تنصيص من الله تعالى على أنهم كفار لان القرب من الكفر حصول الكفر قال الحسن اذا قال الله أقرب فهو اليقين بأنهم مشركون كقوله مائة ألف أو يزيدون فهذه الزيادة لاشك فيها وقال الواحدى فيه دليل على أن الآتي بكلمة التوحيد لا يكفر لانه تعالى لم يطلق القول بتكفيرهم (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) أى لا يتجاوز الايمان حناجرهم ومخارج الحروف منهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم ما نطقوا به من التوحيد (والله أعلم بما يكتمون) من بغض الاسلام والمسلمين وسائر مجارى أحوالهم فيما بينهم وذلك أن المؤمنين قد علموا بعض ذلك بالقرائن والامارات وهو تعالى عالم بتفاصيل ذلك لا يعزب عنه مثقال ذرة فى الارض ولا فى السماء (الذين قالوا) منصوب على الذم أو على البدل من الذين نافقوا أو مرفوع على الذم أى هم الذين أو على البدل من ضمير يكتمون وقيل يجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير فى أفواههم أو قلوبهم (لاخوانهم) لاجل اخوانهم المقتولين يوم أحد اخوة فى النسب أو فى سكنى الدار أو فى الجنسية فى النفاق والقائلون عند جمهور المفسرين عبد الله بن أبى وأصحابه واعترض الاصم بأنه قد خرج يوم أحد فكيف وصف بالقعود فى قوله (وقعدوا) أى والحال أنهم قد قعدوا عن القتال والجواب أن القعود عن القتال وهو
الجبن عنه وتركه لا ينافى الخروج (لو أطاعونا) فى أمرنا اياهم بالقعود (ما قتلوا) كأنهم قعدوا وما اكتفوا بذلك بل أرادوا
تثبيط غيرهم وذلك لما فى الطباع من محبة الحياة وكراهة الموت «ومن يسمع يخل» فلعل بعض ضعفة المسلمين اذا سمع ذلك رغب فى القعود

ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد قال قلت لابن عباس ان أصحاب عبد الله يقرؤن واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب واذ أخذ الله ميثاق النبيين قال فقال أخذ الله ميثاق النبيين على قومهم وأما قوله لتبيننه للناس فانه كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث قال ثنى أبى قال ثنا محمد بن ذكوان قال ثنا أبو نعامة السعدى قال كان الحسن يفسر قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ليتكلمن بالحق وليصدقنه بالعمل واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه بعضهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه بالتاء وهى قراءة أعظم قراء أهل المدينة والكوفة على وجه المخاطب بمعنى قال الله لهم لتبيننه للناس ولا تكتمونه وقرأ ذلك آخرون ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا على وجه الخبر عن الغائب لانهم فى وقت اخبار الله نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك عنهم كانوا غير موجودين فصار الخبر عنهم كالخبر عن الغائب والقول فى ذلك عندنا انهما قراءتان صحيحة وجوههما مستفيضتان فى قراءة الاسلام غير مختلفتى المعانى فبأيتهما قرأ القارئ فقد أصاب الحق والصواب فى ذلك غير أن الامر فى ذلك وان كان كذلك فان أحب القراءتين الى أن أقرأ بها ليبيننه للناس ولا يكتمونه بالياء جميعا استدلالا بقوله فنبذوه أنه اذ كان قد خرج مخرج الخبر عن الغائب على سبيل قوله فنبذوه حتى يكون متسقا كله على معنى واحد ومثال واحد ولو كان الاول بمعنى الخطاب لكان أن يقال فنبذتموه وراء ظهوركم أولى من أن يقال فنبذوه وراء ظهورهم وأما قوله فنبذوه وراء ظهورهم فانه مثل لتضييعهم القيام بالميثاق وتركهم العمل به وقد بينا المعنى الذى من أجله قيل ذلك كذلك فيما مضى من كتابنا هذا فكرهنا اعادته وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا يحيى بن أيوب البجلى عن الشعبى فى قوله فنبذوه وراء ظهورهم قال انهم قد كانوا يقرؤنه انما نبذوا العمل به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فنبذوه وراء ظهورهم قال نبذوا الميثاق حدثنى محمد بن سنان قال ثنا عثمان بن عمر قال ثنا مالك بن مغول قال نبئت عن الشعبى فى هذه الآية فنبذوه وراء ظهورهم قال قذفوه بين أيديهم وتركوا العمل به وأما قوله واشتروا به ثمنا قليلا فان معناه ما قلنا من أخذهم ما أخذوا على كتمانهم الحق وتحريفهم الكتاب كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى واشتروا به ثمنا قليلا أخذوا طمعا وكتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وقوله فبئس ما يشترون يقول فبئس الشراء يشترون فى تضييعهم الميثاق وتبديلهم الكتاب كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فبئس ما يشترون قال تبديل اليهود التوراة ۞ القول فى تأويل قوله (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم عنى بذلك قوم من أهل النفاق كانوا يقعدون خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غزا العدو فاذا انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن سهل بن عسكر وابن عبد الرحيم البرقى قالا ثنا ابن أبى مريم قال ثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير قال ثنى زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبى سعيد الخدرى أن رجالا من المنافقين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا خرج النبى صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه وفرحوا بمقعدهم خلاف

رسول الله واذا قدم النبي صلى الله عليه وسلم من السفر اعتذروا اليه وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله تعالى فيهم لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية حدثني يونس قال اخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هؤلاء المنافقون يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم لو قد خرجت لخرجنا معك فاذا خرج النبي صلى الله عليه وسلم تخلفوا وكذبوا ويفرحون بذلك ويرون أنها حيلة احتالوا بها وقال آخرون عنى بذلك قوم من أحبار اليهود كانوا يفرحون باضلالهم الناس ونسبة الناس اياهم الى العلم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة مولى ابن عباس أو سعيد بن جبير واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الى قوله ولهم عذاب أليم يعني فنحاصا وأشيع وأشباههما من الاحبار الذين يفرحون بما يصيبون من الدنيا على ما زينوا للناس من الضلالة ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أن يقول لهم الناس علماء وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى ولا خير ويحبون أن يقول لهم الناس قد فعلوا حدثنا ابن كريب قال ثنا يونس بن بكير قال ثنا محمد بن اسحق قال ثنى محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أنه حدثه عن ابن عباس بنحو ذلك الا أنه قال وليسوا باهل علم لم يحملوهم على هدى وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود فرحوا باجتماع كلمتهم على تكذيب محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بان يقال لهم أهل صلاة وصيام ذكر من قال ذلك حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا فانهم فرحوا باجتماعهم على كفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وقالوا قد جمع الله كلمتنا ولم يخالف أحد منا أحدا أنه نبي وقالوا نحن أبناء الله وأحباؤه ونحن أهل الصلاة والصيام وكذبوا بل هم أهل كفر وشرك وافتراء على الله قال الله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال قالت اليهود أمر بعضهم بعضا فكتب بعضهم الى بعض ان محمدا ليس بنبي فاجمعوا كلمتكم وتمسكوا بدينكم وكتابكم الذي معكم ففعلوا وفرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم ففرحوا بذلك وفرحوا باجتماعهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي قال كتموا اسم محمد صلى الله عليه وسلم وفرحوا بذلك حين اجتمعوا عليه وكانوا يزكون أنفسهم فيقولون نحن أهل الصيام وأهل الصلاة وأهل الزكاة ونحن على دين ابراهيم صلى الله عليه وسلم فانزل الله فيهم لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا من كتمان محمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا أحبوا أن تحمدهم العرب بما يزكون به أنفسهم وليسوا كذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن أبي الجحاف عن مسلم البطين قال سأل الحجاج جلساءه عن هذه الآية لاتحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال سعيد بن جبير بكتمانهم محمدا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال هو

ونفر طبعه عن الجهاد فأجابهم الله تعالى بقوله قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين في أن الحذر يغني عن القدر وأن سلامتكم كانت بسبب قعودكم لا بغيره من أسباب النجاة وفيه استهزاء بهم أي ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادفعوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا جميع ذلك بناء على أن القتل أمر مكروه يجب على العاقل أن يحترز منه لو أمكنه لكنا لا نسلم ذلك وهو المراد بقوله ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا والخطاب للرسول أو لكل أحد ومن قرأ على الغيبة فالضمير للرسول أو المراد لا يحسبن حاسب أو لا يحسبنهم أمواتا وضمير المفعول للذين قتلوا أي لا يحسبن الذين قتلوا أنفسهم أمواتا فحذف المفعول الاول لدلالة الكلام عليه فكأنه مذكور كما حذف المبتدأ في قوله بل أحياء أي هم أحياء للدلالة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا أنا في الجنة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل أنا أبلغهم عنكم فأنزل هذه الآية وعن جابر بن عبد الله قال نظر الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال مالي أراك مهتما قلت يا رسول الله قتل أبي وترك دينا وعيالا فقال ألا أخبرك ما كلم الله أحدا قط الا من وراء حجاب وانه كلم أباك كفاحا فقال يا عبدي سلني أعطك فقال أسألك أن تردني الى الدنيا فاقتل فيك ثانية فقال انه قد سبق مني أنهم اليها لا يرجعون فقال يا رب فابلغ من ورائي فنزلت وقال جماعة من أهل التفسير نزلت الآية في شهداء بئر معونة وقال بعضهم ان أولياء الشهداء كانوا اذا أصابتهم نعمة أو سرور تحسروا وقالوا نحن في النعمة والسرور وآباؤنا وأبناؤنا واخواننا في القبور فنزلت الآية تنفيسا عنهم واخبارا عن حال قتلاهم أنهم أحياء متنعمون واختلف العلماء في معنى هذه الحياة فعن

طائفة انها على سبيل المجاز وقال الاصم والبلخى أريد بها الذكر الجميل فى الدنيا والثواب الجزيل فى العقبى وروى أن عبد الملك بن مروان لما
رأى الزهرى وعلم فقهه وتحقيقه قال مامات من خلف مثلك ومن هذه الطائفة من قال مجاز هذه الحياة أن أجسادهم باقية فى قبورهم
وانها لا تبلى تحت الارض البتة روى انه (١٣٨) لما أراد معاوية أن يجرى العين الى قبور الشهداء أمر بأن ينادى من كان له قتيل
فليخرجه من هذا الموضع قال جابر
فخرجنا اليهم فأخرجناهم رطاب
الابدان فأصاب المسحاة اصبع
رجل منهم فقطرت دما ومن هؤلاء
من قال المراد أنهم لا يغسلون كما
لا يغسل الاحياء وذهبت طائفة من
متكلمى المعتزلة الى أن المراد أنهم
سيصيرون أحياء والغرض تعذيب
منكرى المعاد وزيف بانه عدول
عن الظاهر وبأن عذاب القبر ثابت
فالثواب أولى وبانه نهى عن حسبانهم
أمواتا والذى يزيل هذا الحسبان هو
اعتقاد أنهم أحياء فى الحال لا اعتقاد
أنهم أحياء فى يوم القيامة فان ذلك
مما لا يشك النبى والمؤمنون فيه
وبما روينا عن ابن عباس ان
أرواحهم فى أجواف طير وبقوله
ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
والاستبشار بمن يكون فى الدنيا
لا بد أن يكون قبل يوم القيامة وذهب
كثير من المحققين الى أنهم أحياء فى
الحال لكن بحياة روحانية وان
أرواحهم تركع وتسجد كل ليلة تحت
العرش الى يوم القيامة وذلك أن
الانسان ليس عبارة عن مجموع هذه
البنية لان أجزاء البدن فى الذوبان
والانحلال ويعرض لها السمن
والهزال والقوة والكلال وكلنا يجد
من نفسه انه شئ واحد من أول
عمره الى آخره والباقى مغاير
للمتبدل ولان الانسان يكون عالما
بنفسه حالما يكون غافلا عن
جميع أعضائه وأجزائه والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم ثم ذلك الشئ المغاير لهذا
البدن المحسوس سواء كان جسما مخصوصا ساريا أو جوهرا مجردا لا يبعد أن ينفصل بعد موت البدن حيا أو أماته الله فيعيده حيا وبهذا يثبت
عذاب القبر وثوابه وتزول الشبهات ومن تأمل فى الامور الواردة عليه وجد أحوال النفس مضادة لاحوال البدن ووجد قوة أحدهما مامة تضية

قولهم نحن على دين ابراهيم عليه السلام حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى
عن أبيه عن ابن عباس لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا هم أهل
الكتاب أنزل عليهم الكتاب فحكموا بغير الحق وحرفوا الكلم عن مواضعه وفرحوا بذلك وأحبوا
أن يحمدوا بما لم يفعلوا فرحوا بانهم كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل الله وهم يزعمون أنهم
يعبدون الله ويصومون ويصلون ويطيعون الله فقال الله جل ثناؤه لمحمد صلى الله عليه وسلم
لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا كفروا بالله وكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحبون أن يحمدوا بما لم
يفعلوا من الصلاة والصوم فقال الله جل وعز لمحمد صلى الله عليه وسلم فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب
ولهم عذاب أليم * وقال آخرون بل معنى ذلك لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا من تبديلهم كتاب
الله ويحبون أن يحمدهم الناس على ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال
ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا قال يهود
فرحوا باعجاب الناس بتبديلهم الكتاب وحمدهم اياهم عليه ولا تملك يهود ذلك * وقال آخرون
معنى ذلك أنهم فرحوا بما أعطى الله تعالى آل ابراهيم عليه السلام ذكر من قال ذلك حدثنى محمد
ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن أبى المعلى عن سعيد بن جبير أنه قال فى هذه
الآية ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال اليهود يفرحون بما آتى الله ابراهيم عليه السلام حدثنا
ابن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن أبى المعلى العطار عن سعيد بن جبير قال هم اليهود
فرحوا بما أعطى الله تعالى ابراهيم عليه السلام * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم من اليهود سألهم
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شئ فكتموه ففرحوا بكتمانهم ذلك اياه ذكر من قال ذلك حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرنى ابن أبى مليكة أن علقمة
ابن أبى وقاص أخبره أن مروان قال لرافع اذهب يا رافع الى ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا
فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا ليعذبنا الله أجمعين فقال ابن عباس ما لكم ولهذه انما
دعا النبى صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا الله
بما أخبروه عنه مما سألهم وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قال واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا
الكتاب الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج قال قال ابن جريج أخبرنى عبد الله بن
أبى مليكة أن حميد بن عبد الرحمن بن عوف أخبره أن مروان بن الحكم قال لبوابه يا رافع اذهب الى
ابن عباس فقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن جميعا
فقال ابن عباس ما لكم ولهذه الآية انما أنزلت فى أهل الكتاب ثم تلا ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق
الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس الى قوله أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال ابن عباس سألهم النبى صلى الله
عليه وسلم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما قد سألهم عنه
فاستحمدوا بذلك اليه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ما سألهم عنه * وقال آخرون بل عنى بذلك قوم
من يهود أظهروا النفاق للنبى صلى الله عليه وسلم محبة منهم للحمد والله عالم منهم خلاف ذلك ذكر من
قال ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذكر لنا أن أعداء الله اليهود يهود

خبير

خيبر أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فزعموا انهم راضون بالذي جاء به وانهم متابعوه وهم متمسكون بضلالتهم وأرادوا أن يحمدهم نبي الله صلى الله عليه وسلم بما لم يفعلوا فأنزل الله تعالى لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال ان أهل خيبر أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا انا على رأيكم وهيئتكم وانا لكم ردء فأكذبهم الله فقال لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآيتين حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن الاعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة قال جاء رجل الى عبد الله فقال ان كعبا يقرأ عليك السلام ويقول ان هذه الآية لم تنزل فيكم لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا قال أخبره وانها نزلت وهو يهودي * وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية قول من قال عني بذلك أهل الكتاب الذين أخبر الله جل وعز أنه أخذ ميثاقهم ليبيننّ للناس أمر محمد صلى الله عليه وسلم ولا يكتمونه لان قوله لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا الآية في سياق الخبر عنهم وهو شبيه بقصتهم مع اتفاق أهل التأويل على أنهم المعنيون بذلك فاذ كان ذلك كذلك فتأويل الآية لا تحسبن يا محمد الذين يفرحون بما أتوا من كتمانهم الناس أمرك وأنك لي رسول مرسل بالحق وهم يجدونك مكتوبا عندهم في كتبهم وقد أخذت عليهم الميثاق بالاقرار بنبوتك وبيان أمرك للناس وأن لا يكتموهم ذلك وهم مع نقضهم ميثاقي الذي أخذت عليهم بذلك يفرحون بمعصيتهم اياي في ذلك ومخالفتهم أمري ويحبون أن يحمدهم الناس بانهم أهل طاعة لله وعبادة وصلاة وصوم واتباع لوحيه وتنزيله الذي أنزله على أنبيائه وهم من ذلك أبرياء أخلياء لتكذيبهم رسوله ونقضهم ميثاقه الذي أخذ عليهم لم يفعلوا شيأ مما يحبون أن يحمدهم الناس عليه فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم وقوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب فلا تظننهم بمنجاة من عذاب الله الذي أعده لاعدائه في الدنيا من الخسف والمسخ والرجف والقتل وما أشبه ذلك من عقاب الله ولا هم ببعيد منه كما حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب قال بمنجاة من العذاب قال أبو جعفر ولهم عذاب أليم يقول ولهم عذاب في الآخرة أيضا مؤلم مع الذي لهم في الدنيا معجل ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولله ملك السموات والارض والله على كل شئ قدير﴾ وهذا تكذيب من الله جل ثناؤه الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء يقول تعالى ذكره مكذبا لهم لله ملك جميع ما حوته السموات والارض فكيف يكون أيها المفترون على الله من كان ملك ذلك له فقيرا ثم أخبر جل ثناؤه أنه القادر على تعجيل العقوبة لقائلي ذلك ولكل مكذب به ومفتر عليه وعلى غير ذلك مما أراد وأحب ولكنه تفضل بحلمه على خلقه فقال والله على كل شئ قدير يعني من اهلاك قائلي ذلك وتعجيل عقوبته لهم وغير ذلك من الامور ۞ القول في تأويل قوله ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب﴾ وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره على قائل ذلك وعلى سائر خلقه بأنه المدبر المصرف الاشياء والمسخر ما أحب وان الاغناء والافقار اليه وبيده فقال جل ثناؤه تدبروا أيها الناس واعتبروا ففيما أنشأته فخلقته من السموات والارض لمعاشكم وأقواتكم

لضعف الآخر كما أن البدن يضعف وقت النوم وتقوى النفس على مشاهدة المغيبات ونقوش عالم الارواح وإذا أعرضت النفس عن الطعام والشراب وأقبلت على مطالعة العالم العلوي زادت سرورا وابتهاجا وفرحا وارتياحا وانطبعت فيها الجلايا القدسية وانكشفت لها المعارف الالهية وأكثر أرباب الشرع على أنهم أحياء في الحال بحياة جسمانية ثم منهم من قال انه تعالى يصعد أجسادهم الى السموات والى قناديل تحت العرش ويوصل أنواع السعادات والكرامات اليها ومنهم من قال بل يتركها في الارض ويحييها ويوصل هذه السعادات اليها ومن الناس من طعن في هذا القول وقال ان تجويز كون البدن الميت الملقى في التراب حيا متنعما عاقلا عارفا نوع من السفسطة والحق في هذه المسئلة عندي خلاف ما يقوله أهل التناسخ من أن النفس بعد موت بدنها تقبل على بدن آخر وتعرض عن الاول بالكلية وخلاف ما يقوله الفلاسفة من أن النفس تنقطع علاقتها عن البدن مطلقا وانما تلتذ أو تتألم هي بما اكتسبت من المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة أو بالعقائد الباطلة والملكات الذميمة والذي أقوله ان النفس تبقى لها علاقة مع بدنها الا بالتحريك واكتساب الاعمال ولكن بالتلذذ والتألم والتعقل ونحوها وليس ببدع أن يتغير التعلق بحسب تغير الاطوار كما كان يتغير في مدة العمر بحسب الاسنان والامزجة والتحقيق فيه أن النفس في هذا العالم جعلت متصرفة في البدن لاجل اكتساب الاعمال والملكات وانه يفتقر الى تحريك الاعضاء وأعمال الجوارح والآلات وبعد الموت تجعل متصرفة فيه من جهة الجزاء والحساب فكيف ينبغي أن يقاس أحدهما على الآخر فلعله يكفي بعد الموت أن يكون له علاقة التلذذ والتألم والادراك فقط الى أن تقوم القيامة الكبرى وهذا القدر لا ينافي كون البدن مشاهدا في القبر من غير تحرك ولا احساس ونطق ويؤيده ما روي انه صلى الله عليه وسلم وقف على قليب بدر وقال يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان هل وجدتم ما وعد كم الله ورسوله حقا فاني وجدت ما وعدني الله حقا فقال عمر يا رسول الله

كيف تكلم أجساداً لا أرواح فيها فقال ما أنتم بأسمع لما أقول منهم غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا عليّ شيئاً وفي حديث عذاب القبر أنه ليسمع
قرع نعالهم وعلل السر في أنه اكتفى بهذا القدر من التصرف أنه ان كان أكثر من ذلك كما سيكون في القيامة الكبرى نافى تكليف سائر
الاحياء وأفضى الامر الى الالجاء وهو السر (١٤٠) في آخر حديث عذاب القبر فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين وأما الشهداء
فلا يبعد أن يجازيهم الله تعالى
بمزيد التلذذ بنعيم الآخرة كما قتلوا
تعجيلا للثواب وكما عجلوا الانقطاع
عن طيبات الدنيا ومشتهياتها فان
جزاء كل طائفة ينبغي أن يناسب
عملهم فافهم هذه الاسرار فانها علق
مضنة وبه ثبت جميع ما ورد في
الشريعة الحقة والله أعلم ومعنى
عند ربهم أنهم مقربون ذوو كرامة
كقوله فالذين عند ربك أو المراد بحيث
لا يملك أحد جزاءهم سوى ربهم أو المراد
في علمه وحكمه كما يقال هذه المسئلة
عند الشافعي كذا يرزقون كما يرزق
سائر الاحياء يأكلون ويشربون
وهو تأكيد لكونهم أحياء ووصف
لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق
الله كما ورد في الحديث فرحين بما
آتاهم الله من فضله وهو توفيق الشهادة
وما خصصهم به من التفضيل على
غيرهم من قبل تعجيل رزق الجنة
ونعيمها وقال المتكلمون الثواب
منفعة خالصة دائمة مقرونة
بالتعظيم فقوله يرزقون اشارة الى
المنفعة وقوله فرحين اشارة الى
الابتهاج الحاصل بسبب التعظيم
وبلسان الحكماء يرزقون اشارة
الى كون ذواتهم مشرقة بالمعارف
الالهية وفرحين رمز الى ابتهاجها
بالنظر الى ينبوع النور ومصدر الكمال
ويستبشرون بالذين باخوانهم
من المجاهدين الذين لم يقتلوا فيلحقوا
بهم والاستبشار السرور الحاصل بالبشارة ومعنى من خلفهم أنهم بقوا — بالمسئلة
بعدهم وقيل لم يلحقوا بهم أي لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون بدل الاشتمال من الذين وذلك أن الله يبشرهم
بأن من تركوا خلفهم من المؤمنين يبعثون آمنين يوم القيامة فهم مستبشرون بأنه لا خوف عليهم وانما بشرهم الله بذلك لانهم لما

وأرزاقكم وفيما عاقبت بينه من الليل والنهار فجعلتهما يختلفان ويعتقبان عليكم تتصرفون في هذا لمعاشكم وتسكنون في هذا راحة لاجسادكم معتبر ومذكر وآيات وعظات فمن كان منكم ذا لب وعقل يعلم أن من نسبني الى أني فقير وهو غني كاذب مفتر فان ذلك كله بيدي أقلبه وأصرفه ولو أبطلت ذلك لهلكتم فكيف ينسب فقر الى من كان كل ما به عيش ما في السموات والارض بيده واليه أم كيف يكون غنيا من كان رزقه بيد غيره اذا شاء رزقه واذا شاء حرمه فاعتبروا يا أولي الالباب

القول في تأويل قوله ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ﴾ وقوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا من نعت أولي الالباب والذين في موضع خفض ردا على قوله لاولي الالباب ومعنى الآية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذاكرين الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يعني بذلك قياما في صلاتهم وقعودا في تشهدهم وفي غير صلاتهم وعلى جنوبهم نياما كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الآية قال هو ذكر الله في الصلاة وفي غير الصلاة وقراءة القرآن حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهذه حالاتك كلها يا ابن آدم فاذكره وأنت على جنبك يسرا من الله وتخفيفا فان قال قائل وكيف قيل وعلى جنوبهم فعطف بعلى وهي صفة على القيام والقعود وهما اسمان قيل لان قوله وعلى جنوبهم في معنى الاسم ومعناه ونياما أو مضطجعين على جنوبهم فحسن عطف ذلك على القيام والقعود لذلك المعنى كما قيل واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه أو قاعدا أو قائما فعطف بقوله أو قاعدا أو قائما على قوله لجنبه لان معنى قوله لجنبه مضطجعا فعطف بالقاعد والقائم على معناه فكذلك ذلك في قوله وعلى جنوبهم وأما قوله ويتفكرون في خلق السموات والارض فانه يعني بذلك أنهم يعتبرون بصنعة صانع ذلك فيعلمون أنه لا يصنع ذلك الا من ليس كمثله شيء ومن هو مالك كل شيء ورازقه وخالق كل شيء ومدبره ومن هو على كل شيء قدير وبيده الاغناء والافقار والاعزاز والاذلال والاحياء والاماتة والشقاء والسعادة

القول في تأويل قوله ﴿ ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ يعني بذلك تعالى ذكره ويتفكرون في خلق السموات والارض قائلين ربنا ما خلقت هذا باطلا فترك ذكر قائلين اذ كان فيما ظهر من الكلام دلالة عليه وقوله ما خلقت هذا باطلا يقول لم تخلق هذا الخلق عبثا ولا لعبا ولم تخلقه الا لأمر عظيم من ثواب وعقاب ومحاسبة ومجازاة وانما قال ما خلقت هذا باطلا ولم يقل ما خلقت هذه ولا هؤلاء لانه أراد بهذا الخلق الذي في السموات والارض يدل على ذلك قوله سبحانك فقنا عذاب النار ورغبتهم الى ربهم في أن يقيهم عذاب الجحيم ولو كان المعنى بقوله ما خلقت هذا باطلا السموات والارض لما كان لقوله عقيب ذلك فقنا عذاب النار معنى مفهوم لان السموات والارض أدلة على بارئها لا على الثواب والعقاب وانما الدليل على الثواب والعقاب الامر والنهي وانما وصف جل ثناؤه أولي الالباب الذين ذكرهم في هذه الآية أنهم اذا رأوا المأمورين المنهيين قالوا يا ربنا لم تخلق هؤلاء باطلا عبثا سبحانك يعني تنزيها لك من أن تفعل شيئا عبثا ولكنك خلقتهم لعظيم من الامر لجنة أو نار ثم فزعوا الى ربهم

فارقوا الدنيا بغتة كان ذلك مظنة أن يكون لهم نوع تعلق بأحوال اخوانهم وهو شبه تألم فأكرمهم الله تعالى بازالة ذلك التعلق بأن أعلمهم أن اخوانهم من عذاب الله فحصل لهم سرور ران من قبل حالهم في أنفسهم وذلك قوله فرحين بما آتاهم الله من فضله ومن قبل حال اخوانهم وأعزتهم وذلك قوله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم ثم كرر هذا المعنى لمزيد التأكيد فقال يستبشرون بنعمة من الله وهي الثواب وفضل وهو التفضل الزائد وهذا هو سرورهم بسعادة أنفسهم وأن الله أي وبأن الله لا يضيع أجر المؤمنين وهذا سرورهم بسعادة اخوانهم المؤمنين ثم انه تعالى مدح المؤمنين بغزوتين متصلتين بغزوة أحد تعرف أولاهما بغزوة حمراء الاسد والثانية بغزوة بدر الصغرى أما الاولى فاروى أن أبا سفيان وأصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وقالوا انا قتلنا أكثرهم ولم يبق منهم الا القليل فلم تركناهم فهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله فاراد أن يرهب الكفار ويريهم من نفسه ومن أصحابه قوتهم فندب أصحابه الى الخروج في طلب أبي سفيان وقال لا أريد الآن أن يخرج معي الا من حضر يومنا بالأمس فخرج في سبعين من الصحابة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال فالقى الله الرعب في قلوب المشركين وانهزموا فنزلت الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح للذين أحسنوا باتيان جميع المأمورات واتقوا بالانتهاء عن المحظورات وأحسنوا في طاعة الرسول واتقوا مخالفته وان بلغ الامر بهم الى الجراحات روي انه كان فيهم من يحمل صاحبه على عنقه ساعة ثم كان المحمول يحمل الحامل ساعة أخرى وكان فيهم من يتوكأ على صاحبه ساعة ويتوكأ عليه صاحبه ساعة ومن في قوله للذين أحسنوا منهم للتبيين لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وقال أبو بكر الاصم نزلت في يوم أحد لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم بالناس بعد الهزيمة فشد بهم على المشركين حتى كشفهم وكانوا قد هموا بالمثلة فدفعهم عنهم بعد أن مثلوا بحمزة فصلى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ودفنهم بدمائهم وذكروا

بالمسئلة أن يجيرهم من عذاب النار وأن لا يجعلهم ممن عصاه وخالف أمره فيكونوا من أهل جهنم

القول في تأويل قوله ﴿ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك فقال بعضهم معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من عبادك فتخلده فيها فقد أخزيته قال ولا يخزى مؤمن مصيره الى الجنة وان عذب بالنار بعض العذاب ذكر من قال ذلك حدثني أبو حفص الجبيري ومحمد بن بشار قالا أخبرنا المؤمل أخبرنا أبو هلال عن قتادة عن أنس في قوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال من تخلد حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن رجل عن ابن المسيب ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هي خاصة لمن لا يخرج منها حدثني المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم قال ثنا حماد بن زيد قال ثنا قبيصة بن مروان عن الاشعث الحملي قال قلت للحسن يا أبا سعيد أرأيت ما تذكر من الشفاعة حق هو قال نعم حق قال قلت يا أبا سعيد أرأيت قول الله تعالى ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته ويريدون أن يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها قال فقال لي انك والله لا تستطيع على شئ ان للنار أهلا لا يخرجون منها كما قال الله قال قلت يا أبا سعيد فيمن دخلوا ثم خرجوا قال كانوا أصابوا ذنوبا في الدنيا فأخذهم الله بها فأدخلهم بها ثم أخرجهم بما يعلم في قلوبهم من الايمان والتصديق به حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله انك من تدخل النار فقد أخزيته قال هو من يخلد فيها * وقال آخرون معنى ذلك ربنا انك من تدخل النار من مخلد فيها وغير مخلد فيها فقد أخزى بالعذاب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا الحرث بن مسلم عن يحيى بن عمرو ابن دينار قال قدم علينا جابر بن عبد الله في عمرة فانتهيت اليه أنا وعطاء فقلت ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته قال وما اخزاؤه حين أحرقه بالنار وان دون ذلك لخزيا وأولى القولين بالصواب عندي قول جابر ان من أدخل النار فقد أخزى بدخوله اياها وان أخرج منها وذلك أن الخزي انما هو هتك ستر المخزى وفضيحته ومن عاقبه ربه في الآخرة على ذنوبه فقد فضحه بعقابه اياه وذلك هو الخزي وأما قوله وما للظالمين من أنصار يقول وما لمن خالف أمر الله فعصاه من ذي نصرة له ينصره من الله فيدفع عنه عقابه أو ينقذه من عذابه

القول في تأويل قوله ﴿ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل المنادي الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية فقال بعضهم المنادي في هذا الموضع القرآن ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا قبيصة بن عقبة قال ثنا سفيان عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال هو الكتاب ليس كلهم لقي النبي صلى الله عليه وسلم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا منصور بن حكيم عن خارجة عن موسى بن عبيدة عن محمد بن كعب القرظي في قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ليس كل الناس سمع النبي صلى الله عليه وسلم ولكن المنادي القرآن * وقال آخرون بل هو محمد صلى الله عليه وسلم ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قوله اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال هو محمد صلى الله عليه وسلم حدثني يونس قال

أن صفية جاءت لتنظر الى أخيها حمزة فقال صلى الله عليه وسلم للزبير ردّها لئلا تجزع من مثلة أخيها فقالت قد بلغني ما فعل به وذلك يسير في جنب طاعة الله تعالى فقال للزبير فدعها تنظر اليه فقالت خيرا واستغفرت له وجاءت امرأة أخرى قد قتل زوجها وأبوها وأخوها وابنها فلما رأت الرسول صلى الله عليه وسلم وهو حي قالت ان كل مصيبة بعدك هدر وأما الثانية فروى ابن عباس ان أبا سفيان لما عزم أن ينصرف من المدينة الى مكة نادى يا محمد موعدنا موسم بدر الصغرى القابل فنقتتل بها ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم لعمر قل بيننا وبينك ذلك ان شاء الله فلما حضر الاجل خرج أبو سفيان مع قومه حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب في قلبه فبدا له أن يرجع فلقي نعيم بن مسعود الأشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا أن نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي أن أرجع ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جرأة فالحق بالمدينة وثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا بالرأي أتوكم في دياركم وقراركم فقتلوا أكثركم فان ذهبتم اليهم لم يرجع منكم أحد فوقع هذا الكلام في قلوب قوم منهم فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لأخرجن اليهم وحدي فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل الى أن وصلوا الى بدر الصغرى وهي ماء لبني كنانة وكانت موضع سوق لهم يجتمعون فيها كل عام ثمانية أيام فلم يلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أحدا من المشركين وكانت معهم تجارات ونفقات فوافوا السوق وباعوا ما معهم واشتروا بها أدما وزبيبا وربحوا وأصابوا بالدرهم درهمين وانصرفوا الى المدينة سالمين غانمين — ورجع أبو سفيان الى مكة فسمى أهل مكة جيشه جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق وأنزل الله في المؤمنين الذين قال لهم الناس يعني نعيم بن مسعود كما ذكرناه وانما عبر عن الانسان الواحد بالناس لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل وماله الا فرس واحد

أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى القولين في ذلك بالصواب قول محمد بن كعب وهو أن يكون المنادي القرآن لان كثيرا ممن وصفهم الله بهذه الصفة في هذه الآيات ليسوا ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولا عاينه فسمعوا دعاءه الى الله تبارك وتعالى ونداءه ولكنه القرآن وهو نظير قوله جل ثناؤه مخبرا عن الجن اذ سمعوا كلام الله يتلى عليهم انهم قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد و بنحو ذلك حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان الى قوله وتوفنا مع الابرار سمعوا دعوة من الله فأجابوها فأحسنوا الاجابة فيها وصبروا عليها ينبئكم الله عن مؤمن الانس كيف قال وعن مؤمن الجن كيف قال فأما مؤمن الجن فقال انا سمعنا قرآنا عجبا يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا وأما مؤمن الانس فقال اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا الآية وقيل اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان يعني ينادي الى الايمان كما قال تعالى ذكره الحمد لله الذي هدانا لهذا يعني هدانا الى هذا وكما قال الراجز

أوحى لها القرار فاستقرت * وشدّها بالراسيات الثبت

يعني أوحى اليها ومنه قوله بأن ربك أوحى لها وقيل يحتمل أن يكون معناه اننا سمعنا مناديا للايمان ينادي أن آمنوا بربكم فتأويل الآية اذا ربنا سمعنا داعيا يدعو الى الايمان يقول الى التصديق بك والاقرار بوحدانيتك واتباع رسولك وطاعته فيما أمرنا به ونهانا عنه مما جاء به من عندك فآمنا ربنا يقول فصدقنا بذلك يا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا يقول فاستر علينا خطايانا ولا تفضحنا بها في القيامة على رؤس الاشهاد بعقوبتك ايانا عليها ولكن كفرها عنا وسيئات أعمالنا فامحها بفضلك ورحمتك ايانا وتوفنا مع الابرار يعني بذلك واقبضنا اليك اذا قبضتنا اليك في عداد الابرار واحشرنا محشرهم ومعهم والابرار جمع بر وهم الذين بروا الله تبارك وتعالى بطاعتهم اياه وخدمتهم له حتى أرضوه فرضي عنهم ❁ القول في تأويل قوله ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد﴾ ان قال لنا قائل وما وجه مسئلة هؤلاء القوم ربهم أن يؤتيهم ما وعدهم وقد علموا أن الله منجز وعده وغير جائز أن يكون منه اخلاف موعد قيل اختلف في ذلك أهل البحث فقال بعضهم ذلك قول خرج مخرج المسئلة ومعناه الخبر قالوا وانما تأويل الكلام ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار لتؤتينا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة قالوا وليس ذلك على أنهم قالوا ان توفيتنا مع الابرار فأنجز لنا ما وعدتنا لانهم قد علموا أن الله لا يخلف الميعاد وان ما وعد على ألسنة رسله ليس يعطيه بالدعاء ولكنه تفضل بابتدائه ثم ينجزه وقال آخرون بل ذلك قول من قائله على معنى المسئلة والدعاء لله بان يجعلهم ممن آتاهم ما وعدهم من الكرامة على ألسن رسله لأنهم كانوا قد استحقوا منزلة الكرامة عند الله في أنفسهم ثم سألوه أن يؤتيهم ما وعدهم بعد علمهم باستحقاقهم عند أنفسهم فيكون ذلك منهم مسئلة لربهم أن لا يخلف وعده قالوا ولو كان القوم انما سألوا ربهم أن يؤتيهم ما وعد الابرار لكانوا قد زكوا أنفسهم وشهدوا لها أنها ممن قد استوجب كرامة الله وثوابه قالوا وليس ذلك صفة أهل الفضل من المؤمنين وقال آخرون بل قالوا هذا القول على وجه المسئلة والرغبة منهم الى الله أن

يؤتيهم

يؤتيهم ما وعدهم من النصر على أعدائهم من أهل الكفر والظفر بهم واعلاء كلمة الحق على الباطل فيعجل ذلك لهم قالوا ومحال أن يكون القوم مع وصف الله اياهم بما وصفهم به كانوا على غير يقين من أن الله لا يخلف الميعاد فيرغبوا الى الله جل ثناؤه فى ذلك ولكنهم كانوا وعدوا النصر ولم يوقت لهم فى تعجيل ذلك لهم لما فى تعجله من سرور الظفر وراحة الجسد والذى هو أولى الاقوال بالصواب فى ذلك عندى أن هذه الصفة صفة من هاجر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من وطنه وداره مفارقا لاهل الشرك بالله الى الله ورسوله وغيرهم من تباع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين رغبوا الى الله فى تعجيل نصرتهم على أعداء الله وأعدائهم فقالوا ربنا آتنا ما وعدتنا من نصرتك عليهم عاجلا فانك لا تخلف الميعاد ولكن لا صبر لنا على أناتك وحلمك عنهم فعجل حربهم ولنا الظفر عليهم يدل على صحة ذلك آخر الآية الاخرى وهو قوله فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا الآيات بعدها وليس ذلك مما ذهب اليه الذين حكيت قولهم فى شئ وذلك أنه غير موجود فى كلام العرب أن يقال افعل بنا يارب كذا وكذا بمعنى افعل بنا لكذا الذى ولو جاز ذلك لجاز أن يقول القائل الآخر أقبل الىّ وكلمنى بمعنى أقبل الىّ لتكلمنى وذلك غير موجود فى الكلام ولا معروف جوازه وكذلك أيضا غير معروف فى الكلام آتنا ما وعدتنا بمعنى اجعلنا ممن آتيته ذلك وان كان كل من أعطى شيأ سنيا فقد صير نظيرا لمن كان مثله فى المعنى الذى أعطيه ولكن ليس الظاهر من معنى الكلام ذلك وان كان قد يؤل معناه اليه فتأويل الكلام اذا ربنا أعطنا ما وعدتنا على ألسن رسلك أنك تعلى كلمتك كلمة الحق بتأييدنا على من كفر بك وحادّك وعبد غيرك وعجل لنا ذلك فانا قد علمنا أنك لا تخلف ميعادك ولا تخزنا يوم القيامة فتفضحنا بذنوبنا التى سلفت منا ولكن كفرها عنا واغفرها لنا وقد حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك قال يستنجز موعود الله على رسله ۞ القول فى تأويل قوله ﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾ يعنى تعالى ذكره فأجاب هؤلاء الداعين بما وصف الله عنهم أنهم دعوا به ربهم بأنى لا أضيع عمل عامل منكم عمل خير ذكرا كان العامل أو أنثى وذكر أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء فى الهجرة فأنزل الله تبارك وتعالى فى ذلك هذه الآية حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال قالت أم سلمة يارسول الله تذكر الرجال فى الهجرة ولا نذكر فنزلت أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى الآية حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار قال سمعت رجلا من ولد أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم يقول قالت أم سلمة يارسول الله لا أسمع الله يذكر النساء فى الهجرة بشئ فأنزل الله تبارك وتعالى فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى حدثنا الربيع بن سليمان قال ثنا أسد بن موسى قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن رجل من ولد أم سلمة عن أم سلمة أنها قالت يارسول الله لا أسمع الله ذكر النساء فى الهجرة بشئ فانزل الله

ولان الواحد اذا قال قولا وله أتباع يقولون مثل قوله ويرضون به حسن اضافة ذلك الفعل الى الكل كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا وحين قال نعيم ذلك القول لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه وقال ابن عباس ومحمد بن اسحق مر ركب من عبد القيس بأبى سفيان فدسهم الى المسلمين ليخوفوهم وضمن لهم عليه جعلا حمل بعير من زبيب وقال السدى هم منافقو المدينة كانوا يثبطون المسلمين عند الخروج ويقولون ان الناس قد جمعوا لكم يعنى أبا سفيان وأصحابه والمفعول محذوف أى جمعوا لكم الجموع والعرب تسمى الجيش جمعا فاخشوهم فزادهم قول نعيم أو قول المثبطين ايمانا لانهم لم يسمعوا قولهم وأخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد وأظهروا حمية الاسلام فكان ذلك أثبت ليقينهم وأقوى لاعتقادهم واستدل بالآية من قال ان الطاعات داخلة فى مسمى الايمان وانه يزيد وينقص بحسب زيادتها ونقصانها وأما من قال الايمان عبارة عن نفس التصديق فتأويله أن الزيادة وقعت فى ثمرات الايمان ولكنها جعلت فى الايمان مجازا وقد مر تحقيق الكلام لنا فى هذا المعنى فى أوائل الكتاب وكأنهم أضمروا ذلك بحسب الاعتقاد وافقوا الخليل عليه السلام حين ألقى فى النار فاظهروه باللسان وقالوا حسبنا الله وقد مر اعراب مثله فى البقرة فى قوله فحسبه جهنم ونعم الوكيل الكافى أو الكافل أو الموكول اليه هو ثم عملوا بما اعتقدوه وقالوه فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله وهى العافية وفضل وهو الربح بالتجارة أو النعمة منافع الدنيا والفضل ثواب الآخرة لم يمسسهم سوء لم يصبهم قتل ولا جراح وصفهم بأنه حصل لهم الملائم ولم يحصل لهم المنافى وهذه غاية المطالب ونهاية الامانى وان ذلك ثمرة الاخلاص والتوكل على الله سبحانه وتعالى ثم روى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فقال تعالى واتبعوا رضوان الله ليعلموا أن لهم ثواب المجاهدين حيث قضوا ما عليهم ثم قال والله ذو فضل عظيم تنبيها على أن السبب الكلى فى ثواب المطيعين هو فضل ربهم ورحمته عليهم ولم ينج أحدا عمله الا أن يتغمده الله برحمته فعلى المؤمن أن لا يثق الا بالله ولا يخاف أحدا الا اياه وذلك

تعالى فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض وقيل
فاستجاب لهم بمعنى فأجابهم كما قال الشاعر

وداع دعا يامن يجيب الى الندا * فلم يستجبه عند ذاك مجيب

بمعنى فلم يجبه عند ذاك مجيب وأدخلت من في قوله من ذكر أو أنثى على الترجمة والتفسير عن قوله
منكم بمعنى لا أضيع عمل عامل منكم من الذكور والاناث وليست من هذه بالتي يجوز اسقاطها
وحذفها من الكلام في الجحد لانها دخلت بمعنى لا يصلح الكلام الا به وزعم بعض نحويي البصرة
انها دخلت في هذا الموضع كما تدخل في قولهم قد كان من حديث قال ومن ههنا أحسن لان النهي
قد دخل في قوله لا أضيع وأنكر ذلك بعض نحويي الكوفة وقال لا تدخل من وتخرج الا في موضع
الجحد وقال قوله لا أضيع عمل عامل منكم لم يدركه الجحد لانك لا تقول لا أضرب غلام رجل في الدار
ولا في البيت فيدخل ولا لأنه لم ينله الجحد ولكن من مفسرة وأما قوله بعضكم من بعض فانه يعني
بعضكم أيها المؤمنون الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم من بعض في النصرة والملة
والدين وحكم جميعكم فيما أنا بكم فاعل على حكم أحدكم في أني لا أضيع عمل ذكر منكم ولا أنثى
القول في تأويل قوله {فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقتلوا
لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن
الثواب} يعني بقوله جل ثناؤه فالذين هاجروا قومهم من أهل الكفر وعشيرتهم في الله الى اخوانهم
من أهل الايمان بالله والتصديق برسوله وأخرجوا من ديارهم وهم المهاجرون الذين أخرجهم
مشركو قريش من ديارهم بمكة وأوذوا في سبيلي يعني وأوذوا في طاعتهم ربهم وعبادتهم اياه مخلصين
له الدين وذلك هو سبيل الله التي آذى فيها المشركون من أهل مكة المؤمنين برسول الله صلى الله عليه
وسلم من أهلها وقاتلوا يعني وقاتلوا في سبيل الله وقتلوا فيها لأكفرن عنهم سيئاتهم يعني لأمحونها عنهم
ولأتفضلن عليهم بعفوي ورحمتي ولأغفرنها لهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا
يعني جزاء لهم على ما عملوا وأبلوا في الله وفي سبيله من عند الله يعني من قبل الله لهم والله عنده حسن
الثواب يعني أن الله عنده من جزاء أعمالهم جميع صنوفه وذلك ما لا يبلغه وصف واصف لأنه
مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر كما حدثنا عبد الرحمن بن وهب قال ثنا عمي
عبد الله بن وهب قال ثني عمرو بن الحرث أن أبا عشانة المعافري حدثه أنه سمع عبد الله بن عمرو بن
العاص يقول لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان أول ثلة تدخل الجنة لفقراء
المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره اذا أمروا سمعوا وأطاعوا وان كانت لرجل منهم حاجة الى السلطان
لم تقض حتى يموت وهي في صدره وان الله يدعو يوم القيامة الجنة فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول
أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا وأوذوا في سبيلي وجاهدوا في سبيلي ادخلوا الجنة فيدخلونها
بغير عذاب ولا حساب وتأتي الملائكة فيسجدون ويقولون ربنا نحن نسبح لك الليل والنهار ونقدس
لك من هؤلاء الذين آثرتهم علينا فيقول الرب جل ثناؤه هؤلاء عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وأوذوا
في سبيلي فتدخل الملائكة عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار واختلفت

القراء

قوله انما ذلكم المثبط هو الشيطان لعتوّه وتمرده واغوائه ثم بين شيطنته بقوله يخوّف أولياءه أو الشيطان صفة اسم الاشارة وهذه الجملة خبر
والمفعول الاول محذوف أي يخوّفكم أولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين فان الايمان يقتضي أن تؤثروا خوف الله على خوف الناس
الذين هم أولياء المثبطين والأولياءهم أبو سفيان وأصحابه وقيل الشيطان هو ابليس وقيل المضاف محذوف والتقدير
انما ذلكم قول الشيطان وقيل
يخوّف أولياءه القاعدين عن الخروج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعلى هذا فالضمير في فلا تخافوهم
للناس في قوله ان الناس قد جمعوا
لكم وقيل التقدير يخوّفكم بأوليائه
كقوله ويخوّفونك بالذين من دونه
فحذف حرف الجر قاله الفراء والزجاج
وأبو علي وزيفه ابن الانباري بان
التخويف قد يتعدى بنفسه الى
مفعولين فلا ضرورة الى اضمار
حرف الجر الله حسبي * التأويل قد
ذكرنا أن النفس يبقى لها نوع
تعلق ببدنها فالآن نقول ان روح
الشهيد مخصوص بمزيد تعلق ببدنه
جزاء له على تعجيل اذاقة مرارة
الفراق عن الدنيا ولهذا لا تبلى
أجساد كثير منهم وتبقى غضة طرية
وكأنهم هم الشهداء في الحقيقة
وهكذا أجساد الكاملين من النبيين
والصديقين الذين قتلوا أنفسهم
بسيوف الرياضات ومطارف الاذكار
وأسنة ألسنة الطاعنين وتجرع
سموم مخالفات النفس ومكايدة
الشيطان حتى ماتوا بالارادة وحيوا
بالطبيعة وليس كل تعلق بهذا
العالم سببا للتألم بل بعضه سبب
اللذة والابتهاج ياليت قومي
يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني
من المكرمين وكما ورد في حديث
الشهداء من يبلغ اخواننا عنا انا
في الجنة والذي جاء فيه أن أرواحهم
في أجواف طير خضر فلعل ذلك جزاء لهم على خروج الدم والأبخرة اللطيفة منهم ظلما فمن الممكن أن
يخلق الله تعالى من ذلك جسما لطيفا شبه طائر ويكون لروح الشهيد به مزيد تعلق حتى يحركه ويطير حيث شاء من السماء والارض
والى الجنة باذن الله تعالى وأما كون الطير خضرا فامالأن بدن الميت يميل الى الخضرة واما أن يكون عبارة عن النضرة تعرف في وجوههم

نضرة النعيم وأما الآن حالهم بالنسبة الى مايؤل اليه أهل الجنة والنار يوم القيامة كالمتوسط بين الحالين اللذين يعبر عنهما بالبياض والسواد في قوله يوم تبيض وجوه وتسود وجوه وهذه المعاني ماوجدتها في كتب التفسير والتأويل وأرجو أن أكون مصيبا فيها الغرض والله تعالى ورسوله أعلم بمرادهما (ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر انهم لن يضروا الله (١٤٥) شيأ يريد الله ألا يجعل لهم حظا في الآخرة

القراء في قراءة قوله وقاتلوا وقتلوا فقرأه بعضهم وقتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قتلوا من قتلوا من المشركين وقرأ ذلك آخرون وقاتلوا وقتلوا بتشديد قتلوا بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلهم المشركون بعضا بعد بعض وقتلا بعد قتل وقرأ ذلك عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف بمعنى أنهم قاتلوا المشركين وقتلوا وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا بمعنى أن بعضهم قتل وقاتل من بقي منهم والقراءة التي لا أستجيز أن أعدوها احدى هاتين القراءتين وهي وقاتلوا وقتلوا بالتخفيف أو وقتلوا بالتخفيف وقاتلوا لانها القراءة المنقولة نقل وراثة وماعداهما فشاذ وبأي هاتين القراءتين التي ذكرت أني لا أستجيز أن أعدوهما قرأ قارئ فمصيب في ذلك الصواب من القراءة لاستفاضة القراءة بكل واحدة منهما في قراء الاسلام مع اتفاق معنيهما

القول في تأويل قوله (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد) يعني بذلك جل ثناؤه ولا يغرنك يا محمد تقلب الذين كفروا في البلاد يعني تصرفهم في الارض وضربهم فيها كما حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد قال ثنا أسباط عن السدي لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد يقول ضربهم في البلاد فنهى الله تعالى ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم عن الاغترار بضربهم في البلاد وامهال الله اياهم مع شركهم وجحودهم نعمه وعبادتهم غيره وخرج الخطاب بذلك للنبي صلى الله عليه وسلم والمعني به غيره من أتباعه وأصحابه كما قد بينا فيما مضى قبل من أمر الله ولكن كان بأمر الله صادعا والى الحق داعيا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال قتادة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد والله ماغروا نبي الله ولا وكل اليهم شيأ من أمر الله حتى قبضه الله على ذلك وأما قوله متاع قليل فانه يعني أن تقلبهم في البلاد وتصرفهم فيها متعة يمتعون بها قليلا حتى يبلغوا آجالهم فتخترمهم منياتهم ثم مأواهم جهنم بعد مماتهم والمأوى المصير الذي يأوون اليه يوم القيامة فيصيرون فيه ويعني بقوله وبئس المهاد وبئس الفراش والمضجع جهنم

القول في تأويل قوله (لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار) يعني بذلك جل ثناؤه لكن الذين اتقوا ربهم لكن الذين اتقوا الله بطاعته واتباع مرضاته في العمل بما أمرهم به واجتناب مانهاهم عنه لهم جنات يعني بساتين تجري من تحتها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا نزلا من عند الله يعني انزالا من الله اياهم فيها أنزلهموها ونصب نزلا على التفسير من قوله لهم جنات تجري من تحتها الانهار كما يقال لك عند الله جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا وكما يقال هو لك صدقة وهو لك هبة وقوله من عند الله يعني من قبل الله ومن كرامة الله اياهم وعطاياه لهم وقوله وماعند الله خير للابرار يقول وماعند الله من الحياة والكرامة وحسن المآب خير للابرار مما يتقلب فيه الذين كفروا فان الذي يتقلبون فيه زائل فان وهو قليل من المتاع خسيس وماعند الله خير من كرامته للابرار وهم أهل طاعته باق غير فان ولا زائل حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله وماعند الله خير للابرار قال لمن يطيع الله حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن الاعمش عن خيثمة عن الاسود عن عبد الله

ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيأ ولهم عذاب أليم ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن أغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن

 من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والارض والله

على كل شئ قدير ﴾ القراآت ولا يحزنك من الافعال حيث كان الاقوله لا يحزنهم الفزع الاكبر نافع ومثله ليحزنني وليحزن الذين آمنوا وقرأ
يزيد على ضده الباقون بفتح الياء وضم الراء ولا خلاف في مثل يحزنون ولا تحزن مما هو لازم ولا يحسبن وثلاثة بعدها بالياء التحتانية مع ضم
الباء في تحسبنهم أبو عمرو وابن كثير وقرأ حمزة (١٤٦) كلها بتاء الخطاب وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر ويعقوب كلها بالتحتانية الاقوله
فلا تحسبنهم فانها بالتاء وفتح الباء
الباقون الاوليان على الغيبة
والاخريان بالخطاب عن بالتشديد
حيث كان حمزة وعلي وخلف
وسهل ويعقوب عباس مخير
الباقون خفيف بفتح الياء وكسر
الميم يعملون خبير بياء الغيبة ابن
كثير ويعقوب وأبو عمرو لقد سمع
وبابه مدغما أبو عمرو وحمزة وعلي
وخلف وهشام سيكتب بضم الياء
وفتح التاء وقتلهم برفع اللام ويقول
على الغيبة حمزة الباقون بالنون فيهما
على التكلم ونصب اللام في وقتلهم
وبالزبر ابن عامر وبالكتاب الحلواني
عن هشام الباقون بغير اعادة الخافض
فيهما زحزح عن مدغما شجاع
وأبو شعيب من طريق العطار
وابن مهران ليبيننه ولا يكتمونه
بالياء فيهما لانهم غيب ابن كثير وأبو
عمرو ويعقوب غير رويس وأبو بكر
وحماد الباقون بتاء الخطاب فيهما
على حكاية مخاطبتهم * الوقوف في
الكفر ج للابتداء بان ولاحتمال
اضمار اللام أو الفاء شيأ ط في
الآخرة ج لعطف المختلفتين مع
اتحاد مقصود الكلام عظيم ٥ شيأ ج
لما ذكر في الآخرة ط أليم ٥ لانفسهم
ط اثما ج لما ذكر أيضا مهين ٥
من الطيب ط ورسله ط عظيم ٥
خيرا لهم ط شر لهم ط القيامة ط
والارض ط خبير ٥ أغنياء م
لئلا يصير ما بعده من مقولهم ومن
قرأ بضم الياء فوقفه مطلق بغير حق ج لمن قرأ ويقول بالياء لان التقدير ويقول الله أو يقول الزبانية فلا
ينعطف على قوله سيكتب مع اتساق المعنى الحريق ٥ للعبيد ج ٥ لاحتمال الصفة وأن يكون المراد هم الذين والوقف أولى لانه لا يظلم العبيد
مطلقا الا العبيد الموصوفة نعم لو كان بدلا من الذين قالوا ان الله فقير صح تأكله النار ط صادقين ٥ المنير ٥ الموت ط يوم

قال ما من نفس برة ولا فاجرة الا والموت خير لها ثم قرأ عبد الله وما عند الله خير للابرار وقرأ هذه الآية
ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن
أبي جعفر عن فرج بن فضالة عن لقمان عن أبي الدرداء أنه كان يقول ما من مؤمن الا والموت خير
له وما من كافر الا والموت خير له ومن لم يصدقني فان الله يقول وما عند الله خير للابرار ويقول ولا
يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما * القول في تأويل
قوله ﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون
بآيات الله ثمنا قليلا﴾ اختلف أهل التأويل فيمن عنى بهذه الآية فقال بعضهم عنى بها أصحمة
النجاشي وفيه أنزلت ذكر من قال ذلك حدثنا عصام بن زياد بن رواد بن الجراح قال
ثنا أبي قال ثنا أبو بكر الهذلي عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن جابر بن عبد الله أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اخرجوا فصلوا على أخ لكم فصلى بنا فكبر أربع تكبيرات فقال هذا النجاشي
أصحمة فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط فانزل الله وان من أهل الكتاب
لمن يؤمن بالله حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنا أبي عن قتادة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان أخاكم النجاشي قد مات فصلوا عليه قالوا يصلي على رجل ليس بمسلم قال فنزلت وان من
أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله قال قتادة فقالوا فانه كان
لا يصلي الى القبلة فانزل الله ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله حدثنا بشر قال ثنا يزيد
قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ذكر
لنا أن هذه الآية نزلت في النجاشي وفي ناس من أصحابه آمنوا بنبي الله صلى الله عليه وسلم وصدقوا به
قال وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم استغفر للنجاشي وصلى عليه حين بلغه موته قال لاصحابه
صلوا على أخ لكم قد مات بغير بلادكم فقال أناس من أهل النفاق يصلي على رجل مات ليس من أهل
دينه فانزل الله هذه الآية وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله
لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب حدثنا
الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وان من أهل الكتاب لمن
يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم قال نزلت في النجاشي وأصحابه ممن آمن بالنبي صلى الله عليه
وسلم واسم النجاشي أصحمة حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال قال عبد الرزاق وقال ابن عيينة اسم
النجاشي بالعربية عطية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال لما
صلى النبي صلى الله عليه وسلم على النجاشي طعن في ذلك المنافقون فنزلت هذه الآية وان من أهل
الكتاب لمن يؤمن بالله الى آخر الآية وقال آخرون بل عنى بذلك عبد الله بن سلام ومن معه ذكر من
قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال نزلت يعني هذه
الآية في عبد الله بن سلام ومن معه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني ابن زيد في قوله
وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم الآية كلها قال هؤلاء يهود وقال
آخرون بل عنى بذلك مسلمة أهل الكتاب ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا
شبل

القيامة ط لابتداء شرط فى أمر معظم فقد فاز ط الغرور ٥ كثيرا ط الامور ٥ ولا تكتمونه ز لأن الجلتين وان اتفقتا لم يكن النبذ متصلا بأخذ الميثاق فلم يضف الى ظرف اذ قليلا ط يشترون ٥ من العذاب ج لماذ كر أليم ٥ والارض ط قدير ٥ * (التفسير) نزلت فى كفار قريش وانه تعالى جعل رسوله آمنا من شرهم وأتاح العاقبة له وان جمعوا (١٤٧) الجموع وجهزوا الجيوش حتى يظهر هذا الدين على الاديان كلها وقيل فى المنافقين ومسارعتهم هى أنهم كانوا يخوّفون المؤمنين بسبب واقعة أحد ويؤيسونهم من النصر والظفر ور بما يقولون ان محمدا طالب ملك فتارة يكون الامر له وتارة يكون عليه ولو كان رسولا ما غلبه أحد وقيل ان قوما من الكفار أسلموا ثم ارتدوا خوفا من قريش فاغتم النبي صلى الله عليه وسلم لذلك فبين الله تعالى أن ردتهم لا تؤثر فى لحوق ضرر بك ونصر بعضهم هذا القول بأن المسارعة وهى شدة الرغبة فى الكفر انما تناسب من كفر بعد الايمان المستمر على الكفر وبان ارادته أن لا يجعل لهم حظا فى الاخرة انما تليق بمن آمن فاستوجب الحظ ثم أحبط وبأن الحزن انما يكون على فوات أمر مقصود وذلك هو ما قدر النبي صلى الله عليه وسلم من الانتفاع بايمانهم أو انتفاعهم بالايمان فبين الله تعالى أنه لا يلحق بسبب فوات ذلك ضرر بالدين وأن وبال ذلك يعود عليهم كما دل عليه بقية الآية فان قيل الحزن على كفر الكافر وعلى معصية العاصى طاعة فكيف نهى نبي الله عن ذلك فالجواب أنه نهى عن الاسراف فى الحزن بحيث يأتى عليه ونظيره لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين أو المراد لا يحزنوك لخوف أن يضروك ويعينوا عليك انهم لن يضروا الله

شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم من اليهود والنصارى وهم مسلمة أهل الكتاب * وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية ما قاله مجاهد وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله وان من أهل الكتاب أهل الكتاب جميعا فلم يخصص منهم النصارى دون اليهود ولا اليهود دون النصارى وانما أخبر أن من أهل الكتاب من يؤمن بالله وكلا الفريقين أعنى اليهود والنصارى من أهل الكتاب * فان قال قائل فما أنت قائل فى الخبر الذى رويت عن جابر وغيره أنها نزلت فى النجاشى وأصحابه قيل ذلك خبر فى اسناده نظر ولو كان صحيحا لا شك فيه لم يكن لما قلنا فى معنى الآية خلاف وذلك أن جابرا ومن قال بقوله انما قالوا نزلت فى النجاشى وقد تنزل الآية فى الشئ ثم يعم بها كل من كان فى معناه فالآية وان كانت نزلت فى النجاشى فان الله تبارك وتعالى قد جعل الحكم الذى حكم به للنجاشى حكما لجميع عباده الذين هم بصفة النجاشى فى اتباعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والتصديق بما جاءهم به من عند الله بعد الذى كانوا عليه قبل ذلك من اتباع أمر الله فيما أمر به عباده فى الكتابين التوراة والانجيل فاذا كان ذلك كذلك فتأويل الآية وان من أهل الكتاب التوراة والانجيل لمن يؤمن بالله فيقر بوحدانيته وما أنزل اليكم أيها المؤمنون يقول وما أنزل اليكم من كتابه ووحيه على لسان رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وما أنزل اليهم يعنى وما أنزل على أهل الكتاب من الكتب وذلك التوراة والانجيل والزبور خاشعين لله يعنى خاضعين لله بالطاعة مستكينين له بها متذللين كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى ابن زيد فى قوله خاشعين لله قال الخاشع المتذلل لله الخائف ونصب قوله خاشعين لله على الحال من قوله لمن يؤمن بالله وهو حال مما فى يؤمن من ذكر من لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا يقول لا يحرفون ما أنزل اليهم فى كتبه من نعت محمد صلى الله عليه وسلم فيبدلونه ولا غير ذلك من أحكامه وحججه فيه لعرض من الدنيا خسيس يعطونه على ذلك التبديل وابتغاء الرياسة على الجهال ولكن ينقادون للحق فيعملون بما أمرهم الله به فيما أنزل اليهم من كتبه وينتهون عما نهاهم عنه فيها ويؤثرون أمر الله تعالى على هوى أنفسهم ۞ القول فى تأويل قوله ﴿أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه أولئك لهم أجرهم هؤلاء الذين يؤمنون بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم لهم أجرهم عند ربهم يعنى لهم عوض أعمالهم التى عملوها وثواب طاعتهم ربهم فيما أطاعوه فيه عند ربهم يعنى مدخور ذلك لهم لديه حتى يصيروا اليه فى القيامة فيوفيهم ذلك ان الله سريع الحساب وسرعة حسابه تعالى ذكره أنه لا يخفى عليه شئ من أعمالهم قبل أن يعملوها وبعد ما عملوها فلا حاجة به الى احصاء عدد ذلك فيقع فى الاحصاء ابطاء فلذلك قال ان الله سريع الحساب ۞ القول فى تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا﴾ اختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا الكفار ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنا المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن المبارك بن فضالة عن الحسن انه سمعه يقول فى قول الله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا قال أمرهم أن يصبروا على دينهم ولا يدعوه لشدة ولا رخاء ولا سراء ولا ضراء وأمرهم أن يصابروا الكفار وأن يرابطوا المشركين حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن

أى دينه شيأ من الضرر يريد الله ألا يجعل لهم حظا فى الآخرة فيه دليل على أن ارادة الله تتعلق بالعدم وتنصيص على أن الخير والشر والنفع والضر بارادة الله ومعنى قوله ولهم عذاب عظيم أنه كما لا حظ لهم من منافع الآخرة فلهم حظ عظيم من مضارها وفى الاخبار عن ارادة عدم الجعل دون الاخبار عن عدم الجعل اشعار بأن استحقاقهم للحرمان بلغ الى حدّ أراد أرحم الراحمين أن لا يرحمهم وان الداعى

الى تعذيبهم خلص خلوصا لم يبق معه صارف البتة ثم أنزل فى اليهود خاصة وهو الاشبه أو فى الكفار عامة ان الذين اشتروا الآية والغرض تأكيد تقوية قلب الرسول كأنه قيل ان أكثرهم ينازعونك فى الدين لا لاجل شبهة لهم بل بناء على الحسد والمنازعة فى منصب الدنيا ومن كان عقله هذا القدر وهو أن يبيع بالقليل من الدنيا السعادة الكثيرة فى الآخرة كان فى غاية الحماقة ومثله لا يقدر على الحاق

قتادة قوله يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا أى اصبروا على طاعة الله وصابروا أهل الضلالة ورابطوا فى سبيل الله واتقوا الله لعلكم تفلحون حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا يقول صابروا المشركين ورابطوا فى سبيل الله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج اصبروا على الطاعة وصابروا أعداء الله ورابطوا فى سبيل الله حدثنى يحيى بن أبى طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على ما أمرتم به وصابروا العدو ورابطوهم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على دينكم وصابروا وعدى اياكم على طاعتكم لى ورابطوا أعداءكم ذكر من قال ذلك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد ابن كعب القرظى انه كان يقول فى هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا يقول اصبروا على دينكم وصابروا الوعد الذى وعدتكم ورابطوا عدوى وعدوكم حتى يترك دينه لدينكم وقال آخرون معنى ذلك اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوهم ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا جعفر بن عون قال أخبرنا هشام بن سعد عن زيد بن أسلم فى قوله اصبروا وصابروا ورابطوا قال اصبروا على الجهاد وصابروا عدوكم ورابطوا على عدوكم حدثنى المثنى قال ثنا مطرف بن عبد الله المزنى قال ثنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم قال كتب أبو عبيدة بن الجراح الى عمر بن الخطاب فذكر له جموعا من الروم وما يتخوف منهم فكتب اليه عمر أما بعد فانه مهما نزل بعبد مؤمن منزلة شدة يجعل الله بعدها فرجا وانه لن يغلب عسر يسرين وان الله يقول فى كتابه يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال آخرون معنى ورابطوا أى رابطوا على الصلوات أى انتظروها واحدة بعد واحدة ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال ثنى داود بن صالح قال قال لى أبو سلمة ابن عبد الرحمن يا ابن أخى هل تدرى فى أى شئ نزلت هذه الآية اصبروا وصابروا ورابطوا قال قلت لا قال انه يا ابن أخى لم يكن فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم غزو يرابط فيه ولكنه انتظار الصلاة خلف الصلاة حدثنى أبو السائب قال ثنا ابن فضيل عن عبد الله بن سعيد المقبرى عن جده عن شرحبيل عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يكفر الله به الذنوب والخطايا اسباغ الوضوء على المكاره وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلك الرباط حدثنا موسى بن سهل الرملى قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا محمد بن مهاجر قال ثنى يحيى بن يزيد عن زيد بن أبى أنيسة عن شرحبيل عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويكفر به الذنوب قال قلنا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء فى أماكنها وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط حدثنا أبو كريب قال ثنا خالد بن مخلد قال ثنا محمد بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على ما يحط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط حدثنا

القاسم

الضرر بالغير ولو قيل ان الآية فى المرتدين فالمعنى أن اختيار دين بعد دين ثم الارتداد على العقبين يدل على الاضطراب وضعف الرأى والانسان المضطرب الحال لا قدرة له على ايصال الضرر الى الغير ثم بين أن بقاء المنافقين المتخلفين عن الجهاد والكفار الذين بقوا بعد شهداء أحد لا خير فيه فقال ولا يحسبن من قرأ بالياء فقوله الذين كفروا فاعل وان مع ما فى حيزه ساد مسد مفعوليه ومن قرأ بتاء الخطاب فالذين كفروا مفعول أول وان مع ما فى حيزه بدل منه وصح الابدال وان لم يعض الأحد المفعولين لان المبدل فى حكم المنحى ألا ترى أنك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع السكوت على متاعك والتقدير ولا تحسبن الذين كفروا أن املائى خير لهم على أن ما مصدرية ويجوز أن يقدر مضاف محذوف أى لا تحسبنهم أصحاب أن الاملاء خير لهم أو لا تحسبن حال الذين كفروا أن الاملاء خير لأنفسهم قال الاصمعى يقال أملى عليه الزمان أى طال وأملى له أى طول له وأمهله قال أبو عبيدة ومنه الملا للأرض الواسعة الطويلة والملوان الليل والنهار ويقال أقمت عنده ملاوة من الدهر أى حينا وبرهة وانما نصب على التمييز وفى وصف العذاب أولا بالعظيم ثم بالأليم ثم بالاهانة تدرج من الأهون الى الأشق وفيه من الوعيد والسخط ما لا يخفى قالت الاشاعرة ههنا ان اطالة المدة من فعل الله لا شك فيه والآية دلت على أنها ليست بخير ففيه دلالة على أنه سبحانه فاعل الخير والشر وأيضا انه نص على أن الغرض من هذا الاملاء أن يزدادوا اثما فاذن الكفر والمعاصى بارادة الله وأيضا أخبر عنهم أنه لا خير لهم فيه وأنهم لا يحصلون منه الا على ازدياد البغى

والاثم والاتيان بخلاف خبر الله تعالى محال فعلمنا أنهم مجبورون على ذلك فى صورة مختارين أجابت المعتزلة بان المراد أن هذا الاملاء ليس خيرا من موت الشهداء اذ الآية من تتمة قصة أحد لا أنه ليس بخير مطلقا وزيف بان بناء المبالغة لا يجوز ذكره الا مع المفضل عليه لكنه لم يذكر فعلمنا أنه لنفى الخيرية لا لنفى كونه خيرا من شئ آخر وعن الثانى أن

ازدياد الاثم علة للاملاء وليس كل علة بغرض

القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا اسمعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم بنحوه * وأولى التأويلات بتأويل الآية قول من قال فى ذلك يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله اصبروا على دينكم وطاعة ربكم وذلك أن الله لم يخصص من معانى الصبر على الدين والطاعة شيأ فيجوز اخراجه من ظاهر التنزيل فلذلك قلنا انه عنى بقوله اصبروا الامر بالصبر على جميع معانى طاعة الله فيما أمر ونهى صعبها وشديدها وسهلها وخفيفها وصابروا يعنى وصابروا أعداءكم من المشركين وانما قلنا ذلك أولى بالصواب لان المعروف من كلام العرب فى المفاعلة أن تكون من فريقين أو اثنين فصاعدا ولا تكون من واحد الا قليلا فى أحرف معدودة واذ كان ذلك كذلك فانما أمر المؤمنون أن يصابروا غيرهم من أعدائهم حتى يظفرهم الله بهم ويعلى كلمته ويخزى أعداءهم والا يكن عدوهم أصبر منهم وكذلك قوله ورابطوا معناه ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم من أهل الشرك فى سبيل الله وأرى أن أصل الرباط ارتباط الخيل للعدو كما ارتبط عدوهم لهم خيلهم ثم استعمل ذلك فى كل مقيم فى ثغر يدفع عمن وراءه من أراده من أعدائهم بسوء ويحمى عنهم من بينه وبينهم ممن بغاهم بشر كان ذا خيل قد ارتبطها أو ذا رجلة لا مركب له وانما قلنا معنى ورابطوا ورابطوا أعداءكم وأعداء دينكم لان ذلك هو المعنى المعروف من معانى الرباط وانما توجه الكلام الى الاغلب المعروف فى استعمال الناس من معانيه دون الخفى حتى يأتى بخلاف ذلك ما يوجب صرفه الى الخفى من معانيه حجة يجب التسليم لها من كتاب أو خبر عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو اجماع من أهل التأويل ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره واتقوا الله أيها المؤمنون واحذروه أن تخالفوا أمره وتتقدموا نهيه لعلكم تفلحون يقول لتفلحوا فتبقوا فى نعيم الابد وتنجحوا فى طلباتكم عنده كما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنى أبو صخر عن محمد بن كعب القرظى أنه كان يقول فى قوله واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا الله فيما بينى وبينكم لعلكم تفلحون غدا اذا لقيتمونى * آخر تفسير سورة آل عمران

﴿القول فى تفسير السورة التى يذكر فيها النساء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

۞ القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة﴾ قال أبو جعفر يعنى بقوله تعالى ذكره يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة احذروا أيها الناس ربكم فى أن تخالفوه فيما أمركم وفيما نهاكم فيحل بكم من عقوبته ما لا قبل لكم به ثم وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الانام من شخص واحد وعرف عباده كيف كان مبتدأ انشائه ذلك من النفس الواحدة ومنبههم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة وأن بعضهم من بعض وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الاخ على أخيه لاجتماعهم فى النسب الى أب واحد وأم واحدة وأن الذى يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض وان بعد التلاقى فى النسب الى الاب الجامع بينهم مثل الذى يلزمهم من ذلك فى النسب الادنى وعاطفا بذلك بعضهم على بعض ليتناصفوا ولا يتظالموا وليبذل القوى من نفسه للضعيف حقه بالمعروف على ما ألزمه الله

كقولك قعدت عن الغزو للعجز والفاقة ومثله وجعلوا لله أندادا ليضلوا وهم ما فعلوا ذلك الا ضلال ويقال ما كانت موعظتى لك الا لزيادة فى تماديك فى الغى اذا كانت عاقبة الموعظة ذلك ورد بان حمل اللام على لام العاقبة عدول عن الظاهر على أنا نعلم بالبرهان أن علمه تعالى بانهم مزدادون اثما على تقدير الامهال علة فاعلية لازديادهم اثما فكان تعالى فاعلا للازدياد ومريدا له قالوا فى الكلام تقديم وتأخير وترتيبه لا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم ليزدادوا اثما انما نملى لهم خير لانفسهم ويعضده قراءة يحيى بن وثاب بكسر ان الاولى وفتح الثانية ورد بان التقديم والتأخير خلاف الاصل والقراءة الشاذة لا اعتداد بها مع أن الواحدى أنكرها ثم انه تعالى أخبر أنه لا يجوز فى حكمته أن يترك المؤمنين على ما هم عليه من اختلاط المخلص بالمنافق ولكنه يعزل أحد الجنسين عن الاخر بالقاء الحوادث وابداء الوقائع كما فى قصة أحد

لله در النائبات فانها
صدأ اللئام وصيقل الاحرار

فقال ما كان الله ليذر اللام لتأكيد النفى والخطاب فى أنتم للمصدقين جميعا من أهل الاخلاص والنفاق خوطبوا بانه ما كان فى حكمة الله

أن يترك المخلصين منكم على الحال التى أنتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وماز ومير لغتان مزت الشئ بعضه من بعض أميزه ميزا وميزته تمييزا وفى الحديث من ماز أذى عن الطريق فهو له صدقة وصحة ولفظ الطيب والخبيث وان كان مفردا الا أنه للجنس والمراد جميع المنافقين من المؤمنين وانما قدم الخبيث على الطيب ليقع فعل الميز عليه لعله أنه المطرح من الشئ الملقى لرداءته فان الميز يقع على الادون والاهون وثم

يحصل هذا الميز فقيل بالمحن والمصائب كالقتل والهزيمة وكما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الخروج مع ... بهم من ... ذلك يظهر الثابت من المتزلزل والساكن من المتقلقل وقيل باعلاء كلمة الدين وقلة شوكة المخالفين ليظهره على الدين كله وقيل بالوحى الى نبيه ولهذا أردفه بقوله وما كان الله ليطلعكم على الغيب (١٥٠) ولكن الله يجتبي أي يصطفي ويختار من رسله من يشاء و بناء الكلام على ثلاث مراتب الاولى أن هذا المنصب الذى استأثر الله تعالى بعلمه لا يليق بكل أحد منكم وانما هو مخصوص بالمصطفين من عبيده الثانية ان الرسول أيضا لا يعلم المغيبات بان يطلع عليها من تلقاء نفسه وبخاصية فيه ولكنه انما يعلم ذلك من طريق الوحى واطلاع الله تعالى اياه عليه ان هذا مؤمن وذاك منافق الثالثة ان هذا أيضا مختص ببعض الرسل وفى بعض الاوقات حسب مشيئته وارادته فآمنوا بالله ورسله ومن جملة الايمان بالله أن تعتقدوه وحده علاما للغيوب ومن جملة الايمان بالرسل أن تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبيدا مصطفين لا يعلمون من الغيب الا ما علمهم الله تعالى ووجه النظم على القول الاول لا تظنوا أن هذا التميز يحصل بان يطلعكم الله على غيبه و يقول ان فلانا مؤمن وفلانا منافق فان سنة الله جارية بانه لا يطلع العوام على غيبه ولا يكون لهم سبيل الى معرفة الامور الا بالامتحان والقرائن المفيدة للظن الغالب ولكنه يصطفي من رسله من يشاء فيعلمهم أن هذا مؤمن وذاك منافق ويختارهم للرسالة ووضع التكاليف الشاقة التى بمثلها يتميز الفريقان ويخلص أهل الوفاء من أهل الجفاء أو المراد ما كان الله ليطلعكم كلكم عالمين بالغيب من حيث يعلم الرسول حتى تصيروا مستغنين عن الرسول ولكنه يخص من يشاء بالرسالة ثم يكلف الباقين طاعة هؤلاء الرسل فآمنوا بالله ورسله كلهم لان طريق ثبوت نبوتهم واحد فمن أقر بنبوة واحد منهم لزمه الاقرار بنبوة كلهم ثم اتبعه الوعد بالثواب فقال وان تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم قال السدى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عرضت على أمتي فى صورها كما عرضت على آدم وأعلمت من

له فقال الذى خلقكم من نفس واحدة يعني من آدم كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما خلقكم من نفس واحدة فمن آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة يعني آدم صلى الله عليه وسلم حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن رجل عن مجاهد خلقكم من نفس واحدة قال آدم ونظير قوله من نفس واحدة والمعنى به رجل قول الشاعر

أبوك خليفة ولدته أخرى * وأنت خليفة ذاك الكمال

فقال ولدته أخرى وهو يريد الرجل فأنث للفظ الخليفة وقال تعالى ذكره من نفس واحدة لتأنيث النفس والمعنى من رجل واحد ولو قيل من نفس واحد وأخرج اللفظ على التذكير للمعنى كان صوابا القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) يعنى بقوله جل ثناؤه وخلق منها زوجها وخلق من النفس الواحدة زوجها يعنى بالزوج الثانى لها وهو فيما قال أهل التأويل امرأتها حواء ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وخلق منها زوجها قال حواء من قصيرى آدم وهو نائم فاستيقظ فقال أثا بالنبطية امرأة حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة وخلق منها زوجها يعنى حواء خلقت من آدم من ضلع من أضلاعه حدثنى موسى بن هرون قال أخبرنا عمرو بن حماد قال ثنا أسباط عن السدى قال أسكن آدم الجنة فكان يمشى فيها وحشا ليس له زوج يسكن اليها فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما أنت قالت امرأة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى حدثنا ابن حميد قال ثنا سلمة عن ابن اسحق قال ألقى على آدم صلى الله عليه وسلم السنة فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم عن عبد الله بن العباس وغيره ثم أخذ ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر ولأم مكانه وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق الله تبارك وتعالى من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة ليسكن اليها فلما كشفت عنه السنة وهب من نومته رآها الى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم لحمى ودمى وزوجتى فسكن اليها حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وخلق منها زوجها جعل من آدم حواء وأما قوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء فانه يعنى ونشر منهما يعنى من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء قد رآهم كما قال جل ثناؤه كالفراش المبثوث يقال منه بث الله الخلق وأبثهم وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وبث منهما رجالا كثيرا ونساء وبث خلق القول فى تأويل قوله جل ثناؤه (واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام) اختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأه عامة قراء أهل المدينة والبصرة تساءلون بالتشديد بمعنى تتساءلون ثم أدغم احدى التاءين فى السين فجعلهما سينا مشددة وقرأه بعض قراء الكوفة تساءلون بالتخفيف على مثال تفاعلون

وهما

وهما قراءتان معروفتان ولغتان فصيحتان أعني التخفيف والتشديد في قوله تساءلون به وبأي ذلك قرأ القارئ أصاب الصواب فيه لأن معنى ذلك بأي وجهيه قرئ غير مختلف وأما تأويله واتقوا الله أيها الناس الذي اذا سأل بعضكم بعضا سأل به فقال السائل للمسئول أسألك بالله وأنشدك بالله وأعزم عليك بالله وما أشبه ذلك يقول تعالى ذكره فكما تعظمون أيها الناس ربكم بألسنتكم حتى تروا أن من أعطاكم عهده فأخفركموه فقد أتى عظيما فكذلك فعظموه بطاعتكم اياه فيما أمركم واجتنابكم ما نهاكم عنه واحذروا عقابه من مخالفتكم اياه فيما أمركم به أو نهاكم عنه كما حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به قال يقول اتقوا الله الذي تعاقدون وتعاهدون به حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذي تساءلون به يقول اتقوا الله الذي به تعاقدون وتعاهدون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ابن أنس مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال أخبرنا حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس تساءلون به قال تعاطفون به وأما قوله والارحام فان أهل التأويل اختلفوا في تأويله فقال بعضهم معناه واتقوا الله الذي اذا سألتم بينكم قال السائل للمسئول أسألك به وبالرحم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تعاطفون به والارحام يقول الرجل يسأل بالله وبالرحم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم قال هو كقول الرجل أسألك بالله أسألك بالرحم يعني قوله اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم هو كقول الرجل أسألك بالرحم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول أسألك بالله وبالرحم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا شريك عن منصور أو مغيرة عن ابراهيم في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أسألك بالله والرحم حدثني المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر عن الحسن قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم قال محمد وعلى هذا التأويل قول بعض من قرأ قوله والارحام بالخفض عطفا بالارحام على الهاء التي في قوله به كأنه أرادوا اتقوا الله الذي تساءلون به وبالارحام فعطف بظاهر على مكني مخفوض وذلك غير فصيح من الكلام عند العرب لأنها لا تنسق بظاهر على مكني في الخفض الا في ضرورة شعر وذلك لضيق الشعر وأما الكلام فلا شيء يضطر المتكلم الى اختيار المكروه من المنطق والرديء في الاعراب منه ومما جاء في الشعر من رد ظاهر على مكني في حال الخفض قول الشاعر

نعلق في مثل السواري سيوفنا * وما بينها والكعب غوط نفانف

فعطف بالكعب وهو ظاهر على الهاء والالف في قوله بينها وهي مكنية * وقال آخرون تأويل ذلك

يؤمن بي ومن يكفر فبلغ ذلك المنافقين فاستهزؤا فقالوا زعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر ونحن معه ولا يعرفنا فأنزل الله ما كان الله ليذر المؤمنين وقال الكلبي قالت قريش تزعم يا محمد أن من خالفك فهو في النار والله عليه غضبان وأن من اتبعك على دينك فهو من أهل الجنة والله عنه راض فأخبرنا بمن يؤمن بك وبمن لا يؤمن بك فنزلت وقال أبو العالية نزلت حين سأل المؤمنون أن يعطوا علامة يفرقون بها بين المؤمن والمنافق ثم إنه عز من قائل لما بالغ في التحريض على بذل النفس في الجهاد حرض على بذل المال في سبيل الله فقال ولا تحسبن الذين يبخلون من قرأ بتاء الخطاب قدر مضافا أي لا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذا من قرأ بالياء وجعل فاعله ضمير النبي أو أحد ومن جعل الموصول فاعلا فالمفعول الاول محذوف للدلالة التقدير ولا تحسبن هؤلاء بخلهم هو خيرا وهو صيغة الفصل قال الواحدي جمهور المفسرين على أن هذه الآية نزلت في مانعي الزكاة لترتب الوعيد عليه وسوق الكلام في معرض الذم ولأن تارك التفضل لا يعد بخيلا لم يتخلص الانسان من البخل الا باخراج جميع المال وفي حكم الزكاة سائر المصارف الواجبة كالانفاق على النفس وعلى الاقربين الذين يلزمه مؤنتهم وعلى المضطر وفي الذب عن المسلمين اذا قصدهم عدو وتعين دفعهم بالمال وروى عطية عن ابن عباس أنها نزلت في أحبار اليهود الذين كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وأراد بالبخل كتمان العلم الذي آتاهم الله وعلى هذا يكون عودا الى ما انجر منه الكلام الى قصة أحد وذلك هو شرح أحوال أهل الكتاب ويعضده أن كثيرا من آيات بقية السورة فيهم وعلى هذا التفسير فمعنى سيطوقون أن الله تعالى يجعل في رقابهم طوقا من النار كقوله صلى الله عليه وسلم من سئل عن علم يعلمه فكتمه ألجم بلجام من نار والسر فيه أنهم لم ينطقوا بأفواههم وألسنتهم بما يدل على الحق وعلى التفسير الاول فاما أن يكون محمولا على ظاهره وهو أن يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها في عنقه تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه ويقول أنا مالك عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل له مال لا يؤدي حق ماله الا جعل طوقا في عنقه

شجاعا أقرع يفر منه وهو يتبعه ثم قرأ مصداقه من كتاب الله عز وجل ولا تحسبن الذين يبخلون الآية وعن ابن عمر قال قال صلى الله عليه وسلم ان الذي لا يؤدي زكاة ماله يخيل اليه ماله يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان فيلزمه أي يطوقه يقول أنا كنزك واما أن

واتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله واتقوا الارحام لا تقطعوها حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا ذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان يقول اتقوا الله وصلوا الارحام فانه أبقى لكم في الدنيا وخير لكم في الآخرة حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قول الله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام يقول اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الله في الارحام فصلوها حدثنا أبو كريب قال ثنا هشيم عن منصور عن الحسن في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال اتقوا الله الذي تساءلون به واتقوه في الارحام حدثنا سفيان قال ثنا أبي عن سفيان عن خصيف عن عكرمة في قول الله الذي تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال هو قول الرجل أنشدك بالله والرحم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله وصلوا الارحام حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد الذي تساءلون به والارحام قال اتقوا الارحام أن تقطعوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثني أبو زهير عن جويبر عن الضحاك في قوله الذي تساءلون به والارحام قال يقول اتقوا الله في الارحام فصلوها حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام قال يقول واتقوا الله في الارحام فصلوها حدثنا المثنى قال ثنا اسحق عن عبد الرحمن بن أبي حماد وأخبرنا أبو جعفر الخزاز عن جويبر عن الضحاك أن ابن عباس كان يقرأ والارحام يقول اتقوا الله لا تقطعوها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال ابن عباس اتقوا الارحام حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال اتقوا الله الذي تساءلون به والارحام أن تقطعوها حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها وقرأ والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل قال أبو جعفر وعلى هذا التأويل قرأ ذلك من قرأه نصبا بمعنى واتقوا الله الذي تساءلون به واتقوا الارحام أن تقطعوها عطفا بالارحام في اعرابها بالنصب على اسم الله تعالى ذكره قال والقراءة التي لا نستجيز القارئ أن يقرأ غيرها في ذلك النصب واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام بمعنى واتقوا الارحام أن تقطعوها لما قد بينا أن العرب لا تعطف بظاهر من الاسماء على مكني في حال الخفض الا في ضرورة شعر على ما قد وصفت قبل ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ان الله كان عليكم رقيبا﴾ قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره ان الله لم يزل عليكم رقيبا ويعني بقوله عليكم على الناس الذين قال لهم جل ثناؤه يا أيها الناس اتقوا ربكم والمخاطب والغائب اذا اجتمعا في الخبر فان العرب تخرج الكلام على الخطاب فتقول اذا خاطبت رجلا واحدا أو جماعة فعلت هي وآخرون غيب معهم فعلا فعلتم كذا وصنعتم كذا ويعني بقوله رقيبا حفيظا

يقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقال مجاهد معناه سيكلفون أن يأتوا بما بخلوا به يوم القيامة ونظيره ما روي عن ابن عباس انه كان يقرأ وعلى الذين يطوقونه فدية قال المفسرون يكلفونه ولا يطيقونه أي يؤمرون باداء ما منعوه حتى لا يمكنهم الاتيان به فيكون ذلك توبيخا على معنى هلا فعلتم ذلك حين كان ممكنا ولله ميراث السموات والارض وله ما فيهما مما يتوارثه أهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونظيره قوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وقال كثير من المفسرين المقصود انه يبطل ملك جميع المالكين الا ملك الله فيصير كالميراث قال ابن الانباري يقال ورث فلان علم فلان اذا تفرد به بعد أن كان مشاركا له فيه ومثله وورث سليمان داود أي انفرد بذلك الامر بعد أن كان داود مشاركا له فيه أو غالبا عليه والله بما تعملون خبير من قرأ على الغيبة فظاهر أي يجازيهم على منعهم الحقوق ومن قرأ على الخطاب فلالتفات وهي أبلغ في الوعيد لان الغضب كأنه تناهى الى حد أقبل على الخطاب وشافه بالعتاب ثم شرع في حكاية شبه الطاعنين في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وذلك انه لما أمر بالانفاق في سبيل الله قالوا لو كان

محمد صادقا في أن الله تعالى يطلب منا المال فهو اذن فقير ونحن أغنياء لكن الفقر على الله محال فمحمد غير صادق وأيضا لو كان نبيا محصيا لكان انما طلب المال لاجل أن تجيء نار من السماء فتحرقه كما كان في الازمنة السالفة فلما لم يفعل ذلك عرفنا أنه ليس بنبي فهذا بيان النظم وليس في الآية تعيين القائلين الا أن العلماء نسبوا هذا القول الى اليهود لعنهم الله لقولهم في موضع آخر يد الله مغلولة عنوا أنه بخيل وذلك

الجهل يناسب هذا الجهل ولان التشبيه غالب عليهم والقائل بالتشبيه لا يمكنه اثبات كونه تعالى قادرا على كل المقدورات واذا عجز عن اثبات هذا الاصل عجز عن بيان أنه غنى ولما روى عكرمة ومحمد بن اسحق والسدى ومقاتل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع أبى بكر الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن (١٥٣) يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص بن عازوراء

محصيا عليكم أعمالكم متفقدا رعايتكم حرمة أرحامكم وصلتكم اياها وقطعكموها وتضييعكم حرمتها كما حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ان الله كان عليكم رقيبا حفيظا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد فى قوله ان الله كان عليكم رقيبا على أعمالكم يعلمها ويعرفها ومنه قول أبى دؤاد الايادى

كمقاعد الرقباء للضرباء أيديهم نواهد

القول فى تأويل قوله (وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) قال أبو جعفر يعنى بذلك تعالى ذكره أوصياء اليتامى يقول لهم وأعطوا يا معشر أوصياء اليتامى أموالهم اذا هم بلغوا الحلم وأونس منهم الرشد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب يقول ولا تستبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بأموالكم الحلال لكم كما حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تعالى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحلال بالحرام حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا سفيان قال ثنا أبى عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الحرام مكان الحلال قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى صفة تبديلهم الخبيث بالطيب الذى نهوا عنه ومعناه فقال بعضهم كان أوصياء اليتامى يأخذون الجيد من ماله والرفيع منه ويجعلون مكانه لليتيم الردىء والخسيس فذلك تبديلهم الذى نهاهم الله تعالى عنه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعط زيفا وتأخذ جيدا حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدى وعن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب ومعمر عن الزهرى قالوا يعطى مهزولا ويأخذ سمينا وبه عن سفيان عن رجل عن الضحاك قال لا تعط فاسدا وتأخذ جيدا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب كان أحدهم يأخذ الشاة السمينة من غنم اليتيم ويجعل مكانها الشاة المهزولة ويقول شاة بشاة ويأخذ الدرهم الجيد ويطرح مكانه الزيف ويقول درهم بدرهم * وقال آخرون معنى ذلك لا تستعجل الرزق الحرام فتأكله قبل أن يأتيك الذى قدر لك من الحلال ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال لا تعجل بالرزق الحرام قبل أن يأتيك الحلال الذى قدر لك وبه عن سفيان عن اسمعيل عن أبى صالح مثله * وقال آخرون معنى ذلك كالذى حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال كان أهل الجاهلية لا يورثون النساء ولا يورثون الصغار يأخذه الاكبر وقرأ وترغبون أن تنكحوهن قال اذا لم يكن لهم شئ والمستضعفين من الولدان لا يورثوهم قال فنصيبه من الميراث طيب وهذا الذى أخذه خبيث * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويل ذلك ولا تتبدلوا أموال أيتامكم أيها الاوصياء الحرام عليكم الخبيث لكم فتأخذوا رفائعها وخيارها وجيادها بالطيب الحلال لكم من أموالكم الردىء الخسيس بدلا منه وذلك أن تبدل الشئ بالشئ فى كلام العرب أخذ

وهو من علمائهم أتزعم أن ربنا يستقرضنا أموالنا فهو اذن فقير ونحن أغنياء فغضب أبو بكر ولطمه فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لاضربت عنقك فذهب فنحاص الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد انظر الى ما صنع بى صاحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابى بكر ما الذى حملك على ما صنعت فقال يا رسول الله ان عدو الله قال هكذا فجحد ذلك فنحاص فنزلت هذه الآية تصديقا لابى بكر وأيضا ان موسى لما طلب منهم الجهاد ببذل النفوس قالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا فلا يبعد أن محمدا صلى الله عليه وسلم لما طلب منهم الاموال قالوا له لو كان الاله غنيا فأى حاجة الى أموالنا ثم ان القائل لو كان فنحاصا وحده فانما يستقيم قوله لقد سمع الله قول الذين قالوا لان أتباع الرجل والمقتدين به حكمهم حكمه ثم انه تعالى لم يجبهم عن شبهتهم أما على قواعد أهل السنة فبأن يقول يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فلا يبعد أن يأمر عبيده ببذل الاموال مع كونه أغنى الاغنياء وأما على قوانين المعتزلة فبأن فى هذا التكليف فوائد منها ازالة حب المال عن القلب ومنها التوسل الى الثواب المخلد ومنها تسخير البعض للبعض فبذلك ترتبط أمور التمدن وتنتظم أحوال صلاح المعاش والمعاد وانما لم يجب لكثرة ورودها فى القرآن لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة وما تنفقوا من خير فلانفسكم ولان وجوب الوجود عبارة عن الغنى المطلق حتى لا يحتاج فى ذاته ولا فى شئ من صفاته ولا بجهة من جهاته الى ما سوى ذاته فمن اعترف بوجوب وجوده ثم شك فى كمال غناه فلا حد به فقد عاد

بالنقض على موضوعه فلا يستحق الجواب عند أولى الالباب وانما يستأهل صنوفا من العتاب وضروبا من العذاب فلهذا قال على جهة الوعيد سنكتب ما قالوا في صحائف الحفظة أو نستحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب فلا ينسى وفي التفسير الكبير سنكتب عنهم هذا الجهل في القرآن حتى يبقى على لسان الامة الى يوم القيامة ثم عطف عليه قتلهم الانبياء ليدل على أنهم كما لم يقدروا الله حق قدره حتى نسبوا اليه ما نسبوه فكذلك لم يقضوا حقوق الانبياء ففعلوا بهم ما فعلوا ونقول ذوقوا عذاب الحريق وهو من أسماء جهنم فعيل بمعنى مفعول كالاليم بمعنى المؤلم أو سمّيت باسم صاحبها أي ذات حرقة والمعنى ينتقم منهم فيقول لهم ذوقوا عذاب النار كما أذقتم المسلمين جرع الغصص وهذا القول يحتمل أن يقال عند الموت أو عند الحشر أو عند قراءة الكتب ويحتمل أن يكون كناية عن الوعيد وان لم يكن ثمة قول (ذلك) العذاب أو الوعيد بما قدمت أيديكم من السب والقتل وذكر الايدي لان أكثر الاعمال يباشر باليد فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب وان كان بعضه باللسان أو بسائر الجوارح والآلات وانما جمع لان المخاطب جمع ولو كان مفردا قيل بما قدمت يداك مثنى كما في سورة الحج قال الجبائي قوله وأن الله أي وبأن الله ليس بظلام للعبيد فيه دلالة على أن فعل العقاب بهم كان يكون ظلما بتقدير أن لا يقع منهم الذنوب وفيه بطلان قول المجبرة ان الله يعذب الاطفال بغير جرم ويجوز أن يعذب البالغين بغير ذنب ويدل على كون العبد فاعلا والا لكان الظلم حاصلا والجواب انه لم ينف الظلم عن نفسه بمعنى أن الجزاء انما كان مرتبا على الذنب الصادر بكسب العبد وفعله فلا ظلم بل بمعنى انه مالك الملك والمالك اذا تصرف في ملكه كيف شاء لم يكن ذلك ظلما لخلق ذلك الفعل فيهم وترتيب العذاب عليه لا يكون ظلما قيل انه نفى الظلم الكثير عن نفسه وذلك يوهم ثبوت أصل الظلم له أجاب القاضي بان العذاب الذي توعد بان يفعل بهم لو كان ظلما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه لو كان ثابتا وهذا يؤكد ما ذكر أن ايصال العقاب اليهم كان يكون ظلما عظيما لو لم يكونوا مذنبين

شئ مكان آخر غيره يعطيه المأخوذ منه أو يجعله مكان الذي أخذ فاذ كان ذلك معنى التبديل والاستبدال فمعلوم أن الذي قاله ابن زيد من أن معنى ذلك هو أخذ أكبر ولد الميت جميع مال ميته ووالده دون صغارهم الى ماله قول لا معنى له لانه اذا أخذ الاكبر من ولده جميع ماله دون الاصاغر منهم فلم يستبدل مما أخذ شيأ فما التبدل الذي قال جل ثناؤه ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولم يبدل الآخذ مكان المأخوذ بدلا وأما الذي قاله مجاهد وأبو صالح من أن معنى ذلك لا تتعجل الرزق الحرام قبل مجيء الحلال فانهما أيضا ان لم يكونا أرادا بذلك نحو القول الذي روي عن ابن مسعود انه قال ان الرجل ليحرم الرزق بالمعصية يأتيها ففساده نظير فساد قول ابن زيد لان من استعجل الحرام فأكله ثم آتاه الله رزقه الحلال فلم يبدل شيأ مكان شيء وان كانا أرادا بذلك أن الله جل ثناؤه نهى عباده أن يستعجلوا الحرام فيأكلوه قبل مجيء الحلال فيكون أكلهم ذلك سببا لحرمان الطيب منه فذلك وجه معروف ومذهب معقول يحتمله التأويل غير أن الاشبه في ذلك بتأويل الآية ما قلنا لان ذلك هو الاظهر من معانيه لان الله جل ثناؤه انما ذكر ذلك في قصة أموال اليتامى وأحكامها فلا يكون ذلك من جنس حكم أول الآية فأخرجها من أن يكون من غير جنسه ﴿القول في تأويل قوله﴾ (ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره ولا تخلطوا أموالهم يعني أموال اليتامى بأموالكم فتأكلوها مع أموالكم كما حدثنا ابن بشار قال ثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم يقول لا تأكلوا أموالكم وأموالهم تخلطوها فتأكلوها جميعا حدثنا المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن مبارك عن الحسن قال لما نزلت هذه الآية في أموال اليتامى كرهوا أن يخالطوهم وجعل ولي اليتيم يعزل مال اليتيم عن ماله فشكوا ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم قال فخالطوهم واتقوا ﴿القول في تأويل قوله﴾ (انه كان حوبا كبيرا) قال أبو جعفر يعني تعالى ذكره انه كان حوبا كبيرا ان أكلكم أموال أيتامكم مع أموالكم حوب كبير والهاء في قوله انه دالة على اسم الفعل أعني الاكل وأما الحوب فانه الاثم يقال منه حاب الرجل يحوب حوبا وحوبا وحيابة ويقال منه قد تحوّب الرجل من كذا اذا تأثم منه ومنه قول أمية بن الاسكن الليثي

وان مهاجرين تكنفاه * غداتئذ لقد خطئا وحابا

ومنه قيل نزلنا بحوبة من الارض وبحيبة من الارض اذا نزلوا بموضع سوء منها والكبير العظيم فمعنى ذلك أن أكلكم أموال اليتامى مع أموالكم اثم عند الله عظيم وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو وعمرو بن علي قالا ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قول الله حوبا كبيرا قال اثما حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله انه كان حوبا كبيرا قال اثما عظيما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي كان حوبا أما حوبا فاثما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله حوبا قال اثما حدثنا بشر ابن

أقول إنه تعالى نفى حقيقة الظلم عنه في قوله وما ظلمناهم وهم لا يظلمون وبحقيقة ما ذكرناه أنه مالك الكل له أن يتصرف في ملكه كيف يشاء ولكنه نفى ههنا كثرة الشر والظلم أن يصدر عنه كأنه قال ان خطر ببالكم أن في الوجود شرا بناء على ما في ظنكم من أن الحكيم قد يصدر عنه الشر القليل بتبعية الخير الكثير فاعلموا أني منزه عن صدور الشر الكثير مني (١٥٥) وان هذا من الشر القليل الذي في ضمنه خير كثير

ابن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة انه كان حوبا كبيرا يقول ظلما كبيرا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول في قوله انه كان حوبا كبيرا قال ذنبا كبيرا وهي لأهل الاسلام حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا قرة بن خالد قال سمعت الحسن يقول حوبا كبيرا قال اثما والله عظيما ﴿القول في تأويل قوله﴾ ﴿وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك وان خفتم يا معشر أولياء اليتامى ألا تقسطوا في صداقهن فتعدلوا فيه وتبلغوا بصداقهن صدقات أمثالهن فلا تنكحوهن ولكن انكحوا غيرهن من الغرائب اللواتي أحلهن الله لكم وطيبهن من واحدة الى أربع وان خفتم أن تجوروا اذا نكحتم من الغرائب أكثر من واحدة فلا تعدلوا فانكحوا منهن واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في مالها وجمالها ويريد أن ينكحها بأدنى من سنة صداقها فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن في اكمال الصداق وأمروا أن ينكحوا ما سواهن من النساء حدثني يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرني يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال أخبرني عروة بن الزبير انه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم عن قول الله تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيها مثل ما يعطيها غيره فنهوا أن ينكحوهن الا أن يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن في الصداق وأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن قال يونس بن يزيد قال ربيعة في قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال يقول اتركوهن فقد أحللت لكم أربعا حدثنا الحسن بن الجنيد وأبو سعيد بن مسلمة قالا أنبأنا اسمعيل ابن أمية عن ابن شهاب عن عروة قال سألت عائشة أم المؤمنين فقلت يا أم المؤمنين أرأيت قول الله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء قالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب في جمالها ومالها ويريد أن يتزوجها بأدنى من سنة صداق نسائها فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن الا أن يقسطوا فيكملوا لهن الصداق ثم أمروا أن ينكحوا سواهن من النساء ان لم يكملوا لهن الصداق حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني الليث قال ثني يونس عن ابن شهاب قال ثني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم فذكر مثل حديث يونس عن ابن وهب حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة مثل حديث ابن حميد عن ابن المبارك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن هشام عن أبيه عن عائشة قالت نزل يعني قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الآية في اليتيمة تكون عند الرجل وهي ذات مال فلعله ينكحها لمالها وهي لا تعجبه

ونقول أراد نفي الشر القليل وأصل الظلم عنه ولكن القليل من الظلم بالنسبة الى رحمته الذاتية كثير فلهذا عبر عنه بلفظ الكثرة والمبالغة ثم قرر الشبهة الاخرى لهم فقال الذين قالوا ان الله عهد الينا قال الكلبي نزلت في كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف ووهب بن يهوذا وزيد بن التابوت وفنحاص بن عازوراء وحيي ابن أخطب أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا تزعم أن الله بعثك الينا رسولا وأنزل عليك الكتاب وان الله قد عهد الينا في التوراة أن لا نؤمن لرسول يزعم أنه جاء من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار فان جئتنا به صدقناك فنزلت قال عطاء كانت بنو اسرائيل يذبحون لله فيأخذون الثروب وأطايب اللحم فيضعونها في وسط بيت والسقف مكشوف فيقوم النبي في البيت ويناجي ربه وبنو اسرائيل خارجون واقفون حول البيت فتنزل نار بيضاء لها دوي وحفيف ولا دخان لها فتأكل كل ذلك القربان وهو البر الذي يتقرب به الى الله وأصله مصدر كالكفران والرجحان ثم سمي به نفس المتقرب به الى الله ومنه قوله عليه السلام لكعب بن عجرة يا كعب الصوم جنة والصلاة قربان أي بها يتقرب الى الله ويستشفع في الحاجة لديه وللعلماء فيما ادعاه اليهود قولان قال السدي ان هذا الشرط جاء في التوراة مع الاستثناء قال من جاءكم يزعم انه رسول الله فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار الا المسيح ومحمدا فكانت هذه العادة جارية الى مبعث المسيح ثم زالت وقيل انه افتراء لان المعجزات كلها في كونها خارقة للعادة وآية لصحة النبوة سواء فأي فائدة في تخصيصها ولانه اما أن يكون في التوراة أن مدعي النبوة وان جاء بجميع الآيات لا تقبلوا قوله الا أن يجيء بهذه الآية المعينة وحينئذ لا تكون سائر المعجزات دالة على الصدق واذا جاز الطعن فيها

حاز في هذه واما أن يكون فيها أن مدعي النبوة يطالب بالمعجزة أية كانت وحينئذ يكون طلب هذا المعجز المعين عبثا فلهذا نسبهم الله تعالى
الى الجحود والعناد فقال قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذي قلتم أي بمدلوله ومؤداه فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين انما الايمان يجب
عند الاتيان بالقربان وانما ذكر مجيء الرسل بالبينات ولم يقتصر على مجيء القربان ليتم الالزام وذلك أن القوم
يحتمل أن يقولوا ان الاتيان بهذا القربان شرط للنبوة لا موجب لها والشرط يلزم من عدمه عدم المشروط لكن لا يلزم من وجوده وجود المشروط فلو اقتصر على ذكر القربان لم يتم الالزام وحيث أضاف اليه البينات ثبت أنهم أتوا بالموجب وبالشرط جميعا فكان الاقرار بالنبوة واجبا ثم سلى رسوله بقوله فان كذبوك في أصل الشريعة والنبوة أو في قولك ان الانبياء الاقدمين جاؤهم بالبينات وبالقربان وقتلوهم فقد كذب رسل من قبلك وأي رسل والمصيبة اذا عمت طابت جاؤا بالبينات وهي الحجج الواضحات والمعجزات الباهرات والزبر هي الصحف جمع زبور بمعنى مزبور أي مكتوب وقال الزجاج الزبور كل كتاب ذي حكمة فيشبه أن يكون من الزبر بمعنى الزجر عن خلاف الحق وبه سمي زبور داود لما فيه من الزواجر والمواعظ والكتاب المنير الموضح أو الواضح المستنير ويعلم من عطف الزبر والكتاب على البينات أن معجزاتهم كانت مغايرة لكتبهم وأنها لم تكن معجزة لهم والاعجاز من خواص القرآن وعطف الكتاب المنير على الزبر لان الكتاب بوصفه بالانارة أو الاستنارة أشرف من مطلق الزبر خص بعد العموم لشرفه مثل وملائكته وجبريل وميكال وقيل المراد بالزبر الصحف وبالكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور ثم
أكد التسلية بقوله كل نفس ذائقة الموت لان تذكر الموت واستحضاره مما يزيل الغموم والاشجان الدنيوية وكذا أدنى
العلم بأن وراء هذه الدار دارا يتميز فيها المحسن عن المسيء ويرى كل منهما جزاء عمله والمراد بكل نفس ذائقة الموت كل ذات فالقضية لا يمكن اجراؤها
على عمومها لاستثناء الله تعالى منها تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك وكذا كل الجمادات لان لها ذوات ولقوله فصعق من في السموات ومن

ثم يضر بها واسيء صحبتها فوعظ في ذلك * قال أبو جعفر فعلى هذا التأويل جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا قوله فانكحوا * وقال آخرون بل معنى ذلك النهي عن نكاح ما فوق الاربع حذرا على أموال اليتامى أن يتلفها أولياؤهم وذلك أن قريشا كان الرجل منهم يتزوج العشر من النساء والاكثر والاقل فاذا صار معدما مال على مال يتيمه الذي في حجره فأنفقه أو تزوج به فنهوا عن ذلك وقيل لهم ان أنتم خفتم على أموال أيتامكم أن تنفقوها فلا تعدلوا فيها من أجل حاجتكم اليها لما يلزمكم من مؤن نسائكم فلا تجاوزوا فيما تنكحون من عدد النساء على أربع وان خفتم أيضا من الاربع ألا تعدلوا في أموالهم فاقتصروا على الواحدة أو على ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن سماك قال سمعت عكرمة يقول في هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى قال كان الرجل من قريش يكون عنده النسوة ويكون عنده الأيتام فيذهب ماله فيميل على مال الأيتام قال فنزلت هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حدثنا هناد بن السري قال ثنا أبو الاحوص عن سماك عن عكرمة في قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال كان الرجل يتزوج الاربع والخمس والست والعشر فيقول الرجل ما يمنعني أن أتزوج كما تزوج فلان فيأخذ مال يتيمه فيتزوج به فنهوا أن يتزوجوا فوق الأربع حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن طاوس عن ابن عباس قال قصر الرجال على أربع من أجل أموال اليتامى حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فان الرجل كان يتزوج بمال اليتيم ما شاء الله تعالى فنهى الله عن ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أن القوم كانوا يتحوبون في أموال اليتامى ألا يعدلوا فيها ولا يتحوبون في النساء ألا يعدلوا فيهن فقيل لهم كما خفتم أن لا تعدلوا في اليتامى فكذلك فخافوا في النساء أن لا تعدلوا فيهن ولا تنكحوا منهن الا من واحدة الى الأربع ولا تزيدوا على ذلك وان خفتم أن لا تعدلوا أيضا في الزيادة عن الواحدة فلا تنكحوا الا ما لا تخافون أن تجوروا فيهن من واحدة أو ما ملكت أيمانكم ذكر من قال ذلك حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن أيوب عن سعيد بن جبير قال كان الناس على جاهليتهم الا أن يؤمروا بشيء أو ينهوا عنه قال فذكروا اليتامى فنزلت وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم قال فكما خفتم أن لا تقسطوا في اليتامى فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا في النساء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى الى أيمانكم كانوا يشددون في اليتامى ولا يشددون في النساء ينكح أحدهم النسوة فلا يعدل بينهن فقال الله تبارك وتعالى كما تخافون أن لا تعدلوا بين اليتامى فخافوا في النساء فانكحوا واحدة الى الاربع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء حتى بلغ

فى الارض الامن شاء الله ولانه لاموت ولا لاهل الجنة ولا لأهل النار فالمراد المكلفون الحاضرون فى دار التكليف والملائكة عند من يجوّز الموت عليهم
روى عن ابن عباس لما نزل قوله تعالى كل من عليها فان قالت الملائكة مات أهل الارض فلما نزل كل نفس ذائقة الموت قالت الملائكة متنا وفى
الآية دليل على أن المقتول ميت وعلى أن النفس باقية بعد البدن لان الذائق لابد أن يكون باقيا حال حصول الذوق قالت

أدنى ألا تعولوا يقول كما خفتم الجور فى اليتامى وهمكم ذلك فكذلك فخافوا فى جمع النساء وكان الرجل
فى الجاهلية يتزوج العشرة فما دون ذلك فأحل الله جل ثناؤه أربعا ثم الذى صيرهن الى أربع قوله
مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لاتعدلوا فواحدة يقول ان خفت أن لاتعدل فى أربع فثلاث والا
فثنتين والا فواحدة وان خفت أن لاتعدل فى واحدة فما ملكت يمينك حدثنا الحسن بن يحيى قال
أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أيوب عن سعيد بن جبير قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى
اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما أحل لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فخافوا فى
النساء مثل الذى خفتم فى اليتامى أن لاتقسطوا فيهن حدثنى المثنى قال ثنا الحجاج بن المنهال
قال ثنا حماد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال جاء الاسلام والناس على جاهليتهم الا أن
يؤمروا بشئ فيتبعوه أو ينهوا عن شئ فيجتنبوه حتى سألوا عن اليتامى فانزل الله تبارك وتعالى
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع حدثنا المثنى قال ثنا أبو النعمان عارم
قال ثنا حماد بن زيد عن أيوب عن سعيد بن جبير قال بعث الله تبارك وتعالى محمدا صلى الله عليه
وسلم والناس على أمر جاهليتهم الا أن يؤمروا بشئ أو ينهوا عنه وكانوا يسألونه عن اليتامى فانزل الله
تبارك وتعالى وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع
قال فكما تخافون أن لاتقسطوا فى اليتامى فخافوا أن لاتقسطوا وتعدلوا فى النساء حدثنى المثنى
قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وان
خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال كانوا فى الجاهلية ينكحون عشرا من النساء الأيامى وكانوا يعظمون
شأن اليتيم فتفقدوا من دينهم شأن اليتيم وتركوا ما كانوا ينكحون فى الجاهلية فقال وان خفتم
أن لاتقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ونهاهم عما كانوا
ينكحون فى الجاهلية حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ قال ثنا عبيد بن سلمان
قال سمعت الضحاك يقول فى قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من
النساء كانوا فى جاهليتهم لا يرزؤن من مال اليتيم شيأ وهم ينكحون عشرا من النساء و ينكحون
نساء آبائهم فتفقدوا من دينهم شأن النساء فوعظهم الله فى اليتامى وفى النساء فقال فى اليتامى ولا
تتبدلوا الخبيث بالطيب الى انه كان حوبا كبيرا و وعظهم فى شأن النساء فقال فانكحوا ما طاب لكم
من النساء الآية وقال ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حدثت عن عمار عن ابن أبى جعفر
عن أبيه عن الربيع فى قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى الى ما ملكت أيمانكم يقول فان
خفتم الجور فى اليتامى وغمكم ذلك فكذلك فخافوا فى جمع النساء قال وكان الرجل يتزوج العشر فى
الجاهلية فما دون ذلك وأحل الله أربعا وصيرهم الى أربع يقول فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة
وان خفت ألا تعدل فى واحدة فما ملكت يمينك وقال آخرون معنى ذلك فكما خفتم فى اليتامى
فكذلك فتخوفوا فى النساء أن تزنوا بهن ولكن انكحوا ما طاب لكم من النساء ذكر من قال ذلك
حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال أخبرنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله وان
خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى يقول ان تحرجتم فى ولاية اليتامى وأكل أموالهم ايمانا وتصديقا
فكذلك فتحرجوا من الزنا وانكحوا النساء نكاحا طيبا مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا

الحكماء الموت واجب الحصول عند
هذه الحياة الجسمانية لانها لاتحصل
الا بالرطوبة الغريزية والحرارة
الغريزية ثم ان الحرارة الغريزية
تؤثر فى تقليل الرطوبة الغريزية
واذا قلت الرطوبة الغريزية ضعفت
الحرارة الغريزية ولايزال تستمر
هذه الحالة الى أن تفنى الرطوبة
الاصلية فتنطفى الحرارة الغريزية
ويحصل الموت فبهذا الطريق كان
الموت ضروريا فى هذه الحياة قالوا
والارواح المجردة لاموت لها وناقشهم
المسلمون فيه وانما توفون أجوركم
يوم القيامة فى ذكر التوفية اشارة الى
أن بعض الاجور يعطى قبل ذلك
اليوم كما قال صلى الله عليه وسلم القبر
روضة من رياض الجنة أو حفرة
من حفر النار فمن زحزح عن النار
الزح التنحية والابعاد والزحزحة
تكريره فقد فاز لم يقيد الفوز بشئ
لانه لافوز وراء هذين الامرين
الخلاص من العذاب والوصول الى
الثواب فمن حصل له هذان فقد فاز
الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به
قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن
يزحزح عن النار ويدخل الجنة
فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله
واليوم الآخر ويأتى الى الناس
ما يحب أن يؤتى اليه فالاول رعاية
حقوق الله والثانى محافظة حقوق
العباد ثم شبه الدنيا بالمتاع الذى
يدلس به على المستام ويغر حتى
يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته

وذلك أن لذاتها تفنى وتبعاتها تبقى والغرور بالضم مصدر والغار المدلس هو الشيطان عن على بن أبى طالب لين مسها قاتل سمها وعن بعضهم
الدنيا ظاهرها مظنة السرور وباطنها مطية الشرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فأما من طلب الآخرة بها فانها متاع
بلاغ (لتبلون فى أموالكم) اللام جواب القسم المقدر والنون دخلت مؤكدة وضمت الواو للساكنين ولما كان يحب لما قبلها من الضم والمراد

ما نالهم من الفقر والضر والقتل والجرح والتكاليف الشاقة البدنية والمالية من الصلاة والزكاة والصوم والجهاد والذى كانوا يسمعونه من الكفرة كالطعن فى الدين الحنيف وأهليه واغراء المخالفين وتحريضهم عليهم واغواء المنافقين وتنفيرهم عنهم وان تصبروا على ما ابتلاكم الله به وتتقوا المخالفة أو تصبروا على أداء الواجبات وتتقوا ارتكاب المحظورات فان ذلك الصبر والتقوى من عزم الامور من (١٥٨) معزوماتها الذى لا يترخص العاقل فى تركها لكونه حميد العاقبة بين الصواب أو هو من عزائم الله ومما ألزمكم الاخذ به قال الواحدى كان هذا قبل نزول آية القتال وقال القفال الظاهر أنها نزلت بعد قصة أحد فلا تكون منسوخة بآية السيف والمراد الصبر على ما يؤذون به الرسول على طريق الاقوال الجارية فيما بينهم واستعمال مداراتهم فى كثير من الاحوال والامر بالقتال لا ينافى الامر بالمصابرة على هذا الوجه عن كعب بن مالك ان كعب بن الاشرف اليهودى كان شاعرا وكان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم ويحرض عليه كفار قريش فى شعره وكان النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وأهلها أخلاط المسلمون والمشركون واليهود فأراد النبى صلى الله عليه وسلم أن يستصلحهم كلهم فكان المشركون واليهود يؤذونه ويؤذون أصحابه أشد الاذى فأمر الله نبيه بالصبر على ذلك فنزلت الاية روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ركب على حمار وأردف أسامة بن زيد وراءه يعود سعد بن عبادة فى بنى الحرث بن خزرج قبل وقعة بدر حتى مر بمجلس فيه عبد الله بن أبى وذلك قبل أن يسلم عبد الله فاذا فى المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين واليهود وفى المجلس عبد الله بن رواحة فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبد الله بن أبى أنفه بردائه وقال لا تغبروا علينا فسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وقف فنزل ودعاهم الى الله وقرأ عليهم القرآن فقال عبد الله بن أبى أيها المرء انه لا أحسن مما تقول ان كان حقا فلا تؤذنا به فى مجالسنا ارجع الى رحلك فمن جاءك فاقصص عليه فقال عبد الله بن رواحة بلى يا رسول الله فاغشنا به فى مجالسنا فانا نحب ذلك فاستب المسلمون والمشركون

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل معنى ذلك وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى اللاتى أنتم ولاتهن فلا تنكحوهن وانكحوا أنتم ما حل لكم منهن ذكر من قال ذلك حدثنا سفيان بن وكيع قال ثنا أبى عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قال نزلت فى اليتيمة تكون عند الرجل هو وليها ليس لها ولى غيره وليس أحد ينازعه فيها ولا ينكحها لمالها فيضربها ويسىء صحبتها حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن فى هذه الآية وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم أى ما حل لكم من يتاماكم من قراباتكم مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم * قال أبو جعفر وأولى الاقوال التى ذكرناها فى ذلك بتأويل الآية قول من قال تأويلها وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى فكذلك فخافوا فى النساء فلا تنكحوا منهن الا ما لا تخافون أن تجوروا فيه منهن من واحدة الى الاربع فان خفتم الجور فى الواحدة أيضا فلا تنكحوها ولكن عليكم بما ملكت أيمانكم فانه أحرى أن لا تجوروا عليهن وانما قلنا ان ذلك أولى بتأويل الآية لان الله جل ثناؤه افتتح الآية التى قبلها بالنهى عن أكل أموال اليتامى بغير حقها وخلطها بغيرها من الاموال فقال تعالى ذكره وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ثم أعلمهم أنهم ان اتقوا الله فى ذلك فتحرجوا فيه فالواجب عليهم من اتقاء الله والتحرج فى أمر النساء مثل الذى عليهم من التحرج فى أمر اليتامى وأعلمهم كيف التخلص لهم من الجور فيهن كما عرفهم المخلص من الجور فى أموال اليتامى فقال انكحوا ان أمنتم الجور فى النساء على أنفسكم ما أبحت لكم منهن وحللته مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أيضا الجور على أنفسكم فى أمر الواحدة بأن لا تقدروا على انصافها فلا تنكحوها ولكن تسروا من المماليك فانكم أحرى أن لا تجوروا عليهن لانهن أملاككم وأموالكم ولا يلزمكم لهن من الحقوق كالذى يلزمكم للحرائر فيكون ذلك أقرب لكم الى السلامة من الاثم والجور ففى الكلام اذ كان المعنى ما قلنا متروك استغنى بدلالة ما ظهر من الكلام عن ذكره وذلك أن معنى الكلام وان خفتم ألا تقسطوا فى أموال اليتامى فتعدلوا فيها فكذلك فخافوا ألا تقسطوا فى حقوق النساء التى أوجبها الله عليكم فلا تتزوجوا منهن الا ما أمنتم معه الجور مثنى وثلاث ورباع وان خفتم أيضا فى ذلك فواحدة وان خفتم فى الواحدة فما ملكت أيمانكم فترك ذكر قوله فكذلك فخافوا أن لا تقسطوا فى حقوق النساء بدلالة ما ظهر من قوله تعالى فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان قال قائل فأين جواب قوله وان خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى قيل قوله فانكحوا ما طاب لكم غير أن المعنى الذى يدل على أن المراد بذلك ما قلنا قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا وقد بينا فيما مضى قبل أن معنى الاقساط فى كلام العرب العدل والانصاف وأن القسط الجور والحيف بما أغنى عن اعادته فى هذا الموضع وأما اليتامى فانها جمع لذكران الايتام واناثهم فى هذا الموضع وأما قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانه يعنى فانكحوا ما حل لكم منهن دون ما حرم عليكم منهن كما حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله فانكحوا ما طاب لكم

والیهود حتى كادوا يتشاورون فلم يزل النبي صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا ثم ركب النبي صلى الله عليه وسلم دابته فسار حتى دخل
على سعد بن عبادة فقال له يا سعد ألم تسمع ما قال أبو حباب يريد عبد الله بن أبي قال كذا وكذا فقال سعد بن عبادة يا رسول الله اعف
عنه واصفح فوالذى أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذى نزل عليك وقد اصطلح أهل هذه البحيرة على أن يتوجوه
ويعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك
بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك
فعفا عنه رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأنزل الله هذه الآية ثم انه
تعالى عجب من حال اليهود أنه كيف
يليق بحالهم إيراد الطعن في نبوته مع
أن كتبهم ناطقة به وأيضا من جملة
ايذائهم الرسول أنهم كانوا يكتمون
نعته وصفته فلهذا قال واذ أخذ الله
باضمار اذكر والضمير في لتبيننه
قيل لمحمد لانه معلوم وإن كان غير
مذكور أي لتبينن حاله وهذا قول
سعيد بن جبير والسدى وقال الحسن
وقتادة يعود الى الكتاب كأنه أكد
عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب
كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم
عليه وقيل له الله لتفعلن ولا يكتمونه
قيل الواو للحال أي غير كاتمين
ويحتمل أن تكون للعطف وان لم
يكن مؤكدا بالنون والامر بالبيان
يتضمن النهي عن الكتمان لكنه
صرح به للتأكيد فنبذوه وراء
ظهورهم جعلوه كالشيء المطروح
المتروك وعن علي رضي الله عنه
ما أخذ الله على أهل الجهل أن
يتعلموا حتى أخذ على أهل العلم أن
يعلموا وقال قتادة مثل علم لا يقال به
كمثل كنز لا ينفق منه ومثل حكمة
لا تخرج كمثل صنم قائم لا يأكل ولا
يشرب طوبى لعالم ناطق ولمستمع
واع هذا علم علما فبذله وهذا سمع
خيرا فوعاه ومعنى قوله واشتروا به
ثمنا قليلا أنهم كتموا الحق ليتوسلوا
به الى وجدان حظ يسير من الدنيا فبئس ما يشترون هو ويدخل في الوعيد كل من كتم شيأ من أمر الدين لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة
وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم واستجذاب لمبارهم أو لتقية من غير ضرورة أو لبخل بالعلم وغيرة أن ينسب الى غيره ثم ذكر نوعا آخر
من ايذاء اليهود وأوعدهم عليه وسلى رسوله بذلك فقال لا تحسبن الذين يفرحون من قرأ بتاء الخطاب وفتح الباء فالخطاب للرسول أو لكل

لكم من النساء ما حل لكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
أيوب عن سعيد بن جبير في قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء يقول ما حل لكم فان قال قائل
وكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فانكحوا من طاب لكم وانما يقال ما في غير
الناس قيل معنى ذلك على غير الوجه الذى ذهبت اليه وانما معناه فانكحوا نكاحا طيبا كما حدثني
محمد بن عمرو قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فانكحوا ما طاب لكم من النساء فانكحوا
النساء نكاحا طيبا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد
مثله فالمعنى بقوله ما طاب لكم الفعل دون أعيان النساء وأشخاصهن فلذلك قيل ما ولم يقل من كما
يقال خذ من رقيقي ما أردت اذا عنيت خذ منهم ارادتك ولو أردت خذ الذى تريد منهم لقلت خذ من
رقيقي من أردت منهم وكذلك قوله أو ما ملكت أيمانكم بمعنى أو ملك أيمانكم وانما معنى قوله
فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فلينكح كل واحد منكم مثنى وثلاث ورباع كما
قيل والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة وأما قوله مثنى وثلاث
ورباع فانما ترك اجراؤهن لانهن معدولات عن اثنين وثلاث وأربع كما عدل عمر عن عامر وزفر
عن زافر فترك اجراؤه وكذلك أحاد وثناء وموحد ومثنى ومثلث ومربع لا يجرى ذلك كله للعلة التى
ذكرت من العدول عن وجوهه ومما يدل على أن ذلك كذلك وأن الذكر والانثى فيه سواء ما قيل
في هذه السورة وسورة فاطر مثنى وثلاث ورباع يراد به الجناح والجناح ذكر وانه أيضا لا يضاف الى
ما يضاف اليه الثلاثة والثلاث وان الالف واللام لا تدخله فكان في ذلك دليل على أنه اسم للعدد
معرفة ولو كان نكرة لدخله الالف واللام وأضيف كما يضاف الثلاثة والاربعة ومما يبين في ذلك
قول تميم بن أبي مقبل

ترى النعرات الزرق تحت لبانه * أحاد ومثنى أصعقتها صواهله

فرد أحاد ومثنى على النعرات وهى معرفة وقد تجعلها العرب نكرة فتجريها كما قال الشاعر

قتلنا به من بين مثنى وموحد * بأربعة منكم وآخر خامس

ومما يبين أن ثناء وأحاد غير جارية قول الشاعر

ولقد قتلتكم ثناء وموحدا * وتركت مرة مثل أمس الدابر

وقول الشاعر

منت لك أن تلاقيني المنايا * أحاد أحاد في شهر حلال

ولم يسمع من العرب صرف ما جاوز الرباع والمربع عن جهته لم يسمع منها خماس ولا المخمس ولا
السباع ولا المسبع وكذلك ما فوق الرباع الا في بيت الكميت فانه يروى له في العشرة عشار
وهو قوله فلم يستريثوك حتى رميـ * ـت فوق الرجال خصالا عشارا
يريد عشرا عشرا يقال انه لم يسمع غير ذلك وأما قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فان نصب واحدة
بمعنى فان خفتم ألا تعدلوا فيما يلزمكم من العدل ما زاد على الواحدة من النساء عندكم بنكاح فيما
أوجبه الله لهن عليكم فانكحوا واحدة منهن ولو كانت القراءة جاءت في ذلك بالرفع كان جائزا بمعنى
فواحدة كافية أو فواحدة مجزئة كما قال جل ثناؤه فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان وان قال

أحد وأحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم اعادة للعامل لطول الكلام وافادة التأكيد ومن ضم الباء في الثاني مع تاء الخطاب فالخطاب للمؤمنين ومن ضمها مع ياء الغيبة فالضمير للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف أي لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين والثاني للتأكيد

ومعنى بما أتوا بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيأ فريا ومعنى بمفازة من العذاب بنجاة منه أي بمكان الفوز وقال الفراء أي ببعد منه لان الفوز التباعد عن المكروه وفي الصحيحين ان مروان قال لرافع بوابه اذهب الى ابن عباس وقل له لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبا لنعذبن أجمعون فقال ابن عباس مالكم ولهذا انما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود فسألهم عن شئ فكتموه اياه وأخبروه بغيره فأروه أن قد استحمدوا اليه بما أخبروه عنه وفرحوا بما أتوا من كتمانهم اياه ثم قرأ ابن عباس واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب الآيتين وقال الضحاك كتب يهود المدينة الى يهود العراق واليمن ومن بلغهم كتاب من اليهود في الارض كلها ان محمدا ليس نبي الله فاثبتوا على دينكم واجمعوا كلمتكم على ذلك فاجتمعت كلمتهم على الكفر بمحمد والقرآن ففرحوا بذلك وقالوا الحمد لله الذي جمع كلمتنا ولم نتفرق ولم نترك ديننا ونحن أهل الصوم والصلاة نحن أولياء الله فذلك قول الله يفرحون بما أتوا بما فعلوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية يعني بما ذكروا من الصوم والصلاة والعبادة وعن أبي سعيد الخدري أن رجالا من المنافقين كانوا اذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الغزو تخلفوا عنه فاذا قدم اعتذروا عنده وحلفوا وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا فانزل الله هذه الآية وهذه الوجوه كلها مشتركة في الاتيان بما لا ينبغي ومحبة الحمد عليه ووصفه بسداد السيرة وحسن السريرة ونحن اذا أنصفنا من أنفسنا وجدنا أكثر مجاري أمورنا على هذه الحالة فنسأله العصمة والهداية ثم ختم الكلام بقوله ولله ملك السموات والارض والغرض أنه كيف يرجو

لنا قائل قد علمت ان الحلال لكم من جميع النساء الحرائر نكاح أربع فكيف قيل فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع وذلك في العدد تسع قيل ان تأويل ذلك فانكحوا ما طاب لكم من النساء اما مثنى ان أمنتم الجور من أنفسكم فيما يجب لهن عليكم واما ثلاث ان لم تخافوا ذلك واما أربع ان أمنتم ذلك فيهن يدل على صحة ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة لان المعنى فان خفتم في الثنتين فانكحوا واحدة ثم قال وان خفتم ألا تعدلوا أيضا في الواحدة فما ملكت أيمانكم فان قال قائل فان أمر الله ونهيه على الايجاب والالزام حتى تقوم حجة بأن ذلك على التأديب والارشاد والاعلام وقد قال تعالى ذكره فانكحوا ما طاب لكم من النساء وذلك أمر فهل من دليل على أنه من الامر الذي هو على غير وجه الالزام والايجاب قيل نعم والدليل على ذلك قوله فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة فكان معلوما بذلك أن قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء وان كان مخرجه مخرج الامر فانه بمعنى الدلالة على النهي عن نكاح ما خاف الناكح الجور فيه من عدد النساء لا بمعنى الامر بالنكاح فان المعنى به وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فتحرجتم فيهن فكذلك فتحرجوا في النساء فلا تنكحوا الا ما أمنتم الجور فيه منهن ما أحللته لكم من الواحدة الى الاربع وقد بينا في غير هذا الموضع بأن العرب تخرج الكلام بلفظ الامر ومعناها فيه النهي أو التهديد والوعيد كما قال جل ثناؤه فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وكما قال ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون فخرج ذلك مخرج الامر والمقصود به التهديد والوعيد والزجر والنهي فكذلك قوله فانكحوا ما طاب لكم من النساء بمعنى النهي فلا تنكحوا الا ما طاب لكم من النساء وعلى النحو الذي قلنا في معنى قوله أو ما ملكت أيمانكم قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا بشر ابن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم يقول فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي أو ما ملكت أيمانكم السراري حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم فان خفت ألا تعدل في واحدة فما ملكت يمينك حدثني يحيى بن أبي طالب قال حدثنا يزيد قال ثنا جويبر عن الضحاك قوله فان خفتم ألا تعدلوا قال في المجامعة والحب ۞ القول في تأويل قوله ﴿ذلك أدنى ألا تعولوا﴾ يعني بقوله تعالى ذكره وان خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباع فنكحتم واحدة أو خفتم ألا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم فهو أدنى يعني أقرب ألا تعولوا يقول أن لا تجوروا ولا تميلوا يقال منه عال الرجل فهو يعول عولا وعيالة اذا مال وجار ومنه عول الفرائض لان سهامها اذا زادت دخلها النقص وأما من الحاجة فانما يقال عال الرجل عيلة وذلك اذا احتاج كما قال الشاعر

وما يدري الفقير متى غناه * وما يدري الغني متى يعيل

يعني يفتقر وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا يونس عن الحسن ذلك أدنى ألا تعولوا قال العول الميل في النساء حدثنا ابن حميد قال ثني حكام عن عنبسة عن محمد بن عبد الرحمن عن القاسم بن أبي بزة عن مجاهد في قوله

ذلك

النجاة من كان معتذبه هذا القادر الغالب * التأويل هو خير الهم بل هو شر لهم كل واحد من صفتي البخل والسخاء بمنزلة الا كسير حتى يجعل الخير شرا وبالعكس سيطوقون شبه بالطوق لانه يحيط بالقلب ومنه ينشأ معظم الصفات الذميمة كالحرص والحسد والحقد والعداوة والكبر والغضب والبخل حب الدنيا رأس كل خطيئة ولله ميراث السموات والارض الانسان وارث الدنيا والآخرة أولئك هم

ذلك أدنى ألا تعولوا يقول لا تميلوا حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا أبو النعمان محمد بن الفضل قال ثنا هشيم قال أخبرنا داود بن أبي هند عن عكرمة ألا تعولوا قال أن لا تميلوا ثم قال أما سمعت الى قول أبي طالب * بميزان قسط وزنه غير عائل * حدثني المثنى قال ثنا حجاج قال ثنا حماد بن زيد عن الزبير عن حريث عن عكرمة في هذه الآية ألا تعولوا قال أن لا تميلوا قال وأنشد بيتا من شعر زعم أن أبا طالب قاله

بميزان قسط لا يخس شعيرة * ووازن صدق وزنه غير عائل

قال أبو جعفر ويروى هذا البيت على غير هذه الرواية

بميزان صدق لا يغل شعيرة * له شاهد من نفسه غير عائل

حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم في قوله ألا تعولوا قال أن لا تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن مغيرة عن ابراهيم مثله حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن أبي اسحق الكوفي قال كتب عثمان بن عفان رضي الله عنه الى أهل الكوفة في شئ عاتبوه عليه فيه اني لست بميزان لا أعول حدثنا أبو كريب قال ثنا عباد بن علي قال ثنا اسمعيل بن أبي خالد عن أبي مالك في قوله أدنى ألا تعولوا قال لا تميلوا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ذلك أدنى ألا تعولوا أدنى أن لا تميلوا حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله ألا تعولوا قال تميلوا حدثت عن عمار قال ثنا ابن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع ذلك أدنى ألا تعولوا يقول أن لا تميلوا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا اسباط عن السدي ذلك أدنى ألا تعولوا يقول تميلوا حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله أدنى ألا تعولوا يعني أن لا تميلوا حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ذلك أدنى ألا تعولوا يقول ذلك أدنى أن لا تميلوا حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن أبي مالك في قوله ذلك أدنى ألا تعولوا قال أن لا تجوروا حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون وعارم أبو النعمان قالا ثنا هشيم عن حصين عن أبي مالك مثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن يونس عن ابن اسحق عن مجاهد ذلك أدنى ألا تعولوا قال تميلوا حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد ذلك أدنى ألا تعولوا ذلك أقل لنفقتك الواحدة أقل من ثنتين وثلاث وأربع وجاريتك أهون نفقة من حرة أن لا تعولوا أهون عليك في العيال * القول في تأويل قوله (وآتوا النساء صدقاتهن نحلة) قال أبو جعفر يعني بذلك تعالى ذكره وأعطوا النساء مهورهن عطية واجبة وفريضة لازمة يقال منه نحل فلان فلانا كذا فهو ينحله نحلة ونحلا كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يقول فريضة حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال

الوارثون والوارث اذا مات من غير وارث فميراثه لبيت المال فالاشارة فيه أن من غلب عليه هذه الصفات ومات قلبه فقد بطل استعداد وراثته فميراثه لله ان الله فقير ونحن أغنياء فيه ان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فيعكس القضايا فيصف الرب بصفات العبد والعبد بصفات الرب وذلك لغلبة الصفات الذميمة واستيلاء سلطان الهوى والشيطان فيقول تارة أنا ربكم الاعلى وتارة ان الله فقير ونحن أغنياء بقربان تأكله النار قالت يهود صفات النفس البهيمية والسبعية والشيطانية لا ننقاد لرسول أي لخاطر رحماني أو الهام رباني حتى يأتينا بقربان هو الدنيا ومافيها نجعلها نسيكة لله عزوجل تأكله نار الله الموقدة التي تقدح من زناد محبتهم فان كثيرا من الطالبين الصادقين يجعلون الدنيا ومافيها قربانا لله فلا تأكله نار الله قل يا وارد الحق قد جاءكم رسل من قبلي أي واردات الحق بالبينات بالحجج الباهرة وبالذي قلتم أي بجعل الدنيا قربانا فلم قتلتموهم غلبتموهم ومحوتموهم حتى لم يبق أثر الواردات كل نفس ذائقة الموت كلهم مستعدون للفناء في الله ولا بد لها من موت فمن كان موته بالاسباب تكون حياته بالاسباب ومن كان فناؤه في الله يكون بقاؤه بالله لتبلون بالجهاد الاكبر ولتسمعن من أهل العلم الظاهر ومن أهل الرياء أذى كثيرا بالغيبة والملامة والانكار والاعتراض وان تصبروا على جهاد النفس وتتقوا بالله عما سواه فان ذلك من عزم الامور أي من أمور أولي العزم فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل والله أعلم (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون

فى خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة انك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر

أو أنثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لأكفرن عنهم سيئاتهم ولأدخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عند الله والله عنده حسن الثواب لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾ القراآت الابرار بالامالة أبو عمرو وحمزة غير خلاد ورجاء والكسائى والنجارى عن ورش وخلف وابن مجاهد والنقاش عن ابن ذكوان وكذلك كل ما تكرر فيه الراء غير ابن مجاهد والنقاش فى جميع القرآن وقتلوا وقاتلوا حمزة وعلى وخلف وقرأ ابن كثير وابن عامر وقتلوا مشددا الباقون وقاتلوا وقتلوا مخففا لا يغرنك بالنون الخفيفة رويس الباقون بالتشديد نزلا حيث كان بالاختلاس عباس * الوقوف الالباب ج لاحتمال الذين صفة أو مستأنفا نصبا أو رفعا على المدح

أخبرنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة يعنى بالنحلة المهر حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال فريضة مسماة حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قال النحلة فى كلام العرب الواجب يقول لا ينكحها الا بشئ واجب لها صدقة يسميها لها واجبة وليس ينبغى لاحد أن ينكح امرأة بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا بصداق واجب ولا ينبغى أن يكون تسمية الصداق كذبا بغير حق وقال آخرون بل عنى بقوله وآتوا النساء صدقاتهن نحلة أولياء النساء وذلك أنهم كانوا يأخذون صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن سيار عن أبى صالح قال كان الرجل اذا زوج أيمة أخذ صداقها دونها فنهاهم الله تبارك وتعالى عن ذلك ونزلت وآتوا النساء صدقاتهن نحلة وقال آخرون بل كان ذلك من أولياء النساء بان يعطى الرجل أخته الرجل على أن يعطيه الآخر أخته على أن لا كثير مهر بينهما فنهوا عن ذلك ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن أناسا كانوا يعطى هذا الرجل أخته ويأخذ أخت الرجل ولا يأخذون كثير مهر فقال الله تبارك وتعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة * قال أبو جعفر وأولى التأويلات التى ذكرناها فى ذلك التأويل الذى قلناه وذلك أن الله تبارك وتعالى ابتدأ ذكر هذه الآية بخطاب الناكحين النساء ونهاهم عن ظلمهن والجور عليهن وعرفهم سبيل النجاة من ظلمهن ولا دلالة فى الآية على أن الخطاب قد صرف عنهم الى غيرهم فاذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الذين قيل لهم فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع هم الذين قيل لهم وآتوا النساء صدقاتهن وأن معناه وآتوا من نكحتم من النساء صدقاتهن نحلة لانه قال فى الاول فانكحوا ما طاب لكم من النساء ولم يقل فأنكحوا فيكون قوله وآتوا النساء صدقاتهن مصروفا الى انه معنى به أولياء النساء دون أزواجهن وهذا أمر من الله أزواج النساء المدخول بهن والمسمى لهن الصداق أن يؤتوهن صدقاتهن دون المطلقات قبل الدخول ممن لم يسم لها فى عقد النكاح صداق (القول فى تأويل قوله جل ثناؤه ﴿ فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ﴾ يعنى بذلك جل ثناؤه فان وهب لكم أيها الرجال نساؤكم شيئا من صداقهن طيبة بذلك أنفسهن فكلوه هنيئا مريئا كما حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا عمارة عن عكرمة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال المهر حدثنا محمد بن المثنى قال ثنى حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة عن عمارة عن عكرمة عن عمارة فى قول الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الصدقات حدثنى المثنى قال ثنى الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الازواج حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن عبيدة قال قال لى ابراهيم أكلت من الهنئ المرئ قلت ماذاك قال امرأتك أعطتك من صداقها حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن ابراهيم قال دخل رجل على علقمة وهو يأكل من طعام بين يديه من شئ أعطته امرأته من صداقها أو غيره فقال له علقمة ادن فكل من الهنئ المرئ حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية

بتقدير أعنى الذين أو هم الذين والوصل أشهر والارض ج لحق المحذوف أى يقولون ربنا باطلا ج للابتداء ابن سبحانك تعظيما والا فالقول متحد وفاء التعقيب متعقب النار ٥ أخزيته ط أنصار ٥ فآمنا فقف قيل والوصل أولى لان كلمة ربنا تكرار لمزيد الابتهال وقوله فاغفر لنا معطوف على آمنا أى اذا آمنا فاغفر الابرار ٥ ج للآية وللعطف يوم القيامة ط الميعاد ٥ أنثى ج

ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول اذا كان غير اضرار ولا خديعة فهو هنئ مرئ كما قال الله جل ثناؤه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال الصداق فكلوه هنيئا مريئا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد يقول فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر عن أبيه قال زعم حضرمى أن أناسا كانوا يتأثمون أن يرجع أحدهم فى شئ مما ساق الى امرأته فقال الله تبارك وتعالى فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا يقول ما طابت به نفسا فى غير كره أو هوان فقد أحل الله لك ذلك أن تأكله هنيئا مريئا وقال آخرون بل عنى بهذا القول أولياء النساء فقيل لهم ان طابت أنفس النساء اللواتى اليكم عصمة نكاحهن بصدقاتهن نفسا فكلوه هنيئا مريئا ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا سيار عن أبى صالح فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا قال كان الرجل اذا زوج ابنته عمد الى صداقها فأخذه قال فنزلت هذه الاية فى الاولياء فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا * قال أبو جعفر وأولى التأويلين فى ذلك بالصواب التأويل الذى قلنا وان الآية مخاطب بها الازواج لان افتتاح الآية مبتدأ بذكرهم وقوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فى سياقه وان قال قائل فكيف قيل فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وقد علمت أن معنى الكلام فان طابت لكم أنفسهن بشئ وكيف وحدت النفس والمعنى للجميع وذلك انه تعالى ذكره قال وآتوا النساء صدقاتهن نحلة قيل أما نقل فعل النفوس الى أصحاب النفوس فان ذلك المستفيض فى كلام العرب من كلامها المعروف ضقت بهذا الامر ذراعا وذرعا وقررت بهذا الامر عينا والمعنى ضاق به ذرعى وقرت به عينى كما قال الشاعر

اذا التيازذو العضلات قلنا * اليك اليك ضاق بها ذراعا

فنقل صفة الذراع الى رب الذراع ثم أخرج الذراع مفسرة لموقع الفعل وكذلك وحد النفس فى قوله فان طبن لكم عن شئ منه نفسا اذ كانت النفس مفسرة لموقع الخبر وأما توحيد النفس من النفوس لانه انما أراد الهوى والهوى يكون جماعة كما قال الشاعر

بها جيف الحسرى فأما عظامها * فبيض وأما جلدها فصليب

وكما قال الآخر * فى حلقكم عظم وقد شجينا * وقال بعض نحويى الكوفة جائز فى النفس فى هذا الموضع الجمع والتوحيد فان طبن لكم عن شئ منه نفسا وأنفسا وضقت به ذراعا وذرعا وأذرعا لانه منسوب اليك والى من تخبر عنه فاكتفى بالواحد عن الجمع لذلك ولم يذهب الوهم الى أنه ليس بمعنى جمع لان قبله جمعا قال أبو جعفر والصواب من القول فى ذلك عندنا أن النفس وقع موقع الاسماء التى تأتى بلفظ الواحد مؤدية معناه اذا ذكر بلفظ الواحد وانه بمعنى الجمع عن الجمع وأما قوله هنيئا فانه مأخوذ من هنأت البعير بالقطران اذا جرب فعولج به كما قال الشاعر

الغرض الاصلى من هذا الكتاب الكريم وهو جذب القلوب والاسرار بذكر ما يدل على التوحيد والكبرياء عن ابن عمر قلت لعائشة أخبرينى بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتانى فى ليلتى فدخل فى لحافى حتى ألصق جلده بجلدى ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذنى لى الليلة فى عبادة ربى فقلت يا رسول الله انى لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء فى البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلى فقرأ من القرآن وجعل يبكى حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى عليه وجعل يبكى ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يا رسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكى وقد أنزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وعن على أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان فى خلق السموات والارض واعلم انه ذكر فى سورة البقرة ان فى خلق السموات والارض الى أن عد ثمانية دلائل وههنا اقتصر منها على

الثلاثة الاول تنبيها على أن العارف بعد استكمال المعرفة لابد له من تقليل الدلائل ليكمل له الاستغراق فى معرفة المدلول فان البصيرة اذا التفتت الى معقول عسر عليها الالتفات الى آخر كالبصر اذا حدق الى مرئى امتنع تحديقه نحو آخر واليه الاشارة بقوله اخلع نعليك يعنى المقدمتين اللتين وصلت بهما الى النتيجة وهو وادى قدس الوحدانية وانما وقع الاقتصار على الدلائل السماوية لانها أقهر وأبهر والعجائب

فيها أكثر وانتقال النفس منها الى عظمة الله أيسر وانما قال في تلك السورة لآيات لقوم يعقلون وفي هذه السورة لآيات لاولي الالباب لان العقل له ظاهر ولب ففي أول الامر يكون عقلا وفي كمال الحال يكون لبا وباقي التفسير قدمر هناك ثم بعد دلائل الالهية ذكر وظائف العبودية وهي أن يكون باللسان وسائر الاركان وبالجنان مع الرحمن فقوله الذين يذكرون الله اشارة الى عبودية

اللسان وقوله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وهو في موضع حال آخر أي معتمدين على الجنب اشارة الى عبودية سائر الجوارح والاركان والمراد أنهم ذاكرون في أغلب أحوالهم كما قال صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل المراد بالذكر ههنا الصلاة أي يصلون في حال القيام فان عجزوا ففي حال القعود فان عجزوا ففي حال الاعتماد وهذا موافق لمذهب الشافعي في ترتيب صلاة المريض العاجز ويوافق بحناطيبا وهو أن الاستلقاء يمنع من استكمال الفكر والتدبر بخلاف الاضطجاع على الجنب والصلاة اذا كانت عن فكر وتدبر كانت أولى ولان الاستغراق في النوم يكون في هيئة الاستلقاء أكثر فذلك وضع الغافلين وقال أبو حنيفة بل يصلي مستلقيا ان عجز عن القعود حتى لو وجد خفة قعد وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة الى عمل الجنان وقد عرفت معنى الفكر في البحث الخامس من تفسير قوله وعلم آدم الاسماء وانما لم يقل ويتفكرون في الله كما قال يذكرون الله لقوله صلى الله عليه وسلم تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق والسبب فيه أن الاستدلال بالخلق على الخالق لا يمكن وقوعه على نعت المماثلة وانما يمكن على نعت المخالفة فانا نستدل بحدوث هذه

متبذلا تبدو محاسنه * يضع الهناء مواضع النقب

فكان معنى قوله فكلوه هنيئا مريئا فكلوه دواء شافيا يقال منه هنأني الطعام ومرأني أي صار لي دواء وعلاجا شافيا وهنئني ومرئني بالكسر وهي قليلة والذين يقولون هذا القول يقولون يهنأني ويمرأني والذين يقولون هنأني يقولون يهنئني ويمرئني فاذا أفردوا قالوا قد أمرأني هذا الطعام امراء ويقال هنأت القوم اذا علتهم سمع من العرب من يقول انما سميت هانئا لتهنأ بمعنى لتعول وتكفي ﴿ القول في تأويل قوله ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في السفهاء الذين نهى الله جل ثناؤه عباده أن يؤتوهم أموالهم فقال بعضهم هم النساء والصبيان ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن بن مهدي قال ثنا اسرائيل عن عبد الكريم عن سعيد بن جبير قال اليتامى والنساء حدثنا المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن يونس عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعطوا الصغار والنساء حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا يزيد بن زريع عن يونس عن الحسن قال المرأة والصبي حدثني المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال أخبرنا هشيم عن شريك عن أبي حمزة عن الحسن قال النساء والصغار والنساء أسفه السفهاء حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء ابنك السفيه وامرأتك السفيهة وقد ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في الضعيفين اليتيم والمرأة حدثنا المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا حميد عن عبد الرحمن الرؤاسي عن السدي قال يرده الى عبد الله قال النساء والصبيان حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أما السفهاء فالولد والمرأة حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان عن الضحاك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يعني بذلك ولد الرجل وامرأته وهي أسفه السفهاء حدثني يحيى بن أبي طالب قال ثنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال السفهاء الولد والنساء أسفه السفهاء فيكونوا عليكم أربابا حدثنا أحمد بن حازم الغفاري قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سلمة بن نبيط عن الضحاك قال أولادكم ونساؤكم حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا أبي عن سلمة عن الضحاك قال النساء والصبيان حدثنا أحمد بن حازم قال ثنا أبو نعيم قال ثنا سفيان عن حميد الاعرج عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا أحمد قال ثنا أبو نعيم قال ثنا ابن أبي عنبسة عن الحكم ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء والولدان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما أمر الله بهذا المال أن يخزن فيحسن خزانته ولا يملكه المرأة السفيهة والغلام السفيه حدثني المثنى قال ثنا الحماني قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل عن أبي مالك قال النساء والصبيان حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال امرأتك وبنيك وقال السفهاء الولدان والنساء أسفه السفهاء

المحسوسات على قدم خالقها وبامكانها على وجوبه وبافتقارها على غناه فالفكر في المخلوقات ممكن وفي الخالق غير ممكن وقال كيف وان الفكر ترتيب المقدمات على وجه منتج والمقدمة لها موضوع ومحمول لا بد من تصورهما وتصوره سبحانه محال لان تصور الشئ عبارة عن حصول صورته في النفس فتكون الصورة محاطة والنفس محيطة بها ولا يحيط بالواحد شئ الا انه بكل شئ محيط لكنه اذا تفكر

وقال آخرون بل السفهاء الصبيان خاصة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هم اليتامى حدثنا ابن وكيع قال ثنى أبى عن شريك عن سالم عن سعيد قال السفهاء اليتامى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا يونس عن الحسن فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تنحلوا الصغار وقال آخرون بل عنى بذلك السفهاء من ولد الرجل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال أخبرنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال لا تعط ولدك السفيه مالك فيفسده الذى هو قوامك بعد الله تعالى حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم يقول لا تسلط السفيه من ولدك فكان ابن عباس يقول نزل ذلك فى السفهاء وليسوا اليتامى من ذلك فى شئ حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن فراس عن الشعبى عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى أنه قال ثلاثة يدعون الله فلا يستجيب لهم رجل كانت له امرأة سيئة الخلق فلم يطلقها ورجل أعطى ماله سفيها وقد قال الله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم ورجل كان له على رجل دين فلم يشهد عليه حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن زيد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم الآية قال لا تعط السفيه من ولدك رأسا ولا حائطا ولا شيئا هولك قيما من مالك وقال آخرون بل السفهاء فى هذا الموضع النساء خاصة دون غيرهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى أن رجلا عمد فدفع ماله الى امرأته فوضعته فى غير الحق فقال الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حميد عن مجاهد ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال النساء حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال ثنا سفيان عن الثورى عن حميد عن قيس عن مجاهد فى قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم قال هن النساء حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قول الله تبارك وتعالى ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما قال نهى الرجال أن يعطوا النساء أموالهم وهن سفهاء من كن أزواجا أو أمهات أو بنات حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا هشام عن الحسن قال المرأة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال النساء من أسفه السفهاء حدثنى المثنى قال ثنا سويد قال أخبرنا ابن المبارك عن أبى عوانة عن عاصم عن مورق قال مرت امرأة بعبد الله بن عمر لها شارة وهيئة فقال لها ابن عمر ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما * قال أبو جعفر والصواب من القول فى تأويل ذلك عندنا أن الله جل ثناؤه عم بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم فلم يخصص سفيها دون سفيه فغير جائز لأحد أن يؤتى سفيها ماله صبيا صغيرا كان أو رجلا كبيرا ذكرا كان أو أنثى والسفيه الذى لا يجوز لوليه أن

فى مخلوقاته ولا سيما السموات مع ما فيهما من الشمس والقمر والنجوم والى الارض مع ما عليها من البحار والجبال والمعادن والنبات والحيوان عرف أولا أن لها ربا وصانعا فيقول ربنا ثم يعترف بان فى كل من ذلك حكما ومقاصد وفوائد لا يحيط بتفاصيلها الا موجدها فيقول ما خلقت هذا باطلا ثم اذا قاس أحوال هذه المصنوعات الى صانعها علم أن ذاته تعالى منزه عن مشابهة شئ من هذه المصنوعات فيعلم انه ليس بجوهر ولا عرض ولا مركب ولا مؤلف ولا فى حيز وجهة فيقول سبحانك أى أنزهك عما لا يليق بك من مناسبة الجواهر والاعراض ثم اذا بلغ من الاستغراق فى بحار العظمة والجلال هذا المبلغ وجد نفسه ذرة من ذرات الكائنات واقعة فى حضيض عالم البشرية محاطة بالطبائع والاركان فيتضرع الى خالق السموات والارض أن يخلصه من قيد العناصر ويعرج به من الارض ويقيه عذاب كرة النار ويوصله الى معارج السموات وذلك قوله فقنا عذاب النار ثم ذكر سبب الاستعاذة من النار بقوله ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته أى أبلغت فى اخزائه نظيره قوله فقد فاز وفى كلامهم من أدرك مرعى الصمان فقد أدرك ثم توسل الى ما سأل بالايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وذلك قوله ربنا اننا سمعنا مناديا الآية فهذا بيان وجه النظم فى هذه الكلمات والآيات على وجه ألقى فى روعى والله أعلم باسرار كلامه عن النبى صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد أن لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وعنه صلى الله عليه وسلم لا تفضلونى على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل أهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى أمر الله الذى هو عمل القلب لان أحدا لا يقدر على أن يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل أهل الارض وعنه صلى الله عليه وسلم لا عبادة كالتفكر وهذا اشارة الى لفظ الخلق على أنه بمعنى المخلوق أو الى السموات والارض بتأويل المخلوق وفى كلمة هذا ضرب من التعظيم كانه لعظم شأنه معقود به الهمم حتى صار حاضرا فى خزانة الخيال وباطلا نصب على المصدر أى خلقا باطلا أو على الحال وقيل بنزع الخافض أى بالباطل أو للباطل قالت المعتزلة فيه

يؤتيه ماله هو المستحق الحجر بتضييعه ماله وفساده وافساده وسوء تدبيره ذلك وانما قلنا ما قلنا من
أن المعنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء هو من وصفنا دون غيره لان الله جل ثناؤه قال في الآية التي
تتلوها وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم فأمر أولياء
اليتامى بدفع أموالهم اليهم اذا بلغوا النكاح وأونس منهم الرشد وقد يدخل في اليتامى الذكور والاناث
فلم يخصص بالامر بدفع مالهم من الاموال الذكور دون الاناث ولا الاناث دون الذكور واذا كان
ذلك كذلك فمعلوم أن الذين أمر أولياؤهم بدفعهم أموالهم اليهم وأجيز للمسلمين مبايعتهم ومعاملتهم
غير الذين أمر أولياؤهم بمنعهم أموالهم وحظر على المسلمين مداينتهم ومعاملتهم فاذ كان ذلك كذلك
فبين أن السفهاء الذين نهى الله المؤمنين أن يؤتوهم أموالهم هم المستحقون الحجر والمستوجبون
أن يولى عليهم أموالهم وهم من وصفنا صفتهم قبل وأن من عدا ذلك فغير سفيه لان الحجر لا يستحقه
من قد بلغ وأونس رشده وأما قول من قال عنى بالسفهاء النساء خاصة فانه جعل اللغة على غير
وجهها وذلك أن العرب لا تكاد تجمع فعيلا على فعلاء الا في جمع الذكور أو الذكور والاناث وأما
اذا أرادوا جمع الاناث خاصة لا ذكران معهم جمعوه على فعائل وفعيلات مثل غريبة تجمع غرائب
وغريبات فأما الغرباء فجمع غريب واختلف أهل التأويل في تأويل قوله أموالكم التي جعل الله
لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم فقال بعضهم عنى بذلك لا تؤتوا السفهاء من النساء والصبيان
على ما ذكرنا من اختلاف من حكينا قوله قبل أيها الرشداء أموالكم التي تملكونها فتسلطوهم
عليها فيفسدوها ويضيعوها ولكن ارزقوهم أنتم منها ان كانوا ممن تلزمكم نفقته واكسوهم
وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا الرواية عن جماعة ممن قال ذلك منهم أبو موسى الاشعري وابن
عباس والحسن ومجاهد وقتادة وحضرمي وسنذكر قول الآخرين الذين لم نذكر قولهم فيما مضى
قبل حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها يقول لا تعط امرأتك وولدك مالك فيكونوا هم
الذين يقومون عليك وأطعمهم من مالك واكسهم حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم
فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا يقول لا تسلط السفيه من ولدك على مالك وأمره أن يرزقه
منه ويكسوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم قال لا تعط السفيه من مالك شيئا هو لك وقال آخرون بل معنى ذلك ولا تؤتوا السفهاء
أموالهم ولكنه أضيف الى الولاة لانهم قوامها ومدبروها ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا
سويد بن نصر قال ثنا ابن المبارك عن شريك عن سالم عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء
أموالكم (١) وقد يدخل في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال المنهيين عن أن يؤتوهم ذلك وأموال
السفهاء لان قوله أموالكم غير مخصوص منها بعض الاموال دون بعض ولا تمنع العرب أن
تخاطب قوما خطابا فيخرج الكلام بعضه خبرا عنهم وبعضه عن غيب وذلك نحو أن يقولوا أكلتم
يا فلان أموالكم بالباطل فيخاطب الواحد خطاب الجمع بمعنى أنك وأصحابك أو وقومك أكلتم

(١) كذا بالنسخ والذي في الدر عن سعيد بن جبير في قوله ولا تؤتوا السفهاء قال هم اليتامى أموالكم
قال أموالهم بمنزلة قوله ولا تقتلوا أنفسكم اهـ وبه يتم دليل الدعوى كتبه مصححه

دليل على أن كل ما يفعله الله تعالى فهو انما يفعله لغرض الاحسان الى العبد ولاجل حكمة وغاية وقوله سبحانك جملة معترضة تنزيها له من
العبث وأن يخلق شيأ بغير حكمة فوجه النظم في قوله فقنا عذاب النار أن الحكمة في خلق الارض والسموات أن يجعلها مساكن للمكلفين
وأدلة لهم على معرفته ووجوب طاعته واجتناب معصيته والنار جزاء من عصى ولم يطع وقالت الاشاعرة الدليل
الدال على أن أحد طرفي الممكن
لا يترجح الا بمرجح عام وذلك
المرجح لا بد أن ينتهي الى الله تعالى
فاذن الخير والشر والافعال كلها
بقضاء الله وقدره فلا يمكن أن تعلل
أفعال الله بمصالح العباد بل له أن
يتصرف في ملكه كيف يشاء والباطل
في اللغة الذاهب الزائل الذي لا يكون
له قوة ولا صلابة فيكون بصدد
التلاشي والاضمحلال والمراد أن
خلقهما خلق محكم متقن كقوله
وبنينا فوقكم سبعا شدادا هل ترى من
فطور ومعنى سبحانك انك وان
خلقتهما في غاية شدة التركيب وبصدد
البقاء الأنك غني عن الاحتياج
اليهما منزه عن الانتفاع بهما ثم لما وصف
ذاته تعالى بالغنى أقر لنفسه بالعجز
والحاجة اليه في الدنيا والآخرة فقال
فقنا عذاب النار واحتج حكماء الاسلام
بالآية على انه سبحانه خلق الافلاك
والكواكب وأودع في كل واحد
منها قوى مخصوصة وجعلها بحيث
يحصل من حركتها واتصال بعضها
ببعض مصالح هذا العالم ومنافع
قطان العالم السفلي قالوا الانها لو لم
تكن كذلك لكانت باطلة ولا يمكن
أن تقصر منافعها على الاستدلال
بها على الصانع لان كل ذرة من ذرات
الهواء والماء يشاركها في ذلك فلا
تبقى لخصوصياتها فائدة وهو خلاف
النص وناقشهم المتكلمون في ذلك
وقالوا ان الفلكيات أسباب
للارضيات على مجرى العادة لا على
سبيل الحقيقة والانصاف في هذا المقام أن وجود الوسائط لا ينافي استناد الكل الى مسبب الاسباب وان كون
أفعال الله تعالى مستتبعة لمصالح العباد لا ينافي جريان الامور كلها بقضائه وقدره ثم انهم لما سألوا ربهم أن يقيهم عذاب النار أتبعوا ذلك ما يدل
على عظم ذلك العقاب وهو الاخزاء ليدل على شدة اخلاصهم وجدهم في الهرب من ذلك فيكون أقرب الى الاستجابة كما انهم قدموا الثناء

عـلى الله بقولهـم سبحانك على الطلب ليكون أقـرب الى الادب وأحرى بالاجابة وكل ذلك تعليم من الله تعالى عباده فى حسن الطلب قال الواحدى الاخزاء جاء لمعان متقارب ة عن الزجاج أخزى الله العدو أى أبعده وقيـل أهانه وقيل فضحه وقيل أهلكه وقال ابن الانبارى الخزى فى اللغـة الهلاك بتلف أو انقطاع حجة أو بوقوع فى بلاء قالت المعتزلة فى الآية دلالة على أن صاحب الكبيرة من أهل الصلاة

أموالكم فكذلك قوله ولا تؤتوا السفهاء معناه لا تؤتوا أيها الناس سفهاءكم أموالكم التى بعضها لكم وبعضها لهم فتضيعوها واذ كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد عم بالنهى عن ايتاء السفهاء الاموال كلها ولم يخصص منها شيأ دون شئ كان بينا بذلك أن معنى قوله التى جعل الله لكم قياما انما هو التى جعل الله لكم ولهم قياما ولكن السفهاء دخل ذكرهم فى ذكر المخاطبين بقوله لكم وأما قوله التى جعل الله لكم قياما فان قياما وقيما وقواما فى معنى واحد وانما القيام أصله القوام غير أن القاف التى قبل الواو ولما كانت مكسورة جعلت الواو ياء لكسرة ما قبلها كما يقال صمت صياما وحلت حيالا ويقال منه فلان قوام اهل بيته وقيام اهل بيته واختلفت القراء فى قراءة ذلك فقرأ بعضهم التى جعل الله لكم قيما بكسر القاف وفتح الياء بغير الف وقرأه آخرون قياما بألف قال محمد والقراءة التى نختارها قياما بالألف لانها القراءة المعروفة فى قراءة أمصار الاسلام وان كانت الاخرى غير خطأ ولا فاسد وانما اخترنا ما اخترنا من ذلك لان القرآت اذا اختلفت فى الالفاظ واتفقت فى المعانى فأعجبها الينا ما كان أظهر وأشهر فى قراءة أمصار الاسلام وبنحو الذى قلنا فى تأويل قوله قياما قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا سعيد بن يحيى الاموى قال ثنا ابن المبارك عن اسمعيل بن أبى خالد عن أبى مالك أموالكم التى جعل الله لكم قياما التى هى قوامك بعد الله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد ابن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى أموالكم التى جعل الله لكم قياما فان المال هو قيام الناس قوام معايشهم يقول كنت أنت قيم أهلك فلا تعط امرأتك مالك فيكونوا هم الذين يقومون عليك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تؤتوا السـفهاء أموالكم التى جعـل الله لكم قياما يقول الله سبحانه لا تعمد الى مالك وما خولك الله وجعـله لك معيشـة فتعطيه امرأتك أو بنيك ثم تنظر الى ما فى أيديهم ولكن أمسك مالك وأصلحه وكن أنت الذى تنفق عليهم فى كسوتهم ورزقهم ومؤنتهم قال وقوله قياما بمعنى قوامكم فى معايشكم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الحسن قوله قياما قال قيام عيشك حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا بكر بن شرود عن ابن مجاهد أنه قـرأ التى جعل الله لكم قياما بالالف يقول قيام عيشك حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله أموالكم التى جعل الله لكم قيـاما قال لا تعط السـفيه من ولدك شـيأ هو لك قيم من مالك وأما قوله وارزقوهم فيها واكسوهم فان أهـل التأويل اختلفوا فى تأويله فأما الذين قالوا انما عنى الله جل ثناؤه بقوله ولا تؤتوا السـفهاء أموالكم أولياء السفهاء لا أموال السفهاء فانهم قالوا معنى ذلك وارزقوا أيها الناس سفهاءكم من نسائكم وأولادكم من أموالكم طعامهم وما لا بد لهم منـه من مؤنهم وكسوتهم وقد ذكرنا بعض قائلى ذلك فيما مضى وسنذكر من لم نذكر من قائليه حدثنى محمد بن عمـرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهـد قال أمروا أن يرزقوا سـفهاءهم من أزواجهم وأمهاتهم وبناتهم من أموالهم حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج

ليس بمؤمن لانه اذا دخل النار فقد أخزاه الله والمؤمن لا يخـزى لقوله يوم لا يخـزى الله النـبى والذين آمنوا معه وأجيب بانه لا يلزم من أن لا يكون من آمن وهو مـع النبى صلى الله عليه وسلم مخزى أن لا يكون غـيره وهو مؤمن مخزى وأيضا الآية ليست على عمومها لقوله وان منكم الا واردها كان عـلى ربك حتما مقضيا ثم ننجى الذين اتقوا فثبت أن كل من دخـل النار فانه ليس بمخزى وعن سـعيد بن المسيب والثورى ان هذا فى حق الكفار الذين أدخلوا النار للخلود وأيضا انه مخـزى حال دخوله وان كانت عاقبته الخروج وقوله يوم لا يخزى نفى الخزى عـلى الاطلاق والمطلق يكفى فى صدقه صورة واحـدة وهى نفى الخـزى المخلد ويحتمل أن يقال الاخزاء مشترك بين التخجيل وبين الاهلاك واذا كان المثبت هو الاول والمنـفى هو الثانى لم يلزم التنافى واحتجت المرجئة بالآية عـلى أن صاحب الكبيرة لا يدخـل النار لانه مؤمن لقوله يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص ولقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا والمؤمن لا يخـزى لقوله يوم لا يخزى الله النبى والمدخل فى النار مخزى بهذه الآية والمقدمات باسرها يدخلها المنـع أما الاولى فباحتمـال أن لا يسمى بعـد القتل مؤمنا وان كان قبـله مؤمنا وأما الأخريان فبخصوص المحمـول وجزئيـة الموضوع كما تقرر آنفا وقد يتمسك حكماء الاسـلام بهذا فى أن العذاب الروحانى أشد لانه بين سبب الاستعاذة بالاخزاء الذى هو التخجيل وهو أمر نفسانى وقد يتمسك المعتزلة بقوله وما للظالمين أى الداخلين فى النار من أنصار أى فى نفى الشفاعة للفساق لانها نوع نصرة ونفى الجنس يقتضى نفى النوع والجواب أن الظالم على الاطلاق هو الكافر لقوله والكافرون هـم الظالمون وأيضا لا تأثير للشفاعة الا باذن الله فسؤال

معنى الآية الى أن الامر يومئذ لله وعلى هذا ففائدة تخصيص الظالمين بهذا الحكم أنه وعد المتقين الفوز فلهم هذا الحجة بخلاف الفساق وأيضا أدلة الشفاعة مخصصة لعموم الآية قالوا الفاسق لا يخرج من النار والا كان مخرجه ناصر اله وعورض بالآيات الدالة على العفو ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي تقول سمعت رجلا يتكلم بكذا (١٦٨) فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع اكتفاء بما وصفته به أو جعلته

حالا عنه والمنادي عند الاكثرين هو رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله ادع الى سبيل ربك أدعو الى الله وداعيا الى الله وقيل القرآن كما نسب اليه الهداية في قوله ان هذا القرآن يهدي كأنه يدعو الى نفسه وينادي بما فيه من الدلائل كما قيل في جهنم تدعو من أدبر وتولى والفصحاء يصفون الدهر بانه ينادي ويعظ لدلالة تصاريفه قال ياواضع الميت في قبره * خاطبك الدهر فلم تسمع ويقال ينادي الى كذا ولكذا ودعاه اليه وله وهداه للطريق واليه فيقام كل من اللام والى مقام الاخرى نظرا الى وقوع معنى الانتهاء والاختصاص معا وقال أبو عبيدة هذا على التقديم والتأخير أي سمعنا مناديا للايمان ينادي كما يقال جاء مناد للامير فنادى بكذا وقيل معناه لاجل الايمان ولهذا الغرض فسر بقوله أن آمنوا وأن مفسرة أو مخففة معناه أي امنوا أو بان آمنوا والفائدة في الجمع بين المنادى وينادي للايمان هي فائدة الاطلاق ثم التقييد والاجمال ثم التفصيل من رفع شأن المطلق والمجمل وكونه حينئذ أوقع في النفس وأعز فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا أصل الغفر والتكفير كلاهما الستر والتغطية وأما الذنوب والسيئات فقيل هما واحد والتكرار للتأكيد والالحاح ان الله يحب الملحين في الدعاء

عن ابن جريج قال قال ابن عباس قوله وارزقوهم قال يقول أنفقوا عليهم حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وارزقوهم فيها واكسوهم يقول أطعمهم من مالك واكسهم وأما الذين قالوا انما عنى بقوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أموال السفهاء أن لا يؤتيهموها أولياؤهم فانهم قالوا معنى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وارزقوا أيها الولاة ولاة أموال السفهاء سفهاءكم من أموالهم طعامهم وما لا بد لهم من مؤنهم وكسوتهم وقد مضى ذكر ذلك * قال أبو جعفر وأما الذي نراه صوابا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم من التأويل فقد ذكرناه ودللنا على صحة ما قلنا في ذلك بما أغنى عن اعادته فتأويل قوله وارزقوهم فيها واكسوهم على التأويل الذي قلنا في قوله ولا تؤتوا السفهاء أموالكم وأنفقوا على سفهائكم من أولادكم ونسائكم الذين تجب عليكم نفقتهم من طعامهم وكسوتهم في أموالكم ولا تسلطوهم على أموالكم فيهلكوها وعلى سفهائكم منهم ممن لا تجب عليكم نفقته ومن غيرهم الذين تلون أنتم أمورهم من أموالهم فيما لا بد لهم من مؤنهم في طعامهم وشرابهم وكسوتهم لان ذلك هو الواجب من الحكم في قول جميع الحجة لا خلاف بينهم في ذلك مع دلالة ظاهر التنزيل على ما قلنا في ذلك ❁ القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وقولوا لهم قولا معروفا﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم معنى ذلك عدهم عدة جميلة من البر والصلة ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال أمروا أن يقولوا لهم قولا معروفا في البر والصلة يعني النساء وهن السفهاء عنده حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وقولوا لهم قولا معروفا قال عدة تعدوهم * وقال آخرون بل معنى ذلك ادعوا لهم ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وقولوا لهم قولا معروفا ان كان ليس من ولدك ولا ممن يجب عليك أن تنفق عليه فقل لهم قولا معروفا قل لهم عافانا الله واياك وبارك الله فيك * قال أبو جعفر وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصحة ما قاله ابن جريج وهو أن معنى قوله وقولوا لهم قولا معروفا أي قولوا يا معشر ولاة السفهاء قولا معروفا للسفهاء ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وخلينا بينكم وبينها فاتقوا الله في أنفسكم وأموالكم وما أشبه ذلك من القول الذي فيه حث على طاعة الله ونهي عن معصيته ❁ القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح﴾ يعني تعالى ذكره بقوله وابتلوا اليتامى واختبروا عقول يتاماكم في أفهامهم وصلاحهم في أديانهم واصلاحهم أموالهم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن في قوله وابتلوا اليتامى قالا يقول اختبروا اليتامى حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي أما ابتلوا اليتامى فجربوا عقولهم حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وابتلوا اليتامى قال عقولهم حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس

وقيل الاول الكبائر والثاني الصغائر وقيل الاول أريد به ما تقدم منهم والثاني المستأنف وقيل الاول ما أتى به الانسان مع العلم بكونه معصية وذنبا والثاني ما أتى به مع الجهل بكونه ذنبا وتوفنا مع الابرار أي معدودين منهم ومن أتباعهم أو مشاركين لهم في الثواب أو على مثل أعمالهم ودرجاتهم كقول الرجل أنا مع الشافعي في هذه المسئلة أي مساوله في ذلك الاعتقاد احتجت

قوله وابتلوا اليتامى قال اختبروهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح قال اختبروه في رأيه وفي عقله كيف هو واذا عرف أنه قد أنس منه رشد دفع اليه ماله قال وذلك بعد الاحتلام * قال أبو جعفر وقد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى الابتلاء الاختبار بما فيه الكفاية عن اعادته وأما قوله اذا بلغوا النكاح فانه يعني اذا بلغوا الحلم كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله حتى اذا بلغوا النكاح حتى اذا احتلموا حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس حتى اذا بلغوا النكاح قال عند الحلم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله حتى اذا بلغوا النكاح قال الحلم ❁ القول في تأويل قوله ﴿فان آنستم منهم رشدا﴾ يعني بقوله فان آنستم منهم رشدا فان وجدتم منهم وعرفتم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا قال عرفتم منهم يقال آنست من فلان خيرا وقرئ بمد الالف ايناسا وأنست به آنس انسا بقصر ألفها اذا ألفه وقد ذكر أنها في قراءة عبد الله فان أحسيتم منهم رشدا بمعنى أحسستم أي وجدتم واختلف أهل التأويل في معنى الرشد الذي ذكره الله في هذه الآية فقال بعضهم معنى الرشد في هذا الموضع العقل والصلاح في الدين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي فان آنستم منهم رشدا عقولا وصلاحا حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فان آنستم منهم رشدا يقول صلاحا في عقله ودينه * وقال آخرون معنى ذلك صلاحا في دينهم واصلاحا لأموالهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن مبارك عن الحسن قال رشدا في الدين وصلاحا وحفظا للمال حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس فان آنستم منهم رشدا في حالهم والاصلاح في أموالهم * وقال آخرون بل ذلك العقل خاصة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن منصور عن مجاهد قال لا ندفع الى اليتيم ماله وان أخذ بلحيته وان كان شيخا حتى يؤنس منه رشده العقل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى عن سفيان عن منصور عن مجاهد آنستم منهم رشدا قال العقل حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو شبرمة عن الشعبي قال سمعته يقول ان الرجل ليأخذ بلحيته وما بلغ رشده *وقال آخرون بل هو الصلاح والعلم بما يصلحه ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج فان آنستم منهم رشدا قال صلاحا وعلما بما يصلحه * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال عندي بمعنى الرشد في هذا الموضع العقل واصلاح المال لاجماع الجميع على أنه اذا كان كذلك لم يكن ممن يستحق الحجر عليه في ماله وحوز ما في يده عنه وان كان فاجرا في دينه واذ كان ذلك اجماعا من الجميع فكذلك حكمه اذا بلغ وله مال في يدي وصي أبيه أو في يد حاكم قد ولي ماله لطفولته واجب عليه تسليم ماله اليه اذا كان عاقلا بالغا مصلحا لماله غير مفسد لان المعنى الذي به يستحق أن يولى على ماله الذي هو في يده هو المعنى الذي به يستحق أن يمنع يده من ماله الذي هو في يده

الاشاعرة بالآية على أن العفو غير مشروط بالتوبة لانهم طلبوا المغفرة بدون ذكر التوبة بل بدون التوبة بدلالة فاء التعقيب في فاغفر بعد قولهم آمنا ثم انه تعالى أجابهم الى ذلك بقوله فاستجاب لهم و يعلم منه ثبوت شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لاصحاب الكبائر بالطريق الاولى ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك أي على تصديق رسلك لانها مذكورة عقيب ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وعقيب قوله آمنا وهو التصديق فتكون على صلة للوعد كقولك وعد الله الجنة على الطاعة ويحتمل أن يتعلق بمحذوف أي ما وعدتنا منزلا على رسلك أو محمولا على رسلك لان الرسل يحملون ذلك فانما عليه ما حمل وقيل على ألسنة رسلك والمتعلق كما ذكر والموعود هو الثواب وقيل النصر على الاعداء وانما دعوا الله بانجاز ما وعد مع علمهم بانه لا يخلف الميعاد كما صرحوا به في آخر الادعية لان معظم الغرض من الدعاء اظهار سيما العبودية أو المراد وفقنا للاعمال التي بها نصير أهلا لوعدك واعصمنا عما بها نكون أهلا لاخزائك أو طلبوا تعجيل النصرة على الاعداء أو المراد احفظ علينا أسباب انجاز الميعاد وقيل فيه دليل على أنهم طلبوا منافع الآخرة بحكم الوعد لا بحكم الاستحقاق ثم ان الثواب منفعة مقرونة بالتعظيم فلهذا ختموا الادعية بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة لان التخجيل والتفضيح يكدر صفو كل من وعطاء والحاصل من هذه الآيات أنهم نظروا في المصنوع فعرفوا منه الصانع فقالوا ربنا ثم تفكروا في عجيب خلقه وبديع شكله فعرفوا أن صانعه حكيم والحكيم لا تخلو أفعاله من الفوائد والغايات وان لم يكن مستكملا بها فقالوا ما خلقت هذا باطلا ثم تأملوا في غاية الغايات ونهاية الحركات فوجدوها الانسان المكلف على ألسنة الرسل ووجدوا عاقبة التكليف الجنة أو النار فتضرعوا الى معبودهم في توفيق الوصول الى الجنة والخلاص من النار ولان دفع الضرر أهم من جلب المنفعة فجعلوا أول دعائهم وآخره الاستعاذة من العذاب ولان العذاب الروحاني عند العقلاء أشد من العذاب الجسماني فلا جرم وقع الختم

ولي فانه لا فرق بين ذلك وفي اجماعهم على أنه غير جائز حيازة ما في يده في حال صحة عقله واصلاح ما في يده الدليل الواضح على أنه غير جائز منع يده مما هو له في مثل ذلك الحال وان كان قبل ذلك في يد غيره لا فرق بينهما ومن فرق بين ذلك عكس عليه القول في ذلك وسئل الفرق بينهما من أصل أو نظير فلن يقول في أحدهما قولا الا ألزم في الآخر مثله فان كان ما وصفنا من الجميع اجماعا فبين أن الرشد الذي به يستحق اليتيم اذا بلغ فأونس منه دفع ماله اليه ما قلنا من صحة عقله واصلاح ماله ﴿ القول في تأويل قوله جل ثناؤه ﴿فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا﴾ يعني بذلك تعالى ذكره ولاة أموال اليتامى يقول الله لهم فاذا بلغ أيتامكم الحلم فآنستم منهم عقلا واصلاحا لأموالهم فادفعوا اليهم أموالهم ولا تحبسوها عنهم وأما قوله فلا تأكلوها اسرافا يعني بغير ما أباحه الله لكم كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا يقول لا تسرف فيها حدثنا محمد بن الحسن قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ولا تأكلوها اسرافا قال يسرف في الاكل وأصل الاسراف تجاوز الحد المباح الى ما لم يبح وربما كان ذلك في الافراط وربما كان في التقصير غير أنه اذا كان في الافراط فاللغة المستعملة فيه أن يقال أسرف يسرف اسرافا واذا كان كذلك في التقصير فالكلام منه سرف يسرف سرفا يقال مررت بكم فسرفتكم يراد منه فسهوت عنكم وأخطأتكم كما قال الشاعر

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية * ما في عطائهم منّ ولا سرف

يعني بقوله ولا سرف لا خطأ فيه يراد به أنهم يصيبون مواضع العطاء فلا يخطؤنها * القول في تأويل قوله ﴿وبدارا أن يكبروا﴾ يعني جل ثناؤه بقوله وبدارا ومبادرة وهو مصدر من قول القائل بادرت هذا الامر مبادرة وبدارا وانما يعني بذلك جل ثناؤه ولاة أموال اليتامى يقول لهم لا تأكلوا أموالهم اسرافا يعني ما أباح الله لكم أكله ولا مبادرة منكم بلوغهم وايناس الرشد منهم حذرا أن يبلغوا فيلزمكم تسليمه اليهم كما حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله اسرافا وبدارا يعني أكل مال اليتيم مبادرا أن يبلغ فيحول بينه وبين ماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والحسن ولا تأكلوها اسرافا وبدارا يقول لا تسرف فيها ولا تبادر حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وبدارا تبادرا أن يكبروا فيأخذوا أموالهم حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله اسرافا وبدارا قال هذه لولي اليتيم خاصة جعل له أن يأكل معه اذا لم يجد شيأ يضع يده معه فيذهب بوجهه يقول لا أدفع اليه ماله وجعلت تأكله تشتهي أكله لانك ان لم تدفعه اليه لك فيه نصيب واذا دفعته اليه فليس لك فيه نصيب وموضع أن في قوله أن يكبروا نصب بالمبادرة لان معنى الكلام لا تأكلوها مبادرة كبرهم * القول في تأويل قوله ﴿ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف﴾ يعني بقوله جل ثناؤه ومن كان غنيا من ولاة أموال

اليتامى

على الاستعاذة من الاخزاء اللهم شاركنا في هذا الدعاء واجعلنا من السعداء المتفكرين في ملكوت الارض والسماء انك واهب العطاء وكاشف الغطاء عن جعفر الصادق من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما أراد لان الله تعالى حكى عنهم في هذه الا يات أنهم قالوا خمس مرات ربنا ثم قال فاستجاب لهم ربهم اي أجابهم أني أي باني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى من في منكم للتبعيض لان كل عامل فرد من أفراد المخاطبين وفي من ذكر للتبيين لان العامل اما ذكر واما أنثى واضاعة العمل عبارة عن اضاعة ثوابه بعضكم من بعض أي يجمع ذكوركم واناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر أي من أصله أو المراد بعضكم كانه من البعض الاخر لفرط اتصالكم واتحادكم كما يقال فلان مني أي على خلقي وسيرتي قال صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بين بها شركة النساء مع الرجال فيما يرجع الى استحقاق الثواب على العمل روي أن أم سلمة قالت يارسول الله اني أسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت ثم فصل عمل العامل منهم تفخيما لشأن العمل وتنويها بذكره فقال فالذين هاجروا أوطانهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بعده باختيارهم وأخرجوا من ديارهم ألجأهم الكفار الى الخروج وأوذوا في سبيلي يريد طريق الدين وقاتلوا وقتلوا من قرأ بالتشديد فللتكثير وتكرر القتل فيهم وقيل أي قطعوا ومن قرأ قتلوا وقاتلوا فاما لأن الواو لا تفيد الترتيب والترتيب الطبيعي قاتلوا حتى قتلوا واما من قولهم قتلنا ورب الكعبة اذا ظهرت أمارات القتل واذا قتل قومه وعشيرته واما باضمار قد أي قتلوا وقد قاتلوا لاكفرن جواب للقسم المقدر عنهم سيئاتهم وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار وهو الذي طلبوه بقولهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ثوابا من عند الله وهو الذي طلبوه من الثواب المقرون بالتعظيم بقولهم ولا تخزنا يوم القيامة أي ثوابا يختص به وبقدرته و بفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه يقول الرجل عندي

ماتريد أى أنا مختص به وبعلمه وان لم يكن بحضرته وثوابا نصب على المصدر المؤكد أى اثابة أو تثويبا من عنده لان قوله لأكفرن ولأدخلنهم
فى معنى لأثيبنهم وقال الكسائى هو منصوب على القطع أى على الحال وقال الفراء نصب على التفسير كقولك هو لك هبة أو بيعا أو صدقة
ثم ختم بقوله والله عنده حسن الثواب لانه القادر على كل المقدورات العالم بكل (١٧١) المعلومات القاضى جميع الحاجات وفى تعليقه
حسن الاثابة على احتمال المشاق فى
دينه والصبر على صعوبة تكاليفه
دليل على أن حكمة الله تعالى اقتضت
نوط الثواب والجنة بالعمل حتى
لايتكل الناس على فضله بالكلية ولا
يهملوا جانب العمل رأسا عن
الحسن أخبر الله تعالى أنه استجاب
لهم الا أنه أتبع ذلك رافع الدعاء وما
يستجاب به فلا بد له من تقدمه بين
يدى الدعاء يعنى قوله والعمل
الصالح يرفعه ثم انه تعالى لما وعد
المؤمنين الثواب العظيم وكانوا فى الدنيا
فى غاية الفقر والشدة والكفار كانوا فى
النعم أراد أن يسليهم ويصبرهم فقال
لا يغرنك والخطاب لكل مكلف
يسمعه أى لا يغرنك أيها السامع أو
للرسول والمراد الامة قال قتادة والله
ماغروا نبى الله حتى قبضه الله أوله
والمراد هو فلعل السبب فى عدم
اغتراره هو تواتر أمثال هذه الآيات
عليه قيل ان مشركى مكة كانوا
يتجرون و يتنعمون فقال بعض
المؤمنين ان أعداء الله فيما نرى من
الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد
فنزلت وقيل كانت اليهود تضرب فى
الارض فتصيب الاموال فنزلت
والمراد بتقلبهم تبسطهم وتصرفهم فى
المكاسب والمزارع والمتاجر ذلك
التقلب أو الكسب والربح متاع قليل
فى جنب مافاتهم من نعيم الآخرة
أوفى جنب ما وعد الله المؤمنين من
الثواب أو هو قليل فى نفسه اذ لا نسبة
لمدته الى ما بين أمدى الازل والابد
ومع قلته سبب للوقوع فى نار جهنم أبد الآبدين والنعمة القليلة اذا كانت سببا للمضرة العظيمة لم تكن فى الحقيقة نعمة ولهذا استدرك وقال
لكن الذين اتقوا الآية ويدخل فى التقوى الاوامر والنواهى والنزل ما يعد للضيف و يعجل ومن هنا تمسك به بعض الاصحاب فى الرؤية لانه لما
كانت الجنة بكليتها نزلا فلابد من شئ آخر يكون أصلا بالنسبة اليها قلت و يحتمل أن يكون قوله وماعند الله باق اشارة اليه وهو مقام العندية

اليتامى على أموالهم فليستعفف بماله عن أكلها بغير الاسراف والبدار أن يكبروا بما أباح الله له
أكلها به كما حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن الاعمش وابن أبى ليلى عن الحكم
عن مقسم عن ابن عباس فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف قال بغناه من ماله حتى يستغنى عن
مال اليتيم وبه قال حدثنا سفيان عن منصور عن ابراهيم فى قوله ومن كان غنيا فليستعفف بغناه
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ليث عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس فى قوله
ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من مال نفسه ومن كان فقيرا منهم
اليها محتاجا فليأكل بالمعروف * قال أبو جعفر ثم اختلف أهل التأويل فى المعروف الذى أذن الله جل
ثناؤه لولاة أموالهم أكلها به اذا كانوا أهل فقر وحاجة اليها فقال بعضهم ذلك هو القرض يستقرضه
من ماله ثم يقضيه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا وكيع عن سفيان واسرائيل
عن أبى اسحق عن حارثة بن مضرب قال قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه انى أنزلت مال الله تعالى
منى بمنزلة مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت أكلت بالمعروف فاذا أيسرت قضيت
حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن عطية عن زهير عن العلاء بن المسيب عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن
عباس فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال
ثنا المعتمر قال سمعت يونس عن محمد بن سيرين عن عبيدة السلمانى انه قال فى هذه الآية ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال الذى ينفق من مال اليتيم يكون عليه قرضا
حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا سلمة بن علقمة عن محمد بن سيرين قال
سألت عبيدة عن قوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال انما هو قرض
ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم قال فظننت أنه قالها برأيه حدثنا الحسن
ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا هشام عن محمد عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل
بالمعروف وهو عليه قرض حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم عن سلمة عن علقمة عن ابن سيرين
عن عبيدة فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال المعروف القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم
اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم حدثنا الحسن بن يحيى قال ثنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
أيوب عن ابن سيرين عن عبيدة مثل حديث هشام حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية
ابن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعنى القرض
حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس ومن كان
غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول ان كان غنيا فلا يحل له من مال اليتيم أن
يأكل منه شيأ وان كان فقيرا فليستقرض منه فاذا وجد ميسرة فليعطه ما استقرض منه فذلك أكله
بالمعروف حدثنا أبو كريب قال ثنا أبو ادريس قال سمعت أبى يذكر عن حماد عن سعيد بن
جبير قال يأكل قرضا بالمعروف حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا حجاج عن
سعيد بن جبير قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى قوله ومن كان غنيا

والقرب الذى لا يوازيه شئ من نعيم الجنة وقيل المعنى وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وانتصاب نزلا على الحال من جنات لتخصيصها بالوصف والعامل معنى الاستقرار فى لهم أو هو مصدر مؤكد كانه قيل رزقا أو عطاء أو نصب على التفسير كما قلنا فى ثوابا ثم انه تعالى لما ذكر حال المؤمنين (١٧٢) وكان قد ذكر حال الكفار بين حال مؤمنى أهل الكتاب كلهم فقال وان من أهل الكتاب وهذا قول مجاهد وقال ابن جريج وابن زيد نزلت فى عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل فى أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فأسلموا وعن جابر بن عبد الله وأنس وابن عباس وقتادة نزلت فى النجاشى لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى مات فيه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للاصحاب اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم قالوا ومن هو قال النجاشى فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى البقيع وكشف له من المدينة الى أرض الحبشة فابصر سرير النجاشى وصلى عليه وكبر أربع تكبيرات واستغفر له وقال لاصحابه استغفروا له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلى على علج حبشى نصرانى لم يره قط وليس على دينه فانزل الله هذه الآية واللام فى لمن يؤمن لام الابتداء الذى يدخل على خبر ان أو على اسمه عند الفصل كما فى الآية والمراد بما أنزل اليكم القرآن وما أنزل اليهم الكتابان وخاشعين لله حال من فاعل يؤمن لان من فى معنى الجمع حمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا كما يفعله من لم يسلم من أحبارهم ورؤسائهم أولئك لهم أجرهم عند ربهم ولا يخفى فخامة شأن هذا الوعد حسبما أشار اليه بقوله ان الله سريع الحساب لانه عالم بجميع المعلومات عن قادر على كل المقدورات فيعلم ويعطى ما لكل أحد من جزاء الحسنات والسيئات أو المراد سرعة موعد حسابه فيكون فيه بشارة بسرعة حصول الاجر ثم ختم السورة بآية جامعة لاسباب سعادة الدارين وذلك أن أحوال الانسان قسمان الاول ما يتعلق به وحده فأمر فيه بالصبر ويندرج

فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنى يعقوب قال ثنا ابن علية عن هشام الدستوائى قال ثنا حماد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان أخذ من ماله قدر قوته قرضا فان أيسر بعد قضاه وان حضره الموت ولم يوسر تحلله من اليتيم وان كان صغيرا تحلله من وليه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل قرضا حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن حماد عن سعيد بن جبير ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال هو القرض حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو بن أبى قيس عن عطاء بن السائب عن الشعبى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال لا يأكله الا أن يضطر اليه كما يضطر الى الميتة فان أكل منه شيأ قضاه حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فليأكل بالمعروف قال قرضا حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن عبد الله بن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فليأكل بالمعروف قال سلفا من مال يتيمه حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وعن حماد عن سعيد بن جبير فليأكل بالمعروف قالا هو القرض قال الثورى وقاله الحكم أيضا ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال ثنا حجاج عن مجاهد قال هو القرض ما أصاب منه من شئ قضاه اذا أيسر يعنى ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن أبى جعفر عن الربيع عن أبى العالية فليأكل بالمعروف قال القرض ألا ترى الى قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن عاصم عن أبى وائل قال قرضا حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن الحكم عن سعيد بن جبير قال اذا احتاج الولى أو افتقر فلم يجد شيأ أكل من مال اليتيم وكتبه فان أيسر قضاه وان لم يوسر حتى تحضره الوفاة دعا اليتيم فاستحل منه ما أكل حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال أخبرنا ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف من مال اليتيم بغير اسراف ولا قضاء عليه فيما أكل منه واختلف قائلوا هذا القول فى معنى أكل ذلك بالمعروف فقال بعضهم أن يأكل من طعامه بأطراف الاصابع ولا يلبس منه ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو أحمد قال ثنا سفيان عن السدى قال أخبرنى من سمع ابن عباس يقول ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال بأطراف أصابعه حدثنا أبو كريب قال ثنا عبد الله الاشجعى عن سفيان عن السدى عمن سمع ابن عباس يقول فذكر مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يقول فمن كان غنيا من ولى مال اليتيم فليستعفف عن ماله ومن كان فقيرا من ولى مال اليتيم فليأكل معه بأصابعه لا يسرف فى الاكل ولا يلبس حدثنا ابن المثنى قال ثنا حرمى بن عمارة قال ثنا شعبة

فيه الصبر على مشقة النظر والاستدلال فى معرفة التوحيد والعدل والنبوة والمعاد والصبر على أداء الواجبات والمندوبات والاحتراز عن المنهيات والصبر على شدائد الدنيا وآفاتها ومخاوفها الثانى ما يتعلق بالمشاركة مع أهل المنزل أو المدينة فامر فيه بالمصابرة ويدخل فيه تحمل الاخلاق الرديئة من الاقارب والاجانب وترك الانتقام منهم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد مع أعداء الدين بالحجة وبالسيف وباللسان أو بالسنان ثم انه لابد للانسان فى تكليف أقسام الصبر والمصابرة من قهر القوى النفسانية البهيمية والسبعية الباعثة على أضداد ذلك فامر بالمرابطة من الربط الشد فكل من صبر على أمر فقد ربط قلبه عليه وألزم نفسه اياه ثم لابد فى جميع الاعمال والاقوال من ملاحظة جانب الحق حتى يكون معتدا بها فلهذا أمر بتقوى الله ثم لما تمت وظائف العبودية ختم الكلام على وظيفة الربوبية وهو رجاء الفلاح منه فظهر أن هذه الآية مشتملة على كنوز الحكم والمعارف وجامعة لآداب الدين والدنيا ثم انها على اختصارها كالاعادة لما تقدم فى هذه السورة من الاصول وهى تقرير التوحيد والعدل والنبوة والمعاد ومن الفروع كاحكام الحج والزكاة والجهاد وعن الحسن اصبروا على دينكم فلا تتركوه بسبب الفقر والجوع وصابروا عدوكم فلا تفشلوا بسبب ما أصابكم يوم أحد وقال الفراء اصبروا مع نبيكم وصابروا عدوكم فلا ينبغى أن يكونوا أصبر منكم وقال الاصم لما كثرت تكاليف الله تعالى فى هذه السورة أمرهم بالصبر عليها ولما كثر ترغيب الله تعالى فى الجهاد فيها أمرهم بالمصابرة مع الاعداء أما المرابطة ففيها قولان أحدهما أن يربط هؤلاء خيولهم فى الثغور ويربط أولئك أيضا خيولهم بحيث يكون كل واحد من الخصمين مستعدا لقتال الآخر قال تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبى صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة فى سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة وثانيهما أنها انتظار الصلاة بعد الصلاة لما روى عن ابى سلمة بن عبد الرحمن أنه قال لم يكن فى زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو

عن عمارة عن عكرمة فى مال اليتيم يدك مع أيديهم ولا تتخذ منه قلنسوة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عطاء وعكرمة قالا تضع يدك مع يده وقال آخرون بل المعروف فى ذلك أن يأكل ما يسد جوعه ويلبس ما وارى العورة ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم قال ان المعروف ليس يلبس الكتان ولا الحلل ولكن ما سد الجوع ووارى العورة حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن مغيرة عن ابراهيم قال كان يقال ليس المعروف بلبس الكتان والحلل ولكن المعروف ما سد الجوع ووارى العورة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن مغيرة عن ابراهيم بنحوه حدثنا على بن سهل قال ثنا الوليد بن مسلم قال ثنا أبو معبد قال سئل مكحول عن والى اليتيم ما أكله بالمعروف اذا كان فقيرا قال يده مع يده قيل له فالكسوة قال يلبس من ثيابه فأما أن يتخذ من ماله مالا لنفسه فلا حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعى عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم فى قوله فليأكل بالمعروف قال ما سد الجوع ووارى العورة أما انه ليس لبوس الكتان والحلل وقال آخرون بل ذلك المعروف أكل تمره وشرب رسل ماشيته بقيامه على ذلك فأما الذهب والفضة فليس له أخذ شئ منهما الا على وجه القرض ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى عن القاسم بن محمد قال جاء رجل الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أموال أيتام وهو يستأذنه أن يصيب منها فقال ابن عباس ألست تبغى ضالتها قال بلى قال ألست تهنأ جرباها قال بلى قال ألست تلط حياضها قال بلى قال ألست تفرط عليها يوم ورودها قال بلى قال فأصب من رسلها يعنى من لبنها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن يحيى بن سعيد عن القاسم بن محمد قال جاء أعرابى الى ابن عباس فقال ان فى حجرى أيتاما وان لهم ابلا ولى ابل وأنا أمنح من ابلى فقراء فماذا يحل لى من ألبانها قال ان كنت تبغى ضالتها وتهنأ جرباها وتلوط حوضها وتسعى عليها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب حدثنى المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن أبى العالية فى هذه الآية ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال من فضل الرسل والثمرة حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن أبى العالية فى والى مال اليتيم قال يأكل من رسل الماشية ومن الثمرة لقيامه عليه ولا يأكل من المال وقال ألا ترى أنه قال فاذا دفعتم اليهم أموالهم حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن ادريس قال سمعت داود عن رفيع عن أبى العالية قال رخص لولى اليتيم أن يصيب من الرسل ويأكل من الثمرة وأما الذهب والفضة فلا بد أن ترد ثم قرأ فاذا دفعتم اليهم أموالهم ألا ترى أنه قال لابد من أن يدفع حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن الحسن أنه قال انما كانت أموالهم أدخال النخل والماشية فرخص لهم اذا كان أحدهم محتاجا أن يصيب من الرسل حدثنى يعقوب قال ثنا هشيم قال أخبرنا اسمعيل بن سالم عن الشعبى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا كان فقيرا . كل من الثمر وشرب من اللبن وأصاب من الرسل

يرابط فيه ولكن انتظار الصلاة خلف الصلاة وفي حديث أبي هريرة ذكر انتظار الصلاة بعد الصلاة ثم قال فذلك الرباط ثلاث مرات والله أعلم * التأويل ان في خلق سموات القلوب وأطوارها وخلق أرض النفوس وقرارها واختلاف ليل البشرية وصفاتها ونهار الروحانية وأنوارها لآيات لأولي الالباب الذين عبروا بقدمي (١٧٤) الذكر والفكر عن قشر الوجود الجسماني ووصلوا الى لب الوجود الروحاني فشاهدوا بعيون البصائر ونواظر الضمائر أن لهم وللعالم الها قادرا حيا عليما سميعا بصيرا متكلما مريدا باقيا وانما نالوا هذه المراتب لانهم يذكرون الله في جميع الاحوال بالظاهر والباطن ويتفكرون في خلق المصنوعات من البسائط والمركبات ويقولون ما خلقت هذا باطلا أي خلقته اظهار الحق على الخلق ووسيلة للخلق الى الحق سبحانك تنزيها للحق عن الشبه بالخلق فقنا بأعد عنا عذاب نار قهرك والبعد عنك ففيها كل الخزي والندامة والغواية والضلالة ثم أخبر عن شرط العبودية في استجلاب فضل الربوبية بقوله ربنا اننا سمعنا من هاتف الحق في الغيب بالسمع الحقيقي مناديا فاغفر لنا ذنوبنا أي كما أسمعتنا النداء بالارادة القديمة لا بسعي منا فبل أن تخلقنا فاغفر لنا بفضلك ورحمتك لا أضيع عمل عامل منكم بالظاهر والباطن من ذكر أو أنثى على قدر هممكم ورجوليتكم فالذين هاجروا عن الاوطان والاوطار والاعمال السيئة والاخلاق الذميمة وأخرجوا من ديارهم من معاملات الطبيعة وديارها الى عالم الحقيقة بسطوات تجلي صفات الربوبية وأوذوا في طلبي بانواع البلاء وقاتلوا مع النفس وقتلوا بسيف الصدق لأكفرن عنهم سيئات وجودهم ولأدخلنهم جنات الوصول فيها أشجار التوكل واليقين والزهد والورع والتقوى والصدق والاخلاص والهدى والقناعة والعفة والمروءة والفتوة والمجاهدة والشوق والذوق والرغبة والرهبة والوفاء والطلب والمحبة والحياء والكرم والشجاعة والعلم والحلم والعزة والقدرة والهمة وغيرها من المقامات والاخلاق تجري من تحتها الانهار أنهار العناية ثوابا من مقام العندية والله عنده حسن الثواب لا يكون عند

حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ذكر لنا أن عم ثابت بن رفاعة وثابت يومئذ يتيم في حجره من الانصار أتى نبي الله صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ان ابن أخي يتيم في حجري فما يحل لي من ماله قال أن تأكل بالمعروف من غير أن تقي مالك بماله ولا تتخذ من ماله وفرا وكان اليتيم يكون له الحائط من النخل فيقوم وليه على صلاحه وسقيه فيصيب من ثمرته أو تكون له الماشية فيقوم وليه على صلاحها أو يلي علاجها ومؤنتها فيصيب من جزازها وعوارضها ورسلها فأما رقاب المال وأصول المال فليس له أن يستهلكه حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف يعني ركوب الدابة وخدمة الخادم فان أخذ من ماله قرضا في غنى فعليه أن يؤديه وليس له أن يأكل من ماله شيأ وقال آخرون منهم له أن يأكل من جميع المال اذا كان يلي ذلك وان أتى على المال ولا قضاء عليه ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا اسمعيل ابن صبيح عن أبي ادريس عن يحيى بن سعيد وربيعة جميعا عن القاسم بن محمد قال سئل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عما يصلح لولي اليتيم قال ان كان غنيا فليستعفف وان كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال أخبرنا يحيى بن أيوب عن محمد بن عجلان عن زيد ابن أسلم عن أبيه أن عمر بن الخطاب كان يقول يحل لولي الامر ما يحل لولي اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا الفضل بن عطية عن عطاء بن أبي رباح في قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا احتاج فليأكل بالمعروف فان أيسر بعد ذلك فلا قضاء عليه حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين ابن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا ذكر الله تبارك وتعالى مال اليتامى فقال ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف ومعروف ذلك أن يتقي الله في يتيمه حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام عن عمرو عن منصور عن ابراهيم أنه كان لا يرى قضاء على ولي اليتيم اذا أكل وهو محتاج حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن منصور عن مغيرة عن حماد عن ابراهيم فليأكل بالمعروف في الوصي قال لا قضاء عليه حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة عن منصور عن ابراهيم أنه قال في هذه الآية ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال اذا عمل فيه ولي اليتيم أكل بالمعروف حدثنا بشر بن محمد قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول اذا احتاج أكل بالمعروف من المال طعمة من الله له حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن البصري قال قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم ان في حجري يتيما أفأضربه قال فيما كنت ضاربا منه ولدك قال أفأصيب من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن الزبير بن موسى عن الحسن البصري مثله حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن عطاء أنه قال يضع يده مع أيديهم فيأكل

معهم

الجنة وغيرها وان من أهل الكتاب من علماء الظاهر علماء متقين يكون ايمانه من نتيجة نور الله الذى دخل قلبه و يؤمن بما أنزل اليكم من الواردات والالهامات والكشوف وما أنزل اليهم من الخواطر الرحمانية خاشعين لله كما قال صلى الله عليه وسلم اذا تجلى الله لشئ خضع له لا يشترون بما أوتوا من العلم والحكمة عرض الدنيا ان الله سريع الحساب (١٧٥) يوصلهم الى مقام العندية قبل وفاتهم اصبروا على جهاد النفس بالرياضات وصابروا فى مراقبة القلب عند الابتلا آت ورابطوا الارواح للوصول بالله واتقوا الله فى الالتفات الى ماسواه لعلكم تفلحون فتفوزوا بالبقاء بالله وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

معهم كقدر خدمته وقدر عمله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة قالت والى اليتيم اذا كان محتاجا يأكل بالمعروف لقيامه بماله حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد وسألته عن قول الله تبارك وتعالى ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف قال ان استغنى كف وان كان فقيرا أكل بالمعروف قال أكل بيده معهم لقيامه على أموالهم وحفظه اياها يأكل مما يأكلون منه وان استغنى كف عنه ولم يأكل منه شيأ * قال أبو جعفر وأولى الاقوال فى ذلك بالصواب قول من قال بالمعروف الذى عناه الله تبارك وتعالى فى قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف أكل مال اليتيم عند الضرورة والحاجة اليه على وجه الاستقراض منه فأما على غير ذلك الوجه فغير جائز له أكله وذلك أن الجميع مجمعون على أن والى اليتيم لا يملك من مال يتيمه الا القيام بمصلحته فلما كان اجماعا منهم أنه غير مالكه وكان غير جائز لأحد أن يستهلك مال أحد غيره يتيما كان رب المال أو مدركا رشيدا وكان عليه ان تعدى فاستهلكه بأكل أو غيره ضمانه لمن استهلكه عليه باجماع من الجميع وكان والى اليتيم سبيله سبيل غيره فى أنه لا يملك مال يتيمه كان كذلك حكمه فيما يلزمه من قضائه اذا أكل منه سبيله سبيل غيره وان فارقه فى أن له الاستقراض منه عند الحاجة اليه كما له الاستقراض عليه عند حاجته الى ما يستقرض عليه اذا كان قيما بما فيه مصلحته ولا معنى لقول من قال انما عنى بالمعروف فى هذا الموضع أكل والى اليتيم من مال اليتيم لقيامه عليه على وجه الاعتياض على عمله وسعيه لان لوالى اليتيم أن يؤاجر نفسه منه للقيام بأموره اذا كان اليتيم محتاجا الى ذلك بأجرة معلومة كما يستأجر له غيره من الاجراء وكما يشترى له من نصيبه غنيا كان الوالى أو فقيرا واذا كان ذلك كذلك وكان الله تعالى ذكره قد دل بقوله ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف على أن أكل مال اليتيم انما أذن لمن أذن له من ولاته فى حال الفقر والحاجة وكانت الحال التى للولاة أن يؤجروا أنفسهم من الأيتام مع حاجة الأيتام الى الاجراء غير مخصوص بها حال غنى ولا حال فقر كان معلوما أن المعنى الذى أبيح لهم من أموال أيتامهم فى كل أحوالهم غير المعنى الذى أبيح لهم ذلك فيه فى حال دون حال ومن أبى ما قلنا ممن زعم أن لولى اليتيم أكل مال يتيمه عند حاجته اليه على غير وجه القرض استدلالا بهذه الآية قيل له أمجمع على أن الذى قلت تأويل قوله ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فان قال لا قيل له فما برهانك على أن ذلك تأويله وقد علمت انه غير مالك مال يتيمه فان قال لان الله أذن له بأكله قيل له أذن له بأكله مطلقا أم بشرط فان قال بشرط وهو أن يأكله بالمعروف قيل له وما ذلك المعروف وقد علمت القائلين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين أن ذلك هو أكله قرضا وسلفا ويقال لهم أيضا مع ذلك أرأيت المولى عليهم فى أموالهم من المجانين والمعاتيه ألولاتهم أموالهم أن يأكلوا من أموالهم عند حاجتهم اليه على غير وجه القرض لا الاعتياض من قيامهم بها كما قلتم ذلك فى أموال اليتامى فأبحتموها لهم فان قالوا ذلك لهم خرجوا من قول جميع الحجة وان قالوا ليس ذلك لهم قيل لهم فما الفرق بين أموالهم وأموال اليتامى

(سورة النساء مدنية حروفها ١٤٥٣٥ كلماتها ٣٧٤٥ آياتها مائة وست وسبعون)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم أن لا تقسطوا فى اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أوما ملكت أيمانكم ذلك أدنى أن لا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيأ مريأ ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها اسرافا وبدارا أن يكبروا ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان

وحكم ولاتهم واحد فى أنهم ولاة أموال غيرهم فلن يقولوا فى أحدهم شيأ الا ألزموا فى الآخر مثله و يسئلون كذلك عن المحجور عليه هل لمن يلى ماله أن يأكل ماله عند حاجته اليه نحو سؤالناهم عن أموال المجانين والمعاتيه ۞ القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿فاذا دفعتم اليهم أموالهم فاشهدوا عليهم﴾ قال أبو جعفر يعنى بذلك جل ثناؤه واذا دفعتم يا معشر ولاة أموال اليتامى الى اليتامى أموالهم فاشهدوا عليهم يقول فأشهدوا على الايتام باستيفائهم ذلك منكم ودفعكموه اليهم كما حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم يقول اذا دفع الى اليتيم ماله فليدفعه اليه بالشهود كما أمره الله تعالى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وكفى بالله حسيبا﴾ يقول تعالى ذكره وكفى بالله كافيا من الشهود الذين يشهدهم والى اليتيم على دفعه مال يتيمه اليه كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكفى بالله حسيبا يقول شهيدا يقال منه قد أحسبنى الذى عندى يراد به كفانى وسمع من العرب لأحسبنكم من الاسودين يعنى به من الماء والتمر والمحسب من الرجال المرتفع الحسب والمحسب المكفى ۞ القول فى تأويل قوله ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره للذكور من أولاد الرجل الميت حصة من ميراثه وللاناث منهم حصة منه من قليل ما خلف بعده وكثيره حصة مفروضة واجبة معلومة مؤقتة وذكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن أهل الجاهلية كانوا يورثون الذكور دون الاناث كما حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قال كانوا لا يورثون النساء فنزلت وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن ابن جريج عن عكرمة قال نزلت فى أم كحة وابنة كحة وثعلبة وأوس بن سويد وهم من الانصار كان أحدهم زوجها والآخر عم ولدها فقالت يا رسول الله توفى زوجى وتركنى وابنته فلم نورث فقال عم ولدها يا رسول الله لا تركب فرسا ولا تحمل كلا ولا تنكأ عدوا يكسب عليها ولا تكتسب فنزلت للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون قال كان النساء لا يرثن فى الجاهلية من الآباء وكان الكبير يرث ولا يرث الصغير وان كان ذكرا فقال الله تبارك وتعالى للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الى قوله نصيبا مفروضا * قال أبو جعفر ونصب قوله نصيبا مفروضا وهو نعت للنكرة لخروجه مخرج المصدر كقول القائل لك على حق واجبا ولو كان مكان قوله نصيبا مفروضا اسم صحيح لم يجز نصبه لا يقال لك عندى حق درهما فقوله نصيبا مفروضا كقوله نصيبا فريضة وفرضا كما يقال عندى درهم هبة مقبوضة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل فى حكم هذه الآية هل هو محكم أو منسوخ فقال بعضهم هو محكم ذكر من قال ذلك ثنا أبو كريب قال حدثنا ابن

ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ القراآت تساءلون خفيفا بحذف التاء عاصم وحمزة وعلى وخلف عباس مخير الباقون بالتشديد أى بادغام تاء التفاعل فى السين والارحام بالجر حمزة الباقون بالنصب ما طاب بالامالة حمزة فواحدة بالرفع يزيد الباقون بالنصب هنيأ مريأ بالتشديد فيهما يزيد وحمزة فى الوقف على أيهما وقف واذا انفرد هنيأ همزها كل القرآن يزيد قيما ابن عامر ونافع الباقون قياما ضعافا بالامالة خلف عن حمزة وابن سعدان والعجلى وخلف لنفسه وقتيبة على أصله وسيصلون بضم الياء ابن عامر وأبو بكر وحماد والمفضل الباقون بفتحها * الوقوف ونساء ج * لان الجملتين وان اتفقتا الا أنه اعترضت المعطوفات والارحام ط رقيبا ٥ بالطيب ص الى أموالكم ط كبيرا ٥ ورباع ج أيمانكم ط أن لا تعولوا ط لابتداء حكم آخر نحلة ط لان المشروط خارج عن أصل الشرط الموجب مريأ ٥ معروفا ٥ النكاح ج بناء على أنه ابتداء شرط بعد بلوغ النكاح أو مجموع الشرط والجواب جواب اذا وحتى تكون داخلة على جملة شرطية مقدمها حملية وتاليها شرطية أخرى أموالهم ج أن يكبروا ط لابتداء جملتين متضادتين فليستعفف ج بالمعروف ط للعود الى أصل الموجب بعد وقوع العارض عليهم ط حسيبا ٥ والاقربون الاول ص أو كثر ط بتقدير جعلناه نصيبا مفروضا معروفا ٥ خافوا عليهم ص سديدا ٥ نارا ط سعيرا ٥ * التفسير لما كانت هذه السورة مشتملة على تكاليف كثيرة من التعطف على الاولاد والنساء والايتام وايصال حقوقهم اليهم وحفظ أموالهم عليهم ومن الامر بالطهارة والصلاة والجهاد والدية ومن تحريم المحارم وتحليل غيرهن الى غير ذلك من السياسات ومكارم الاخلاق التى ينساط بها اصلاح المعاش والمعاد افتتح السورة ببعث المكلفين على التقوى ومن غرائب القرآن أن فيه سورتين صدرهما يا أيها الناس احداهما فى النصف الاول وهى الرابعة من سوره والاخرى فى النصف الثانى وهى أيضا فى الرابعة من سوره ثم التى فى النصف الاول مصدرة بذكر المبدا اتقوا ربكم الذى خلقكم والتى فى النصف الثانى

مصدرة بذكر المعاد اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم ثم انه تعالى علل الامر بالتقوى بانه خلقنا من نفس واحدة أما القيد الاول وهو أنه خلقنا فلا شك أنه علة لوجوب الانقياد لتكاليفه والخشوع لاوامره ونواهيه لان المخلوقية هي العبودية ومن شأن العبد امتثال أمر مولاه في كل ما يأمره وينهاه وأيضا الايجاد غاية الاحسان فيجب مقابلتها بغاية الاذعان على أن مقابلة نعمته بالخدمة محال لان توفيق تلك الخدمة نعمة أخرى منه وأما القيد الثاني وهو خصوص انه خلقنا من نفس واحدة فانما يوجب علينا الطاعة لان خلق أشخاص غير محصورة من انسان واحد مع تغاير أشكالهم وتباين أمزجتهم واختلاف أخلاقهم دليل ظاهر وبرهان باهر على وجود مدبر مختار وحكيم قدير ولو كان ذلك بالطبيعة أو لعلة موجبة كان كلهم على حد واحد ونسبة واحدة ثم في هذا القيد فوائد أخر منها أنه يأمر عقيبه بالاحسان الى اليتامى والنسوان وكونهم متفرعين من أصل واحد وأرومة واحدة أعون على هذا المعنى ولهذا قال صلى الله عليه وسلم فاطمة بضعة مني يؤذيني ما يؤذيها ومنها أنهم اذا عرفوا ذلك تركوا المفاخرة وأظهروا التواضع وحسن الخلق ومنها أن تصور ذلك يذكر أمر المعاد فليس الاعادة بأصعب من الابداء ومنها انه اخبار عن الغيب فيكون معجز النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يقرأ كتابا وأجمع المفسرون على أن المراد بالنفس الواحدة ههنا هو آدم عليه السلام والتأنيث في الوصف نظرا الى لفظة النفس وخلق منها زوجها حواء من ضلع من أضلاعها وقال أبو مسلم المراد وخلق من جنسها زوجها كقوله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ولانه تعالى قادر على خلق حواء من التراب فأي فائدة في خلقها من ضلع من أضلاع آدم والجواب ان الامر لو كان كما ذكره أبو مسلم لكان الناس مخلوقين من نفسين لا من نفس واحدة وهو خلاف النص وخلاف ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن المرأة خلقت من ضلع أعوج فان ذهبت تقيمها كسرتها احتج جمع من الطبائعيين بالآية على أن الحادث لا يحدث الا عن مادة سابقة وان خلق الشئ عن العدم المحض

عثمان عن سفيان عن الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس قال محكمة وليست منسوخة يعني قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال واجب ما طابت به أنفس أهل الميراث وحدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن مغيرة عن ابراهيم والشعبي قالا هي محكمة ليست بمنسوخة حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن عبد الرحمن عن سفيان وثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال هي واجبة على أهل الميراث ما طابت به أنفسهم حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير انه سئل عن قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا فقال سعيد هذه الآية يتهاون بها الناس قال وهما وليان أحدهما يرث والآخر لا يرث والذي يرث هو الذي أمر أن يرزقهم قال يعطيهم قال والذي لا يرث هو الذي أمر أن يقول لهم قولا معروفا وهي محكمة وليست بمنسوخة حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا مغيرة عن ابراهيم بنحو ذلك وقال هي محكمة وليست بمنسوخة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطرف عن الحسن قال هي ثابتة ولكن الناس بخلوا وشحوا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور والحسن قالا هي محكمة وليست بمنسوخة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا عباد بن العوام عن الحجاج عن الحكم عن مقسم عن ابن عباس قال هي قائمة يعمل بها حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه ما طابت به الانفس حقا واجبا حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن الحسن والزهري قالا في قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هي محكمة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا منصور عن قتادة عن يحيى بن يعمر قال ثلاث آيات محكمات مدنيات تركهن الناس هذه الآية وآية الاستئذان يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم وهذه الآية يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قال كان الحسن يقول هي ثابتة وقال آخرون منسوخة ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار ومحمد بن المثنى قالا ثنا ابن أبي عدي عن سعيد عن قتادة عن سعيد أنه قال في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال كانت هذه الآية قسمة قبل المواريث فلما أنزل الله المواريث لاهلها جعلت الوصية لذوي القرابة الذين يحزنون ولا يرثون حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا قرة بن خالد عن قتادة قال سألت سعيد بن المسيب عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين قال هي منسوخة حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب قال كانت هذه قبل الفرائض وقسمة الميراث

والنفي الصرف محال والجواب انه لا يلزم من احداث شئ في صورة واحدة من المادة لحكمة أن يتوقف الاحداث على المادة في جميع الصور قال في الكشاف قوله وخلق منها معطوف على محذوف أي أنشأها وخلق منها أو معطوف على خلقكم والخطاب للذين بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي خلقكم (١٧٨) من نفس آدم لانهم من جنس المفرع منه وخلق منها أمكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفائتة للحصر أقول وانما التزم الاضمار في الاول والتخصيص في الثاني دفعا للتكرار ولا تكرار بالحقيقة اذ لا يفهم من خلق بني آدم من نفس خلق زوجها منه ولا خلق الرجال والنساء من الاصلين جميعا نعم لو كان المراد بقوله وخلق منها الى آخره بيان الخلق الاول وتفصيله لكان الاولى عدم دخول الواو الا أن المراد وصف ذاته تعالى بالاوصاف الثلاثة جميعا من غير ترتيب يستفاد من النسق والا كان الانسب أن يقال فبث بالفاء فعدل العطف بالواو في الجميع على أن المراد هو ما ذكرنا وأن التفصيل والترتيب موكول الى قضية العقل فافهم والله تعالى أعلم ومعنى بث فرق ونشر وانما خص وصف الكثرة بالرجال اعتمادا على الفهم ولان شهرة الرجال أتم فكانت كثرتهم أظهر وفيه تنبيه على أن اللائق بحال الرجال الاشتهار والخروج واللائق بحال النساء الاختفاء والخمول وانما لم يقل الرجال والنساء معرفتين لئلا يلزم كونهما مبثوثين من نفسهما ثم ان هذا البث معناه محمول على ظاهره عند من يرى أن جميع الاشخاص البشرية كانوا كالذر مجتمعين في صلب آدم وأما عند من ينكر ذلك فالمراد أنه بث منهما أولادهما ومن أولادهما جمعا آخرين وهلم جرا فاضيف الكل اليهما على سبيل المجاز (واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام) من قرأ بالنصب فالعطف على اسم الله أي واتقوا حق الارحام فلا تقطعوها وهو اختيار أكثر الائمة كمجاهد وقتادة والسدي والضحاك وابن زيد والفراء والزجاج وأما العطف على محل الجار والمجرور كقوله فلسنا بالجبال ولا الحديدا وهو اختيار أبي علي الفارسي وعلي بن عيسى وقيل منصوب بالاغراء أي

فلما كانت الفرائض والمواريث نسخت حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي مالك قال نسختها آية الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا الاشجعي عن سفيان عن السدي عن أبي مالك مثله حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى الآية الى قوله قولا معروفا وذلك قبل أن تنزل الفرائض فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الفرائض فأعطى كل ذي حق حقه فجعلت الصدقة فيما سمى المتوفى حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك قال نسختها المواريث * وقال آخرون هي محكمة وليست بمنسوخة غير أن معنى ذلك واذا حضر القسمة يعني بها قسمة الميت ماله بوصيته لمن كان يوصي له به قالوا وأمر بأن يجعل وصيته في ماله لمن سماه الله تعالى في هذه الآية ذكر من قال ذلك حدثنا يحيى بن سعيد الاموي قال ثنا ابن المبارك عن ابن جريج عن ابن أبي مليكة عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن قسم ميراث أبيه وعائشة حية فلم يدع في الدار أحدا الا أعطاه وتلا هذه الآية واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال القاسم فذكرت ذلك لابن عباس فقال ما أصاب انما هذه الوصية يريد الميت أن يوصي لقرابته حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا ابن جريج قال أخبرني ابن أبي مليكة ان القاسم بن محمد أخبره أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم فذكر نحوه حدثنا عمران بن موسى الصفار قال ثنا عبد الوارث بن سعيد قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب في قوله واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين قال أمر أن يوصي بثلثه في قرابته حدثنا ابن المبارك قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب قال انما ذلك عند الوصية في ثلثه حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن سعيد بن المسيب واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال هي الوصية من الناس حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين قال القسمة الوصية كان الرجل اذا أوصى قالوا فلان يقسم ماله فقال ارزقوهم منه يقول أوصوا لهم يقول للذي يوصي وقولوا لهم قولا معروفا فان لم توصوا لهم فقولوا لهم خيرا * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصحة قول من قال هذه الآية محكمة غير منسوخة وانما عنى بها الوصية لأولى قربى الموصي وعنى باليتامى والمساكين أن يقال لهم قول معروف وانما قلنا ذلك أولى بالصحة من غيره لما قد بينا في غير موضع من كتابنا هذا وغيره أن شيأ من أحكام الله تبارك وتعالى التي أثبتها في كتابه أو بينها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم غير جائز فيه أن يقال له ناسخ لحكم آخر أو منسوخ لحكم آخر الا والحكمان اللذان قضى لاحدهما بأنه ناسخ والآخر بأنه منسوخ ناف كل واحد منهما صاحبه غير جائز اجتماع الحكم بهما في وقت واحد بوجه من الوجوه وان كان جائزا صرفه الى غير النسخ أو يقوم بأن أحدهما ناسخ والآخر منسوخ حجة يجب التسليم لها واذ كان ذلك كذلك لما قد دللنا في غير موضع وكان قوله تعالى ذكره واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه محتملا أن يكون مرادا به واذا حضر قسمة مال قاسم ماله بوصية أولو قرابته

واليتامى

والارحام فاحفظوها وصلوها ومن قرا بالجر فلاجل العطف على الضمير المجرور فى به وهذا وان كان مستنكرا عند النحاة بدون اعادة الخافض لان الضمير المتصل من تتمة ماقبله ولاسيما المجرور فاشبه العطف على بعض الكلمة الا أن قراءة حمزة مما ثبت بالتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يجوز الطعن فيها لقياسات نحوية واهية كبيت العنكبوت وقد طعن الزجاج فيها من جهة أخرى وهى أنها تقتضى جواز الحلف بالارحام وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم لاتحلفوا بآبائكم والجواب أن المنهى عنه هو الحلف بالآباء وههنا حلف أولا بالله ثم قرن به الرحم فأين أحدهما من الآخر ولئن سلمنا ان الحلف بالرحم أيضا منهى عنه لكن لانسلم انه منهى عنه مطلقا وانما المنهى عنه ماحلف به على سبيل التعظيم وأما الحلف بطريق التأكيد فلا باس بها ولهذا جاء فى الحديث أفلح وأبيه ان صدق سلمنا أنها منهى عنها مطلقا لكن المراد ههنا حكاية ما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من قولهم فى الاستعطاف والتساؤل وهو سؤال البعض البعض أسألك بالله وبالرحم وأنشدك الله والرحم وقرئ والارحام بالرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف أى والارحام كذلك أى أنها مما يتقى ويتساءل به فان قيل لم قال أولا اتقوا ربكم ثم قال بعده واتقوا الله قلنا أما تكرار الامر فللتأكيد كقولك للرجل عجل عجل وأما تخصيص الرب بالاول والله بالثانى فلأن الغرض فى الاول الترغيب بتذكير النعمة والاحسان والتربية وفى الثانى الترهيب ولفظ الله يدل على كمال القدرة والقهر فكانه قيل انه ربك وأحسن اليك فاتق مخالفته والا فانه شديد العقاب فاتق سخطه قال العلماء فى الآية دليل على جواز المسئلة بالله روى مجاهد عن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سألكم بالله فأعطوه وعن البراء بن عازب قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع منها ابرار القسم ولا يخفى مافى الآية من تعظيم حق الرحم وتأكيد النهى عن قطعها حيث قرن الارحام باسمه وقال فى سورة البقرة لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى وعن عبد الرحمن بن عوف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل

واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يراد فأوصوا الاولى قرابتكم الذين لايرثونكم منه وقولوا لليتامى والمساكين قولا معروفا كما قال فى موضع آخر كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين ولايكون منسوخا بآية الميراث لم يكن لاحد صرفه الى أنه منسوخ بآية الميراث اذ كان لادلالة على انه منسوخ بها من كتاب أو سنة ثابتة وهو محتمل من التأويل مابينا واذ كان ذلك كذلك فتأويل قوله واذا حضر القسمة قسمة الموصى ماله بالوصية أولو قرابته واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فاقسموا لهم منه بالوصية يعنى فأوصوا لأولى القربى من أموالكم وقولوا لهم يعنى الآخرين وهم اليتامى والمساكين قولا معروفا يعنى يدعى لهم بخير كما قال ابن عباس وسائر من ذكرنا قوله قبل وأما الذين قالوا ان الآية منسوخة بآية المواريث والذين قالوا هى محكمة والمأمور بها ورثة الميت فانهم وجهوا قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه يقول فأعطوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وقد ذكرنا بعض من قال ذلك وسنذكر بقية من قال ذلك ممن لم نذكره حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين أمر الله جل ثناؤه المؤمنين عند قسمة مواريثهم أن يصلوا أرحامهم ويتاماهم من الوصية ان كان أوصى وان لم تكن وصية وصل اليهم من مواريثهم حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس واذا حضر القسمة أولوا القربى الآية يعنى عند قسمة الميراث حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن هشام بن عروة أن أباه أعطاه من ميراث المصعب حين قسم ماله حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا هشيم قال أخبرنا عوف عن ابن سيرين قال كانوا يرضخون لهم عند القسمة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن مطر عن الحسن عن حطان أن أبا موسى أمر أن يعطوا اذا حضر قسمة الميراث أولوا القربى واليتامى والمساكين والجيران من الفقراء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد وابن أبى عدى ومحمد بن جعفر عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان بن عبد الله الرقاشى قال قسم أبو موسى بهذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين حدثنا ابن المثنى قال ثنا محمد ويحيى بن سعيد عن شعبة عن قتادة عن يونس بن جبير عن حطان عن أبى موسى فى هذه الآية واذا حضر القسمة الآية قال قضى بها أبو موسى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مغيرة عن العلاء بن بدر فى الميراث اذا قسم قال كانوا يعطون منه التابوت والشئ الذى يستحيا من قسمته حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا داود عن الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث حدثنا أبو كريب قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن عاصم عن أبى العالية والحسن قالا يرضخون ويقولون قولا معروفا فى هذه الآية واذا حضر القسمة ثم اختلف الذين قالوا هذه الآية محكمة وان القسمة لأولى القربى واليتامى والمساكين واجبة على أهل الميراث ان كان بعض أهل الميراث صغيرا فقسم عليه الميراث ولى ماله فقال بعضهم ليس لولى ماله أن يقسم من ماله ووصيته شيأ لانه لا يملك

أنا الله وأنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وفي الصحيحين عن عائشة قالت قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم الرحم معلقة بالعرش تقول من وصلني وصله الله ومن قطعني قطعه الله وعن عبد الله بن عمرو بن العاص سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليس الواصل بالمكافئ الواصل من اذا قطعت رحمه وصلها وعن سلمان بن عامر
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الصدقة على المسكين صدقة وعلى
ذي الرحم ثنتان صدقة وصلة فثبت
بدلالة الكتاب والسنة وجوب صلة
الرحم واستحقاق الثواب بها فلهذا
بنى أصحاب أبي حنيفة على هذا
الاصل مسئلتين احداهما أن
الرجل اذا ملك ذا رحم محرم عتق
عليه مثل الاخ والاخت والام والخال
لانه لو بقي الملك حل الاستخدام
بالاجماع لكن الاستخدام ايحاش
وقطيعة رحم والثانية ان الهبة لذي
الرحم المحرم لا يجوز الرجوع فيها
حذرا من الايحاش والقطيعة ثم انه
ختم الآية بما يتضمن الوعد والوعيد
فقال ان الله كان عليكم رقيبا أي
يحفظ عليكم جميع أعمالكم
فيجازيكم بحسبها ثم انه سبحانه بعد
تقديم موجبات الشفقة على الضعفة
ومن له رحم ماسة قال وآتوا اليتامى
أموالهم وأصل اليتم الانفراد ومنه
الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة واليتامى
هم الذين مات آباؤهم فانفردوا
عنهم واليتيم لغة يتناول الصغير
والكبير الا انه في عرف الشرع
اختص بالذي لم يبلغ الحلم قال صلى
الله عليه وسلم لا يتم بعد الحلم والمراد
انه اذا احتلم لا تجرى عليه أحكام
الصغار لانه في تحصيل مصالحه
يستغني بنفسه عن كافل يكفله وقيم
يقوم بامره فان قيل اذا كان اسم
اليتيم في الشرع مختصا بالصغير
فما دام يتيما لا يجوز دفع أمواله اليه واذا صار كبيرا بحيث يجوز دفع ماله اليه لم يبق يتيما فكيف قال وآتوا
اليتامى أموالهم فنقول في الجواب طريقان أحدهما أن المراد باليتامى الكبار البالغون سماهم بذلك على مقتضى اللغة أو لقرب عهدهم باليتم
كقوله فألقي السحرة ساجدين أي الذين كانوا سحرة قبل السجود ويؤكد هذا الطريق قوله فيما بعد فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم

من المال شيأ ولكنه يقول لهم قولا معروفا قالوا والذي أمره الله بان يقول لهم معروفا هو ولي مال
اليتيم اذا قسم مال اليتيم بينه وبين شركاء اليتيم الا أن يكون ولي ماله أحد الورثة فيعطيهم من نصيبه
ويعطيهم من يجوز أمره في ماله من أنصبائهم قالوا فاما من مال الصغير الذي يولى عليه ماله لا يجوز
لولي ماله أن يعطيهم منه شيأ ذكر من قال ذلك حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا
سفيان عن السدي عن أبي سعيد قال سألت سعيد بن جبير عن هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا
القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه قال ان كان الميت أوصى لهم بشئ أنفذت لهم وصيتهم
وان كان الورثة كبارا رضخوا لهم وان كانوا صغارا قال وليهم اني لست أملك هذا المال وليس لي وانما
هو للصغار فذلك قوله وقولوا لهم قولا معروفا حدثنا ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة
عن أبي بشر عن سعيد بن جبير في هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين
فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال هما وليان ولي يرث وولي لا يرث فاما الذي يرث فيعطي وأما
الذي لا يرث فيقول له قولا معروفا حدثني ابن المثنى قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا ابن داود عن
الحسن وسعيد بن جبير كانا يقولان ذلك عند قسمة الميراث ان كان الميراث لمن قد أدرك فله أن
يكسو منه وأن يطعم الفقراء والمساكين وان كان الميراث ليتامى صغار فيقول الولي انه ليتامى صغار
ويقول لهم قولا معروفا حدثنا ابن حميد قال ثنا ابن يمان عن سفيان عن السدي عن أبي
سعيد عن سعيد بن جبير قال ان كانوا كبارا رضخوا وان كانوا صغارا اعتذروا اليهم حدثنا ابن
حميد قال ثنا حكام عن عنبسة عن سليمان الشيباني عن عكرمة واذا حضر القسمة أولوا القربى
قال كان ابن عباس يقول اذا ولي شيأ من ذلك يرضخ لاقرباء الميت وان لم يفعل اعتذر اليهم وقال لهم
قولا معروفا حدثنا أحمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي
واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا هذه
تكون على ثلاثة أوجه أما الأول فيوصي لهم وصية فيحضرون ويأخذون وصيتهم وأما الثاني فانهم
يحضرون فيقتسمون اذا كانوا رجالا فينبغي لهم أن يعطوهم وأما الثالث فتكون الورثة صغارا فيقوم
وليهم اذا قسم بينهم فيقول للذين حضروا حقكم حق وقرابتكم قرابة ولو كان لي في الميراث نصيب
لاعطيتكم ولكنهم صغار فان يكبروا فسيعرفون حقكم فهذا القول المعروف حدثنا ابن المثنى
قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن رجل عن سعيد أنه قال واذا حضر القسمة أولوا القربى
واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا قال اذا كان الوارث عند القسمة فكان
الاناء والشئ الذي لا يستطاع أن يقسم فليرضخ لهم وان كان الميراث لليتامى فليقل لهم قولا معروفا
وقال آخرون منهم ذلك واجب في أموال الصغار والكبار لأولي القربى واليتامى والمساكين فان
كان الورثة كبارا تولوا عند القسمة اعطاءهم ذلك وان كانوا صغارا تولى اعطاء ذلك منهم ولي مالهم
ذكر من قال ذلك حدثنا يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن يونس في قوله واذا حضر القسمة
أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه حدث عن محمد عن عبيدة أنه ولي وصية فامر بشاة
فذبحت وصنع طعاما لاجل هذه الآية وقال لولا هذه الآية لكان هذا من مالي قال وقال الحسن

والاشهاد لا يصح قبل البلوغ بل انما يصح بعد البلوغ وقال صلى الله عليه وسلم تستأمر اليتيمة في نفسها ولا تستأمر الا وهي بالغة وعلى هذا يكون في الآية اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان أونس منهم الرشد وأن لا يؤتوها قبل أن يزول عنهم اسم اليتامى والصغار ويوافقه ما رواه مقاتل والكلبي انها نزلت في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ اليتيم طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع اليه ماله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض الفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر للغلام وبقي الوزر على والده قيل لانه كان مشركا الطريق الثاني أن المراد بهم الصغار أي الذين هم يتامى في الحال آتوهم بعد زوال صفة اليتم أموالهم وآتوهم من أموالهم ما يحتاجون اليه لنفقتهم وكسوتهم والخطاب للاولياء والاوصياء ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب قال الفراء والزجاج أي لا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز كالتعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار أو لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال أموال اليتامى والاعتزال عنها حتى تتلف بالامر الطيب وهو حفظها والتورع عنها وقال كثير من المفسرين هذا التبدل هو ان يأخذ الجيد من مال اليتيم ويجعل مكانه الرديء قال صاحب الكشاف هذا ليس بتبدل وانما هو تبديل يريد أن الباء في بدل تدخل على المأخوذ وفي تبدل على المعطى ولما كان المأخوذ الطيب كان تبديلا لا تبدلا ثم وجهه بانه لعله يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي فيكون الباء في موضعه وقيل معنى الآية أن يأكل مال اليتيم سلفا مع

لم تنسخ كانوا يحضرون فيعطون الشيء والثوب الخلق قال يونس ان محمد بن سيرين ولي وصية أو قال أيتاما فأمر بشاة فذبحت فصنع طعاما كما صنع عبيدة حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا يزيد قال أخبرنا هشام بن حسان عن محمد أن عبيدة قسم ميراث أيتام فأمر بشاة فاشتريت من مالهم وبطعام فصنع وقال لولا هذه الآية لأحببت أن يكون من مالي ثم قرأ هذه الآية واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه الآية فكان من ذهب من القائلين القول الذي ذكرناه عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومن قال يرضخ عند قسمة الميراث لأولي القربى واليتامى والمساكين تأول قوله فارزقوهم منه فأعطوهم منه وكان الذين ذهبوا الى ما قال عبيدة وابن سيرين تأولوا قوله فارزقوهم منه فأطعموهم منه واختلفوا في تأويل قوله وقولوا لهم قولا معروفا فقال بعضهم هو أمر من الله تعالى ذكره ولاة اليتامى أن يقولوا لأولي قرابتهم واليتامى والمساكين اذا حضروا قسمتهم مال من ولوا عليه ماله من الاموال بينهم وبين شركائهم من الورثة فيها أن يعتذروا اليهم على نحو ما قد ذكرناه فيما مضى من الاعتذار كما حدثني يعقوب ابن ابراهيم قال ثنا هشيم قال ثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير وقولوا لهم قولا معروفا قال هو الذي لا يرث أمر أن يقول لهم قولا معروفا قال يقول ان هذا المال لقوم غيب أو ليتامى صغار ولكم فيه حق ولسنا نملك أن نعطيكم منه شيئا قال فهذا القول المعروف وقال آخرون بل المأمور بالقول المعروف الذي أمر جل ثناؤه أن يقال له هو الرجل الذي يوصي في ماله والقول المعروف هو الدعاء لهم بالرزق والغنى وما أشبه ذلك من قول الخير وقد ذكرنا قائلي ذلك أيضا فيما مضى بما أغنى عن اعادته في القول في تأويل قوله ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم وليخش ليخف الذين يحضرون موصيا يوصي في ماله أن يأمره بتفريق ماله وصية به فيمن لا يرثه ولكن ليأمره أن يبقي ماله لولده كما لو كان هو الموصي يسره أن يحثه من يحضره على حفظ ماله لولده وأن لا يدعهم عالة مع ضعفهم وعجزهم عن التصرف والاحتيال ذكر من قال ذلك حدثني علي بن داود قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الى آخر الآية فهذا في الرجل يحضره الموت فيسمعه يوصي بوصية تضر بورثته فأمر الله سبحانه الذي يسمعه أن يتقي الله ويوفقه ويسدده للصواب ولينظر لورثته كما كان يحب أن يصنع لورثته اذا خشي عليهم الضيعة حدثنا علي قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعني الذي يحضره الموت فيقال له تصدق من مالك وأعتق وأعط منه في سبيل الله فنهوا أن يأمروه بذلك يعني أن من حضر منكم مريضا عند الموت فلا يأمره أن ينفق ماله في العتق أو الصدقة أو في سبيل الله ولكن يأمره أن يبين ماله وما عليه من دين ويوصي في ماله لذوي قرابته الذين لا يرثون ويوصي لهم بالخمس أو الربع يقول أليس يكره أحدكم اذا مات وله ولد ضعاف يعني صغار أن يتركهم بغير مال فيكونوا عيالا على الناس فلا ينبغي أن تأمروه بما لا ترضون به

التزام بدله بعد ذلك فيكون متبدلا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم منضمة الى أموالكم في الانفاق تسوية بين المالين في الحل انه أي الأكل كان حوبا كبيرا ذنبا عظيما والحاب مثله والتركيب يدور على الضعف والمراد بالأكل مطلق التصرف الا انه خص بالذكر لانه معظم ما يقع لأجله التصرف وقيل الى ههنا بمعنى مع والفائدة في (١٨٢) زيادة قوله الى أموالكم أن كل أموال اليتامى محرم على الاطلاق زيادة التقبيح والتوبيخ لانهم اذا كانوا مستغنين عنها بما لهم من المال الحلال ومع ذلك طمعوا في مال اليتيم كانوا بالذم أحرى ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم وان خفتم ألا تقسطوا أقسط الرجل عدل وقسط جار وقال الزجاج أصلهما جميعا من القسط وهو النصيب فاذا قالوا قسط فمعناه ظلم صاحبه في قسطه من قولهم قاسطته فقسطته أي غلبته على قسطه واذا قالوا أقسط بالهمز فمعناه صار ذا قسط مثل أنصف اذا أتى بالنصف فيلزمه العدالة والتسوية واعلم أن قوله وان خفتم شرط وقوله فانكحوا جواب له ولا بد من بيان أن هذا الجزاء كيف يتعلق بهذا الشرط وللمفسرين فيه وجوه الاول ماروى عن عروة انه قال قلت لعائشة ما معنى قول الله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فقالت يا ابن أختي هي اليتيمة تكون في حجر وليها فيرغب الرجل في مالها وجمالها الا انه يريد أن ينكحها بادنى من صداقها ثم اذا تزوج بها عاملها معاملة رديئة لعلمه بانه ليس لها من يذب عنها ويدفع شر ذلك الزوج عنها فقال تعالى وان خفتم أن تظلموا اليتامى عند نكاحهن فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم من العدد قالت عائشة ثم ان الناس استفتوا رسول الله

لا نفسكم ولا أولادكم ولكن قولوا الحق من ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يقول من حضر ميتا فليأمره بالعدل والاحسان ولينهه عن الحيف والجور في وصيته وليخش على عياله ما كان خائفا على عياله لو نزل به الموت حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال اذا حضرت وصية ميت فمره بما كنت آمرا نفسك بما تتقرب به الى الله وخف في ذلك ما كنت خائفا على ضعفة لو تركتهم بعدك يقول فاتق الله وقل قولا سديدا ان هو زاغ حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا الرجل يحضره الموت فيحضره القوم عند الوصية فلا ينبغي لهم أن يقولوا له أوص بمالك كله وقدم لنفسك فان الله سيرزق عيالك ولا يتركوه يوصي بماله كله يقول للذين حضروا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فيقول كما يخاف أحدكم على عياله لو مات أن يتركهم صغارا ضعافا لا شيء لهم الضيعة بعده فليخف ذلك على عيال أخيه المسلم فيقول له القول السديد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة الى سعيد بن جبير فسألناه عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية قال قال الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله صلهم أعطهم برهم ولو كانوا هم الذين يأمرهم بالوصية لأحبوا أن يبقوا لأولادهم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن سعيد بن جبير في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال يحضرهم اليتامى فيقولون اتق الله وصلهم وأعطهم فلو كانوا هم لأحبوا أن يبقوا لأولادهم حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا يزيد قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية يقول اذا حضر أحدكم من حضره الموت عند وصيته فلا يقل أعتق من مالك وتصدق فيفرق ماله ويدع أهله عيلا ولكن مروه فليكتب ماله من دين وما عليه ويجعل من ماله لذوي قرابته خمس ماله ويدع سائره لورثته حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم الآية قال هذا يفرق المال حين يقسم فيقول الذين يحضرون أقللت زده فلانا فيقول الله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم فليخش أولئك وليقولوا فيهم مثل ما يحب أحدهم أن يقال في ولده بالعدل اذا أكثر أبق على ولدك وقال آخرون بل معنى ذلك وليخش الذين يحضرون الموصي وهو يوصي الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا فخافوا عليهم الضيعة من ضعفهم وطفولتهم أن ينهوه عن الوصية لأقربائه وأن يأمروه بامساك ماله والتحفظ به لولده وهم لو كانوا من أقرباء الموصي لسرهم أن يوصي لهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب قال ذهبت أنا والحكم بن عيينة فأتينا مقسما فسألناه يعني عن قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا الآية فقال ما قال سعيد بن جبير فقلنا

صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية فيهن فأنزل الله تعالى يستفتونك في النساء الآية فقوله فيها وما يتلى عليكم في الكتاب كذا في يتامى النساء المراد منه هذه الآية وهي قوله وان خفتم أن لا تقسطوا وعبر في الكشاف عن هذه الرواية بعبارة أخرى وهي كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال أو يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب

كذا وكذا فقال ولكنه الرجل يحضره الموت فيقول له من يحضره اتق الله وأمسك عليك مالك فليس أحد أحق بمالك من ولدك ولو كان الذى يوصى ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصى لهم حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن حبيب بن أبى ثابت قال قال مقسم هم الذين يقولون اتق الله وأمسك عليك مالك فلو كان ذا قرابة لهم لأحبوا أن يوصى لهم حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان عن أبيه قال زعم حضرمى وقرأ وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا قال قالوا حقيق أن يأمر صاحب الوصية بالوصية لاهلها كما أن لو كانت ذرية نفسه بتلك المنزلة لأحب أن يوصى لهم وان كان هو الوارث فلا يمنعه ذلك أن يأمره بالذى يحق عليه فان ولده لو كانوا بتلك المنزلة أحب أن يحث عليه فليتق الله هو فليأمره بالوصية وان كان هو الوارث أو نحوا من ذلك * وقال آخرون بل معنى ذلك أمر من الله ولاة اليتامى أن يلوهم بالاحسان اليهم فى أنفسهم وأموالهم ولا يأكلوا أموالهم اسرافا وبدارا أن يكبروا وأن يكونوا لهم كما يحبون أن يكون ولاة ولده الصغار بعدهم لهم بالاحسان اليهم لو كانوا هم الذين ماتوا وتركوا أولادهم يتامى صغارا ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم يعنى بذلك الرجل يموت وله أولاد صغار ضعاف يخاف عليهم العيلة والضيعة ويخاف بعده أن لا يحسن اليهم من يليهم يقول فان ولى مثل ذريته ضعافا يتامى فليحسن اليهم ولا يأكل أموالهم اسرافا وبدارا خشية أن يكبروا فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وقال آخرون معنى ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا يكفهم الله أمر ذريتهم بعدهم ذكر من قال ذلك حدثنا ابراهيم بن عطية بن دريج بن عطية قال ثنى عمى محمد بن دريج عن أبيه عن الشيبانى قال كنا بالقسطنطينية أيام مسلمة بن عبد الملك وفينا ابن محيريز وابن الديلمى وهانئ بن كلثوم قال فجعلنا نتذاكر ما يكون فى آخر الزمان قال فضقت ذرعا بما سمعت قال فقلت لابن الديلمى يا أبا بشر يودنى أنه لا يولد لى ولد أبدا قال فضرب بيده على منكبى وقال يا ابن أخى لا تفعل فانه ليست من نسمة كتب الله لها أن تخرج من صلب رجل الا وهى خارجة ان شاء وان أبى قال ألا أدلك على أمر ان أنت أدركته نجاك الله منه وان تركت ولدك من بعدك حفظهم الله فيك قال قلت بلى قال فتلا عند ذلك هذه الآية ولیخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا * قال أبو جعفر وأولى التأويلات بالآية قول من قال تأويل ذلك وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم العيلة لو كانوا فرقوا أموالهم فى حياتهم أو قسموها وصية منهم بها لأولى قرابتهم وأهل اليتم والمسكنة فأبقوا أموالهم لولدهم خشية العيلة عليهم بعدهم مع ضعفهم وعجزهم عن المطالب فليأمروا من حضروه وهو يوصى لذوى قرابته وفى اليتامى والمساكين وفى غير ذلك بماله بالعدل وليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا وهو أن يعرفوه ما أباح الله له من الوصية وما اختاره المؤمنون من أهل الايمان بالله وبكتابه وسنته وانما قلنا ذلك بتأويل الآية أولى من غيره من التأويلات لما قد ذكرنا فيما مضى قبل من أن معنى قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى

لهن أن يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم أن لا تقسطوا فى يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم الثانى وهو قول سعيد بن جبير وقتادة والربيع والضحاك والسدى منقولا عن ابن عباس لما نزلت الآية المتقدمة وما فى أكل أموال اليتامى من الحوب الكبير خاف الاولياء لحوق الحوب فتحرجوا من ولاية اليتامى وكان الرجل منهم ربما كانت تحته العشر من الازواج وأكثر فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل فى حقوق اليتامى فكونوا خائفين من ترك العدل بين النساء لانهن كاليتامى فى العجز والضعف فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب أو تاب عنه وهو مرتكب مثله فكأنه غير متحرج الثالث كانوا لا يتحرجون من الزنا ويتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم ذلك فكونوا خائفين من الزنا أيضا وانكحوا ما حل لكم من النساء الرابع روى عن عكرمة كان الرجل عنده النسوة ويكون عنده الايتام فاذا أنفق مال نفسه على النسوة أخذ فى انفاق أموال اليتامى عليهن فقيل ان خفتم أن تظلموا اليتامى بأكل أموالهم عند كثرة الزوجات فقد حظرت لكم أن تنكحوا أكثر من أربع ليزول هذا الخوف فان خفتم فى الاربع أيضا فواحدة فذكر الطرف الزائد وهو الاربع والناقص وهو الواحدة ونبه بذلك على ما بينهما فكأنه قيل ان خفتم الاربع فثلاثا وان خفتم فاثنتين وان خفتم فواحدة قال الظاهريون النكاح واجب لقوله فانكحوا وظاهر الامر للوجوب وعورض بقوله تعالى ذلك لمن خشى العنت منكم وأن تصبروا خير لكم ولو سلم فالوجوب مشروط بحالة الخوف فلا يلزم منه الوجوب على الاطلاق وأيضا الآية سيقت لبيان وجوب تقليل الازواج لا لاصل الوجوب وانما قال ما طاب ولم يقل من طاب لانه أراد به الجنس تقول ما عندك فيقال رجل أو امرأة تريد ما ذلك الشئ الذى عندك أو ما تلك الحقيقة ولان الاناث من العقلاء تنزل منزلة غير العقلاء ومنه قوله تعالى أو ما ملكت أيمانكم ولان ما ومن يتعاقبان قال تعالى والسماء وما بناها فمنهم من يمشى على بطنه قال المفسرون معنى ما طاب لكم أى ما حل لكم

من النساء لان فيهن من يحرم نكاحها كما سيجيء واعترض عليه الامام بان قوله فانكحوا أمر اباحة فيؤل المعنى الى قوله أبحت لكم نكاح من هي مباحة لكم وهذا كلام مستدرك سلمناه لكن الآية تصير مجملة لان أسباب الحل والاباحة غير مذكورة في هذه الآية واذا حملنا الطيب على استطابة النفس وميل القلب كانت الآية عامة دخلها التخصيص وانه أولى من الاجمال عند التعارض لان العام

المخصوص حجة في غير محل التخصيص والمجمل لا يكون حجة أصلا والجواب عن الاول أن ذكر الشئ ضمنا ثم صريحا لا يعد تكرارا بدليل قوله كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن الثاني أن قوله ما طاب لكم بمعنى ما حل لكم اذا كان اشارة الى ما بقي بعد ما أخرجته آية التحريم فلا اجمال وأما قوله مثنى وثلاث ورباع ولم يوجد في كلام الفصحاء الا هذه وأحاد وموحد وجوز والى عشار ومعشر قياسا على قول الكميت

ولم يستر يثوك حتى رميـ * ـت

فوق الرجال خصالا عشارا

فاتفق النحويون على أن فيها عدلا محققا وذلك أن فائدتها تقسيم أمر ذي أجزاء على عدد معين ولفظ المقسوم عليه في غير العدد مكرر على الاطراد في كلام العرب نحو قرأت الكتاب جزأ جزأ وجاءني القوم رجلا رجلا وجاعة جاعة وكان القياس في باب العدد أيضا التكرير عملا بالاستقراء والحاقا للفرد المتنازع فيه بالاعم الاغلب فلما وجد ثلاث مثلا غير مكرر لفظا حكم بان أصله لفظ مكرر وليس الا ثلاثة ثلاثة فعند سيبويه منع صرف مثل هذا للعدل والوصف الاصلي فان هذا التركيب لم يستعمل الا وصفا بخلاف المعدول عنه وقيل ان فيه عدلا مكررا من حيث اللفظ لان أصله كان ثلاثة ثلاثة مرتين فعدل الى واحد ثم الى لفظ ثلاث أو مثلث وقيل ان فيه العدل

والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فأوصوا لهم بما قد دللنا عليه من الأدلة فاذا كان ذلك تأويل قوله واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين الآية فالواجب أن يكون قوله تعالى ذكره وليخش الذين لو تركوا من خلفهم تأديبا منه عباده في أمر الوصية بما أذنهم فيه اذ كان ذلك عقيب الآية التي قبلها في حكم الوصية وكان أظهر معانيه ما قلنا فالحاق حكمه بحكم ما قبله أولى مع اشتباه معانيهما من صرف حكمه الى غيره بما هو له غير مشبه وبمعنى ما قلنا في تأويل قوله وليقولوا قولا سديدا قال من ذكرنا قوله في مبتدا تأويل هذه الآية وبه كان ابن زيد يقول حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا قال يقول قولا سديدا يذكر هذا المسكين وينفعه ولا يجحف بهذا اليتيم وارث المؤدي ولا يضر به لانه صغير لا يدفع عن نفسه فانظر له كما تنظر الى ولدك لو كانوا صغارا والسديد من الكلام هو العدل والصواب ﴿القول في تأويل قوله ﴿ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما يقول بغير حق انما يأكلون في بطونهم نارا يوم القيامة بأكلهم أموال اليتامى ظلما في الدنيا نار جهنم وسيصلون بأكلهم سعيرا كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا قال اذا قام الرجل يأكل مال اليتيم ظلما يبعث يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه ومن أذنيه وأنفه وعينيه يعرفه من رآه يأكل مال اليتيم حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر قال أخبرني أبو هرون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال ثنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة أسرى به قال نظرت فاذا أنا بقوم لهم مشافر كمشافر الابل وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في أفواههم صخرا من نار يخرج من أسافلهم قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال قال أبي ان هذه لاهل الشرك حين كانوا لا يورثونهم ويأكلون أموالهم وأما قوله وسيصلون سعيرا فانه مأخوذ من الصلا والصلا الاصطلاء بالنار وذلك التسخن بها كما قال الفرزدق

وقاتل كلب الحي عن نار أهله * ليربض فيها والصلا متكنف

وكما قال العجاج * وصاليات للصلا صلي * ثم استعمل ذلك في كل من باشر بيده أمرا من الامور من حرب أو قتال أو خصومة أو غير ذلك كما قال الشاعر

لم أكن من جناتها علم الله * واني لحرها اليوم صالي

فجعل ما باشر من شدة الحرب واجراء القتال بمنزلة مباشرة أذى النار وحرها واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء المدينة والعراق وسيصلون سعيرا بفتح الياء على التأويل الذي قلنا وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض الكوفيين وسيصلون بضم الياء بمعنى يحرقون من قولهم شاة مصلية يعني

والتعريف اذ لا يدخله اللام خلافا لما في الكشاف واذا جرى على النكرة فمحمول على البدل وضعف بعدم جريانه على المعارف مشوية ولوقوعه حالا فمعنى الآية فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا وأربعا أربعا فان خفتم أن لا تعدلوا بين هذه الاعداد فواحدة فمن قرأ بالنصب أراد فاختاروا أو انكحوا أو الزموا واحدة ومن قرأ بالرفع أراد فكفت واحدة أو فحسبكم واحدة وذروا الجمع رأسا

فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتموه فعليكم به ثم قال أو ما ملكت أيمانكم فسوى في السهولة بين الحرة الواحدة وبين ما شاء من
الاماء لانهن أقل تبعة وأخف مؤنة من المهائر لا على المرء أكثر منهن أو أقل عدل بينهن في القسم أم لم يعدل عزل عنهن أم لم يعزل ولما كانت
التسوية بينها وبينهن احتج بها الشافعي في بيان أن نوافل العبادات أفضل من النكاح وذلك للاجماع على

مشوية قال أبو جعفر والفتح بذلك أولى من الضم لاجماع جميع القراء على فتح الياء من قوله لا يصلاها
الا الأشقى ولدلالة قوله الا من هو صال الجحيم على أن الفتح بها أولى من الضم وأما السعير فانه شدة حر
جهنم ومنه قيل استعرت الحرب اذا اشتدت وانما هو مسعور ثم صرف الى سعير قيل كف خضيب
ولحية دهين وانما هي مخضوبة صرفت الى فعيل فتأويل الكلام اذا وسيصلون نارا مسعرة أي موقودة
مشعلة شديدا حرها وانما قلنا ان ذلك كذلك لان الله جل ثناؤه قال واذا الجحيم سعرت فوصفها بانها
مسعورة ثم أخبر جل ثناؤه أن أكلة أموال اليتامى يصلونها وهي كذلك فالسعير اذا في هذا الموضع صفة
للجحيم على ماوصفنا * القول في تأويل قوله ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ يعني
جل ثناؤه بقوله يوصيكم الله يعهد الله اليكم في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين يقول يعهد اليكم ربكم
اذا مات الميت منكم وخلف أولادا ذكورا واناثا فلولده الذكور والاناث ميراثه أجمع بينهم للذكر
منهم مثل حظ الانثيين اذا لم يكن له وارث غيرهم سواء فيه صغار ولده وكبارهم واناثهم في أن جميع ذلك
بينهم للذكر مثل حظ الانثيين ورفع قوله مثل بالصفة وهي اللام التي في قوله للذكر ولم ينصب بقوله
يوصيكم الله لأن الوصية في هذا الموضع عهد واعلام بمعنى القول والقول لا يقع على الاسماء المخبر
عنها فكأنه قيل يقول الله تعالى ذكره لكم في أولادكم للذكر منهم مثل حظ الانثيين وقد ذكر أن هذه
الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم تبيينا من الله الواجب من الحكم في ميراث من مات وخلف
ورثة على ما بين لان أهل الجاهلية كانوا لا يقسمون من ميراث الميت لاحد من ورثته بعده ممن كان
لا يلاقي العدو ولا يقاتل في الحروب من صغار ولده ولا للنساء منهم وكانوا يخصون بذلك المقاتلة دون
الذرية فاخبر الله جل ثناؤه أن ما خلفه الميت بين من سمى وفرض له ميراثا في هذه الآية وفي آخر هذه
السورة فقال في صغار ولد الميت وكبارهم واناثهم لهم ميراث أبيهم اذا لم يكن له وارث غيرهم للذكر
مثل حظ الانثيين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا
أسباط عن السدي يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين كان أهل الجاهلية لا يورثون
الجواري ولا الصغار من الغلمان لا يرث الرجل من ولده الا من أطاق القتال فمات عبد الرحمن
أخو حسان الشاعر وترك امرأة يقال لها أم كحة وترك خمس أخوات فجاءت الورثة يأخذون ماله
فشكت أم كحة ذلك الى النبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تبارك وتعالى هذه الآية فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ثم قال في أم كحة ولهن الربع مما تركتم
أن لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن حدثنا محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي
قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وذلك انه
لما نزلت الفرائض التي فرض الله فيها ما فرض للولد الذكر والانثى والابوين كرهها الناس أو بعضهم
وقالوا تعطى المرأة الربع والثمن وتعطى الابنة النصف ويعطى الغلام الصغير وليس من هؤلاء أحد
يقاتل القوم ولا يحوز الغنيمة اسكتوا عن هذا الحديث لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ينساه أو
نقول له فيغيره فقال بعضهم يارسول الله أنعطي الجارية نصف ما ترك أبوها وليست تركب الفرس
ولا تقاتل القوم ونعطي الصبي الميراث وليس يغني شيأ وكانوا يفعلون ذلك في الجاهلية لا يعطون

ان الاشتغال بالنوافل أفضل من التسري فوجب أن يكون أفضل من النكاح لان الزائد على أحد المتساويين يكون زائدا على المساوي الآخر ولمانع أن يمنع التسوية فان قول الطبيب مثلا للمريض كل التفاح أو الرمان يحتمل أن يكون للتسوية بينهما وقد يكون للمقاربة أي ان لم تجد التفاح فكل الرمان فانه قريب منه في دفع الحاجة للضرورة ومع وجود هذا الاحتمال لا يتم الاستدلال على أن فضل الحرة على الامة معلوم شرعا وعقلا وههنا مسئلتان الاولى أكثر الفقهاء على أن نكاح الاربع مشروع للاحرار دون العبيد لان هذا الخطاب انما يتناول انسانا متى طاب له امرأة قدر على نكاحها والعبد ليس كذلك لانه لا يمكن من النكاح الا باذن مولاه وأيضا انه قال بعد ذلك فان خفتم أن لا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم وهذا لا يكون الا للاحرار فكذا الخطاب الاول لان هذه الخطابات وردت متتالية على نسق واحد فيبعد أن يدخل التقييد في اللاحق دون السابق وكذا قوله فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا والعبد لا يأكل فيكون لسيده وقال مالك يحل للعبد أن يتزوج بالاربع تمسكا بظاهر الآية ومن الفقهاء من سلم أن ظاهر الآية يتناول العبيد الا انهم خصصوا هذا العموم بالقياس

قالوا أجمعنا على ان الرق له تأثير في نقصان حقوق النكاح كالطلاق والعدة ولما كان
العدد من حقوق النكاح وجب أن يحصل للعبد نصف ما للحر الثانية ذهب جماعة الى أنه يجوز التزوج بأي عدد أريد لان قوله فانكحوا
ما طاب لكم من النساء اطلاق في جميع الاعداد لصحة استثناء كل عدد منه وقوله مثنى وثلاث ورباع لا يصلح مخصصا لذلك العموم لان تخصيص

بعض الاعداد بالذكر لا ينافي ثبوت الحكم في الباقي بل نقول ذكرها يدل على نفي الحرج والحجر مطلقا فان من قال لولده افعل ما شئت اذهب الى السوق والى المدرسة والى البستان كان تصريحا في أن زمام الاختيار بيده ولا يكون تخصيصا وأيضا ذكر جميع الاعداد متعذر فذكر بعضها تنبيها على حصول الاذن في

جميعها ولئن سلمنا لكن الواو للجمع المطلق فيفيد الاذن في جمع تسعة بل ثمانية عشر لتضعيف كل منها وأما السنة فلما ثبت بالتواتر أنه صلى الله عليه وسلم مات عن تسع وقد أمرنا باتباعه في قوله فاتبعوه وأقل مراتب الامر الاباحة وقد قال صلى الله عليه وسلم فمن رغب عن سنتي فليس مني والمعتمد عند الجمهور في جوابهم أمران أحدهما الخبر كنحو ما روى ان نوفل ابن معاوية أسلم وتحته خمس نسوة فقال صلى الله عليه وسلم أمسك أربعا وفارق واحدة وزيف بأن القرآن دل على عدم الحصر ونسخ القرآن بخبر الواحد غير جائز وبأن الامر بمفارقة الزائدة قد يكون لمانع النسب أو الرضاع وأقول ان القرآن لم يدل على عدم الحصر غايته أنه لم يدل على الحصر فيكون مجملا وبيان المجمل بخبر الواحد جائز وأيضا قوله أمسك أربعا على الاطلاق وكذا فارق واحدة دليل على أن المانع هو الزيادة على الاربع لا غيرها وكذا في نظائر هذا الحديث وثانيهما اجماع فقهاء الامصار وضعف بأن الاجماع مع وجود المخالف لا ينعقد وبتقدير التسليم فان الاجماع لا ينسخ ولا ينسخ به والجواب أن المخالف اذا كان شاذا فلا يعبأ به والقرآن لم يدل على عدم الحصر حتى يلزم نسخ الاجماع اياه ولكن الاجماع دل على وجود مبين في زمان الرسول صلى الله عليه وسلم ولئن سلم أن القرآن دل على عدم الحصر فالاجماع يكشف عن وجود ناسخ في عهده وذلك جائز بالاتفاق لا يقال فعلى تقدير الحصر كان ينبغي أن يقال مثنى أو ثلاث أو رباع بأو الفاصلة لانا نقول يلزم حينئذ أن لا يجوز النكاح الا على أحد هذه الاقسام فلا يجوز لبعضهم أن يأتي بالتثنية ولفريق ثان بالتثليث والاخرين بالتربيع فمذهب معنى تجويز الجمع بين أنواع القسمة التي دلت عليه الواو (ذلك أدنى أن لا تعولوا) أي اختيار الواحدة أو التسري أقرب من أن لا تميلوا أو لا تجوروا وكلا اللفظين مروي عن عائشة عن النبي

الميراث الا من قاتل ويعطونه الاكبر فالاكبر * وقال آخرون بل نزل ذلك من أجل أن المال كان للولد قبل نزوله وللوالدين الوصية فنسخ الله تبارك وتعالى ذلك بهذه الآية ذكر من قال ذلك حدثني محمد ابن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد أو عطاء عن ابن عباس في قوله يوصيكم الله في أولادكم قال كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين وجعل للابوين لكل واحد منهما السدس مع الولد وللزوج الشطر والربع وللزوجة الربع والثمن حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين قال كان ابن عباس يقول كان المال وكانت الوصية للوالدين والاقربين فنسخ الله تبارك وتعالى من ذلك ما أحب فجعل للذكر مثل حظ الانثيين ثم ذكر نحوه حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس مثله وروى عن جابر بن عبد الله ما حدثنا به محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن محمد بن المنكدر قال سمعت جابر بن عبد الله قال دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مريض فتوضأ ونضح على من وضوئه فأفقت فقلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فكيف بالميراث فنزلت آية الفرائض حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال ثني محمد بن المنكدر عن جابر قال عادني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رضي الله عنه في بني سلمة عشيان فوجدني لا أعقل فدعا بوضوء فتوضأ ثم رش على فأفقت فقلت يا رسول الله كيف أصنع في مالي فنزلت يوصيكم الله في أولادكم الآية * القول في تأويل قوله (فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) يعني بقوله فان كن فان كان المتروكات نساء فوق اثنتين ويعني بقوله نساء بنات الميت فوق اثنتين يقول أكثر في العدد من اثنتين فلهن ثلثا ما ترك يقول فلبناته الثلثان مما ترك بعده من ميراثه دون سائر ورثته اذا لم يكن الميت خلف ولدا ذكرا معهن واختلف أهل العربية في المعنى بقوله فان كن نساء فقال بعض نحويي البصرة بنحو الذي قلنا فان كان المتروكات نساء وهو أيضا قول بعض نحويي الكوفة وقال آخرون منهم بل معنى ذلك فان كان الاولاد نساء وقال انما ذكر الله الاولاد فقال يوصيكم الله في أولادكم ثم قسم الوصية فقال فان كن نساء وان كان الاولاد واحدة ترجمة منه بذلك عن الاولاد قال أبو جعفر والقول الاول الذي حكيناه عمن حكيناه عنه من البصريين أولى بالصواب في ذلك عندي لان قوله وان كن لو كان معنيا به الاولاد لقيل وان كانوا لان الاولاد تجمع الذكور والاناث واذا كان كذلك فانما يقال كانوا لا كن * القول في تأويل قوله (وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد) يعني بقوله وان كانت المتروكة ابنة واحدة فلها النصف يقول فلتلك الواحدة نصف ما ترك الميت من ميراثه اذا لم يكن معها غيرها من ولد الميت ذكر ولا أنثى فان قال قائل فهذا فرض الواحدة من النساء وما فوق الاثنتين فأين فريضة الاثنتين قيل فريضتهم بالسنة المنقولة نقل الوراثة التي لا يجوز فيها الشك وأما قوله ولابويه فانه يعني ولابوي الميت لكل واحد منهما السدس من تركته وما خلف من ماله سواء فيه الوالدة والوالد لا يزداد واحد منهما على السدس ان كان له

صلى الله عليه وسلم من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وعال الحاكم فى حكمه اذا جار ومنه عالت الفريضة اذا زادت سهامها وفيه الميل عن الاعتدال
وقيل معناه أن لا تفتقروا ورجل عائل أى فقير وذلك أنه اذا قل عياله قلت نفقاته فلم يفتقر ونقل عن الشافعى انه قال معناه أن لا تكثر عيالكم
وطعن فيه بعض القاصرين بأن هذا فى اللغة معنى تعيلوا لا معنى تعولوا يقال أعال الرجل اذا كثر عياله ومنه قراءة طاوس
أن لا تعيلوا وأيضا انه لا يناسب أول
الآية وان خفتم أن لا تقسطوا وأيضا
هب أنه يقل العيال فى اختيار الحرة
الواحدة فكيف يقل عند اختيار
التسرى ولا حصر لهن والجواب
عن الاول ان الشافعى لم يذهب الى
تفسير اللغة وانما زعم انه تعالى أشار
الى الشئ بذكر لازمه أى جعل الميل
والجور كناية عن كثرة العيال لان
كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور
وقرر الكناية فى الكشاف على وجه
آخر وهو أنه جعل قوله تعالى أن لا
تعولوا من عال الرجل عياله يعولهم
كقولك مانهم يمونهم اذا أنفق عليهم
ولا شك أن من كثر عياله لزمه أن
يعولهم وفى ذلك ما تصعب عليه
المحافظة على حدود الورع وكسب
الحلال والحاصل أنه ذكر اللازم
وهو الانفاق وأراد الملزوم وهو كثرة
العيال والحاصل على ما قلنا أنه ذكر
اللازم وهو الميل والجور وأراد
الملزوم وهو كثرة العيال والجواب
عن الثانى أن حمل الكلام على ما لا
يلزم منه تكرار أولى وبتقدير التسليم
فتفسير الشافعى أيضا يؤل الى تفسير
الجمهور لكن بطريق الكناية كما قررنا
وعن الثالث أن الجوارى اذا كثرن
فله أن يكلفهن الكسب فينفقن
على أنفسهن وعلى مولاهن أيضا
فكأنه لا عيال وأيضا اذا عجز المولى
باعهن وتخلص منهن بخلاف المهائر
فان الخلاص عنهن يفتقر الى تسليم
المهر اليهن وقال فى الكشاف العزل
عن السرارى جائز بغير اذنهن فكن مظان قلة الولد بالاضافة الى التزوج (وآتوا النساء صدقاتهن) أى مهورهن والخطاب للازواج وهو قول
علقمة وقتادة والنخعى واختيار الزجاج لان ما قبله خطاب للناكحين وقيل خطاب للاولياء لان العرب كانت فى الجاهلية لا تعطى البنات
من مهورهن شيأ ولذلك كانوا يقولون لمن ولدت له ابنة هنيأ لك النافجة يعنون انك تأخذ مهرها ابلا فتضمها الى ابلك فتنفج مالك أى تعظمه

له ولد ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فان قال قائل فاذ كان كذلك التأويل
فقد يجب أن لا يزاد الوالد مع الابنة الواحدة على السدس من ميراثه عن ولده الميت وذلك ان قلته قول
خلاف لما عليه الامة مجمعون من تصييرهم باقى تركة الميت مع الابنة الواحدة بعد أخذها نصيبها
منها للوالد أجمع قيل ليس الامر فى ذلك كالذى ظننت وانما لكل واحد من أبوى الميت السدس
من تركته مع ولده ذكرا كان الولد أو أنثى واحدا كان أو جماعة فريضة من الله له مسماة فان زيد
على ذلك من بقية النصف مع الابنة الواحدة اذا لم يكن غيره وغير ابنة للميت واحدة فانما زيدها ثانيا
لقرب عصبة الميت اليه اذ كان حكم كل ما أبقته سهام الفرائض فلأولى عصبة الميت وأقربهم
اليه بحكم ذلك لها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الاب أقرب عصبة ابنه وأولاها به اذا لم
يكن لابنه الميت ابن القول فى تأويل قوله (فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث) يعنى جل
ثناؤه بقوله فان لم يكن له فان لم يكن للميت ولد ذكر ولا أنثى وورثه أبواه دون غيرهما من ولد وارث
فلامه الثلث يقول فلامه من تركته وما خلف بعده ثلث جميع ذلك فان قال قائل فمن الذى له
الثلثان الآخران قيل له الاب فان قال قائل بماذا قلت بأنه أقرب أهل الميت اليه ولذلك ترك
ذكر تسمية من له الثلثان الباقيان اذ كان قد بين على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لعباده أن
كل ميت فأقرب عصبته به أولى بميراثه بعد اعطاء ذوى السهام المفروضة سهامهم من ميراثه
وهذه العلة هى العلة التى من أجلها سمى للام ما سمى لها اذا لم يكن الميت خلف وارثا غير أبويه لان
الام ليست بعصبة فى حال للميت فبين الله جل ثناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت وترك
ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها اذ كان قد عرفهم فى جملة بيانه لهم من له بقايا تركة الاموال
بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم وكان بيانه ذلك معينا لهم على تكرير حكمه مع كل من قسم
له حقا من ميراث ميت وسمى له منه سهما القول فى تأويل قوله جل ذكره (فان كان له اخوة
فلامه السدس) ان قال قائل وما المعنى الذى من أجله ذكر حكم الابوين مع الاخوة وترك ذكر
حكمهما مع الاخ الواحد قلت اختلاف حكمهما مع الاخوة الجماعة والاخ الواحد فكان فى
ابانة الله جل ثناؤه لعباده حكمهما فيما يرثان من ولدهما الميت مع اخوته غنى وكفاية عن أن
حكمهما فيما ورثا منه غير متغير عما كان لهما ولا أخ للميت ولا وارث غيرهما اذ كان معلوما عندهم
أن كل مستحق حقا بقضاء الله ذلك له لا ينتقل حقه الذى قضى به له ربه جل ثناؤه عما قضى به له
الى غيره الا بنقل الله ذلك عنه الى من نقله اليه من خلقه فكان فى فرضه تعالى ذكره للام ما فرض
اذا لم يكن لولدها الميت وارث غيرها وغير والده لوائح الدلالة الواضحة للخلق أن ذلك المفروض هو ثلث
مال ولدها الميت حق لها واجب حتى يغير ذلك الفرض من فرض لها فلما غير تعالى ذكره ما فرض
لها من ذلك مع الاخوة الجماعة وترك تغييره مع الاخ الواحد علم بذلك أن فرضها غير متغير عما
فرض لها الا فى الحال التى غيره فيها من لزم العباد طاعته دون غيرها من الاحوال ثم اختلف
أهل التأويل فى عدد الاخوة الذين عناهم الله تعالى ذكره بقوله فان كان له اخوة فقال جماعة
أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم باحسان ومن بعدهم من علماء أهل الاسلام

في كل زمان عني الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة فلامه السدس اثنين كان الاخوة أو أكثر منهما اثنين كانتا أو كن اناثا أو ذكرين كانا أو كانوا ذكورا أو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى واعتل كثير ممن قال ذلك بأن ذلك قالته الامة عن بيان الله جل ثناؤه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم فنقلته أمة نبيه نقلا مستفيضا قاطعا العذر مجيئه ودفع الشك فيه عن قلوب الخلق وروده وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه كان يقول بل عني الله جل ثناؤه بقوله فان كان له اخوة جماعة أقلها ثلاثة وكان ينكر أن يكون الله جل ثناؤه حجب الام عن ثلثها مع الاب بأقل من ثلاثة اخوة فكان يقول في أبوين وأخوين للام الثلث وما بقي فللاب كما قال أهل العلم في أبوين وأخ واحد * ذكر الرواية عنه بذلك حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال ثنا ابن أبي فديك قال ثني ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس انه دخل على عثمان رضي الله عنه فقال لم صار الاخوان يردان الام الى السدس وانما قال الله فان كان له اخوة والاخوان في لسان قومك وكلام قومك ليسا باخوة فقال عثمان رضي الله عنه هل أستطيع نقض أمر كان قبلي وتوارثه الناس ومضى في الامصار قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن المعني بقوله فان كان له اخوة اثنان من اخوة الميت فصاعدا على ما قاله أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما لنقل الامة وراثة صحة ما قالوه من ذلك عن الحجة وانكارهم ما قاله ابن عباس في ذلك فان قال قائل وكيف قيل في الاخوين اخوة وقد علمت أن الاخوين في منطق العرب مثال لا يشبه مثال الاخوة في منطقها قيل ان ذلك وان كان كذلك فان من شأنها التأليف بين الكلامين بتقارب معنييهما وان اختلفا في بعض وجوههما فلما كان ذلك كذلك وكان مستفيضا في منطقها منتشرا مستعملا في كلامها ضربت من عبد الله وعمرو رؤسهما وأوجعت منهما ظهورهما وكان ذلك أشد استفاضة في منطقها من أن يقال أوجعت منهما ظهرهما وان كان مقولا أوجعت ظهرهما كما قال الفرزدق

بما في فؤادينا من الشوق والهوى * فيبرأ منهاض الفؤاد المشعف

غير أن ذلك وان كان مقولا فأفصح منه بما في أفئدتنا كما قال جل ثناؤه ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما فلما كان ما وصفت من اخراج كل ما كان في الانسان واحدا اذا ضم الى الواحد منه آخر من انسان آخر فصارا اثنين من اثنين فلفظ الجمع أفصح في منطقها وأشهر في كلامها وكان الاخوان شخصين كل واحد منهما غير صاحبه من نفسين مختلفين أشبه معناهما معنى ما كان في الانسان من أعضائه واحدا لا ثاني له فاخرج أنثيهما بلفظ أنثى العضوين اللذين وصفت فقيل اخوة في معنى الاخوين كما قيل ظهور في معنى الظهرين وأفواه في معنى فموين وقلوب في معنى قلبين وقد قال بعض النحويين انما قيل اخوة لان أقل الجمع اثنان وذلك أنه اذا ضم شئ الى شئ صارا جميعا بعد أن كانا فردين فجمعا ليعلم أن الاثنين جمع وهذا وان كان كذلك في المعنى فليس بعلة تنبئ عن جواز اخراج ما قد جرى الكلام مستعملا مستفيضا على ألسن العرب لاثنيه بمثال وصورة غير مثال ثلاثة فصاعدا منه وصورتها لأن من قال أخواك قاما فلا شك أنه قد علم أن كل واحد من الاخوين فرد ضم أحدهما الى الآخر فصارا جميعا بعد أن كانا شتى غير أن الامر وان كان كذلك

وقال ابن الاعرابي النافجة ما يأخذه الرجل من الحلوان اذا زوج ابنته فنهى الله عن ذلك وأمر بدفع الحق الى أهله وهذا قول الكلبي وأبي صالح واختيار الفراء وابن قتيبة قال القفال يحتمل أن يكون المراد من الايتاء المناولة فيكونوا قد أمروا بدفع المهور التي سموها لهن ويحتمل أن يراد الالتزام كقوله حتى يعطوا الجزية

عن يد أي حتى يضمنوها ويلتزموها فيكون المعنى أن الفروج لا تستباح الا بعوض يلتزم سواء سمى ذلك أو لم يسم الا ما خص به الرسول صلى الله عليه وسلم من الموهوبة قال ويجوز أن يراد الوجهان جميعا أما قوله نحلة فقد قال ابن عباس وقتادة وابن جريج وابن زيد أي شريعة وديانة فيكون مفعولا له أو حالا من الصدقات أي دينا من الله شرعه وفرضه وقال الكلبي أي عطية وهبة فيكون نصبا على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء أو على الحال من المخاطبين أي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء من غير مطالبة منهن لان ما يؤخذ بالمطالبة لا يسمى نحلة أو من الصدقات أي منحولة معطاة عن طيب نفس وانما سميت عطية من الزوج لان الزوج لا يملك بدله شيأ لان البضع في ملك المرأة بعد النكاح كهو قبله وانما الذي أستحقه الزوج هو الاستباحة لا الملك والنحلة العطية من غير بدل وقال قوم ان الله تعالى جعل منافع النكاح من قضاء الشهوة والتوالد مشتركا بين الزوجين ثم أمر الزوج بأن يؤتي الزوجة المهر وكان ذلك عطية من الله تعالى ابتداء ثم لما أمرهم بايتاء الصدقات أباح لهم جواز قبول ابرائها وهبتها وانتصب نفسا على التمييز وانما وحد لانه لا يلبس أن النفس لهن لانهن أنفس ولو جمعت لجاز والضمير في منه للصداق أو للمذكور في قوله طبن وبناء الكلام على الابهام ثم التمييز دون أن يقول سمحن أو وهبن وفي قوله عن شئ منه دون أن يقول عنه تنبيه على ان قبول ذلك انما يحل اذا طابت نفوسهن بالهبة من غير اضطرار أو سوء معاشرة من الزوج يحملهن على ذلك وبعث لهن على تقليل الموهوب ولهذا ذكر الضمير في منه لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا لبعضه ولو أنث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها أو أكثر ومن فلا

هـذا التقرير يظهر أن من في قوله منه للتبعيض اخراجا للكلام مخرج الغالب مع فائدة البعث المذكور لانه لا يجوز هبة كل الصداق اذا طابت نفسها عن المهر بالكلية ومن غفل عن هـذه الدقيقة زعم أن من للتبيين والمعنى عن شئ هو هـذا الجنس يعني الصداق فكلوه هنيئا مريئا صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء ما يستلذه الآكل والمريء ما تحمد عاقبته وقيل هو ما ينساغ في مجراه ومنه يقال المريء لمجرى الطعام من الحلقوم الى فم المعدة وقيل أصله من الهناء وهو معالجة الجرب بالقطران فالهنيء شفاء من الجرب وبالجملة فهو عبارة عن التحلل أو المبالغة في ازالة التبعة في الدنيا والآخرة وهما صفتان للمصدر أي أكلا هنيئا مريئا أو حال من الضمير أي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على قوله فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء أو على أنهما قاما مقام مصدريهما أي هنأ مرأ والمراد بالاكل التصرف الشامل للعين والدين قال بعض العلماء ان وهبت ثم طلبت علم أنها لم تطب عنه نفسا وعن عمر انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فأيما امرأة أعطت ثم أرادت أن ترجع فذلك لها وعن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هـذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به في الآخرة ثم انه تعالى لما أمر بايتاء اليتامى أموالهم وبدفع صدقات النساء اليهن استثنى منهم خفاف الاحلام وان بلغوا أوان التكليف فقال ولا تؤتوا السفهاء أموالكم أكثر العلماء على أن هذا الخطاب للاولياء فورد أن الانسب أن لو قيل أموالهم وأجيب بانه انما حسنت اضافة الاموال الى المخاطبين اجراء للوحدة النوعية مجرى الوحدة الشخصية كقوله ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم ومعلوم أن الرجل منهم ما كان يقتل نفسه ولكن كان بعضهم يقتل بعضا فقيل أنفسكم لان الكل من نوع واحد فكذا هنا المال شئ ينتفع به الانسان ويحتاج اليه فلهذه الوحدة النوعية حسنت اضافة أموال السفهاء الى أوليائهم ويحتمل أن يضاف المال اليهم لا لانهم ملكوه بل لانهم ملكوا التصرف فيه ويكفي في حسن الاضافة أدنى سبب وقيل خطاب للآباء

فلا تستجيز العرب في كلامها أن يقال أخواك قاموا فيخرج قولهم قاموا وهو لفظ للخبر عن الجميع خبرا عن الاخوين وهما بلفظ الاثنين لان لكل ما جرى به الكلام على ألسنتهم مثالا معروفا عندهم وصورة اذا غير مغيرها قد عرفوه فيهم أنكروه فكذلك الاخوان وان كانا مجموعين ضم أحدهما الى صاحبه فلهما مثال في المنطق وصورة غير مثال الثلاثة منهم فصاعدا وصورتهم فغير جائز أن يغير أحدهما الى الآخر الا بمعنى مفهوم واذ كان ذلك كذلك فلا قول أولى بالصحة مما قلنا قبل فان قال قائل ولم نقصت الأم عن ثلثها بمصير اخوة الميت معها اثنين فصاعدا قيل اختلفت العلماء في ذلك فقال بعضهم نقصت الأم عن ذلك دون الأب لان على الأب مؤنهم دون أمهم ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس أزلوا الأم ولا يرثون ولا يحجبها الاخ الواحد من الثلث ويحجبها ما فوق ذلك وكان أهل العلم يرون أنهم انما حجبوا أمهم من الثلث لان أباهم يلي نكاحهم والنفقة عليهم دون أمهم * وقال آخرون بل نقصت الام السدس وقصر بها على سدس واحد معونة لاخوة الميت بالسدس الذي حجبوا أمهم عنه ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال السدس الذي حجبته الاخوة الام لهم انما حجبوا أمهم عنه ليكون لهم دون أمهم وقد روى عن ابن عباس خلاف هـذا القول وذلك ما حدثني يونس قال أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد قال أبو جعفر وأولى ذلك بالصواب أن يقال في ذلك ان الله تعالى ذكره فرض للام مع الاخوة السدس لما هو أعلم به من مصلحة خلقه وقد يجوز أن يكون ذلك كان لما ألزم الآباء لاولادهم وقد يجوز أن يكون ذلك لغير ذلك وليس ذلك مما كلفنا علمه وانما أمرنا بالعمل بما علمنا وأما الذي روى عن طاوس عن ابن عباس فقول لما عليه الامة مخالف وذلك أنه لا خلاف بين الجميع أن لا ميراث لاخي ميت مع والده فكفى اجماعهم على خلافه شاهدا على فساده ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين﴾ يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصي بها أو دين أن الذي قسم الله تبارك وتعالى لولد الميت الذكور منهم والاناث ولابويه من تركته من بعد وفاته انما يقسمه لهم على ما قسمه لهم في هذه الآية من بعد قضاء دين الميت الذي مات وهو عليه من تركته ومن بعد تنفيذ وصيته في بابها بعد قضاء دينه كله فلم يجعل تعالى ذكره لأحد من ورثة الميت ولا لأحد ممن أوصى له بشئ الا من بعد قضاء دينه من جميع تركته وان أحاط بجميع ذلك ثم جعل أهل الوصايا بعد قضاء دينه شركاء ورثته فيما بقي لما أوصى لهم به ما لم يجاوز ذلك ثلثه فان جاوز ذلك ثلثه جعل الخيار في اجازة ما زاد على الثلث من ذلك أورده الى ورثته ان أحبوا أجازوا الزيادة على ثلث ذلك وان شاؤا ردوه فأما ما كان من ذلك الى الثلث فهو ماض عليهم وعلى كل ما قلنا من ذلك الامة مجمعة وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك خبر وهو ما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال أخبرنا سفيان عن أبي اسحق عن الحرث الاعور عن علي رضي الله عنه قال انكم تقرؤن هذه الآية من بعد وصية يوصى

بها أو دين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى بالدين قبل الوصية حدثنا ابن بشار قال ثنا يزيد بن هرون قال ثنا زكريا بن أبي زائدة عن أبي اسحق عن الحرث عن علي رضوان الله عليه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله حدثنا أبو السائب قال ثنا حفص بن غياث قال ثنا أشعث عن أبي اسحق عن الحرث عن علي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثله حدثنا ابن حميد قال ثنا هرون بن المغيرة عن ابن مجاهد عن أبيه من بعد وصية يوصى بها أو دين قال يبدأ بالدين قبل الوصية واختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأته عامة قراء أهل المدينة والعراق يوصي بها أو دين وقرأ بعض أهل مكة والشام والكوفة يوصى بها على معنى ما لم يسم فاعله قال أبو جعفر وأولى القراءتين بالصواب قراءة من قرأ ذلك من بعد وصية يوصي بها أو دين على مذهب ما قد سمي فاعله لان الآية كلها خبر عمن قد سمي فاعله ألا ترى أنه يقول ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فكذلك الذي هو أولى بقوله يوصي بها أو دين أن يكون خبرا عمن قد سمي فاعله لان تأويل الكلام ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد من بعد وصية يوصي بها أو دين يقضى عنه ۞ القول في تأويل قوله ﴿آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا﴾ يعني جل ثناؤه بقوله آباؤكم وأبناؤكم هؤلاء الذين أوصاكم الله به فيهم من قسمة ميراث ميتكم فيهم على ما سمى لكم وبينه في هذه الآية آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أعطوهم حقوقهم من ميراث ميتهم الذي أوصيتكم أن تعطوهموها فانكم لا تعلمون أيهم أدنى وأشد نفعا لكم في عاجل دنياكم وآجل أخراكم واختلف أهل التأويل في تأويل قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فقال بعضهم يعني بذلك أيهم أقرب لكم نفعا في الآخرة ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا يقول أطوعكم لله من الآباء والابناء أرفعكم درجة يوم القيامة لان الله سبحانه يشفع المؤمنين بعضهم في بعض * وقال آخرون معنى ذلك لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله أيهم أقرب لكم نفعا في الدنيا حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال بعضهم في نفع الآخرة وقال بعضهم في نفع الدنيا * وقال آخرون في ذلك بما قلنا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أيهم خير لكم في الدين والدنيا الوالد أو الولد الذين يرثونكم لم يدخل عليكم غيرهم فرض لهم المواريث لم يأت بآخرين يشركونهم في أموالكم ۞ القول في تأويل قوله ﴿فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما﴾ يعني بقوله جل ثناؤه فريضة من الله وان كان له اخوة فلامه السدس فريضة يقول سهاما معلومة موقتة بينها الله لهم ونصب قوله فريضة على المصدر من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فريضة فأخرج فريضة من معنى الكلام اذ

نهاهم الله تعالى اذا كان أولادهم سفهاء أن يدفعوا أموالهم أو بعضها اليهم فعلى هذا تكون اضافة الاموال اليهم حقيقة والغرض الحث على حفظ المال وانه اذا قرب أجله يجب عليه أن يوصي بماله الى أمين يحفظه على ورثته وقد رجح القول الاول بأن ظاهر النهي للتحريم وأجمعت الامة على أنه لا يحرم عليه أن يهب (١٩٠) من أولاده الصغار ومن النسوان ما شاء من ماله وأجمعوا على أنه يحرم على الولي أن يدفع الى السفهاء أموالهم وأيضا قوله وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا هذه الاوامر تناسب حال الاولياء لا الآباء وأقول لا يبعد حمل الآية على كلا القولين لان الاضافة في أموالكم لا تفيد الا الاختصاص سواء كان اختصاص الملكية أو اختصاص التصرف واختلفوا في السفهاء فعن مجاهد والضحاك انها النساء أزواجا كن أو أمهات أو بنات وهو مذهب ابن عمر ويدل عليه ما روى أبو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم ألا انما خلقت النار للسفهاء يقولها ثلاثا وان السفهاء النساء الا امرأة أطاعت قيمها وقد جمع فعيلة على فعلاء كفقيرة وفقراء وقال الزهري وابن زيد هم الأولاد الخفاف العقول وعن ابن عباس والحسن وقتادة وسعيد بن جبير اذا علم الرجل أن امرأته سفيهة مفسدة وأن ولده سفيه مفسد فلا ينبغي له أن يسلط واحدا منهما على ماله والصحيح أن المراد بالسفهاء كل من ليس له عقل يفي بحفظ المال ولا يدله باصلاحه وتثميره والتصرف فيه ويدخل فيه النساء والصبيان والأيتام والفساق وغيرهم مما لا وزن لهم عند أهل الدين والعلم بمصالح الدارين فيضع المال فيما لا ينبغي و يفسده معنى جعل الله لكم قياما أنه لا يحصل قيامكم وانتعاشكم الا به سماه بالقيام اطلاقا لاسم المسبب على السبب ومن قرأ قيما فعلى حذف الالف من قياما وهو مصدر قام وأصله قوام قلبت الواو ياء لاعلال فعله فان لم يكن مصدرا كان لم يعل كقوام لما يقام به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج الى الناس وقال عبد الله بن عباس الدراهم والدنانير خواتيم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني

كان معناه ما وصفت وقد يجوز أن يكون نصبه على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس فريضة فتكون الفريضة منصوبة على الخروج من قوله فان كان له اخوة فلامه السدس كما تقول هو لك هبة وهو لك صدقة مني عليك وأما قوله ان الله كان عليما حكيما فانه يعني جل ثناؤه ان الله لم يزل ذا علم بما يصلح خلقه أيها الناس فانتهوا الى ما يأمركم يصلح لكم أموركم حكيما يقول لم يزل ذا حكمة في تدبيره وهو كذلك فيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض وفيما يقضي بينكم من الاحكام لا يدخل حكمه خلل ولا زلل لانه قضاء من لا يخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ولكم أيها الناس نصف ما ترك أزواجكم بعد وفاتهن من مال وميراث ان لم يكن لهن ولد يوم يحدث لهن الموت لا ذكر ولا أنثى فان كان لهن ولد أي فان كان لازواجكم يوم يحدث لهن الموت ولد ذكر أو أنثى فلكم الربع مما تركن من مال وميراث ميراثا لكم عنهن من بعد وصية يوصين بها أو دين يقول ذلكم لكم ميراثا عنهن مما يبقى من تركاتهن وأموالهن من بعد قضاء ديونهن التي يمتن وهي عليهن ومن بعد انفاذ وصاياهن الجائزة ان كن أوصين بها ۞ القول في تأويل قوله ﴿ ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين ﴾ يعني جل ثناؤه بقوله ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد ولازواجكم أيها الناس ربع ما تركتم بعد وفاتكم من مال وميراث ان حدث بأحدكم حدث الوفاة ولا ولد له ذكر ولا أنثى فان كان لكم ولد يقول فان حدث بأحدكم حدث الموت وله ولد ذكر أو أنثى واحدا كان الولد أو جماعة فلهن الثمن مما تركتم يقول فلازواجكم حينئذ من أموالكم وتركتكم التي تخلفونها بعد وفاتكم الثمن من بعد قضاء ديونكم التي حدث بكم حدث الوفاة وهي عليكم ومن بعد انفاذ وصاياكم الجائزة التي توصون بها وانما قيل من بعد وصية توصون بها أو دين فقدم ذكر الوصية على ذكر الدين لان معنى الكلام ان الذي فرضت لمن فرضت له منكم في هذه الآيات انما هو له من بعد اخراج أي هذين كان في مال الميت منكن من وصية أو دين فلذلك كان سواء تقديم ذكر الوصية قبل ذكر الدين وتقديم ذكر الدين قبل ذكر الوصية لانه لم يرد من معنى ذلك اخراج أحد الشيئين الدين والوصية من ماله فيكون ذكر الدين أولى أن يبدأ به من ذكر الوصية ۞ القول في تأويل قوله ﴿ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وان كان رجل أو امرأة يورث كلالة ثم اختلفت القراء في قراءة ذلك فقرأ ذلك عامة قراء أهل الاسلام وان كان رجل يورث كلالة يعني وان كان رجل يورث متكلل النسب فالكلالة على هذا القول مصدر من قولهم تكلله النسب تكللا وكلالة بمعنى تعطف عليه النسب وقرأه بعضهم وان كان رجل يورث كلالة بمعنى وان كان رجل يورث من يتكلله بمعنى من يتعطف عليه بنسبه من أخ أو أخت واختلف أهل التأويل في الكلالة فقال بعضهم هي ما خلا الوالد والولد ذكر من قال ذلك حدثنا الوليد بن شجاع السكوني قال ثني علي بن مسهر عن عاصم عن الشعبي قال قال أبو بكر رضي الله عنه اني قد رأيت في الكلالة

حمدا ومجدا فانه لا حمد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا قال هي وان أدنتني فقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه ورعا رأوا رجلا في تشييع جنازة فقالوا له اذهب الى مكانك وقال بعض الحكماء من أضاع ماله فقد ضار الاكرمين الدين والعرض وفي منثور الحكم من استغنى كرم على أهله وفيه الفقر مخذلة والغنى مجدلة والبؤس مرذلة والسؤال مبذلة وكان يقال الدراهم مراهم لانها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال أبو العتاهية

أجلك قوم حين صرت الى الغنى
وكل غني في العيون جليل
اذا مالت الدنيا على المرء رغبت
اليه ومال الناس حيث تميل
وليس الغنى الا غنى زين الفتى
عشية يقرى أو غداة ينيل

وقد اختلف أقوال الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم أن ما أحوج من الفقر مكروه وما أبطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان الغني مقتدر والفقير عاجز والقدرة أفضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغني ملابس وترك الدنيا أفضل من ملابستها وهذا قول من غلب عليه حب السلامة وقال الباقون خير الامور أوساطها والفضل للاعتدال بين الفقر والغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين

ومن كلفته النفس فوق كفافها
فما ينقضي حتى الممات عناؤه

والحاصل أن الانسان ما لم يكن فارغ البال لا يمكنه القيام بمصالح الدارين ولا يكون فارغ البال الا بواسطة المال فبذلك يتمكن من جلب المنافع ودفع المضار ولهذا رغب الله تعالى في حفظه ههنا وفي آية المداينة حيث أمر بالكتاب والشهادة والرهان المقبوضة فمن أراد الدنيا لهذا الغرض فنعمت المعونة هي ومن أرادها لعينها فمآلها من حسرة وندامة ثم انه سبحانه أمر بعد ذلك بثلاثة أشياء وذلك قوله وارزقوهم فيها وانما لم يقل منها كيلا يكون أمرا بجعل بعض أموالهم رزقا لهم فيأكلها الانفاق بل أمر بأن يجعلوها مكانا لرزقهم بأن يتجروا فيها ويربحوها حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من أصول

الاموال وصلها واكسوهم كل من الرزق والكسوة بحسب المصلحة وكما يليق بحال أمثالهم وقولوا لهم قولا معروفا قال ابن جريج ومجاهد هو عدة جميلة من البر والصلة وقال ابن عباس هو مثل أن يقول اذا ربحت في سفري هذا فعلت بك ما أنت أهله وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقال ابن زيد ان لم يكن ممن وجبت نفقته عليك فقل عافانا الله واياك وبارك الله فيك وقال الزجاج علموهم مع اطعامكم وكسوتكم اياهم أمر دينهم مما يتعلق بالعلم والعمل وقال القفال ان كان صبيا فالولي يعرفه أن المال ماله وانه اذا زال صباه فانه يرد المال اليه كقوله فاما اليتيم فلا تقهر أي لا تعاشره بالتسلط عليه كما تعاشر العبيد وان كان سفيها وعظه ونصحه وحثه على الصلاة وعرفه أن عاقبة الاسراف فقر واحتياج وبالجملة فكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول أو عمل فهو معروف وما نفرت منه لقبحه فمنكر ثم بين أن السفهاء متى يؤتون أموالهم فشرط في ذلك شرطين أحدهما بلوغ النكاح والثاني ايناس الرشد منهم فبلوغ النكاح أن يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ما هو مقصود به وهو التوالد ومناط الاحتلام خروج المني ويدخل وقت امكانه باستكمال تسع سنين قمرية أو يبلغ خمس عشرة سنة تامة قمرية عند الشافعي وثماني عشرة عند أبي حنيفة وهذان مشتركان بين الغلام والجارية ولها أمارتان أخريان الحيض أو الحبل ولطفل الكفار أمارة زائدة هي انبات الشعر الخشن على العانة وأما الايناس ففي اللغة الابصار والمراد في الآية التبين والعرفان والرشد خلاف الغي ومعنى قوله وابتلوا اليتامى اختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ ومن هنا قال أبو حنيفة تصرفات الصبي العاقل المميز باذن الولي صحيحة لان الابتلاء المأمور به قبل بلوغهم انما يحصل اذا أذن له في البيع والشراء وقال الشافعي الابتلاء قبل البلوغ لا يقتضي الاذن في التصرف لان الاذن يتوقف على دفع المال اليهم ولكن لا يصح دفع المال اليهم لانه موقوف على الشرطين بل المراد بالابتلاء اختبار عقله واستبراء حاله حسبما يليق بكل طائفة فولد التاجر يختبر في البيع

(١٩٢)

رأيا فان كان صوابا فمن الله وحده لا شريك له وان يكن خطأ فمني والشيطان والله منه بريء ان الكلالة ما خلا الولد والوالد فلما استخلف عمر رضي الله عنه قال اني لأستحيي من الله تبارك وتعالى أن أخالف أبا بكر في رأي رآه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا عاصم الاحول قال ثنا الشعبي ان أبا بكر رضي الله عنه قال في الكلالة أقول فيها برأيي فان كان صوابا فمن الله هو ما دون الولد والوالد قال فلما كان عمر رضي الله عنه قال اني لاستحيي من الله أن أخالف أبا بكر حدثنا أبو بشر بن عبد الاعلى قال أخبرنا سفيان عن عاصم الاحول عن الشعبي أن أبا بكر وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما قالا الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثني أبي عن عمران بن حدير عن السميط قال كان عمر رجلا أيسر فخرج يوما وهو يقول بيده هكذا يديرها الا أنه قال أتى علي حين ولست أدري ما الكلالة ألا وان الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن جابر عن عامر عن أبي بكر قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثني يونس قال أخبرنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال سمعت ابن جريج يحدث عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن الحسن بن محمد بن الحنفية عن ابن عباس قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن بشار وابن وكيع قالا ثنا عبد الرحمن قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم ابن عبد عن ابن عباس بمثله حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليم بن عبد السلولي عن ابن عباس قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثني المثنى قال ثنا عبد الله ابن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قال الكلالة من لم يترك ولدا ولا والدا حدثني محمد بن عبيد المحاربي قال ثنا أبو الاحوص عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد اتفقوا أن من مات ولم يدع ولدا ولا والدا أنه كلالة حدثنا تميم بن المنتصر قال ثنا اسحق بن يوسف عن شريك عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال ما رأيتهم الا قد أجمعوا أن الكلالة الذي ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال الكلالة ما خلا الولد والوالد حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن فضيل عن أشعث عن أبي اسحق عن سليم بن عبد قال أدركتهم وهم يقولون اذا لم يدع الرجل ولدا ولا والدا ورث كلالة حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة والكلالة الذي لا ولد له ولا والد لا أب ولا جد ولا ابن ولا ابنة فهؤلاء الاخوة من الام حدثني محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر عن شعبة عن الحكم قال في الكلالة ما دون الولد والوالد حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة كل من لا يرثه والد ولا ولد وكل من لا ولد له ولا والد فهو يورث كلالة من رجالهم ونسائهم حدثنا

الحسن

والشراء بحضوره ثم باستكشاف ذلك البيع والشراء منه وما فيهما من المصالح والمفاسد وقد يدفع اليه شيأ ليبيع أو يشتري فيعرف بذلك مقدار فهمه وعقله ثم الولي بعد ذلك يتم العقد لو أراد وولد الزارع يختبر في أمر المزارعة والانفاق على القوام بها وولد المحترف فيما يتعلق بحرفته والمرأة في أمر القطن والغزل وحفظ الاقمشة وصون الاطعمة عن

الهرة والفارة وما أشبهها ولا يكفي المرة الواحدة

الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة والزهري وأبي اسحق قال الكلالة من ليس له ولد ولا والد حدثنا ابن وكيع قال ثنا محمد بن محمد عن معمر عن الزهري وقتادة وأبي اسحق مثله * وقال آخرون الكلالة ما دون الولد وهذا قول عن ابن عباس وهو الخبر الذي ذكرناه قبل من رواية طاوس عنه أنه ورث الاخوة من الام السدس مع الابوين * وقال آخرون الكلالة ما خلا الوالد ذكر من قال ذلك حدثنا ابن المثنى قال ثنا سهل بن يوسف عن شعبة قال سألت الحكم عن الكلالة قال فهو ما دون الاب واختلف أهل العربية في الناصب للكلالة * فقال بعض البصريين ان شئت نصبت كلالة على خبر كان وجعلت يورث من صفة الرجل وان شئت جعلت كان تستغني عن الخبر نحو وقع وجعلت نصب كلالة على الحال أي يورث كلالة كما يقال يضرب قائما وقال بعضهم قوله كلالة خبر كان لا يكون الموروث كلالة (١) وانما الوارث الكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي أن الكلالة منصوب على الخروج من قوله يورث وخبر كان يورث والكلالة وان كانت منصوبة بالخروج من يورث فليست منصوبة على الحال ولكن على المصدر من معنى الكلام لان معنى الكلام وان كان رجل يورث متكلله النسب كلالة ثم ترك ذكر متكلله اكتفاء بدلالة قوله يورث عليه واختلف أهل العلم في المسمى كلالة فقال بعضهم الكلالة الموروث وهو الميت نفسه يسمى بذلك اذا ورثه غير والده وولده ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي قولهم في الكلالة قال الذي لا يدع والدا ولا ولدا حدثنا ابن وكيع قال ثنا ابن عيينة عن سليمان الاحول عن طاوس عن ابن عباس قال كنت آخر الناس عهدا بعمر رضي الله عنه فسمعته يقول ما قلت قلت وما قلت قال الكلالة من لا ولد له حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي ويحيى بن آدم عن اسرائيل عن أبي اسحق عن سليمان ابن عبد عن ابن عباس قال الكلالة من لا ولد له ولا والد * وقال آخرون الكلالة هي الورثة الذين يرثون الميت اذا كانوا اخوة أو أخوات أو غيرهم اذا لم يكونوا ولدا ولا والدا على ما قد ذكرنا من اختلافهم في ذلك * وقال آخرون بل الكلالة الميت والحي جميعا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الكلالة الميت الذي لا ولد له ولا والد والحي كلهم كلالة هذا يرث بالكلالة وهذا يورث بالكلالة * قال أبو جعفر والصواب من القول في ذلك عندي ما قاله هؤلاء وهو أن الكلالة الذين يرثون الميت من عدا ولده ووالده وذلك لصحة الخبر الذي ذكرناه عن جابر بن عبد الله انه قال قلت يا رسول الله انما يرثني كلالة فكيف بالميراث وعما حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن ابن عون عن عمرو بن سعيد قال كنا مع حميد بن عبد الرحمن في سوق الرقيق قال فقام من عندنا ثم رجع فقال هذا آخر ثلاثة من بني سعد حدثوني هذا الحديث قالوا امرض سعد بمكة مرضا شديدا قال فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوده فقال يا رسول الله لي مال كثير وليس لي وارث الا كلالة فأوصي بمالي كله فقال لا حدثني

في الاختبار بل لا بد من مرتين وأكثر على ما يليق بالحال ويفيد غلبة الظن أنه رشيد نوعا من الرشد يختص بحاله لا الرشد من جميع الوجوه وعلى أكمل ما يمكن ولهذا ورد منكرا وقد ظهر مما ذكرنا أنه لا بد بعد البلوغ من الرشد فيما يتعلق بصلاح ماله بحيث لا يقدر الغير على خديعته ثم ان أبا حنيفة قال اذا بلغ مهتديا الى وجوه مصالح الدنيا فهو رشيد يدفع اليه ماله وقال الشافعي لا بد مع ذلك من الاهتداء لمصالح الدين فان الفاسق لا يخلو من اتلاف المال في الوجوه الفاسدة المحرمة وقد نفى الله تعالى الرشد عن فرعون في قوله وما أمر فرعون برشيد مع أنه كان يراعي مصالح الدنيا ويتفرع على القولين أن الشافعي يرى الحجر على الفاسق وأبو حنيفة لا يراه ثم انه اذا بلغ غير رشيد واستمر على ذلك لم يدفع اليه ماله بالاتفاق الى خمس وعشرين سنة وفيما وراء ذلك خلاف فعند أصحاب أبي حنيفة وعند الشافعي لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد كما هو مقتضى الآية وعند أبي حنيفة يدفع لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة معتبرة في تغير أحوال الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه رشد أو لم يؤنس ثم قال ولا تأكلوها اسرافا

وبدارا أن يكبروا مصدران في موضع الحال أي مسرفين ومبادرين كبرهم أو مفعول لهما أي لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم والاسراف التبذير ضد القصد والامساك والكبر في السن وقد كبر الرجل بالكسر يكبر بالفتح كبرا أي أسن وكبر بالضم يكبر كبرا وكبارة أي عظم نهاهم عن الافراط في الانفاق كما يشتهون قبل أن يكبر اليتامى فينتزعوها من أيديهم ومن كان

(١) قوله وانما الوارث الكلالة أي على جعل الرجل هو الوارث على قراءة الفعل مبنيا للمجهول كما في الكشاف كتبه مصححه

غنيا فليستعفف فليمتنع منه وليتركه وفي السين زيادة مبالغة كأنه طلب مزيد العفة ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وللعلماء خلاف في أن الوصي هل له أن ينتفع بمال اليتيم قال الشافعي له أن يأخذ قدر ما يحتاج اليه وبقدر أجرة عمله لان النهي في الآية عن الاسراف مشعر بان له أن يأكل بقدر الحاجة ولاسيما اذا كان (١٩٤) فقيرا ولما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له ان في حجري يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متأثل مالا ولا واق مالك بماله قال أفأضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وروى أن عمر بن الخطاب كتب الى عمار وابن مسعود وعثمان بن حنيف سلام عليكم أما بعد فاني قد رزقتكم كل يوم شاة شطرها لعمار وربعها لعبد الله بن مسعود وربعها لعثمان ألا واني قد أنزلت نفسي واياكم من مال الله منزلة والي مال اليتيم من كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف وأيضا قياسا على الساعي في أخذ الصدقات وجمعها فانه يضرب له في تلك الصدقات بسهم فكذا ههنا وعن سعيد بن جبير ومجاهد وأبي العالية أن له أن يأخذ بقدر ما يحتاج اليه قرضا ثم اذا أيسر قضاه وان مات ولم يقدر على القضاء فلا شئ عليه وأكثر العلماء على أن هذا الاقتراض انما جاء في أصول الاموال من الذهب والفضة وغيرهما وأما التناول من ألبان المواشي واستخدام العبيد وركوب الدواب فمباح له اذا كان غير مضر بالمال وقال أبو بكر الرازي الذي نعرفه من مذهب أصحابنا انه لا يأخذه لا على سبيل القرض ولا على سبيل الابتداء سواء كان غنيا أو فقيرا واحتج بقوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم وأجيب بانها عامة وقوله فليأكل بالمعروف خاص والخاص مقدم على العام قال ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما وأجيب بان محل النزاع هو أن أكل الوصي مال اليتيم ظلم أولا قال وأن تقوموا لليتامى بالقسط وهو أيضا عين النزاع ثم اعلم ان الائمة اتفقوا على أن الوصي اذا دفع المال الى اليتيم بعد بلوغه رشيدا فالاولى والاحوط أن يشهد عليه اظهارا للامانة وبراءة من التهمة ولكن اختلفوا في أن الوصي اذا ادعى بعد بلوغ اليتيم انه قد دفع المال اليه فهل هو مصدق فقال أبو حنيفة وأصحابه يصدق بيمين

يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية قال ثنا اسحق بن سويد عن العلاء بن زياد قال جاء شيخ الى عمر رضي الله عنه فقال اني شيخ وليس لي وارث الا كلالة أعراب متراخ نسبهم أفأوصي بثلث مالي قال لا فقد أنبأت هذه الاخبار عن صحة ما قلنا في معنى الكلالة وانها ورثة الميت دون الميت ممن عدا والده وولده ۞ القول في تأويل قوله ﴿وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ يعني بقوله جل ثناؤه وله أخ أو أخت وللرجل الذي يورث كلالة أخ أو أخت يعني أخا أو أختا من أمه كما حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن يعلى بن عطاء عن القاسم عن سعد أنه كان يقرأ وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لأمه حدثنا محمد بن المثنى قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء قال سمعت القاسم بن ربيعة يقول قرأت على سعد وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت قال سعد لامه حدثني محمد بن المثنى قال ثنا وهب بن جرير قال ثنا شعبة عن يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة عن فائق قال قرأت على سعد فذكر نحوه حدثني يعقوب بن ابراهيم قال أخبرنا هشيم قال أخبرنا يعلى بن عطاء عن القاسم بن ربيعة قال سمعت سعد ابن أبي وقاص قرأ وان كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام ان كان واحدا فله السدس وان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ذكرهم وأنثاهم فيه سواء حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فهؤلاء الاخوة من الام فهم شركاء في الثلث سواء الذكر والانثى وقوله فلكل واحد منهما السدس اذا انفرد الاخ وحده أو الاخت وحدها ولم يكن أخ غيره أو غيرها من أمه فله السدس من ميراث أخيه لأمه فان اجتمع أخ وأخت أو أخوان لا ثالث معهما لأمهما أو أختان كذلك أو أخ وأخت ليس معهما غيرهما من أمهما فلكل واحد منهما من ميراث أخيهما لامهما السدس وان كانوا أكثر من ذلك يعني فان كان الاخوة والاخوات لام الميت الموروث كلالة أكثر من اثنين فهم شركاء في الثلث يقول فالثلث الذي فرضت لاثنيهم اذا لم يكن غيرهما من أمهما ميراثا لهما من أخيهما الميت الموروث كلالة شركة بينهم اذا كانوا أكثر من اثنين الى ما بلغ عددهم على عدد رؤسهم لا يفضل ذكرهم على أنثى في ذلك ولكنه بينهم بالسوية * فان قال قائل وكيف قيل وله أخ أو أخت ولم يقل لهما أخ أو أخت وقد ذكر مثل ذلك رجل أو امرأة فقيل وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة قيل ان من شأن العرب اذا قدمت ذكر اسمين قبل الخبر فعطفت أحدهما على الآخر بأو ثم أتت بالخبر أضافت الخبر اليهما أحيانا وأحيانا الى أحدهما واذا أضافت الى أحدهما كان سواء عندها اضافة ذلك الى أي الاسمين اللذين ذكرتهما اضافته فتقول من كان عنده غلام أو جارية فليحسن اليه يعني فليحسن الى الغلام وفليحسن اليها يعني فليحسن الى الجارية وفليحسن اليهما وأما قوله فلكل واحد منهما السدس وقد تقدم ذكر الاخ والاخت بعطف أحدهما على

على الآخر والدلالة على أن المراد بمعنى الكلام أحدهما في قوله وله أخ أو أخت فان ذلك انما جاز لان معنى الكلام ولكل واحد من المذكورين السدس * القول في تأويل قوله ﴿من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله من بعد وصية يوصى بها أي هذا الذي فرضت لاخي الميت الموروث كلالة وأخته أو أخوته وأخواته من ميراثه وتركته انما هو لهم من بعد قضاء دين الميت الذي كان عليه يوم حدث به حدث الموت من تركته وبعد انفاذ وصاياه الجائزة التي يوصي بها في حياته لمن أوصى له بها بعد وفاته كما حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة من بعد وصية يوصى بها أو دين والدين أحق ما بدئ به من جميع المال فيؤدى عن أمانة الميت ثم الوصية ثم يقسم أهل الميراث ميراثهم وأما قوله غير مضار فانه يعني تعالى ذكره من بعد وصية يوصى بها غير مضار ورثته في ميراثهم عنه كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله غير مضار قال في ميراث أهله حدثني القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قوله غير مضار قال في ميراث أهله حدثنا بشر بن معاذ قال ثني يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله غير مضار وصية من الله ان الله تبارك وتعالى كره الضرار في الحياة وعند الموت ونهى عنه وقدم فيه فلا تصلح مضارة في حياة ولا موت حدثني نصر بن عبد الرحمن الاودي قال ثنا عبيدة بن حميد وثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية جميعا عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية غير مضار وصية من الله والله عليم حليم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا ابن أبي الشوارب قال ثنا يزيد ابن زريع قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا بشر بن المفضل قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس مثله حدثنا ابن المثنى قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الحيف في الوصية من الكبائر حدثنا ابن المثنى قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى قالا ثنا داود عن عكرمة عن ابن عباس قال الضرار والحيف في الوصية من الكبائر حدثني موسى بن سهل الرملي قال ثنا اسحق بن ابراهيم أبو النصر قال ثنا عمرو بن المغيرة قال ثنا داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الضرار في الوصية من الكبائر حدثني يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا أبو عمرو التيمي عن أبي الضحى قال دخلت مع مسروق على مريض فاذا هو يوصي قال فقال له مسروق اعدل لا تضلل * ونصبت غير مضار على الخروج من قوله يوصى بها وأما قوله وصية فان نصبه من قوله يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين وسائر ما أوصى به في الاثنين ثم قال وصية من الله مصدرا من قوله يوصيكم وقد قال بعض أهل العربية ذلك منصوب من قوله فلكل واحد منهما السدس وصية من الله وقال هو مثل قولك لك درهمان نفقة الى أهلك والذي قلناه بالصواب أولى لان الله جل ثناؤه افتتح ذكر قسمة المواريث في هاتين الآيتين

كسائر الامناء وقال مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة لانه تعالى نص على الاشهاد فقال فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم وظاهر الامر للوجوب ولانه أمين من جهة الشرع لا من جهة اليتيم وليس له نيابة عامة كالقاضي ولا كمال الشفقة كالاب ثم يصدق في قدر النفقة وفي عدم التقتير والاسراف لعسر اقامة البينة على ذلك وتنفيره الناس عن قبول الوصاية وكفى بالله حسيبا أي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض أو محاسبا كالشريب بمعنى المشارب وفيه تهديد للولي واليتيم أن يتصادقوا ولا يتكاذبوا والباء في بالله زائدة نظرا الى أصل المعنى وهو كفى الله وحسيبا نصب على التمييز ويحتمل الحال ثم من ههنا شرع في بيان المواريث والفرائض قال ابن عباس ان أوس ابن ثابت الانصاري توفي وترك امرأة يقال لها أم كحة وثلاث بنات له منها فقام رجلان هما ابنا عم الميت ووصياه سويد وعرفجة فاخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيأ وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء ولا الصغير وان كان ذكرا انما يورثون الرجال الكبار وكانوا يقولون لا يعطى الا من قاتل على ظهور الخيل وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة قال فجاءت أم كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان أوس بن ثابت مات وترك لي بنات وأنا امرأته وليس عندي ما أنفق عليهن وقد ترك أبوهن مالا حسنا وهو عند سويد وعرفجة ولم يعطياني ولا بناته من المال شيأ فدعاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا يا رسول الله ولدها لا يركب فرسا ولا يحمل كلا ولا ينكي عدوا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرفوا حتى أنظر ما يحدث الله لي فيهن فانصرفوا فانزل الله للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الآية فبعث اليهما لا تقربا من مال أوس شيأ فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يتبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى أم كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي لابني العم وسبب الاجمال في الآية ثم التفصيل فيما بعد هو أن الفطام من المألوف شديد والتدريج في الامور دأب الحكيم وهكذا قد نزل الاحكام والتكاليف شيأ بعد شيء الى أن كملت الشريعة الحقة وتم الدين الحنيف (مما قل منه أو كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص تقديره أعني

بقوله يوصيكم الله ثم ختم ذلك بقوله وصية من الله أخبر أن جميع ذلك وصية منه به عباده فنصب قوله وصية على المصدر من قوله يوصيكم أولى من نصبه على التفسير من قوله فلكل واحد منهما السدس لما ذكرنا ويعني بقوله تعالى ذكره وصية من الله عهدا من الله اليكم فيما يجب لكم من ميراث من مات منكم والله عليم يقول والله ذو علم بمصالح خلقه ومضارهم ومن يستحق أن يعطى من أقرباء من مات منكم وأنسبائه من ميراثه ومن يحرم ذلك منهم ومبلغ ما يستحق به كل من استحق منهم قسما وغير ذلك من أمور عباده ومصالحهم حليم يقول ذو حلم على خلقه وذو أناة في تركه معاجلتهم بالعقوبة على ظلم بعضهم بعضا في اعطائهم الميراث لاهل الجلد والقوة من ولد الميت وأهل الغناء والبأس منهم دون أهل الضعف والعجز من صغار ولده ونسائهم ۞ القول في تأويل قوله تعالى ﴿تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ قال أبو جعفر اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تلك حدود الله فقال بعضهم يعني به تلك شروط الله ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي تلك حدود الله يقول شروط الله وقال آخرون بل معنى ذلك تلك طاعة الله ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله تلك حدود الله يعني طاعة الله يعني المواريث التي سمى الله وقال آخرون معنى ذلك تلك سنة الله وأمره وقال آخرون بل معنى ذلك تلك فرائض الله * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب ما نحن مبينوه وهو أن حد كل شيء ما فصل بينه وبين غيره ولذلك قيل لحدود الدار وحدود الارضين حدود لفصولها بين ما حد بها وبين غيره فكذلك قوله تلك حدود الله معناه هذه القسمة التي قسمها لكم ربكم والفرائض التي فرضها لاحيائكم من موتاكم في هذه الآية على ما فرض وبين في هاتين الآيتين حدود الله يعني فصول ما بين طاعة الله ومعصيته في قسمكم مواريث موتاكم كما قال ابن عباس وانما ترك طاعة الله والمعنى بذلك حدود طاعة الله اكتفاء بمعرفة المخاطبين بذلك بمعنى الكلام من ذكرها والدليل على صحة ما قلنا في ذلك قوله ومن يطع الله ورسوله الآية التي بعدها ومن يعص الله ورسوله فتأويل الآية اذا هذه القسمة التي قسم بينكم أيها الناس عليها ربكم مواريث موتاكم فصول فصل بها لكم بين طاعته ومعصيته وحدود لكم تنتهون اليها فلا تتعدوها وفصل منكم أهل طاعته من أهل معصيته فيما أمركم به من قسمة مواريث موتاكم بينكم وفيما نهاكم عنه منها ثم أخبر جل ثناؤه عما أعد لكل فريق منهم فقال لفريق أهل طاعته في ذلك ومن يطع الله ورسوله في العمل بما أمره به والانتهاء الى ما حده له في قسمة المواريث وغيرها ويجتنب ما نهاه عنه في ذلك وغيره يدخله جنات تجري من تحتها الانهار فقوله يدخله جنات يعني بساتين تجري من تحت غروسها وأشجارها الانهار خالدين فيها يقول باقين فيها أبدا لا يموتون فيها ولا يفنون ولا يخرجون منها وذلك الفوز العظيم يقول وادخال الله اياهم الجنان التي وصفها على ما وصف من ذلك الفوز العظيم يعني الفلح العظيم ونحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا

نصيبا مقطوعا مقدرا الابد لهم أن يحوزوه أو على المصدر المؤكد كأنه قيل قسمة مفروضة احتج بعض أصحاب أبي حنيفة بهذه الآية على توريث ذوي الارحام كالعمات والخالات والاخوال وأولاد البنات لان الكل من الاقربين غاية ما في الباب أن مقدار أنصبائهم غير مذكور ههنا الا أنا نثبت بالآية استحقاقهم لاصل النصيب ونستفيد المقادير من سائر الدلائل وأجيب بأنه تعالى قال نصيبا مفروضا وبالاجماع ليس لذوي الارحام نصيب مقدر وأيضا الواجب عندهم ما علم ثبوته بدليل مظنون والمفروض ما علم بدليل قاطع وتوريث ذوي الارحام ليس من هذا القبيل بالاتفاق فعرفنا انه غير مراد من الآية وأيضا ليس المراد بالاقربين من له قرابة ما وان كانت بعيدة والا دخل جميع أولاد آدم فيه فالمراد اذن أقرب الناس الى الوارث وما ذاك الا الوالدان والاولاد ودخول الوالدين في الاقربين يكون كدخول النوع في الجنس فلا يلزم تكرار والله تعالى أعلم قال المفسرون انه تعالى لما ذكر في الآية للنساء أسوة بالرجال في أن لهن حظا من الميراث وعلم أن في الاقارب من يرث وفيهم من لا يرث وربما حضروا القسمة فلا يحسن حرمانهم قال واذا حضر القسمة أولو القربى الآية ثم منهم من قال بوجوبه ومنهم من قال باستحبابه وعلى الوجوب فعن سعيد بن المسيب والضحاك انها منسوخة بآية المواريث وعن أبي موسى الاشعري وابراهيم النخعي والشعبي والزهري ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير انها محكمة ولكنها مما تهاون به الناس قال الحسن أدركنا الناس وهم يقسمون على القرابات واليتامى والمساكين من الورق والذهب فاذا آل الامر الى قسمة الارضين والرقيق وما أشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم ارجعوا بورك فيكم وعلى الاستحباب وهو مذهب فقهاء الامصار اليوم قالوا ان هذا الرضخ يستحب الحسين اذا كانت الورثة كبارا أما اذا كانوا صغارا فليس الا القول المعروف كأن يقول الولي اني لا أملك هذا المال انما هو لهؤلاء الضعفاء الذين لا يعرفون ما عليهم من الحق وان يكبروا فسيعرفون حقكم والضمير في منه اما ان يعود الى ما ترك واما الى الميراث بدليل ذكر القسمة وقيل

المراد قسمة الوصية واذا حضرها من لا يرث من الاقرباء واليتامى والمساكين أمر الله الموصى أن يجعل لهم نصيبا من تلك الوصية و يقول لهم
مع ذلك قولا معروفا وقيل أولوا القربى الوارثون واليتامى والمساكين الذين لا يرثون وقوله وقولوا لهم راجع الى هؤلاء الذين لا يرثون و يحكى هذا
القول عن سعيد بن جبير وليخش الذين لو تركوا الجملة الشرطية وهي لو مع ما في حيزه صلة الذين والمعنى ليخش الذين من
صفتهم وحالهم أنهم لو تركوا ذرية
ضعافا خافوا عليهم وأما المخشي فغير
منصوص عليه قال بعض المفسرين
هم الاوصياء أمروا بان يخشوا الله
فيخافوا على من في حجورهم من
اليتامى خوفهم على ذريتهم لو
تركوهم ضعافا وأمروا بان يخشوا
على اليتامى من الضياع كما يخشون
على أولادهم لو تركوهم وعلى هذا
فيكون القول السديد أي الصواب
القصد هو أن لا يؤذوا اليتامى
و يكلموهم كما يكلمون أولادهم بالقول
الجميل و يدعوهم بيابني و ياولدي
وهذا القول أليق بما تقدم وتأخر
من الآيات الواردة في باب الايتام
نبههم الله على حال أنفسهم وذريتهم
اذا تصوروها ليكون ذلك أجدر
مايدعوهم الى حفظ مال اليتيم كما
قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا
بناتي انهن من الضعاف
أحاذر أن يرين البؤس بعدي
وأن يشربن رنقا بعد صافي

وقيل هم الذين يجلسون
الى المريض فيقولون ان
ذريتك لا يغنون عنك من الله شيأ
فقدم مالك ولا يزالون يأمرونه
بالوصية الى الاجانب الى أن يستغرق
المال بالوصايا فأمروا بأن يخشوا
ربهم و يخشوا على أولاد المريض
خوفهم على أولاد أنفسهم لو كانوا
وعلى هذا تكون الآية نهيا للحاضرين
عن الترغيب في الوصية والقول
السديد أن يقولوا للمريض لا تسرف
في الوصية فتجحف باولادك مثل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد الثلث كثير وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون أن لا تبلغ الوصية
الثلث وان الخمس أفضل من الربع والربع من الثلث وقيل يجوز أن تتصل الآية بما قبلها فيكون أمرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون
القسمة من الضعفاء وأن يتصوروا انهم لو كانوا أولادهم خافوا عليهم الحرمان وعن حبيب بن ثابت سألت مقسما عن الآية فقال هو الرجل

الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن مجاهد تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله الآية
قال في شأن المواريث التي ذكر قبل **حدثنا** بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة
قوله تلك حدود الله التي حد لخلقه وفرائضه بينهم من الميراث والقسمة فانتهوا اليها ولا تعدوها الى
غيرها ۞ القول في تأويل قوله ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله
عذاب مهين﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ومن يعص الله ورسوله في العمل بما أمراه به من قسمة المواريث
على ما أمراه بقسمة ذلك بينهم وغير ذلك من فرائض الله مخالفا أمرهما الى ما نهياه عنه ويتعد حدوده
يقول و يتجاوز فصول طاعته التي جعلها تعالى فاصلة بينها و بين معصيته الى ما نهاه عنه من قسمة
تركات موتاهم بين ورثته وغير ذلك من حدوده يدخله نارا خالدا فيها يقول باقيا فيها أبدا لا يموت ولا
يخرج منها أبدا وله عذاب مهين يعني وله عذاب مذل من عذب به مخزله و بنحو ما قلنا في تأويل ذلك
قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن
صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس ومن يعص الله ورسوله و يتعد حدوده الآية في شأن
المواريث التي ذكر قبل قال ابن جريج ومن يعص الله ورسوله قال من أصاب من الذنوب ما يعذب الله
عليه * فان قال قائل أو يخلد في النار من عصى الله ورسوله في قسمة المواريث قيل نعم اذا جمع
الى معصيتهما في ذلك شكا في أن الله فرض عليه ما فرض على عباده في هاتين الآيتين أو علم ذلك
فحاد الله ورسوله في أمرهما على ما ذكر ابن عباس من قول من قال حين نزل على رسول الله صلى الله
عليه وسلم قول الله تبارك وتعالى يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين الى تمام الآيتين
أيورث من لا يركب الفرس ولا يقاتل العدو ولا يحوز الغنيمة نصف المال أو جميع المال استنكارا
منهم قسمة الله ما قسم لصغار ولد الميت ونسائه واناث ولده ممن خالف قسمة الله ما قسم من ميراث
أهل الميراث بينهم على ما قسمه في كتابه وخالف حكمه في ذلك وحكم رسوله استنكارا منه حكمهما كما
استنكره الذين ذكر أمرهم ابن عباس ممن كان بين أظهر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المنافقين الذين فيهم نزلت وفي أشكالهم هذه الآية فهو من أهل الخلود في النار لانه باستنكاره
حكم الله في تلك يصير بالله كافرا ومن ملة الاسلام خارجا ۞ القول في تأويل قوله ﴿واللاتي يأتين
الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى
يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا﴾ يعني بقوله جل ثناؤه واللاتي يأتين الفاحشة والنساء
اللاتي يأتين بالزنا أي يزنين من نسائكم وهن محصنات ذوات أزواج أو غير ذوات أزواج فاستشهدوا
عليهن أربعة منكم يقول فاستشهدوا عليهن بما أتين به من الفاحشة أربعة رجال من رجالكم
يعني من المسلمين فان شهدوا عليهن فأمسكوهن في البيوت يقول فاحبسوهن في البيوت حتى
يتوفاهن الموت يقول حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا يعني أو يجعل الله لهن مخرجا وطريقا
الى النجاة مما أتين به من الفاحشة و بنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك
حدثنا أبو هشام الرفاعي عن محمد بن يزيد قال ثنا يحيى بن أبي زائدة عن ابن جريج عن مجاهد

الذي يحضره الموت و يريد الوصية للاجانب فيقول له من كان عنده اتق الله وأمسك على ولدك مالك مع أن ذلك الانسان يحب أن يوصى له
وعلى هذا يكون نهيا عن النهي عن الوصية ولا يساعده قوله لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا ثم أكد الوعيد في باب اهمال مال اليتيم فقال
ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أي ظالمين أو على وجه الظلم من ولاة السوء وقضاته لا بالمعروف انما يأكلون في
بطونهم أي ملء بطونهم نارا أي
ما يجر الى النار وكأنه نار في الحقيقة
وقال السدي يبعث آكل مال اليتيم
يوم القيامة والدخان يخرج من قبره
ومن فيه وأنفه وأذنيه وعينيه
فيعرف الناس أنه كان يأكل مال
اليتيم في الدنيا وعن أبي سعيد الخدري
أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
رأيت ليلة أسرى بي قوما لهم مشافر
كمشافر الابل وقد وكل بهم من
يأخذ بمشافرهم ثم يجعل في
أفواههم صخرا من النار يخرج من
أسافلهم فقال جبريل هؤلاء الذين
يأكلون أموال اليتامى ظلما
وسيصلون من قرأ بفتح الياء فهو
من صلى فلان النار بالكسر يصلى
صليا احترق ومن قرأ بالضم فمعناه
الالقاء في النار لاجل الاحراق من
الاصلاء وقد يشدد من التصلية
والمعنى واحد والسعير النار وسعرت
النار والحرب هيجتها وألهبتها فهي
سعير أي مسعورة والتنكير للتعظيم
أي نارا مبهمة الوصف لا يعلم شدتها
الا خالقها قالت المعتزلة لا يجوز أن
يدخل تحت هذا الوعيد آكل اليسير
من ماله بل لابد أن يكون مقدار
خمسة دراهم لانه القدر الذي وقع
عليه الوعيد في آية الكنز في منع
الزكاة ولا بد مع ذلك من عدم التوبة
فقيل لهم انكم خالفتم هذا العموم
من وجهين من جهة شرط عدم
التوبة ومن جهة شرط عدم كونه
صغيرة فلم لا يجوز لنا أن نزيد فيه شرط عدم العفو وههنا نكتة وهي أنه أوعد مانع الزكاة بالكي وآكل مال اليتيم بامتلاء
البطن من النار ولا شك أن هذا الوعيد أشد والسبب فيه أن الفقير غير مالك لجزء من النصاب حتى يملكه المالك واليتيم مالك لماله فكان
منع اليتيم أشنع وأيضا الفقير يقدر على الاكتساب من وجه آخر أو على السؤال واليتيم عاجز عنهما فكان ضعفه أظهر وهذا من كمال عنايته

واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فأمسكوهن في
البيوت أمر بحبسهن في البيوت حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد حدثني محمد بن عمرو
قال ثنا أبو عاصم عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم
قال الزنا كان أمر بحبسهن حين يشهد عليهن أربعة حتى يمتن أو يجعل الله لهن سبيلا والسبيل
الحد حدثنا المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال حدثني معاوية بن صالح عن
علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى أو يجعل الله لهن سبيلا
فكانت المرأة اذا زنت حبست في البيت حتى تموت ثم أنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك الزانية
والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فهذا سبيلهما الذي جعل
الله لهما حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس
قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فقد جعل الله لهن وهو الجلد والرجم حدثني بشر بن معاذ قال ثنا
يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله واللاتي يأتين الفاحشة حتى بلغ أو يجعل الله لهن سبيلا كان هذا
من قبل الحدود فكانا يؤذيان بالقول جميعا وبحبس المرأة ثم جعل الله لهن سبيلا فكان سبيل من
أحصن جلد مائة ثم رمي بالحجارة وسبيل من لم يحصن جلد مائة ونفي سنة حدثنا القاسم قال ثنا
الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح وعبد الله بن كثير الفاحشة الزنا
والسبيل الرجم والجلد حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن
السدي واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم الى أو يجعل الله لهن
سبيلا هؤلاء اللاتي قد نكحن وأحصن اذا زنت المرأة فانها كانت تحبس في البيت ويأخذ زوجها
مهرها فهو له فذلك قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يأتين بفاحشة مبينة
وعاشروهن بالمعروف حتى جاءت الحدود فنسختها فجلدت ورجمت وكان مهرها ميراثا فكان
السبيل هو الجلد حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن
سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قال الحد نسخ
الحد هذه الآية حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن اسرائيل عن خصيف عن مجاهد
أو يجعل الله لهن سبيلا قال جلد مائة الفاعل والفاعلة حدثنا الرفاعي قال ثنا يحيى عن
ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال الجلد حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام
قال ثنا أبي عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت أن النبي
صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي نكس رأسه ونكس أصحابه رؤسهم فلما سري عنه رفع
رأسه فقال قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر أما الثيب فتجلد ثم ترجم وأما البكر
فتجلد ثم تنفى حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الأعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن حطان
ابن عبد الله عن عبادة بن الصامت قال قال نبي الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن
سبيلا الثيب بالثيب تجلد مائة وترجم بالحجارة والبكر جلد مائة ونفي سنة حدثنا بشر قال ثنا
يزيد

يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله أخي بني رقاش عن عبادة ابن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد له وجهه فأنزل الله عليه ذات يوم فلقي ذلك فلما سرى عنه قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب جلد مائة ثم رجم بالحجارة والبكر بالبكر جلد مائة ثم نفي سنة حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال يقول لا تنكحوهن حتى يتوفاهن الموت ولم يخرجهن من الاسلام ثم نسخ هذا وجعل السبيل التي ذكر أن يجعل لهن سبيلا قال فجعل لها السبيل اذا زنت وهي محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل للبكر جلد مائة حدثني يحيى بن أبي طالب قال أخبرنا جويبر عن الضحاك في قوله حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا قال الجلد والرجم حدثنا المثنى قال ثنا محمد بن أبي جعفر قال ثنا شعبة عن قتادة عن الحسن عن حطان بن عبد الله الرقاشي عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا الثيب بالثيب والبكر بالبكر الثيب تجلد وترجم والبكر تجلد وتنفى حدثني يحيى بن ابراهيم المسعودي قال ثنا أبي عن أبيه عن جده عن الاعمش عن اسمعيل بن مسلم البصري عن الحسن عن عبادة بن الصامت قال كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم اذا احمر وجهه وكان يفعل ذلك اذا نزل عليه الوحي فأخذه كهيئة الغشي لما يجد من ثقل ذلك فلما أفاق قال خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكران يجلدان وينفيان سنة والثيبان يجلدان ويرجمان * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصحة في تأويل قوله أو يجعل الله لهن سبيلا قول من قال السبيل التي جعلها الله جل ثناؤه للثيبين المحصنين الرجم بالحجارة وللبكرين جلد مائة ونفي سنة لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رجم ولم يجلد واجماع الحجة التي لا يجوز عليها فيما نقلته مجمعة عليه الخطأ والسهو والكذب وصحة الخبر عنه انه قضى في البكرين بجلد مائة ونفي سنة فكان في الذي صح عنه من تركه جلد من رجم من الزناة في عصره دليل واضح على وهي الخبر الذي روي عن الحسن عن حطان عن عبادة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال السبيل للثيب المحصن الجلد والرجم وقد ذكر أن هذه الآية في قراءة عبد الله واللاتي يأتين بالفاحشة من نسائكم والعرب تقول أتيت أمرا عظيما وبأمر عظيم وتكلمت بكلام قبيح وكلاما قبيحا * القول في تأويل قوله ﴿واللذان يأتيانها منكم﴾ يعني جل ثناؤه بقوله واللذان يأتيانها منكم والرجل والمرأة اللذان يأتيانها يقول يأتيان الفاحشة والهاء والالف في قوله يأتيانها عائدة على الفاحشة التي في قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم والمعنى واللذان يأتيان منكم الفاحشة فآذوهما ثم اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فقال بعضهم هما البكران اللذان لم يحصنا وهما غير اللاتي عنين بالآية قبلها وقالوا قوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم معني به الثيبات

تعالى بالضعفاء فنرجو أن يرحم ذلنا وضعفنا بعزته وقوته * التأويل ذكر الناسين بدء خلقهم بالاشباح والارواح فخلقوا بالاشباح من آدم وبالارواح من روح محمد صلى الله عليه وسلم قال أول ما خلق الله روحي فهو أبو الارواح وخلق من الروح زوجه وهي النفس خلقها من أدنى شعاع من أشعة أنوار روح محمد صلى الله عليه وسلم وبث منهما رجالا كثيرا أرواحا كاملين ونساء أرواحا ناقصات واتقوا الله الذي تساءلون به أي اتقوه أن تساءلوا به غيره والارحام ولا تقطعوا رحم رحتي بصلة غيري وآتوا اليتامى أموالهم تزكية عن آفة الحرص والحسد والدناءة والخسة والطمع وتحلية بالقناعة والمروءة وعلو الهمة والعافية ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب تزكية عن آفة الخيانة والخديعة وتحلية بالامانة وسلامة الصدر ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم تزكية عن الجور وتحلية بالعدل فان اجتماع هذه الرذائل كان حوبا كبيرا حجابا عظيما فانكحوا ما طاب لكم تزكية عن الفاحشة وتحلية بالعفة ذلك أدنى أن لا تعولوا تزكية عن الحدة والغضب وتحلية بالسكون والحلم وآتوا النساء صدقاتهن تزكية عن البخل والغدر وتحلية بالوفاء والكرم فكلوه هنيئا تزكية عن الكبر والانفة وتحلية بالتواضع والشفقة فهذه كلها اشارات الى تربية يتامى القلوب والنفوس بايتاء حقوق تزكيتهم عن هذه الاوصاف وتحليتهم بهذه الاخلاق ثم نهى عن ايتاء النفوس الامارة حظوظها فقال ولا تؤتوا السفهاء وانما قال أموالكم لان الخطاب مع العقلاء والصلحاء وقد خلق الله الدنيا لاجلهم أن الارض يرثها عبادي الصالحون وارزقوهم فيها قدر ما يسد الجوعة واكسوهم ما يستر العورة وما زاد فاسراف في حق النفس وقولوا لهم قولا معروفا كنحو أكلت رزق الله فأدى شكر نعمته بامتثال أوامره ونواهيه والا أذيبي طعامك بذكر الله كما قال صلى الله عليه وسلم أذيبوا طعامكم بذكر الله وابتلوا اليتامى أي قلوب السائرين بادني توسع في المعيشة بعد أن كانوا محجورين عن التصرف حتى اذا بلغوا مبلغ الرجال البالغين فان آنستم منهم رشدا بان استمروا بذلك التوسع على السير وزادوا في اجتهادهم وجدهم كما قال الجنيد أشبع الزنجي وكده فاذ فعوله

اليهم أموالهم فالعبد في هذا المقام يكون جائز التصرف في مما اليك سيده كالعبد المأذون ولهذا قال ههنا أموالهم ولا تأكلوها اسرافا أي فان آنستم يا أولياء الطريقة من المريدين البالغين رشد التصرف في أصحاب الارادة فادفعوا اليهم عنان التصرف باجازة الشيخ وخية ولا تجعلوا الشيخوخية مأكلة لكم غيرة وغبطة عليهم أن (٣٠٠) يكبروا بالشيخوخية ومن كان غنيا بالله من قوة الولاية مستظهرا بالعناية فليستعفف عن الانتفاع بصحبتهم ومن كان فقيرا مفتقرا الى ولاية المريد فليأكل بالمعروف فلينتفع باعانته ولبجزله بالشيخوخية مع الامداد في الظاهر والباطن فاذا دفعتم اليهم أموالهم سلمتم اليهم مقام الشيخوخية فأشهدوا عليهم الله ورسوله وأرواح المشايخ وأوصوهم برعاية حقوقهما مع الله والخلق ثم أخبر عن نصيب كل نسيب فقال للرجال وهم الاقوياء من الطلبة وللنساء وهم الضعفاء نصيب مما ترك الولدان والاقربون وهم المشايخ والاخوان في الله وتركتهم بركتهم وأنوارهم نصيبا مفروضا على قدر استعدادهم واذا حضر القسمة أي في محافل صحبتهم ومجالس ذكرهم أولو القربى المنتمون اليهم والمقتبسون من أنوارهم والمقتفون لآثارهم فارزقوهم من مواهب بركاتهم وقولوا لهم قولا معروفا في التشويق وارشاد الطريق وتقرير هوان الدنيا عند الله وعزة أهل الله في الدارين وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا من متوسطي المريدين أو المبتدئين خافوا عليهم آفات المفارقة بسفر أو موت فليتقوا الله أي يوصونهم بالتقوى وأن يقولوا قولا سديدا هو لا اله الا الله فان التقوى ومداومة الذكر خطوتان يوصلان العبد الى الله ان الذين يأكلون يضيعون أطفال الطريقة بعدم التربية

المحصنات بالازواج وقوله واللذان يأتيانها منكم يعني به البكران غير المحصنين ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدي ذكر الجواري والفتيان اللذين لم ينكحوا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله واللذان يأتيانها منكم البكران فآذوهما * وقال آخرون بل عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان الزانيان ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجلان الفاعلان لا يكني حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله واللذان يأتيانها منكم الزانيان * وقال آخرون بل عني بذلك الرجل والمرأة الا أنه لم يقصد به بكر دون ثيب ذكر من قال ذلك حدثنا أبو هشام الرفاعي قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن عطاء واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال الرجل والمرأة حدثنا محمد ابن حميد قال ثنا يحيى بن واضح قال ثنا الحسين عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قالا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم الى قوله أو يجعل الله لهن سبيلا فذكر الرجل بعد المرأة ثم جمعهما جميعا فقال واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء وعبد الله بن كثير قوله واللذان يأتيانها منكم قال هما الرجل والمرأة جميعا * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بالصواب في تأويل قوله واللذان يأتيانها منكم قول من قال عني به البكران غير المحصنين اذا زنيا وكان أحدهما رجلا والآخر امرأة لانه لو كان مقصودا بذلك قصد البيان عن حكم الزناة من الرجال كما كان مقصودا بقوله واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم قصد البيان عن حكم الزواني لقيل والذين يأتونها منكم فآذوهم أو قيل والذي يأتيها منكم كما قيل في التي قبلها واللاتي يأتين الفاحشة فأخرج ذكرهن على الجمع ولم يقل واللتان يأتيان الفاحشة وكذلك تفعل العرب اذا أرادت البيان على الوعيد على فعل أو الوعد عليه أخرجت أسماء أهله بذكر الجمع أو الواحد وذلك أن الواحد يدل على جنسه ولا تخرجها بذكر اثنين فتقول الذين يفعلون كذا فلهم كذا والذي يفعل كذا فله كذا ولا تقول اللذان يفعلان كذا فلهما كذا الا أن يكون فعلا لا يكون الا من شخصين مختلفين كالزنا لا يكون الا من زان وزانية فاذا كان ذلك كذلك قيل بذكر الاثنين يراد بذلك الفاعل والمفعول به فأما أن يذكر بذكر الاثنين والمراد بذلك شخصان في فعل قد ينفرد كل واحد منهما به أو في فعل لا يكونان فيه مشتركين فذلك ما لا يعرف في كلامها واذا كان ذلك كذلك فبين فساد قول من قال عني بقوله واللذان يأتيانها منكم الرجلان وصحة قول من قال عني به الرجل والمرأة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أنهما غير اللواتي تقدم بيان حكمهن في قوله واللاتي يأتين الفاحشة لان هذين اثنان وأولئك جماعة واذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن الحبس كان للثيبات عقوبة حتى يتوفين من قبل أن يجعل لهن سبيلا لانه أغلظ في العقوبة من الاذى الذي هو تعنيف وتوبيخ أو سب وتعيير كما كان السبيل التي

ورعاية وظائف النصيحة انما يأكلون في بطونهم نار الحسرة والغرامة يوم لا تنفع الندامة (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم

لاتدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ماترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد
فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أودين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من
بعد وصية توصون بها أودين وان كان رجل يورث كلالة أوامرأة وله أخ أوأخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا

أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ياأيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيأ أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه

جعلت لهن من الرجم أغلظ من السبيل التي جعلت للابكار من جلد المائة ونفى السنة ﴿القول في تأويل قوله (فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما) اختلف أهل التأويل في الاذى الذى كان الله تعالى ذكره جعله عقوبة للذين يأتيان الفاحشة من قبل أن يجعل لهما سبيلا منه فقال بعضهم ذلك الأذى أذى بالقول واللسان كالتعيير والتوبيخ على ما أتيا من الفاحشة ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة فآذوهما قال كانا يؤذيان بالقول جميعا حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى فآذوهما فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فكانت الجارية والفتى اذا زنيا يعنفان ويعيران حتى يتركا ذلك وقال آخرون كان ذلك الاذى أذى باللسان غير أنه كان سبا ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد فآذوهما يعنى سبا وقال آخرون بل كان ذلك الاذى باللسان واليد ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فكان الرجل اذا زنى أوذى بالتعيير وضرب بالنعال

* قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب أن يقال ان الله تعالى ذكره كان أمر المؤمنين بأذى الزانيين المذكورين اذا أتيا ذلك وهما من أهل الاسلام والاذى قد يقع بكل مكروه نال الانسان من قول سئ باللسان أو فعل وليس في الآية بيان أن ذلك كان أمر به المؤمنون يومئذ ولاخبر به عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من نقل الواحد ولانقل الجماعة الموجب مجيئهما قطع العذر وأهل التأويل في ذلك مختلفون وجائز أن يكون ذلك أذى باللسان واليد وجائز أن يكون كان أذى بأيهما وليس في العلم بأن ذلك كان من أى نفع في دين ولادنيا ولافي الجهل به مضرة اذ كان الله جل ثناؤه قد نسخ ذلك من محكمه بما أوجب من الحكم على عباده فيهما وفي اللاتى قبلهما فأما الذى أوجب من الحكم عليهم فيهما فما أوجب في سورة النور بقوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة وأما الذى أوجب في اللاتى قبلهما فالرجم الذى قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما وأجمع أهل التأويل جميعا على أن الله تعالى ذكره قد جعل لاهل الفاحشة من الزناة والزوانى سبيلا بالحدود التي حكم بها فيهم وقال جماعة من أهل التأويل ان الله سبحانه نسخ بقوله الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما ذكر من قال ذلك حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما قال كل ذلك نسخته الآية التي في النور بالحد المفروض حدثنا أبو هشام قال ثنا يحيى عن ابن جريج عن مجاهد واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية قال هذا نسخته الآية في سورة النور بالحد المفروض حدثنا ابن حميد قال ثنا أبو تميلة قال ثنا الحسين بن واقد عن يزيد النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا في قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية نسخ ذلك بآية الجلد

 وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولاتنكحوا ماتنكح
آباؤكم من النساء الا ماقد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا) القراآت واحدة بالرفع أبوجعفر ونافع الباقون بالنصب فلامه وما
بعده بكسر الهمزة لاجل كسرة ماقبلها حمزة وعلي الباقون بالضم يوصى وما بعده مبنيا للمفعول ابن كثير وابن عامر ويحيى وحماد

والمفضل وافق الاعشى فى الاولى وحفص فى الثانية الباقون مبنيا للفاعل ندخله بالنون فى الحرفين نافع وابن عامر وأبو جعفر الباقون بالياء وكذلك فى سورة الفتح والتغابن والطلاق واللذان بتشديد النون ابن كثير وكذلك قوله هذان وهاتان وأرنا اللذين وأشباه ذلك وأما قوله فذانك فابن كثير وأبو عمرو ويعقوب

وعباس مخير الباقون بالتخفيف كرها بالضم وكذلك فى التوبة حمزة وعلى وخلف الباقون بالفتح مبينة مبينات بفتح الياء ابن كثير وأبو بكر وحماد وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو وسهل ويعقوب مبينة بالكسر مبينات بالفتح الباقون كلها بالكسر * الوقوف الانثيين ج ماترك ج فلها النصف ط لانتهاء حكم الأولاد ان كان له ولد ج فلأمه الثلث ج أودين ط وأبناؤكم ج لتقديرهم أبناؤكم ولاحتمال كون آباؤكم مبتدأ وخبره لاتدرون نفعا ج من الله ط حكيما ٥ لم يكن لهن ولد ج دين ط منهما السدس ج دين ط لان غير حال عامله يوصى مضار ج لاحتمال نصب وصية به كما يجىء من الله ط حليم ٥ ط لان تلك مبتدأ حدود الله ط خالدين فيها ط لأن مابعده اعتراض مقرر للجزاء العظيم ٥ خالدا فيها ص لان مابعده من تتمة الجزاء مهين ٥ أربعة منكم ج لابتداء الشرط مع الفاء سبيلا ٥ فآذوهما ج عنهما ط رحيما ٥ عليهم ط حكيما ٥ السيئات ط لان حتى اذا تصلح للابتداء وجوابه قال انى تبت وتصلح انتهاء لعمل السيئات وهم كفار ط أليما ٥ كرها ط للعدول عن الاخبار الى النهى مبينة ج للعارض بين المتفقين بالمعروف ج كثيرا ٥ شيأ ط مبينا ٥ غليظا ٥ سلف ط ومقتا ط سبيلا ٥ * التفسير انه تعالى لما بين حكم مال الايتام وما على الاولياء فيه بين ان اليتيم قوله كيف يملك المال ارثا ولم يكن ذلك الابيان جملة أحكام الميراث أونقول أجمل حكم الميراث فى قوله للرجال نصيب وللنساء نصيب ثم فصل ذلك بقوله يوصيكم الله أى يعهد الكم ويأمركم فى شأن ميراثهم واعلم أن أهل الجاهلية كانوا يتوارثون بشيئين النسب

فقال الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فأنزل الله بعد هذا الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة فان كانا محصنين رجما فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا اسباط عن السدى واللاتى يأتين الفاحشة من نسائكم الآية جاءت الحدود فنسختها حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك يقول نسخ الحد هذه الآية حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا أبو سفيان عن معمر عن قتادة فامسكوهن فى البيوت الآية قال نسختها الحدود وقوله واللذان يأتيانها منكم نسختها الحدود حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله واللذان يأتيانها منكم فآذوهما الآية ثم نسخ هذا وجعل السبيل لها اذا زنت وهى محصنة رجمت وأخرجت وجعل السبيل للذكر جلد مائة حدثنا الحسن ابن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت قال نسختها الحدود وأما قوله فان تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما فانه يعنى به جل ثناؤه فان تابا من الفاحشة التى أتيا فراجعا طاعة الله بينهما وأصلحا يقول وأصلحا دينهما بمراجعة التوبة من فاحشتهما والعمل بما يرضى الله فأعرضوا عنهما يقول فاصفحوا عنهما وكفوا عنهما الأذى الذى كنت أمرتكم أن تؤذوهما به عقوبة لهما على ما أتيا من الفاحشة ولا تؤذوهما بعد توبتهما وأما قوله ان الله كان توابا رحيما فانه يعنى ان الله لم يزل راجعا لعبيده الى ما يحبون اذا هم راجعوا ما يحب منهم من طاعته رحيما بهم يعنى ذا رحمة ورأفة * القول فى تأويل قوله (انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة) يعنى بقوله جل ثناؤه انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما التوبة على الله لاحد من خلقه الا للذين يعملون السوء من المؤمنين بجهالة ثم يتوبون من قريب يقول ما الله براجع لاحد من خلقه الى ما يحبه من العفو عنه والصفح عن ذنوبه التى سلفت منه الا للذين يأتون ما يأتونه من ذنوبهم جهالة منهم وهم بربهم مؤمنون ثم يراجعون طاعة الله ويتوبون منه الى ما أمرهم الله به من الندم عليه والاستغفار وترك العود الى مثله من قبل نزول الموت بهم وذلك هو القريب الذى ذكره الله تعالى ذكره فقال ثم يتوبون من قريب وبنحو ما قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل غير أنهم اختلفوا فى معنى قوله بجهالة فقال بعضهم فى ذلك بنحو ما قلنا فيه وذهب الى أن عمله السوء هو الجهالة التى عناها ذكر من قال ذلك حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة عن أبى العالية انه كان يحدث ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون كل ذنب أصابه عبد فهو بجهالة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأوا أن كل شئ عصى به فهو جهالة عمدا كان أو غيره حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى

قوله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته حدثنا المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال كل من عمل بمعصية الله فذاك منه بجهل حتى يرجع عنه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ما دام يعصي الله فهو جاهل حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل بن غزوان عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال من عمل السوء فهو جاهل من جهالته عمل السوء حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته قال ابن جريج وأخبرني عبد الله بن كثير عن مجاهد قال كل عامل بمعصية فهو جاهل حين عمل بها قال ابن جريج وقال لي عطاء بن أبي رباح نحوه حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قول الله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال الجهالة كل امرئ عمل شيئا من معاصي الله فهو جاهل أبدا حتى ينزع عنها وقرأ هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون وقرأ وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين قال من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته وقال آخرون معنى قوله للذين يعملون السوء بجهالة يعملون ذلك على عمد منهم له ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثوري عن مجاهد يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد قال حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبي عن سفيان عن رجل عن مجاهد مثله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الجهالة العمد وقال آخرون معنى ذلك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء في الدنيا ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة قوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة قال الدنيا كلها جهالة * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل الآية قول من قال تأويلها انما التوبة على الله للذين يعملون السوء وعملهم السوء هو الجهالة التي جهلوها عامدين كانوا للاثم أو جاهلين بما أعد الله لاهلها وذلك انه غير موجود في كلام العرب تسمية العامد للشيء الجاهل به الا أن يكون معنيا به انه جاهل بقدر منفعته ومضرته فيقال هو به جاهل على معنى جهله بمعنى نفعه وضره فأما اذا كان عالما بقدر مبلغ نفعه وضره قاصدا اليه فغير جائز من غير قصده اليه أن يقال هو به جاهل لان الجاهل بالشيء هو الذي لا يعلمه ولا يعرفه عند التقدم عليه أو يعلمه فيشبه فاعله اذ كان خطأ ما فعله بالجاهل الذي يأتي الامر وهو به جاهل فيخطئ موضع الاصابة منه فيقال انه لجاهل به وان كان به عالما لاتيانه الأمر الذي لا يأتي مثله الا أهل الجهل به وكذلك معنى قوله يعملون السوء بجهالة قيل فيهم يعملون السوء بجهالة وان أتوه على علم منهم بمبلغ عقاب الله أهله عامدين اتيانه مع معرفتهم بانه عليهم حرام لان فعلهم ذلك كان من الافعال التي لا يأتي مثله الا من

والعهد أما النسب فكانوا يورثون الكبار به ولا يورثون الصغار والاناث كما مر وأما العهد فالحلف أو التبني كما سيجيء في تفسير قوله والذين عاقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم وكان التوريث بالعهد مقررا في أول الاسلام مع زيادة سببين آخرين أحدهما الهجرة فكان المهاجر يرث من المهاجر وان كان أجنبيا عنه اذا كان بينهما مزيد مخالطة ومخالصة

ولا يرثه غيره وان كان من أقاربه والثاني المؤاخاة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤاخي بين كل اثنين منهم فيكون سببا للتوارث والذي تقرر عليه الامر في الاسلام أن أسباب التوريث ثلاثة قرابة ونكاح وولاء والمراد من الولاء أن المعتق يرث بالعصوبة من المعتق روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورث بنت حمزة من مولى لها ووراء هذه الاسباب سبب عام وهو الاسلام فمن مات ولم يخلف من يرثه بالاسباب الثلاثة فماله لبيت المال يرثه المسلمون بالعصوبة كما يحملون عنه الدية قال صلى الله عليه وسلم أنا وارث من لا وارث له أعقل عنه وأرثه وعن أبي حنيفة وأحمد أنه يوضع ماله في بيت المال على سبيل المصلحة لا ارثا لانه لا يخلو عن ابن عم وان بعد فألحق بالمال الضائع الذي لا يرجى ظهور مالكه وانما بدأ سبحانه بذكر ميراث الاولاد لأن تعلق الانسان بولده أشد التعلقات ثم للاولاد حال انفراد وحال اجتماع مع أبوي الميت أما حال الانفراد فثلاث ذكور واناث معا أو اناث فقط أو ذكور فقط أما الحالة الأولى ففيها قوله للذكر مثل حظ الانثيين أي للذكر منهم فحذف الراجع للعلم به وفيه أحكام ثلاثة أحدها خلف ذكرا واحدا وأنثى واحدة فله سهمان ولها واحد وثانيها خلف ذكورا واناثا فلكل ذكر سهمان ولكل أنثى سهم وثالثها خلف مع الاولاد جمعا آخرين كالزوجين فهم يأخذون سهامهم والباقي بين الاولاد لكل ذكر مثل نصيب أنثيين وانما لم يقل للانثيين مثل حظ الذكر أو للانثى نصف حظ الذكر اشعارا بفضلته كما ضوعف حظه لذلك ولان الابتداء بما ينبئ عن فضل أحد أدخل في الأدب من الابتداء بما ينبئ عن النقص ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث فكأنه قيل لهم كفى الذكور تضعيف من النصيب فليقطعوا الطمع عن

الزيادة وأما الحكمة فى أنه تعالى جعل نصيب النساء من المال أقل من نصيب الرجال فلنقصان عقلهن ودينهن كما جاء فى الحديث ولأن احتياجهن الى المال أقل لان أزواجهن ينفقون عليهن أو لكثرة الشهوة فيهن فقد يصير المال سببا لزيادة فجورهن كما قيل ان الشباب والفراغ والجده * مفسدة للمرء أى مفسده فكيف (٢٠٤) حال المرأة وعن جعفر الصادق رضى الله عنه ان حواء أخذت حفنة من الحنطة وأكلتها وأخذت حفنة أخرى وخبأتها ثم أخذت حفنة أخرى ورفعتها الى آدم فلما جعلت نصيب نفسها ضعف نصيب الرجل قلب الله الامر عليها فجعل نصيب المرأة نصف نصيب الرجل وأما الحالة الثانية فهن أكثر من اثنتين أو اثنتان أو واحدة وحكم القسم الاول مبين فى قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وحكم القسم الثالث فى قوله وان كانت واحدة فلها النصف فمن قرأ بالرفع على كان التامة فظاهر ومن قرأ بالنصب فالضمير فى كانت اما أن يعود الى النساء وجاز لعدم الالباس بدليل واحدة واما أن يعود الى غائب حكمى أى ان كانت البنت أو المولودة وقراءة النصب أوفق لقوله فان كن نساء وقراءة الرفع أيضا حسنة لئلا يحتاج الى التكلف فى عود الضمير وجوز صاحب الكشاف أن يكون الضمير فى كن وكانت مبهمة وتكون نساء وواحدة تفسير الهما على ان كان تامة وأما القسم الثانى وهو حكم البنتين فغير مذكور فى الآية صريحا فلهذا اختلف العلماء فيه فعن ابن عباس أن فرضهما النصف كما فى الواحدة لان الثلثين فرض البنات بشرط كونهن فوق اثنتين فاذا لم يوجد الشرط لم يوجد المشروط وعورض بأن النصف أيضا مشروط بالوحدة أقول ولعله نظر الى أن الاثنتين أقرب الى الواحد من الاعداد الغير المحصورة التى فوق الاثنتين سوى الثلاثة والحمل على الأقرب أولى وقال الاكثرون من الصحابة وغيرهم ان فرضهما الثلثان لان من مات وخلف ابنا وبنتا فللبنت الثلث بالآية فيلزم أن يكون للبنتين الثلثان وأيضا نصيب البنت مع الولد الذكر الثلث فلأن يكون نصيبها مع ولد آخر أنثى هو الثلث أولى لان الذكر أقوى من الانثى وعلى

ابن

جهل عظيم عقاب الله عليه أهله فى عاجل الدنيا وآجل الآخرة فقيل لمن أتاه وهو به عالم أتاه بجهالة بمعنى انه فعل فعل الجهال به لا أنه كان جاهلا وقد زعم بعض أهل العربية أن معناه أنهم جهلوا كنه ما فيه من العقاب فلم يعلموه كعلم العالم وان علموه ذنبا فلذلك قيل يعملون السوء بجهالة ولو كان الامر على ما قال صاحب هذا القول لوجب أن لا تكون توبة لمن علم كنه ما فيه وذلك أنه جل ثناؤه قال انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب دون غيرهم فالواجب على صاحب هذا القول أن لا يكون للعالم الذى عمل سوأ على علم منه بكنه ما فيه ثم تاب من قريب توبة وذلك خلاف الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن كل تائب عسى الله أن يتوب عليه وقوله باب التوبة مفتوح ما لم تطلع الشمس من مغربها وخلاف قول الله عز وجل الا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا ۞ القول فى تأويل قوله ﴿ثم يتوبون من قريب﴾ اختلف أهل التأويل فى معنى القريب فى هذا الموضع فقال بعضهم معنى ذلك ثم يتوبون فى صحتهم قبل مرضهم وقبل موتهم ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ثم يتوبون من قريب والقريب قبل الموت ما دام فى صحته حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد ابن فضيل عن ابى النضر عن ابى صالح عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب قال فى الحياة والصحة وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل معاينة ملك الموت ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا أبو صالح قال ثنا معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس ثم يتوبون من قريب والقريب فيما بينه وبين أن ينظر الى ملك الموت حدثنا محمد بن عبد الاعلى قال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت عمران بن حدير قال قال أبو مجلز لا يزال الرجل فى توبة حتى يعاين الملائكة حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنى حجاج عن أبى معشر عن محمد بن قيس قال القريب ما لم تنزل به آية من آيات الله تعالى وينزل به الموت حدثنى المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا أبو زهير عن جويبر عن الضحاك انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب له التوبة ما بينه وبين أن يعاين ملك الموت فاذا تاب حين ينظر الى ملك الموت فليس له ذاك وقال آخرون بل معنى ذلك ثم يتوبون من قبل الموت ذكر من قال ذلك حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن رجل عن الضحاك ثم يتوبون من قريب قال كل شئ قبل الموت فهو قريب حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا معتمر بن سليمان عن الحكم بن أبان عن عكرمة ثم يتوبون من قريب قال الدنيا كلها قريب حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله ثم يتوبون من قريب قبل الموت حدثنا محمد بن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثنى أبى عن قتادة عن أبى قلابة قال ذكر لنا أن ابليس لما لعن وأنظر قال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم ما دام فيه الروح فقال تبارك وتعالى وعزتى لا أمنعه التوبة ما دام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا أبو داود قال ثنا عمران عن قتادة قال كنا عند أنس بن مالك وثم أبو قلابة فحدث أبو قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فقال وعزتك لا أخرج من قلب

ابن آدم فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أمنعه التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الوهاب قال ثنا أيوب عن أبي قلابة قال ان الله تبارك وتعالى لما لعن ابليس سأله النظرة فأنظره الى يوم الدين فقال وعزتك لا أخرج من قلب ابن آدم مادام فيه الروح قال وعزتي لا أحجب عنه التوبة مادام فيه الروح حدثني ابن بشار قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما رأى آدم أجوف قال وعزتك لا أخرج من جوفه مادام فيه الروح فقال الله تبارك وتعالى وعزتي لا أحول بينه وبين التوبة مادام فيه الروح حدثنا ابن بشار قال ثنا معاذ بن هشام قال ثني أبي عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي أيوب بشير بن كعب أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فذكر مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن قال بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تبارك وتعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب قول من قال تأويله ثم يتوبون قبل مماتهم في الحال التي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه وقبل أن يغلبوا على أنفسهم وعقولهم وقبل حال اشتغالهم بكرب الحشرجة وغم الغرغرة فلا يعرفوا أمر الله ونهيه ولا يعقلوا التوبة لان التوبة لا تكون توبة الا ممن ندم على ماسلف منه وعزم فيه على ترك المعاودة وهو يعقل الندم ويختار ترك المعاودة فاما اذا كان بكرب الموت مشغولا وبغم الحشرجة مغمورا فلا إخاله الا عن الندم على ذنوبه مغلوبا ولذلك قال من قال ان التوبة مقبولة مالم يغرغر العبد بنفسه فان كان المرء في تلك الحال يعقل عقل الصحيح ويفهم فهم العاقل الأريب فأحدث انابة من ذنوبه ورجعة من شروده عن ربه الى طاعته كان ان شاء الله ممن دخل في وعد الله الذي وعد التائبين اليه من اجرامهم من قريب بقوله انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ۞ القول في تأويل قوله ﴿فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما﴾ يعني بذلك جل ثناؤه فأولئك فهؤلاء الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب يتوب الله عليهم دون من لم يتب حتى غلب على عقله وغمرته حشرجة ميتته فقال وهو لا يفقه ما يقول اني تبت الآن خداعا لربه ونفاقا في دينه ومعنى قوله يتوب الله عليهم يرزقهم انابة الى طاعته ويتقبل منهم أوبتهم اليه وتوبتهم التي أحدثوها من ذنوبهم وأما قوله وكان الله عليما حكيما فانه يعني ولم يزل الله جل ثناؤه عليما بالناس من عباده المنيبين اليه بالطاعة بعد إدبارهم عنه المقبلين اليه بعد التولية وبغير ذلك من أمور خلقه حكيما في توبته على من تاب منهم من معصيته وفي غير ذلك من تدبيره وتقديره ولا يدخل أفعاله خلل ولا يخلطه خطأ ولا زلل ۞ القول في تأويل قوله ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن﴾ يعني بذلك جل ثناؤه وليست التوبة للذين يعملون السيئات من أهل الاصرار على معاصي

البنتين على الاختين وقيل لفظ فوق وهو صفة نساء أو خبر بعد خبر للتأكيد أو ليخرج أقل الجمع وهو اثنان زائد كقوله فاضربوا فوق الاعناق وقيل فيه تقديم وتأخير والمراد فان كن نساء اثنتين فما فوقهما وعن جابر بن عبد الله قال جاءت امرأة بابنتين لها فقالت يارسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس أو قالت سعد بن الربيع قتل معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما فقال يقضي الله في ذلك ونزلت هذه الآية فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ادع لي المرأة وصاحبها فقال لعمهما أعطهما الثلثين وأعط أمهما الثمن ومابقي فلك وأما الحالة الثالثة وهو ما اذا كان الاولاد ذكورا فقط فلم يذكر في الآية لانه لما علم ان للذكر مثل حظ الانثيين وقد تبين أن للبنت الواحدة النصف علم منه ان للابن الواحد الكل واذا كان للواحد الكل فاذا كانوا أكثر من واحد لم يحسن حرمان بعضهم ولا ترجيح بعضهم فيكون المال مشتركا بينهم بالسوية وأيضا قال صلى الله عليه وسلم وما أبقت السهام فلأولى عصبة ذكر ولا نزاع في أن الابن عصبة ذكر فاذا لم يكن معه صاحب فرض فله كل المال لا محالة والنص سئلت عن ولد الولد فقيل اسم الولد يقع على ولد الابن أيضا لقوله تعالى يابني آدم يابني

اسرائيل وقيل قيس ولد الولد على الولد لانه كولد الصلب في الارث والتعصيب ولكنه لا يستحق شيأ مع أولاد الصلب على وجه الشركة وانما يستحق اذا لم يوجد ولد الصلب رأسا أولا يأخذ كما في مسئلة بنت واحدة وبنت ابن فانهما يأخذان الثلثين واعلم ان عموم قوله تعالى يوصيكم الله في أولادكم مخصوص بصور منها ان العبد والحر لا يتوارثان ومنها ان القاتل لا يرث ومنها أنه لا يتوارث أهل ملتين والمرتد ماله

فى لبيت المال سواء اكتسب فى الاسلام أوفى الردة وعند أبى حنيفة ما اكتسب فى الاسلام يرثه أقاربه المسلمون ومنها ان الانبياء لا يورثون خلافا للشيعة روى أن فاطمة رضى الله عنها لما طلبت الميراث احتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة واحتجت بقوله تعالى حكاية عن زكريا يرثنى ويرث من آل يعقوب وبقوله وورث سليمان داود والاصل فى التوريث للمال ووراثة العلم أو الدين مجاز وبعموم قوله يوصيكم الله فى أولادكم ولان المحتاج الى هذه المسئلة ما كان الا عليا وفاطمة والعباس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء فى الدين وأما أبو بكر فانه ما كان محتاجا الى معرفة هذه المسئلة البتة لانه ما كان يخطر بباله أنه يرث الرسول عليه الصلاة والسلام فكيف يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم أن يبلغ هذه المسئلة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة وأيضا يحتمل أن يكون قوله ما تركناه صدقة صلة لقوله لا نورث والمراد ان الشئ الذى تركناه صدقة فذلك الشئ لا يورث ولعل فائدة تخصيص الانبياء بذلك انهم اذا عزموا على التصدق بشئ فجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم فلا يرثه وارثهم عنهم أجابوا بأن فاطمة رضى الله عنها رضيت بقول أبى بكر بعد هذه المناظرة وانعقد الاجماع على ما ذهب اليه أبو بكر واعلم أن جميع ما ذكرنا انما هو فى حالة انفراد الأولاد أما حالة اجتماعهم بالأبوين فذلك قوله ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد والمراد بالابوين الاب والام فغلب جانب الاب لشرفه ومثله من التغليب فى التثنية القمران والعمران والخافقان والضمير فى أبويه يعود الى الميت المعلوم من سياق الكلام فى الميراث ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة ما ذكره هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لأوهم اشتراكهما فيه ولو قيل ولأبويه السدسان لأوهم قسمة السدسين عليهما بالتساوى أو بالتفاوت ولو قيل ولكل واحد من أبويه السدس لفاتت فائدة الاجمال والتفصيل والابهام والتفسير فقوله السدس مبتدأ وخبره لابويه وقد توسط

الله حتى اذا حضر أحدهم الموت يقول اذا حشرج أحدهم بنفسه وعاين ملائكة ربه قد أقبلوا اليه لقبض روحه قال وقد غلب على نفسه وحيل بينه وبين فهمه بشغله بكرب حشرجته وغرغرته انى تبت الآن يقول فليس لهذا عند الله تبارك وتعالى توبة لأنه قال ما قال فى غير حال توبة كما **حدثنا** الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا الثورى عن يعلى بن نعمان قال أخبرنى من سمع ابن عمر يقول التوبة مبسوطة ما لم يسق ثم قرأ ابن عمر وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ثم قال وهل الحضور الا السوق **حدثنى** يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال اذا تبين الموت فيه لم يقبل الله له توبة **حدثنا** القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبى النضر عن أبى صالح عن ابن عباس وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فليس لهذا عند الله توبة **حدثنا** محمد بن المثنى قال ثنا محمد بن جعفر قال ثنا شعبة قال سمعت ابراهيم ابن ميمون يحدث عن رجل من بنى الحرث قال ثنا رجل منا عن عبد الله بن عمرو أنه قال من تاب قبل موته بعام تيب عليه حتى ذكر شهرا حتى ذكر ساعة حتى ذكر فواقا قال فقال رجل كيف يكون هذا والله تعالى يقول وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فقال عبد الله أنا أحدثك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم **حدثنا** ابن وكيع قال ثنا أبى عن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر عن ابراهيم قال كان يقال التوبة مبسوطة ما لم يؤخذ بكظمه واختلف أهل التأويل فيمن عنى بقوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن فقال بعضهم عنى به أهل النفاق ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبى جعفر عن أبيه عن الربيع انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب قال نزلت الأولى فى المؤمنين ونزلت الوسطى فى المنافقين يعنى وليست التوبة للذين يعملون السيئات والأخرى فى الكفار يعنى ولا الذين يموتون وهم كفار * وقال آخرون بل عنى بذلك أهل الاسلام ذكر من قال ذلك **حدثنا** المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن سفيان قال بلغنا فى هذه الآية وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن قال هم المسلمون ألا ترى انه قال ولا الذين يموتون وهم كفار * وقال آخرون بل هذه الآية كانت نزلت فى أهل الايمان غير أنها نسخت ذكر من قال ذلك **حدثنى** المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال انى تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار فأنزل الله تبارك وتعالى بعد ذلك ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فحرم الله تعالى المغفرة على من مات وهو كافر وأرجأ أهل التوحيد الى مشيئته فلم يؤيسهم من المغفرة * قال أبو جعفر وأولى الأقوال فى ذلك عندى بالصواب

ما ذكره الثوري انه بلغه انه في الاسلام وذلك ان المنافقين كفار فلو كان معنيا به أهل النفاق لم يكن لقوله ولا الذين يموتون وهم كفار معنى مفهوم لانهم ان كانوا اهم والذين قبلهم في معنى واحد من ان جميعهم كفار فلا وجه لتفريق أحدهم في المعنى الذي من أجله بطل أن تكون توبة واحد مقبولة وفي تفرقة الله جل ثناؤه بين أسمائهم وصفاتهم بأن سمى أحد الصنفين كافرا ووصف الصنف الآخر بأنهم أهل سيئات ولم يسمهم كفارا ما دل على افتراق معانيهم وفي صحة كون ذلك كذلك صحة ما قلنا وفساد ما خالفه ۞ القول في تأويل قوله ﴿ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما﴾ يعني بذلك جل ثناؤه ولا التوبة للذين يموتون وهم كفار فموضع الذين خفض لانه معطوف على قوله للذين يعملون السيئات وقوله أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يقول هؤلاء الذين يموتون وهم كفار أعتدنا لهم عذابا أليما لانهم أبعدهم من التوبة كونهم على الكفر كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا محمد بن فضيل عن أبي النضر عن أبي صالح عن ابن عباس ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أبعد من التوبة واختلف أهل العربية في معنى أعتدنا لهم فقال بعض البصريين معنى اعتدنا أفعلنا من العتاد قال ومعناها أعددنا وقال بعض الكوفيين أعددنا واعتدنا معناهما واحد فمعنى قوله اعتدنا لهم أعددنا لهم عذابا أليما يقول مؤلما موجعا ۞ القول في تأويل قوله ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ يعني تبارك وتعالى يا أيها الذين آمنوا يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها يقول لا يحل لكم أن ترثوا نكاح نساء أقاربكم وآبائكم كرها فان قال قائل كيف كانوا يرثونهن وما وجه تحريم وراثتهن فقد علمت أن النساء مورثات كما الرجال مورثون قيل ان ذلك ليس من معنى وراثتهن اذا هن متن فتركن مالا وانما ذلك انهن في الجاهلية كانت احداهن اذا مات زوجها كان ابنه أو قريبه أولى بها من غيره ومنها بنفسها ان شاء نكحها وان شاء عضلها فمنعها من غيره ولم يزوجها حتى تموت فحرم الله تعالى ذلك على عباده وحظر عليهم نكاح حلائل آبائهم ونهاهم عن عضلهن عن النكاح وبنحو القول الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب قال ثنا أسباط بن محمد قال ثنا أبو اسحق يعني الشيباني عن عكرمة عن ابن عباس في قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال كانوا اذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته ان شاء بعضهم تزوجها وان شاؤا زوجوها وان شاؤا لم يزوجوها وهم أحق بها من أهلها فنزلت هذه الآية في ذلك وحدثني أحمد بن محمد الطوسي قال ثنا عبد الرحمن بن صالح قال ثني محمد بن فضيل عن يحيى بن سعيد عن محمد بن أبي امامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لما توفي أبو قيس ابن الاسلت أراد ابنه أن يتزوج امرأته وكان ذلك لهم في الجاهلية فأنزل الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا ابن حميد قال ثنا يحيى واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد

البدل بينهما للبيان واعلم ان للابوين ثلاث أحوال الاولى أن يحصل معهما ولد ولا نزاع أن اسم الولد يقع على الذكر وعلى الانثى فههنا ثلاثة أوجه أحدها أن يحصل معهما ولد ذكر واحد أو أكثر فللابوين لكل واحد منهما السدس والباقي للاولاد بالسوية وثانيها أن يحصل معهما بنتان أو أكثر فالحكم كما ذكر وثالثها أن يكون معهما بنت واحدة فههنا للبنت النصف وللام السدس وللاب السدس بحكم الاية والباقي للاب بحكم التعصيب فان قيل ان حق الوالدين على الولد مما لا يخفى فما الحكمة في أنه تعالى جعل نصيب الاولاد أكثر ونصيب الوالدين أقل فالجواب والله أعلم ان الوالدين ما بقي من عمرهما الا القليل غالبا أما الاولاد فهم في زمان الصبا فاحتياجهم الى المال أكثر وأيضا كأنهما قالا بلسان الحال للاطفال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وأيضا ولد الولد ولد وترفيه حال الولد أهم عند الوالدين من ترفيه حالهما الحالة الثانية أن لا يكون معهما أحد من الأولاد ولا وارث سواهما وهو المراد بقوله فان لم يكن له ولد وورثه أبواه أي فقط فلامه الثلث ويعلم منه ان الباقي يكون للاب فيكون المال بينهما للذكر مثل حظ الانثيين ويحصل للاب السدس بالفرضية والنصف بالعصوبة ولانه تعالى قيد فرضية الثلث للام بأن يكون الوارث منحصرا في الابوين اختلف العلماء في أنه اذا ورثه أبواه مع أحد الزوجين فكيف يكون فرض الام فقال ابن عباس يدفع الى الزوج نصيبه أو الى الزوجة نصيبها وللام الثلث بحاله والباقي للاب وذهب الاكثرون الى أن الزوج أو الزوجة لهما نصيبهما ثم يدفع ثلث ما بقي الى الام والباقي للاب ليكون للذكر مثل حظ الانثيين كما هو قاعدة الميراث عند اجتماع الذكر والانثى فيكون الابوان كشريكين بينهما مال فاذا صار شيء منه مستحقا بقي الباقي بينهما على قدر الاستحقاق الاول وأيضا الزوج انما يأخذ سهمه بحكم عقد النكاح لا بحكم القرابة فأشبه الوصية في قسمة الباقي وعن ابن سيرين أنه وافق ابن عباس في الزوجة والابوين فانا اذا دفعنا الربع الى الزوجة والثلث الى الام بقي للاب الثلث ونصف السدس أكثر من الام وخالفه في الزوج

فالاكثرون من الصحابة ذهبوا الى اثبات الحجب بهما كما فى الثلاثة بناء على ان الاثنين جمع لوجود التعدد فى التثنية فما فوقها فصح أن يتناول الاخوة للاخوين واستقراء باب الميراث يؤيد ذلك فانه جعل نصيب البنتين الثلثين مثل نصيب البنات وكذلك للاختين والاخوات وذكر الشيخ الكامل محيي الدين بن العربى فى الفتوحات انه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فسأله عن خلاف الائمة فى ان أقل الجمع اثنان أو ثلاثة فعله ان أقل الجمع فى الشفع اثنان وفى الوتر ثلاثة وقال صلى الله عليه وسلم الاثنان فما فوقهما جماعة وقد احتج ابن عباس بذلك على عثمان فقال كيف تردها الى السدس بالاخوين وليسا باخوة فقال عثمان لا أستطيع رد شئ كان قبلى ومضى فى البلدان فأشار الى اجماعهم قبل أن يظهر ابن عباس الخلاف ثم ان الاثنين أو الثلاثة اذا حجبوا الأم عن السدس فذلك السدس يكون لهم حتى يبقى للاب الثلثان أو لا يكون لهم شئ من الميراث ويكون خمسة الأسداس للاب ذهب ابن عباس الى الاول وذهب الجمهور الى الثانى اذ لا يلزم من كون الشخص حاجبا كونه وارثا ولم يرد لهم ذكر الا بالحجب فوجب أن يبقى المال بعد حصول هذا الحجب على ملك الابوين ثم ذكر

النحوى عن عكرمة والحسن البصرى قالا فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة وذلك أن الرجل كان يرث امرأة ذى قرابته فيعضلها حتى تموت أو ترد اليه صداقها فأحكم الله عن ذلك يعنى ان الله نهاكم عن ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا ابن علية عن سليمان التيمى عن أبى مجلز فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الانصار تفعل ذلك كان الرجل اذا مات حميمه ورث حميمه امرأته فيكون أولى بها من ولى نفسها حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال كان الرجل اذا مات أبوه أو حميمه فهو أحق بامرأته ان شاء أمسكها أو يحبسها حتى تفتدى منه بصداقها أو تموت فيذهب بمالها قال ابن جريج فأخبرنى عطاء بن أبى رباح ان أهل الجاهلية كانوا اذا هلك الرجل فترك امرأة حبسها أهله على الصبى يكون فيهم فنزلت لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها الآية قال ابن جريج وقال مجاهد كان الرجل اذا توفى أبوه كان أحق بامرأته ينكحها ان شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها ان شاء أخاه أو ابن أخيه قال ابن جريج وقال عكرمة نزلت فى كبيشة بنت معن بن عاصم من الاوس توفى عنها أبو قيس بن الاسلت فجنح عليها ابنه فجاءت النبى صلى الله عليه وسلم فقالت يا نبى الله لا أنا ورثت زوجى ولا أنا تركت فأنكح فنزلت هذه الآية حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان اذا توفى الرجل كان ابنه الاكبر هو أحق بامرأته ينكحها اذا شاء اذا لم يكن ابنها أو ينكحها من شاء أخاه أو ابن أخيه حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن عمرو بن دينار مثل قول مجاهد حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل قال سمعت عمرو بن دينار يقول مثل ذلك حدثنى محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فان الرجل فى الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه فاذا مات وترك امرأته فان سبق وارث الميت فألقى عليها ثوبه فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه أو ينكحها فيأخذ مهرها وان سبقته فذهبت الى أهلها فهم أحق بنفسها حدثت عن الحسين ابن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان الباهلى قال سمعت الضحاك يقول فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها كانوا بالمدينة اذا مات حميم الرجل وترك امرأة ألقى الرجل عليها ثوبه فورث نكاحها وكان أحق بها وكان ذلك عندهم نكاحا فان شاء أمسكها حتى تفتدى منه وكان هذا فى الشرك حدثنا يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كانت الوراثة فى أهل يثرب بالمدينة ههنا فكان الرجل يموت فيرث ابنه امرأة أبيه كما يرث أمه لا يستطيع أن يمتنع فان أحب أن يتخذها اتخذها كما كان أبوه يتخذها وان كره فارقها وان كان صغيرا حبست عليه حتى يكبر فان شاء أصابها وان شاء فارقها فذلك قول الله تبارك

أن هذه الانصباء انما تدفع الى هؤلاء من بعد وصية يوصى بها أو دين حتى لو استغرق الدين كل مال الميت لم يكن للورثة فيه حق واذا لم يكن أو كان لكنه قضى وفضل بعده شئ فان أوصى الميت وصية أخرجت من ثلث ما فضل ثم قسم الباقى ميراثا على فرائض الله تعالى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه انكم لتقرؤن الوصية قبل الدين وان الرسول صلى الله عليه وسلم قضى

تبارك وتعالى لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنا محمد بن سعد قال ثنى أبى قال ثنى عمى قال ثنى أبى عن أبيه عن ابن عباس فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وذلك أن رجالا من أهل المدينة كان اذا مات حميم أحدهم ألقى ثوبه على امرأته فورث نكاحها فلم ينكحها أحد غيره وحبسها عنده حتى تفتدى منه بفدية فأنزل الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها حدثنى ابن وكيع قال ثنى أبى قال ثنا سفيان عن على بن بذيمة عن مقسم قال كانت المرأة فى الجاهلية اذا مات زوجها فجاء رجل فألقى عليها ثوبه كان أحق الناس بها قال فنزلت هذه الآية لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها فتأويل الآية على هذا التأويل يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا آباءكم وأقاربكم نكاح نسائهم كرها فترك ذكر الآباء والأقارب والنكاح ووجه الكلام الى النهى عن وراثة النساء اكتفاء بمعرفة المخاطبين بمعنى الكلام اذ كان مفهوما معناه عندهم وقال آخرون بل معنى ذلك لا يحل لكم أيها الناس أن ترثوا النساء تركاتهن كرها قال وانما قيل ذلك كذلك لانهم كانوا يعضلون أياماهن وهن كارهات للعضل حتى يمتن فيرثوهن أموالهن

ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال كان الرجل اذا مات وترك جارية ألقى عليها حميمه ثوبه فمنعها من الناس فان كانت جميلة تزوجها وان كانت قبيحة حبسها حتى تموت فيرثها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن الزهرى فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها قال نزلت فى ناس من الانصار كانوا اذا مات الرجل منهم فأملك الناس بامرأته وليه فيمسكها حتى تموت فيرثها فنزلت فيهم * قال أبو جعفر وأولى القولين بتأويل الآية القول الذى ذكرناه عمن قال معناه لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها أقاربكم لان الله جل ثناؤه قد بين مواريث أهل المواريث فذلك لاهله كوراثتهم اياه الموروث ذلك عنه من الرجال أو النساء فقد علم بذلك أنه جل ثناؤه لم يحظر على عباده أن يرثوا النساء ما جعله لهم ميراثا عنهن وانه انما حظر أن يكرهن موروثات بمعنى حظر وراثة نكاحهن اذا كان ميتهم الذى ورثوه قد كان مالكا عليهن أمرهن فى النكاح ملك الرجل منفعة ما استأجر من الدور والارضين وسائر ماله منافع فأبان الله جل ثناؤه لعباده أن الذى يملكه الرجل منهم من بضع زوجته معناه غير معنى ما يملك أحدهم من منافع سائر المملوكات التى تجوز اجارتها فان المالك بضع زوجته اذا هو مات لم يكن ما كان له ملكا من زوجته بالنكاح لورثته بعده كما لهم من الاشياء التى كان يملكها بشراء أو هبة أو اجارة بعد موته بميراثه ذلك عنه وأما قوله تعالى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن فان أهل التأويل اختلفوا فى تأويله فقال بعضهم تأويله ولا تعضلوهن أى ولا تحبسوا يا معشر ورثة من مات من الرجال أزواجهم عن نكاح من أردن نكاحه من الرجال كيما يمتن فتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أى فتأخذوا من أموالهن اذا متن ما كان موتاكم الذين ورثتموهم ساقوا اليهن من صدقاتهن وممن قال ذلك جماعة قد ذكرنا بعضهم منهم ابن عباس والحسن البصرى وعكرمة وقال آخرون بل معنى ذلك

بالدين قبل الوصية والمراد أنه لا عبرة بالتقديم فى الذكر لان كلمة أو لا تفيد الترتيب البتة وانما استفيد الترتيب من السنة عكس الترتيب فى اللفظ وفائدة هذا العكس أن الوصية تشبه الميراث فى كونها مأخوذة من غير عوض فكان أداؤها مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوس الورثة مطمئنة الى أدائه فكان فى تقديمها ترغيب لهم فى أدائها ولهذا جىء بكلمة أو دلالة على التسوية بينهما فى الوجوب ولان كل مال ليس يحصل فيه الامران فجىء بأو الفاصلة ليدل على انه ان كان أحدهما فالميراث بعده وكذلك ان كان كلاهما فالوصية تشبه الدين من جهة أن سهام أهل المواريث معتبرة بعد كل منهما ولكنها تفارق الدين من جهة أنه متى هلك من المال شىء دخل النقصان فى انصباء أصحاب الوصية كما فى الارث بخلاف الدين فانه يبقى بحاله ثم قال آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا قال أبو البقاء أيهم مبتدأ وأقرب خبره والجملة فى موضع نصب بتدرون وهى معلقة عن العمل لفظا لانها من أفعال القلوب وأقول من الجائز أن لا تكون من أفعال القلوب بل تكون بمعنى المعرفة وكان أيهم مفعوله مبنيا لحذف صدر الصلة نحو لننزعن من كل شيعة أيهم أشد قال المفسرون هذا كلام معترض بين ذكر الوارثين وانصبائهم وبين قوله فريضة من الله ومن حق الاعتراض أن يناسب ما اعترض بينه ويؤكده فقيل هذا من تمام الوصية أى لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعنى أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا فى الصورة الا أنه فان فهو فى الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا أنه باق فهو فى الحقيقة الاقرب الادنى وقيل عن ابن عباس ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه فى الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب

ولا تعضلوا أيها الناس نساءكم فتحبسوهن ضرارا ولا حاجة لكم اليهن فتضروا بهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن من صدقاتهن ذكر من قال ذلك حدثنى المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثنى معاوية بن صالح عن على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله ولا تعضلوهن يقول ولا تقهروهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن يعنى الرجل تكون له المرأة وهو كاره لصحبتها ولها عليه مهر فيضر بها لتفتدى حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله ولا تعضلوهن يقول لا يحل لك أن تحبس امرأتك ضرارا حتى تفتدى منك قال أخبرنا معمر قال وأخبرنى سماك بن الفضل عن ابن البيلمانى قال نزلت هاتان الآيتان احداهما فى أمر الجاهلية والاخرى فى أمر الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا سويد بن نصر قال أخبرنا ابن المبارك عن معمر قال أخبرنا سماك بن الفضل عن عبد الرحمن بن البيلمانى فى قوله لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن قال نزلت هاتان الآيتان احداهما فى الجاهلية والاخرى فى الاسلام قال عبد الله لا يحل لكم أن ترثوا النساء فى الجاهلية ولا تعضلوهن فى الاسلام حدثنى المثنى قال ثنا الحمانى قال ثنا شريك عن سالم عن سعيد ولا تعضلوهن قال لا تحبسوهن حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أما تعضلوهن فيقول تضاروهن ليفتدين منكم حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سليمان قال سمعت الضحاك يقول فى قوله ولا تعضلوهن قال العضل أن يكره الرجل امرأته فيضر بها حتى تفتدى منه قال الله تبارك وتعالى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وقال آخرون المعنى بالنهى عن عضل النساء فى هذه الآية أولياؤهن ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن أن ينكحن أزواجهن كالعضل فى سورة البقرة حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله وقال آخرون بل المنهى عن ذلك زوج المرأة بعد فراقه اياها وقالوا ذلك كان من فعل الجاهلية فنهوا عنه فى الاسلام ذكر من قال ذلك حدثنى يونس بن عبد الاعلى قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد كان العضل فى قريش بمكة ينكح الرجل المرأة الشريفة فلعلها لا توافقه فيفارقها على أن لا تتزوج الا باذنه فيأتى بالشهود فيكتب ذلك عليها ويشهد فاذا خطبها خاطب فان أعطته وأرضته أذن لها والا عضلها قال فهذا قول الله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الآية * قال أبو جعفر قد بينا فيما مضى معنى العضل وما أصله بشواهد ذلك من الأدلة وأولى هذه الاقوال التى ذكرناها بالصحة فى تأويل قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قول من قال نهى الله جل ثناؤه زوج المرأة عن التضييق عليها والاضرار بها وهو لصحبتها كاره ولفراقها محب لتفتدى منه ببعض ما آتاها من الصداق وانما قلنا ذلك أولى بالصحة لانه لا سبيل لأحد الى عضل امرأة الا لأحد رجلين اما لزوجها بالتضييق عليها وحبسها على نفسه وهو لها كاره مضارة منه لها بذلك ليأخذ منها ما آتاها بافتدائها منه نفسها بذلك أو لوليها الذى اليه

انكاحها

ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع ابنه اليه فأنتم لا تدرون فى الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا لأن أحدهما لا يعرف أن انتفاعه فى الجنة بهذا أكثر أم بذلك وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة والعقول لا تهتدى الى كمية تلك التقديرات فلو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال فى غير موضعها وقيل المراد كيفية انتفاع بعضهم ببعض فى الدنيا من جهة الانفاق والذب عنه فلا يدرى أن الابن سيحتاج الى أن ينفق الاب عليه أو الاب سيفتقر الى الابن وقيل المقصود جواز أن يموت هذا قبل ذلك فيرثه وبالضد والقول هو الاول فريضة من الله نصبت على انها صفة تقوم مقام المصدر المؤكد أى فرض الله ذلك فرضا ان الله كان عليما بكل المعلومات فيكون عالما بما فى قسمة المواريث من المصالح والمفاسد حكيما لا يأمر الا بما هو الاحسن الاصلح قال الخليل كان ههنا منخلع عن اعتبار الاقتران بالزمان لانه تعالى منزه عن الدخول تحت الزمان ولكنه من الازل الى الابد عليم حكيم وقال سيبويه ان القوم لما شاهدوا علما وحكمة تعجبوا فقيل لهم ان الله كان كذلك أى لم يزل موصوفا بهذه الصفات هذا واعلم أن الوارث اما أن يكون متصلا بالميت بغير واسطة أو بواسطة وعلى الاول فسبب الاتصال اما أن يكون هو النسب أو الزوجية فهذه ثلاثة أقسام الاول قرابة التوالد الفروع والاصول وهو أشرف الاتصالات لعدم الواسطة ولكثرة المخالطة ولغاية الالفة والشفقة ولهذا قدم فى الذكر ويتلوه فى الشرف القسم الثانى لمثل ما قلنا ولهذا أردفه بالقسم الاول وذلك قوله ولكم نصف ما ترك أزواجكم الى قوله توصون بها أو دين ثم بين أحوال القسم الثالث وهو الكلالة فى قوله وان كان رجل يورث كلالة فما أحسن هذا النسق ولما جعل فى الموجب النسبى حظ الرجل مثل حظ الانثيين فكذلك جعل فى الموجب السببى وهو الزوجية حظ الزوج ضعف حظ الزوجة وقد نبه فى الآية على فضل الرجال حيث ذكرهم على سبيل المخاطبة ثمان مرات وذكرهن على الغيبة أقل من ذلك ثم الواحدة والجماعة سواء

في الربع والثمن ولافرق في الولد بين الذكر والانثى ولابين الابن وابن الابن ولابين البنت وبنت الابن ويخرج منه ولد البنت لانه لايرث وههنا
مسئلة قال الشافعي يجوز للزوج غسل زوجته لانها بعد الموت زوجته بدليل قوله تعالى ولكم نصف ماترك أزواجكم وقال أبوحنيفة
لايجوز لانها ليست زوجته ولو كانت زوجته لحل له وطؤها لقوله

الاعلى أزواجهم وأجيب بانه لولم تكن زوجة

انكاحها واذا كان لاسبيل الى عضلها لاحد غيرهما وكان الولي معلوما أنه ليس ممن آتاها شيأ فيقال
ان عضلها عن النكاح عضلها ليذهب ببعض ما آتاها كان معلوما أن الذي عني الله تبارك
وتعالى بنهيه عن عضلها هو زوجها الذي له السبيل الى عضلها ضرارا لتفتدي منه واذا صح ذلك
وكان معلوما أن الله تعالى ذكره لم يجعل لاحد السبيل على زوجته بعد فراقه اياها وبينونتها منه
فيكون له الى عضلها سبيل لتفتدي منه من عضله اياها أتت بفاحشة أم لم تأت بها وكان الله جل
ثناؤه قد أباح للازواج عضلهن اذا أتين بفاحشة مبينة حتى يفتدين منه كان بينا بذلك خطأ
التأويل الذي تأوله ابن زيد وتأويل من قال عني بالنهي عن العضل في هذه الآية أولياء الايامى
وصحة ماقلنا فيه ولاتعضلوهن في موضع نصب عطفا على قوله أن ترثوا النساء كرها ومعناه لايحل
لكم أن ترثوا النساء كرها ولاتعضلوهن وكذلك هي فيما ذكر في حرف ابن مسعود ولو قيل هو في
موضع جزم على وجه النهي لم يكن خطأ ﴿ القول في تأويل قوله ﴿الا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾
يعني بذلك جل ثناؤه لايحل لكم أيها المؤمنون أن تعضلوا نساءكم ضرارا منكم لهن وأنتم لصحبتهن
كارهون وهن لكم طائعات لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتهن الا أن يأتين بفاحشة
مبينة فيحل لكم حينئذ الضرار بهن ليفتدين منكم ثم اختلف أهل التأويل في معنى الفاحشة
التي ذكرها الله جل ثناؤه في هذا الموضع فقال بعضهم معناها الزنا وقال اذا زنت امرأة الرجل
حل له عضلها والضرار بها لتفتدي منه بما آتاها من صداقها ذكر من قال ذلك حدثنا أبو كريب
قال ثنا ابن ادريس قال أخبرنا أشعث عن الحسن في البكر تفجر قال تضرب مائة وتنفى سنة
وترد الى زوجها ما أخذت منه وتأول هذه الآية ولاتعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن
الا أن يأتين بفاحشة مبينة حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن
عطاء الخراساني في الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ ماساق اليها وأخرجها فنسخ ذلك
الحدود حدثنا أحمد بن منيع قال ثنا عبد الله بن المبارك قال أخبرنا معمر عن أيوب عن أبي
قلابة قال اذا رأى الرجل من امرأته فاحشة فلا بأس أن يضارها ويشق عليها حتى تختلع منه
حدثنا ابن حميد قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرني معمر عن أيوب عن أبي قلابة في الرجل يطلع
من امرأته على فاحشة فذكر نحوه حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا
أسباط عن السدي الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو الزنا فاذا فعلن ذلك فخذوا مهورهن حدثنا
القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال أخبرني عبد الكريم انه سمع الحسن
البصري الا أن يأتين بفاحشة قال الزنا قال وسمعت الحسن وأبا الشعثاء يقولان فان فعلت
حل لزوجها أن يكون هو يسألها الخلع لتفتدي وقال آخرون الفاحشة المبينة في هذا الموضع
النشوز ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح
عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس الا أن يأتين بفاحشة مبينة وهو البغض والنشوز فاذا فعلت

له لكان قوله ماترك أزواجكم مجازا ولو كانت زوجة مع أنه لايحل له وطؤها لزم التخصيص واذا تعارض المجاز والتخصيص فالتخصيص أولى كما بين في أصول الفقه وكيف لا وقد علم في صور كثيرة حصول الزوجية مع حرمة الوطء كزمان الحيض والنفاس ونهار رمضان وعند اشتغالها بالصلاة المفروضة والحج المفروض وعند كونها في العدة عن الوطء بالشبهة وأيضا حل الوطء ثابت على خلاف الاصل لما فيه من المصالح وعند الموت لم يبق شئ من تلك المصالح فعاد الى أصل الحرمة أما حل الغسل ففيه مصالح فوجب القول ببقائه واختلفوا في تفسير الكلالة فعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه سئل عن الكلالة فقال أقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني ومن الشيطان والله برىء منه الكلالة ماخلا الوالد والولد وعن عمر رضي الله عنه الكلالة من لاولد له فقط وعنه في رواية أخرى التوقف وكان يقول ثلاثة لأن يكون بينهن الرسول صلى الله عليه وسلم لنا أحب الي من الدنيا ومافيها الكلالة والخلافة والربا وقيل الكلالة القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ماورث المجد عن كلالة كما تقول ماصمت عن عي قال الفرزدق

ورثتم قناة الملك لاعن كلالة * عن ابني مناف عبد شمس وهاشم

والمختار الصحيح من الاقوال قول أبي بكر لان الكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى

فآليت لاأرثي لها من كلالة * ولا من وجى حتى تلاقي محمدا

فاستعيرت القرابة من غير جهة الوالد والولد لانها بالاضافة الى قرابة الاصول والفروع كلالة ضعيفة ويحتمل أن يقال هي من الا كليل لانهم يحيطون بالانسان احاطة الا كليل بالرأس بخلاف قرابة الولادة فانها تذهب على الاستقامة كما قال

نسب تتابع كابرا عن كابر * كالرمح أنبوبا على أنبوب

وأيضا فانه تعالى قال في آخر السورة قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد فاحتج عمر بذلك والجواب أنه تعالى حكم في تلك الآية بتوريث الاخوة والاخوات حال كون الميت كلالة ولا شك أن الاخوة والاخوات لا يرثون حال وجود الابوين فيلزم أن لا يكون الميت كلالة حال وجود الابوين وأيضا انه تعالى ذكر حكم الولد والوالدين في الآيات المتقدمة ثم أتبعها ذكر الكلالة وهذا الترتيب يقتضي أن يكون الكلالة من عدا الوالدين والولد ثم الكلالة قد يجعل وصفا للمورث والمراد الذي يرثه من سوى الوالدين والاولاد ويمكن أن يحمل عليه بيت الفرزدق أي ماورثتم الملك عن الاعمام بل عن الآباء فسمى العم كلالة وهو ههنا مورث لا وارث وقد يجعل وصفا للوارث ومنه قول جابر مرضت مرضا أشفيت منه على الموت فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله اني رجل لا يرثني الا كلالة وأراد به أنه ليس له والد ولا ولد ويقال رجل كلالة وامرأة كلالة وقوم كلالة لا يثنى ولا يجمع لانه مصدر كالدلالة والحلالة واذا جعلت صفة للوارث أو المورث كانت بمعنى ذي كلالة كما يقال فلان من قرابتي أي من ذوي قرابتي ويجوز أن يكون صفة كالهجاجة والفقاقة يقال رجل هجاجة وفقاقة كلاهما بالتخفيف أي أحمق وقوله تعالى

ذلك فقد حل له منها الفدية حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن علي بن بذيمة عن مقسم في قوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يفحشن في قراءة ابن مسعود قال اذا عضلت وآذتك فقد حل لك أخذ ما أخذت منك حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف ابن طريف عن خالد عن الضحاك بن مزاحم الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال الفاحشة ههنا النشوز فاذا نشزت حل له أن يأخذ خلعها منها حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال هو النشوز حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قال عطاء بن أبي رباح الا أن يأتين بفاحشة مبينة فان فعلن ان شئتم امسكتموهن وان شئتم أرسلتموهن حدثت عن الحسين بن الفرج قال سمعت أبا معاذ يقول أخبرنا عبيد بن سلمان قال سمعت الضحاك بن مزاحم يقول في قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة قال عدل ربنا تبارك وتعالى في القضاء فرجع الى النساء فقال الا أن يأتين بفاحشة مبينة والفاحشة العصيان والنشوز فاذا كان ذلك من قبلها فان الله أمره أن يضربها وأمره بالهجر فان لم تدع العصيان والنشوز فلا جناح عليه بعد ذلك أن يأخذ منها الفدية * قال أبو جعفر وأولى ماقيل في تأويل قوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة أنه معني به كل فاحشة من بذاءة باللسان على زوجها وأذى له وزنا بفرجها وذلك أن الله جل ثناؤه عم بقوله الا أن يأتين بفاحشة مبينة كل فاحشة مبينة ظاهرة فلكل زوج امرأة أتت بفاحشة من الفواحش التي هي زنا أو نشوز فله عضلها على مابين الله في كتابه والتضييق عليها حتى تفتدي منه بأي معاني فواحش أتت بعد أن تكون ظاهرة مبينة بظاهر كتاب الله تبارك وتعالى وصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي حدثني يونس بن سليمان البصري قال ثنا حاتم بن اسمعيل قال ثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتقوا الله في النساء فانكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله وان لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه فان فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف حدثنا موسى بن عبد الرحمن المسروقي قال ثنا زيد بن الحباب قال ثنا موسى بن عبيدة الربذي قال ثنا صدقة بن يسار عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أيها الناس ان النساء عندكم عوان أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ولكم عليهن حق ولهن عليكم حق ومن حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا ولا يعصينكم في معروف واذا فعلن ذلك فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف فأخبر صلى الله عليه وسلم أن من حق الزوج على المرأة أن لا توطئ فراشه أحدا وأن لا تعصيه في معروف وأن الذي يجب لها من الرزق والكسوة عليه انما هو واجب عليه اذا أدت هي اليه ما يجب عليها من الحق بتركها ايطاء فراشه غيره وتركها معصيته في معروف ومعلوم أن معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم من حقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا انما هو أن لا يمكن أنفسهن من أحد سواكم واذا كان ما روينا في ذلك صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فبين أن لزوج المرأة

وان كان رجل يورث فيه احتمالان الاول وهو قول عطاء والضحاك أن يكون مأخوذا من ورث لرجل أرث فيكون الرجل هو الموروث منه وينتصب كلالة على الحال أو على أنه خبر كان ويورث صفة رجل ويجوز أن يكون مفعولا له أي يورث لاجل كونه كلالة والثاني وهو قول سعيد بن جبير أن يكون مبنيا للمفعول من أورث فالرجل حينئذ هو الوارث وينتصب كلالة

المرأة اذا أوطأت امرأته نفسها غيره وأمكنت من جماعها سواه أن له من منعها الكسوة والرزق بالمعروف مثل الذى له من منعها ذلك اذا هى عصته فى المعروف واذا كان ذلك له فمعلوم أنه غير مانع لها بمنعه اياها ماله منعها حقا لها واجبا عليه واذا كان ذلك كذلك فبين انها اذا افتدت نفسها عند ذلك من زوجها فأخذ منها زوجها ما أعطته أنه لم يأخذ ذلك عن عضل منهى عنه بل هو أخذ ما أخذ منها عن عضل له مباح واذ كان ذلك كذلك كان بينا أنه داخل فى استثناء الله تبارك وتعالى الذى استثناه من العاضلين بقوله ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا أن يأتين بفاحشة مبينة واذ صح ذلك فبين فساد قول من قال الا أن يأتين بفاحشة مبينة منسوخ بالحدود لان الحد حق الله تعالى على من أتى بالفاحشة التى هى زنا وأما العضل لتفتدى المرأة من الزوج بما آتاها أو ببعضه فحق لزوجها كما عضله اياها وتضييقه عليها اذا هى نشزت عليه لتفتدى منه حق له وليس حكم أحدهما يبطل حكم الآخر فمعنى الآية ولا يحل لكم أيها الذين آمنوا أن تعضلوا نساءكم فتضيقوا عليهن وتمنعوهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صدقاتكم الا أن يأتين بفاحشة من زنا أو بذاء عليكم وخلاف لكم فيما يجب عليهن لكم مبينة ظاهرة فيحل لكم حينئذ عضلهن والتضييق عليهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من صداق ان هن افتدين منكم به واختلفت القراء فى قراءة قوله مبينة فقرأه بعضهم مبينة بفتح الياء بمعنى انها قد بينت لكم وأعلنت وأظهرت وقرأه بعضهم مبينة بكسر الياء بمعنى انها ظاهرة بينة للناس انها فاحشة وهما قراءتان مستفيضتان فى قراءة أمصار الاسلام فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب فى قراءته الصواب لان الفاحشة اذا أظهرها صاحبها فهى ظاهرة بينة واذا ظهرت فباظهار صاحبها اياها ظهرت فلا تكون ظاهرة بينة الا وهى مبينة ولا مبينة الا وهى مبينة فلذلك رأيت القراءة بأيهما قرأ القارئ صوابا

القول فى تأويل قوله ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾ يعنى جل ثناؤه بقوله وعاشروهن بالمعروف وخالقوا أيها الرجال نساءكم وصاحبوهن بالمعروف يعنى بما أمرتكم به من المصاحبة وذلك امساكهن باداء حقوقهن التى فرض الله جل ثناؤه لهن عليكم اليهن أو تسريح منكم لهن باحسان كما حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى وعاشروهن بالمعروف يقول وخالطوهن كذا قال محمد بن الحسين وانما هو خالقوهن من العشرة وهى المصاحبة

القول فى تأويل قوله ﴿فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ و يجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾ يعنى بذلك تعالى ذكره لا تعضلوا نساءكم لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن من غير ريبة ولا نشوز كان منهن ولكن عاشروهن بالمعروف وان كرهتموهن فلعلكم ان تكرهوهن فتمسكوهن فيجعل الله لكم فى امساككم اياهن على كره منكم لهن خيرا كثيرا من ولد يرزقكم منهن أو عطفكم عليهن بعد كراهتكم اياهن كما حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد فى قوله فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا يقول فعسى الله أن يجعل فى الكراهة خيرا كثيرا حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح

على الوجوه المذكورة قيل ما السبب فى انه قال وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة ثم قال وله أخ فكنى عن الرجل ولم يكن عن المرأة والجواب انه اذا جاء حرفان فى معنى واحد جاز اسناد التفسير الى أيهما أريد وجاز اسناده اليهما أيضا تقول من كان له أخ أو أخت فليصله أو فليصلها والترجيح بالتذكير للشرف معارض بالتأنيث للقرب وان قلت فليصلهما جاز أيضا ولعل التوحيد والتذكير فى الآية أولى اما الأن الرجال فى الاحكام أصل والنساء تبع لهم واما بتأويل أحد المذكورين ثم ان المفسرين أجمعوا على أن المراد من الاخ والاخت ههنا الاخ والاخت من الام ويدل عليه ما نسب الى أبى وسعد بن أبى وقاص وله أخ أو أخت من أم فلكل واحد منهما أى من الاخ والاخت السدس من غير مفاضلة الذكر على الانثى هذا على الاحتمال الاول وهو أن الرجل مورث منه وأما على الاحتمال الثانى وهو أن الرجل وارث فالضمير عائد الى الرجل والى واحد من أخيه أو أخته والمعنى مثل الاول لانك اذا قلت السدس له أو لواحد من الاخ أو الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى ثم قال فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث فبين أن نصيبهم كيفما كانوا لا يزداد على الثلث وقد يسند الاجماع الى هذا بيانه أنه قال فى آخر السورة قل الله يفتيكم فى الكلالة وأثبت للاختين الثلثين وللاخوة كل المال وههنا أثبت للاخوة والاخوات السدس عند الانفراد والثلث عند الاجتماع فعلم أن المراد من الاخوة والاخوات ههنا غير المراد من الاخوة والاخوات فى تلك الآية فالمراد ههنا الاخوة والاخوات من الام وهم الاخياف وهنالك الاخوة والاخوات من الاب والام وهم الاعيان أو من الاب وهم أولاد العلات فالكلالة وان كانت عامة لمن عدا الوالد والولد الا أنها فى الآية خاصة كما بينا غير مضار حال أى يوصى بها وهو غير مضار لورثته ومن قرأ يوصى مبنيا للمفعول فعامل الحال محذوف يدل عليه المذكور أى يوصى اذ علم أن ثمة موصيا والضمير فيه وهذه الحال يعود الى رجل على تقدير أنه المورث أو الى الميت الدال عليه سياق الكلام أى ان كان الرجل وارثا وضرار الورثة

بأن يوصي بأزيد من الثلث أو بالثلث فما دونه ونيته مضارة الورثة ومغاضبتهم وقطع الميراث عنهم لا وجه الله وقد يقر بأن الدين الذي كان له على غيره قد استوفاه أو يبيع شيأ بثمن بخس أو يشتري شيأ بثمن غال كل ذلك لئلا يصل المال الى الورثة قال العلماء الاولى بالانسان أن ينظر في قدر ما يخلف ومن يخلف ثم يجعل وصيته بحسب ذلك فان

كان في المال قلة وفي الورثة كثرة لم يوص وان كان بالعكس أوصى على قانون العدالة وقد روي عن عكرمة عن ابن عباس أن الاضرار في الوصية من الكبائر ويروى مرفوعا وعن شهر بن حوشب عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة فاذا أوصى وحاف في وصيته ختم له بشر عمله فيدخل النار وان الرجل ليعمل بعمل أهل النار سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة وعنه من قطع ميراثا فرضه الله قطع الله ميراثه من الجنة وصية من الله نصب على المصدر المؤكد أو على انه مفعول مضار أي لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث أو وصية من الله بالأولاد أن لا يدعهم عالة باسرافه في الوصية والله عليم بمن جار في وصيته أو عدل حليم عن الجائر لا يعاجله بالعقوبة وفيه من الوعيد ما لا يخفى ثم أكد الوعد بالترغيب والترهيب فقال تلك حدود الله وهو اشارة الى جميع ما ذكر في السورة من أحكام اليتامى والوصايا والمواريث وغيرها وهي الشرائع التي لا يجوز للمكلف أن يتجاوزها ويتخطاها الى ما ليس له بحق وقوله ومن يطع الله ومن يعص الله عام في هذه التكاليف وفي غيرها كما أن الوالد يقبل على ولده ويؤدبه في أمر مخصوص ثم يقول احذر مخالفتي ويكون مقصوده منعه من معصيته في جميع الامور وانما قيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين وخالدا على الحال ولا يجوز أن يكونا صفتين لجنات ونار الا نهما جريا على غير من هما له فكان يلزم حينئذ أن يقال خالدين هم فيها وخالدا هو فيها قالت المعتزلة الآية تدل على القطع بوعيد الفساق وخلودهم وذلك أن التعدي في جميع حدود الله محال لان من حدوده

عن مجاهد مثله حدثني محمد بن الحسين قال ثني أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدي في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا قال الولد حدثني محمد بن سعد قال ثني أبي قال ثني عمي قال ثني أبي عن أبيه عن ابن عباس ويجعل الله فيه خيرا كثيرا والخير الكثير أن يعطف عليها فيرزق الرجل ولدها ويجعل الله في ولدها خيرا كثيرا والهاء في قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا على قول مجاهد الذي ذكرناه كناية عن مصدر تكرهوا كأن معنى الكلام عنده فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ولو كان تأويل الكلام فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله في ذلك الشيء الذي تكرهونه خيرا كثيرا كان جائزا صحيحا القول في تأويل قوله (وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) يعني جل ثناؤه بقوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وان أردتم أيها المؤمنون نكاح امرأة مكان امرأة لكم تطلقونها وآتيتم احداهن يقول وقد أعطيتم التي تريدون طلاقها من المهر قنطارا والقنطار المال الكثير وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف أهل التأويل في مبلغه والصواب من القول في ذلك عندنا فلا تأخذوا منه شيئا يقول فلا تضروا بهن اذا أردتم طلاقهن ليفتدين منكم بما آتيتموهن كما حدثني محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج طلاق امرأة مكان أخرى فلا يحل له من مال المطلقة شيء وان كثر حدثني المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبي نجيح عن مجاهد مثله ۞ القول في تأويل قوله (أتأخذونه بهتانا واثما مبينا) يعني بقوله تعالى ذكره أتأخذونه أتأخذون ما آتيتموهن من مهورهن بهتانا يقول ظلما بغير حق واثما مبينا يعني واثما قد أبان أمر آخذه أنه بأخذه اياه لمن أخذه منه ظالم ۞ القول في تأويل قوله (وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض) يعني جل ثناؤه بقوله وكيف تأخذونه وعلى أي وجه تأخذون من نسائكم ما آتيتموهن من صدقاتهن اذا أردتم طلاقهن واستبدال غيرهن بهن أزواجا وقد أفضى بعضكم الى بعض فتباشرتم وتلامستم وهذا كلام وان كان مخرجه مخرج الاستفهام فانه في معنى النكير والتغليظ كما يقول الرجل لآخر كيف تفعل كذا وكذا وأنا غير راض به على معنى التهديد والوعيد وأما الافضاء الى الشيء فانه الوصول اليه بالمباشرة له كما قال الشاعر

بلى (١) أفضى الى كتبة * بدا سيرها من باطن بعد ظاهر

يعني بذلك أن الفساد والبلى وصل الى الخرز والذي عني به الافضاء في هذا الموضع الجماع في الفرج فتأويل الكلام اذ كان ذلك معناه وكيف تأخذون ما آتيتموهن وقد أفضى بعضكم الى بعض بالجماع وبنحو ما قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ذكر من قال ذلك حدثني عبد الحميد ابن بيان القناد قال ثنا اسحق عن سفيان عن عاصم عن بكر بن عبد الله عن ابن عباس قال الافضاء المباشرة ولكن الله كريم يكني عما يشاء حدثنا محمد بن بشار قال ثنا أبو عاصم قال ثنا

سفيان

(١) كذا بياض في النسخ ولم نعثر على البيت بعد البحث فحرر كتبه مصححه

سفيان عن عاصم عن بكر عن ابن عباس قال الافضاء الجماع ولكن الله يكنى حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن عاصم عن بكر بن عبد الله المزنى عن ابن عباس قال الافضاء هو الجماع حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم قال ثنا عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وقد أفضى بعضكم الى بعض قال مجامعة النساء حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن المفضل قال ثنا أسباط عن السدى وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض يعنى المجامعة ۞ القول فى تأويل قوله ﴿وأخذن منكم ميثاقا غليظا﴾ أى ما وثقت به لهن على أنفسكم من عهد واقرار منكم بما أقررتم به على أنفسكم من امساكهن بمعروف أو تسريحهن باحسان وكان فى عقد المسلمين النكاح قديما فيما بلغنا أن يقال للناكح آلله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان حدثنا بشر بن معاذ قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ الذى أخذه للنساء على الرجال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقد كان فى عهد المسلمين عند انكاحهم آلله عليك لتمسكن بمعروف أو لتسرحن باحسان واختلف أهل التأويل فى الميثاق الذى عنى الله جل ثناؤه بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا فقال بعضهم هو امساك بمعروف أو تسريح باحسان ذكر من قال ذلك حدثنى يعقوب بن ابراهيم قال ثنا هشيم قال أخبرنا جويبر عن الضحاك فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان حدثنى المثنى قال ثنا عمرو بن عون قال ثنا هشيم عن جويبر عن الضحاك مثله حدثنا الحسن بن يحيى قال أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن قتادة فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو ما أخذ الله تبارك وتعالى للنساء على الرجال فامساك بمعروف أو تسريح باحسان قال وقد كان ذلك يؤخذ عند عقد النكاح حدثنا محمد بن الحسين قال ثنا أحمد بن مفضل قال ثنا أسباط عن السدى أما وأخذن منكم ميثاقا غليظا فهو أن ينكح المرأة فيقول وليها أنكحناكها بأمانة الله على أن تمسكها بالمعروف أو تسرحها باحسان حدثنا عمرو ابن على قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق الغليظ الذى أخذه الله للنساء امساك بمعروف أو تسريح باحسان وكان فى عقدة المسلمين عند نكاحهن ايم الله عليك لتمسكن بمعروف ولتسرحن باحسان حدثنا عمرو بن على قال ثنا أبو قتيبة قال ثنا أبو بكر الهذلى عن الحسن ومحمد بن سيرين فى قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال امساك بمعروف أو تسريح باحسان وقال آخرون هو كلمة النكاح التى استحل بها الفرج ذكر من قال ذلك حدثنى محمد بن عمرو قال ثنا أبو عاصم عن عيسى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح التى استحل بها فروجهن حدثنى المثنى قال ثنا أبو حذيفة قال ثنا شبل عن ابن أبى نجيح عن مجاهد مثله حدثنا محمد بن بشار

ترك اليهوديه والنصرانيه والمجوسيه والتعدى فيها هو الاتيان بجميعها وذلك محال فان المراد تعدى أى حد كان ولان الآية مذكورة عقيب قسمة المواريث فيكون المراد التعدى فى هذه الحدود وأجيب بعام من أن ذلك مشروط عندكم بعدم التوبة فأى مانع لنا من أن نزيد فيه شرطا آخر وهو عدم العفو وبأن الآية لعلها مخصوصة بالكافر لأن جميع المعاصى يصح استثناؤها من هذا اللفظ أى ومن يعص الله فى كذا وفى كذا وذلك لا يتحقق الا فى حق الكافر نعم يخرج منه ما يخصصه دليل عقلى كما ذكرتم من استحالة الجمع بين اليهودية والنصرانية ومما يؤكد كون الآية مخصوصة بالكافر أن قوله ومن يعص الله ورسوله يفيد كونه فاعلا للمعاصى فلو كان المراد من قوله ويتعد حدوده أيضا ذلك لزم التكرار فوجب حمله على الكفر وان سلم أن المراد هو التعدى فى حدود المواريث فلعل المراد من التعدى هو اعتقاد كونها الا على وجه الحكمة والصواب ويلزم منه الكفر والله أعلم بمراده قوله عز وجل واللاتى يأتين الفاحشة الآية وجه النظم فيه أن التغليظ عليهن فى باب الفاحشة من جملة الاحسان اليهن المأمور به فى الآيات المتقدمة وفيه أن مدار الشرع على العدل والانصاف والاحتراز فى كل باب من طرفى التفريط والافراط فلا ينبغى أن يصير الاحسان اليهن سببا لترك اقامة الحدود عليهن واللاتى جمع التى وفيه لغات اللائى بالهمزة واللواتى واللوائى فكأنهما جمعا الجمع وقد تحذف الياآت من الاربعة وقد تسهل همزة اللائى بين الهمزة والياء لكونها مكسورة لقراءة ورش واللاء يئسن من المحيض وقد يقال اللاى بياء ساكنة بعد الالف من غير همز وقد يقال اللوا بحذف التاء والياء معا وقد يقال اللاآت كاللامات قال ابن الانبارى العرب تقول فى الجمع من غير الحيوان التى ومن الحيوان اللاتى كقوله أموالكم التى جعل الله لكم قياما وقال فى هذه الآية واللاتى لان الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشئ الواحد بخلاف جمع الحيوان فان كل واحد منهما متميز عن غيره بخواص وصفات ومن العرب من يلغى هذا الفرق والفاحشة

الفعلة المتزايدة في القبح مصدر كالعافية وأجمعوا على أنها الزنا ههنا قال المحققون خص هذا العمل بالفاحشة لان القوى البدنية نطقية *
وغضبية وشهوية وفساد الاولى الكفر والبدعة وأمثالها وفساد الثانية القتل بغير حق ونحوه وفساد الثالثة الزنا واللواط والسحق وما أشبهها
وهذه أخص الجميع ومعنى من نسائكم من زوجاتكم أو من الحرائر أو من نسائكم المؤمنات والثيبات أقوال

فاستشهدوا عليهن أربعة منكم
احتياطا لأمر الزنا والمراد بقوله منكم
أي من رجالكم قال الزهري مضت
السنة من رسول الله صلى الله عليه
وسلم والخليفتين بعده أن لا تقبل
شهادة النساء في الحدود فان شهدوا
مفصلا مفسرا كقولهم رأيناه
أدخل فرجه في فرجها كالمرود
في المكحلة أو كالرشاء في البئر ولا بد
مع ذلك من الوصف بالتحريم لا بمعنى
عرضي كالحيض ولا مع تحليل عالم
كالمتعة ولا بشبهة فامسكوهن في
البيوت خلدوهن محبوسات في
بيوتكم حتى يتوفاهن الموت أي
ملائكة الموت أو حتى يأخذهن
الموت ويستوفي أرواحهن أو يجعل
الله لهن سبيلا بالنكاح أو بالحد
واللذان يأتيانها منكم يعني الزاني
والزانية أو اللائط والملوط فآذوهما
فوبخوهما وقولوا لهما أما استحيتما
أما خفتما الله أما لكما في النكاح
مندوحة عن هذه فان تابا وأصلحا
وغيرا الحال فاعرضوا عنهما فاقطعوا
التوبيخ والذم أو خوطب الشهود
الذين عثروا على سرهما أن يهددوهما
بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل
الرفع الى الامام فاعرضوا عن العرض
على الامام * واعلم أن للعلماء
خلافا في الآيتين فعن الحسن أن
الثانية مقدمة في النزول أمروا
بايذاء الزانيين أولا ثم أمروا بامساك
النساء في البيوت الى أن يتبين
أحوالهن وقال السدي المراد بهذه الآية البكر من الرجال والنساء وبالآية الاولى الثيب
وعن أبي مسلم أن الآية الاولى في السحاقات وحدها الحبس الى الموت الا أن يخلصهن الله والثانية في اللائطين وحدهما الاذى بالقول
والفعل والدليل على ذلك تذكير اللذان ولفظ منكم أي من رجالكم كما في قوله أربعة منكم وأما الزنا من الرجل والمرأة فذلك في سورة

قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان عن أبي هاشم المكي عن مجاهد في قوله وأخذن منكم
ميثاقا غليظا قال قوله نكحت حدثنا ابن حميد قال ثنا حكام قال ثنا عنبسة عن محمد بن كعب
القرظي وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال هو قولهم قد ملكت النكاح حدثني المثنى قال ثنا
أبو نعيم قال ثنا سفيان عن سالم الافطس عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح
حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال الميثاق
النكاح حدثنا عمرو بن علي قال ثنا يحيى بن سعيد قال ثنا سفيان قال ثني سالم الافطس
عن مجاهد وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال كلمة النكاح قوله نكحت وقال آخرون بل عنى قول
النبي صلى الله عليه وسلم أخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ذكر من قال ذلك حدثنا
ابن وكيع قال ثنا أبي عن اسرائيل عن جابر وعكرمة وأخذن منكم ميثاقا غليظا قالا أخذتموهن
بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله حدثني المثنى قال ثنا اسحق قال ثنا ابن أبي جعفر
عن أبيه عن الربيع وأخذن منكم ميثاقا غليظا والميثاق الغليظ أخذتموهن بامانة الله واستحللتم
فروجهن بكلمة الله * قال أبو جعفر وأولى هذه الاقوال بتأويل ذلك قول من قال الميثاق الذي عنى
به في هذه الآية هو ما أخذ للمرأة على زوجها عند عقدة النكاح من عهد على امساكها بمعروف
أو تسريحها باحسان فأقر به الرجل لان الله جل ثناؤه بذلك أوصى الرجال في نسائهم وقد بينا معنى
الميثاق فيما مضى قبل بما أغنى عن اعادته في هذا الموضع واختلف في حكم هذه الآية أمحكم أم
منسوخ فقال بعضهم محكم وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها الا أن تكون هي
المريدة الطلاق وقال آخرون هي محكمة وغير جائز له أخذ شئ مما آتاها منها بحال كانت هي المريدة
للطلاق أو هو وممن حكى عنه هذا القول بكر بن عبد الله المزني حدثنا مجاهد بن موسى قال ثنا
عبد الصمد قال ثنا عقبة بن أبي المهنا قال سألت بكرا عن المختلعة أيأخذ منها شيئا قال
لا وأخذن منكم ميثاقا غليظا وقال آخرون بل هي منسوخة نسخها قوله ولا يحل لكم أن تأخذوا
مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال
أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج الى قوله وأخذن
منكم ميثاقا غليظا قال ثم رخص بعد فقال ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن
يخافا ألا يقيما حدود الله فان خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به قال
فنسخت هذه تلك * قال أبو جعفر وأولى الاقوال بالصواب في ذلك قول من قال انها محكمة غير
منسوخة وغير جائز للرجل أخذ شئ مما آتاها اذا أراد طلاقها من غير نشوز كان منها ولا
ريبة أتت بها وذلك ان الناسخ من الاحكام ما نفى خلافه من الاحكام على ما قد بينا في سائر
كتبنا وليس في قوله وان أردتم استبدال زوج مكان زوج نفي حكم قوله فان خفتم ألا يقيما
حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به لان الذي حرم الله على الرجل بقوله وان أردتم
استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أخذ ما آتاها منها اذا كان هو

المريد

النور وحده في البكر الجلد وفي المحصن الرجم وعلى هذا لا يلزم نسخ شيء من الآيات ولا تكرار الشيء الواحد في الموضع الواحد مرتين وزيف قول أبي مسلم بانه قول لم يقل به أحد وبأن الصحابة اختلفوا في أحكام اللواطة ولم يتمسك أحد منهم بهذه الآية وعدم تمسكهم بها مع شدة احتياجهم الى نص يدل على هذا الحكم دليل على أن الآية ليست في اللواطة وأجاب أبو مسلم بأنه قول مجاهد وهو من أكابر المفسرين على أنه بين في الاصول ان استنباط تأويل جديد جائز وأيضا كان مطلوب الصحابة معرفة حد اللوطي وكمية ذلك وليس في الآية دلالة عليه بالنفي والاثبات ومطلق الايذاء لا يصلح للحد وجمهور المفسرين على أن الآيتين في الزنا وانهما منسوختان لما روى مسلم في كتابه عن عبادة بن الصامت كان نبي الله صلى الله عليه وسلم اذا أنزل عليه كرب لذلك وتربد له وجهه فأنزل عليه ذات يوم فلقي كذلك فلما سري عنه قال خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم ثم استقر الامر آخرا على أن البكر يجلد ويغرب والثيب يرجم فقط وقيل ان هذه الآية صارت منسوخة بآية الجلد

وعن أصحاب أبي حنيفة ان آية الحبس نسخت بالحديث والحديث منسوخ بآية الجلد وآية الجلد نسخت بدلائل الرجم وقال في الكشاف من الجائز أن لا تكون الآية منسوخة بأن يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد أن يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال وقال الشيخ أبو سليمان الخطابي في معالم السنن انه لم يحصل النسخ في الآية ولا في الحديث وذلك ان الآية تدل على ان امساكهن في البيوت ممدود الى غاية أن يجعل الله لهن سبيلا ثم ان ذلك السبيل كان مجملا فلما قال صلى الله عليه وسلم خذوا عني الثيب يرجم والبكر يجلد وينفى صار هذا الحديث بيانا لتلك الآية لا ناسخا لها وصار أيضا مخصصا لعموم آية الجلد والله تعالى عليم ثم أخبر عن المستحقين لقبول التوبة وعن المستحقين لعدم القبول فقال إنما التوبة على الله واجبة وجوب الوعد والكرم لا وجوبا يستحق بتركه الذم للذين يعملون السوء بجهالة قال أكثر المفسرين كل من عصى الله فهو جاهل وفعله جهالة ولهذا قال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين لانه حيث لم يستعمل ما معه من العلم بالعقاب والثواب فكأنه لا علم له وبهذا التفسير تكون المعصية مع العلم بأنها معصية جهالة وقيل المراد أنه جاهل بعقاب المعصية وقيل المراد أن يكون جاهلا بكونها معصية لكنه يكون متمكنا من تحصيل العلم بكونها معصية ولهذا أجمعنا على أن اليهودي يستحق على يهوديته العقاب وان كان لا يعلم كون اليهودية معصية لانه متمكن من تحصيل العلم بكون اليهودية ذنبا ومعصية وأن النائم أو الساهي لا يستحق العقاب لانه أتى بالقبيح غير متمكن من العلم بكونه قبيحا أما المتعمد فانه لا يكون داخلا تحت الآية وانما يعرف حاله بطريق القياس وانه لما كانت التوبة على هذا الجاهل واجبة فلأن تكون واجبة على العامد أولى لانه عالم بقبح تلك المعصية أما قوله ثم يتوبون من قريب فقد أجمعوا على أن المراد من هذا القرب قبل حضور زمان

المريد طلاقها وأما الذي أباح له أخذه منها بقوله فلا جناح عليهما فيما افتدت به فهو اذا كانت هي المريدة طلاقه وهو له كاره ببعض المعاني التي قد ذكرنا في غير هذا الموضع وليس في حكم احدى الآيتين نفي حكم الأخرى واذا كان ذلك كذلك لم يجز أن يحكم لاحداهما بأنها ناسخة وللأخرى بأنها منسوخة الا بحجة يجب التسليم لها وأما ما قاله بكر بن عبد الله المزني من انه ليس لزوج المختلعة أخذ ما أعطته على فراقها اياها اذا كانت هي الطالبة الفرقة وهو لها كاره فليس بصواب لصحة الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بانه أمر ثابت بن قيس بن شماس بأخذ ما كان ساق الى زوجته وفراقها اذ طلبت فراقه وكان النشوز من قبلها * القول في تأويل قوله تعالى ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا﴾ قد ذكر أن هذه الآية نزلت في قوم كانوا يخلفون على حلائل آبائهم فجاء الاسلام وهم على ذلك فحرم الله تبارك وتعالى عليهم المقام عليهن وعفا لهم عما كان سلف منهم في جاهليتهم وشركهم من فعل ذلك لم يؤاخذهم به ان هم اتقوا الله في اسلامهم وأطاعوه فيه ذكر الأخبار التي رويت في ذلك حدثنا محمد بن عبد الله المخرمي قال ثنا قراد قال ثنا ابن عيينة وعمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم الا امرأة الاب والجمع بين الاختين قال فأنزل الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف وأن تجمعوا بين الاختين حدثنا محمد بن بشار قال ثنا عبد الاعلى قال ثنا سعيد عن قتادة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية قال كان أهل الجاهلية يحرمون ما حرم الله الا أن الرجل كان يخلف على حليلة أبيه ويجمعون بين الأختين فمن ثم قال الله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج عن عكرمة في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف قال نزلت في أبي قيس بن الاسلت خلف على أم عبيد بنت ضمرة كانت تحت الاسلت أبيه وفي الاسود بن خلف وكان خلف على بنت أبي طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار وكانت

الموت ونزول سلطانه ومعاينة أهواله وانما كان ذلك الزمان قريبا لان الاجل آت وكل ماهو آت قريب ولان مدة عمر الانسان وان طالت اذا قيست الى طرفي الازل والابد كانت كالعدم ولان الانسان يتوقع في كل لحظة نزول الموت به وما هذا حاله فانه يوصف بالقرب ومن في من قريب إما للابتداء الغاية أي يجعل مبتدأ توبته من زمان قريب من المعصية أو للتبعيض أي يتوبون بعض زمان قريب كأنه سمي ما بين وجود المعصية وبين حضرة الموت زمانا قريبا لما قلنا ففي أي جزء تاب من أجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد الا ترى الى قوله حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ما وراء ذلك في حكم القرب ومثله قوله صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر والفائدة في قوله فأولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله أن الاول اعلام بأنه يجب على الله قبولها لزوم الكرم والفضل والاحسان والثاني اخبار بأنه سيفعل ذلك أو المراد بالاول توفيق التوبة والاعانة عليها وبالثاني قبولها وكان الله عليما بأنه انما أتى بتلك المعصية لاستيلاء الشهوة والغضب والجهالة عليه

حكيما يجب في كرمه قبول توبة العبد اذا تاب من قريب قال المحققون قرب الموت وهو وقوعه في الشدائد بحيث يغلب على ظنه نزول الموت كما في القولنج وفي حالة الطلق وعند تلاطم الامواج مع انكسار السفينة لا يمنع من قبول التوبة بل التوبة حينئذ أولى بالقبول لقوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه وانما المانع من قبوله معاينة سلطان الموت ومشاهدة أحواله وأهواله بحيث تصير معرفته بالله ضرورية كما لاهل الآخرة وحينئذ يسقط التكليف عنه اذ لم يبق في يده زمام الاختيار وأفضى الامر الى حد الالجاء والاجبار وههنا بحث للاشاعرة وهو أن أهل القيامة لا يشاهدون الا أنهم صاروا أحياء بعد أن كانوا أمواتا ويشاهدون أيضا أهوال القيامة فيستدلون بها على وجود الفاعل فكيف يكون ذلك العلم ضروريا وبتقدير كونه ضروريا فلم يمنع ذلك صحة التكليف وذلك أن العبد مع علمه الضروري بوجود الاله المثيب المعاقب قد يقدم على المعصية لعلمه بأنه كريم وانه لا تنفعه طاعة العبد ولا يضره ذنبه وأيضا العلم النظري هو الذي لا يكون معه تجويز نقيضه وعلى هذا فلا فرق بينه وبين الضروري البتة وعلى هذا فكيف يصير النظري موجبا للتكليف والضروري مانعا من التكليف فثبت ضعف هذا الفرق وانه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهو بفضله وعد وقبل التوبة في بعض الاوقات وبعدله أخبر عن عدم قبول التوبة في وقت آخر وله أن يقلب الامر فيجعل المقبول مردودا والمردود مقبولا لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وأقول التحقيق فيه انه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء وقوله صدق وأمره حق وقد عين لعبيده حالين دنيا وعقبى وقد أخبر أنه جعل الدنيا دار العمل والعقبى دار الجزاء وليس لاحد عليه اعتراض انه لم يعكس الامر ثم ان لليقين مراتب علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وليس ببعيد أن لا يكون علم اليقين منافيا للتكليف ويكون عين اليقين منافيا له ثم عطف قوله ولا الذين يموتون على الذين يعملون السيئات تسوية بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في أنه

عند أبيه خلف وفي فاختة بنت الاسود بن المطلب بن أسد وكانت عند أمية بن خلف فخلف عليها صفوان بن أمية وفي منظور بن رباب وكان خلف على مليكة ابنة خارجة وكانت عند أبيه رباب بن سيار حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء بن أبي رباح الرجل ينكح المرأة ثم لا يراها حتى يطلقها أتحل لابنه قال هي مرسلة قال الله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء قال قلت لعطاء ما قوله الا ما قد سلف قال كان الابناء ينكحون نساء آبائهم في الجاهلية حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الآية يقول كل امرأة تزوجها أبوك وابنك دخل أو لم يدخل فهي عليك حرام واختلف في معنى قوله الا ما قد سلف فقال بعضهم معناه لكن ما قد سلف فدعوه وقالوا هو من الاستثناء المنقطع * وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا نكاح آبائكم بمعنى ولا تنكحوا كنكاحهم كما نكحوا على الوجوه الفاسدة التي لا يجوز مثلها في الاسلام انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا يعني أن نكاح آبائكم الذي كانوا ينكحونه في جاهليتهم فاحشة ومقتا وساء سبيلا الا ما قد سلف منكم في جاهليتكم من نكاح لا يجوز ابتداء مثله في الاسلام فانه معفو لكم عنه وقالوا قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء كقول القائل للرجل لا تفعل ما فعلت ولا تأكل ما أكلت بمعنى ولا تأكل كما أكلت ولا تفعل كما فعلت * وقال آخرون معنى ذلك ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء بالنكاح الجائز كان عقده بينهم الا ما قد سلف منهم من وجوه الزنا عندهم فان نكاحهن لكم حلال لانهن لم يكن لهم حلائل وانما كان ما كان من آبائكم منهن من ذلك فاحشة ومقتا وساء سبيلا ذكر من قال ذلك حدثني يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف الآية قال الزنا انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فزاد ههنا المقت * قال أبو جعفر وأولى الاقوال في ذلك بالصواب

لا توبة لهم لان حضرة الموت أول أحوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة
الموت لمجاوزة كل منهما الحد المضروب للتوبة أو المعنى انه كما أن التوبة عن المعاصي لا تقبل عند القرب من الموت كذلك الايمان لا يقبل
عند القرب من الموت أو المراد أن الكفار اذا ماتوا على الكفر فلو تابوا في الآخرة لا تقبل توبتهم أولئك أعتدنا لهم أي أعددنا الوعيد نظير
قوله فأولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين أن الامرين كائنان لا محالة قالت الوعيدية المعطوف مغاير للمعطوف عليه لكن الطائفة
الثانية كفار فالاولون فساق لكنهما مشتركان في العذاب الاليم فثبت أن حكمهما واحد وأجيب بأن أولئك اشارة الى أقرب المذكورين
ويعضده أن الكفار أشنع قولا من الفساق أو الطائفة الاولى هم الذين عاشوا على الكفر ثم تابوا في حضرة الموت كفرعون والثانية
هم الذين عاشوا على الكفر وماتوا عليه كنمرود مثلا قوله سبحانه يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها من ههنا شروع
في النهي عما كانوا عليه في الجاهلية من ايذاء النساء بصنوف من العذاب وضروب من البلاء وذلك أنواع الاول

قوله لا يحل لكم أن ترثوا وفيه قولان أحدهما الوراثة تعود الى المال أي لا يحل لكم أن تمسكوهن حتى ترثوهن أموالهن وهن كارهات لامساككم وثانيهما أنها ترجع الى أعيانهن وكانوا اذا مات الرجل وله امرأة جاء ابنه من غيرها أو بعض أقاربه فألقى ثوبه عليها وقال ورثت امرأته كما ورثت ماله فصار أحق بها من نفسها ومن غيره فان شاء تزوجها بغير صداق الا الصداق الاول الذي أصدقها الميت وان شاء زوجها من انسان آخر وأخذ صداقها ولم يعطها منه شيأ فنزلت النوع الثاني ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن قال أكثر المفسرين كان الرجل منهم يكره زوجته ويريد مفارقتها فيسيء العشرة معها ويضيق الأمر عليها حتى تفتدي منه بمالها وتختلع فنهوا عن ذلك وقيل انه خطاب للوارث بأن يترك منعها من التزوج
بمن شاءت وأرادت لتبذل امرأة الميت ما أخذت من الميراث كما كان يفعله أهل الجاهلية وقيل انه نهي للاولياء عن عضل المرأة أو للازواج كما
مر في سورة البقرة قال في الكشاف اعراب تعضلوهن النصب عطفا على أن ترثوا ولا لتأكيد النفي قلت الظاهر انه النهي لعطف الامر وهو
قوله وعاشروهن عليه وصاحب الكشاف نظر الى ما قبله وذهل عما بعده الا أن يأتين بفاحشة مبينة من قرأ بالفتح فلأن الفاحشة لا فعل
لها في الحقيقة وانما الله تعالى هو الذي بينها أو الشهود الاربعة هم بينوها ومن قرأ بالكسر فلأنها اذا تبينت وظهرت صارت أسبابا للبيان
كقوله انهن أضللن كثيرا من الناس لما صرن أسبابا للضلال ثم انه استثناء مما ذا قيل من أخذ المال أي لا يحل له أن يحبسها ضرارا لتفتدي
الا اذا زنت فحينئذ حل لزوجها أن يسألها الخلع وكان الرجل اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق اليها وأخرجها وقيل استثناء من
العضل نهوا عن حبسهن في بيوت الاولياء والازواج الا بعد وجود الفاحشة ومن هؤلاء القائلين من زعم ان هذا الحكم منسوخ بآية
الجلد وقيل الفاحشة هي النشوز وشكاسة الخلق أي الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فانهم معذورون حينئذ في طلب الخلع النوع

على ما قاله أهل التأويل في تأويله أن يكون معناه ولا تنكحوا من النساء نكاح آبائكم الا ما قد
سلف منكم فمضى في الجاهلية فانه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فيكون قوله من النساء من
صلة قوله ولا تنكحوا ويكون قوله ما نكح آباؤكم بمعنى المصدر ويكون قوله الا ما قد سلف
بمعنى الاستثناء المنقطع لانه يحسن في موضعه لكن ما قد سلف فمضى انه كان فاحشة ومقتا
وساء سبيلا فان قال قائل وكيف يكون هذا القول موافقا قول من ذكرت قوله من أهل التأويل
وقد علمت ان الذين ذكرت قولهم في ذلك انما قالوا أنزلت هذه الآية في النهي عن نكاح حلائل
الآباء وأنت تذكر أنهم انما نهوا أن ينكحوا نكاحهم قيل له وان قلنا ان ذلك هو التأويل الموافق
لظاهر التنزيل اذ كانت ما في كلام العرب لغير بني آدم وانه لو كان المقصود بذلك النهي عن حلائل
الآباء دون سائر ما كان من مناكح آبائهم حراما ابتدئ مثله في الاسلام بنهي الله جل ثناؤه عنه
لقيل ولا تنكحوا من نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف لان ذلك هو المعروف في كلام العرب
اذ كان من لبني آدم وما لغيرهم ولا تقل ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء فانه يدخل في ما
ما كان من مناكح آبائهم التي كانوا يتناكحونها في جاهليتهم فحرم عليهم في الاسلام بهذه الآية
نكاح حلائل الآباء وكل نكاح سواه نهى الله تعالى ذكره ابتداء مثله في الاسلام مما كان
أهل الجاهلية يتناكحونه في شركهم ومعنى قوله الا ما قد سلف الا ما قد مضى انه كان فاحشة يقول
ان نكاحكم الذي سلف منكم كنكاح آبائكم المحرم عليكم ابتداء مثله في الاسلام بعد تحريمي
ذلك عليكم فاحشة يقول معصية ومقتا وساء سبيلا أي بئس طريقا ومنهجا ما كنتم تفعلون في
جاهليتكم من المناكح التي كنتم تتناكحونها ۞ القول في تأويل قوله ﴿حرمت عليكم أمهاتكم
وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي
أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي
دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن

الثالث من التكاليف المتعلقة بأحوال النساء وعاشروهن بالمعروف وهو الاجمال فى القول والانصاف فى المبيت والنفقة فان كرهتموهن ورغبتم فى فراقهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا فههنا قد يميل طبعكم الى المفارقة ويكون الخير فى الاستمرار على المواصلة منه الثناء فى الدنيا بحسن الوفاء وكرم الخلق ومنه الثواب فى العقبى بالصبر على خلاف الهوى ومنه حصول ولد نجيب ومال كثير لليمن فى صحبتها قال صلى الله عليه وسلم الشؤم فى المرأة والفرس والدار وقيل المعنى ان رغبتم فى مفارقتهن فربما جعل الله تعالى فى تلك المفارقة لهن خيرا كثيرا بأن تتخلص من زوج سيئ العشرة وتجد زوجا آخر أوفق منه النوع الرابع من التكاليف وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وذلك أنه لما أذن فى مضارتهن اذا أتين بفاحشة بين تحريم الضرار فى غير حالة الفاحشة يروى أن الرجل منهم كان اذا مال الى التزوج بامرأة أخرى رمى زوجته الاولى بالفاحشة حتى يلجئها الى الافتداء منه بما أعطاها ليصرفه الى تزوج المرأة التى يريدها فنهوا عنه والقنطار المال العظيم وفيه دليل على جواز المغالاة فى المهر روى أن عمر قال على المنبر ألا لا تغالوا فى مهور نسائكم

فقامت امرأة وقالت يا ابن الخطاب الله يعطينا وأنت تمنع وتلت هذه الآية فقال عمر كل الناس أفقه من عمر ورجع عن ذلك ويحتمل أن يقال ذكر ايتاء القنطار وارد على سبيل المبالغة والفرض لا الرخصة وهو فى موضع الحال أى وقد آتيتم ومعنى الايتاء الالتزام ووقوع العقد عليه سواء أدى المال اليها أم لا واعلم أن النشوز ان كان من قبل الزوجة حل أخذ مال الخلع وان كان من قبل الزوج لم يحل الا أنه يفيد الملك لو خالع كما أن البيع وقت النداء منهى عنه ثم انه يفيد الملك أتأخذونه استفهام بطريق الانكار بهتانا وهو أن يستقبل الرجل بأمر قبيح يقذفه به وهو برىء منه لانه يبهت عند ذلك أى يتحير وفى الحديث اذا واجهت أخاك بما ليس فيه فقد بهته وهو مصدر فى موضع الحال أى باهتين وآثمين أو على أنه مفعول له مثل قعدت جبنا وقيل بنزع الخافض أى ببهتان وقيل بمضمر أى تصيبون بهتانا وسبب تسمية هذا الأخذ بهتانا أنه تعالى فرض لها ذلك المهر فمن استرده فكأنه يقول ليس ذلك بفرض فيكون بهتانا أو انه عند العقد تكفل بتسليم ذلك المهر اليها وأن لا يأخذه منها فاذا أخذه منها صار القول الاول بهتانا أى باطلا أو كان من عادتهم أنهم اذا أرادوا تطليق الزوجة رموها بفاحشة حتى تفتدى فلما كان هذا الامر واقعا على هذا الوجه فى الاغلب سيق الكلام على ذلك وبالحقيقة ان أخذ هذا المال طعن فى ذاتها من حيث انه مشعر بأنها قد أتت بفاحشة وقبض على مالها فهو بهتان من وجه وظلم من وجه آخر وقيل المراد عقاب البهتان والاثم كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا ثم عجب من الاخذ مستفهما فقال وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض عن ابن عباس ومجاهد والسدى واختاره الزجاج وابن قتيبة واليه ذهب الشافعى أن المراد بالافضاء الجماع اذ الفضاء الساحة ويقال أفضيت اذا خرجت الى الفضاء وهذا المعنى انما يحصل فى الحقيقة عند الجماع وقيل الافضاء أن يخلو بها وان لم يجامعها وهو قول الكلبى واختاره الفراء ويوافقه مذهب أبى حنيفة ان الخلوة الصحيحة تقرر المهر ورجح مذهب

تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما) يعنى بذلك تعالى ذكره حرم عليكم نكاح أمهاتكم فترك ذكر النكاح اكتفاء بدلالة الكلام عليه وكان ابن عباس يقول فى ذلك ما حدثنا به أبو كريب قال ثنا ابن أبى زائدة عن الثورى عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم حتى بلغ وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف قال والسابعة ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء حدثنا ابن بشار قال ثنا مؤمل قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل ابن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس قال يحرم من النسب سبع ومن الصهر سبع ثم قرأ حرمت عليكم أمهاتكم الى قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم حدثنا ابن بشار مرة أخرى قال ثنا أبو أحمد الزبيرى قال ثنا سفيان عن الاعمش عن اسمعيل بن رجاء عن عمير مولى ابن عباس عن ابن عباس مثله حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن ابن أبى ذئب عن الزهرى بنحوه حدثنا ابن بشار قال ثنا عبد الرحمن قال ثنا سفيان عن حبيب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال حرم عليكم سبع نسبا وسبع صهرا حرمت عليكم أمهاتكم الآية حدثنا ابن وكيع قال ثنا أبى عن على بن صالح عن سماك بن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم قال حرم الله من النسب سبعا ومن الصهر سبعا ثم قرأ وأمهات نسائكم وربائبكم الآية حدثنا ابن حميد قال ثنا جرير عن مطرف عن عمرو بن سالم مولى الانصار قال حرم من النسب سبع ومن الصهر سبع حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت ومن الصهر أمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتم بهن فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف ثم قال والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم ولا تنكحوا ما نكح

آباؤكم

الشافعي بان الكلام ورد في معرض التعجب وهو انما يتم اذا كان هذا الافضاء سببا قويا في حصول الالفة والمودة وذلك هو الجماع لا مجرد الخلوة وأيضا الافضاء لابد أن يكون مفسرا بفعل ينتهي منه اليها لان كلمة الى لانتهاء الغاية ومجرد الخلوة ليس كذلك لانه لم يحصل فعل من أفعال أحدهما الى الآخر فان قيل على هذا يجب أن يكون التلامس والاضطجاع في لحاف واحد كافيا في تحقيق الافضاء وأنتم لا تقولون به فالجواب انه باطل بالاجماع اذ القائل قائلان قائل بتفسير الافضاء بالجماع وقائل بتفسيره بمجرد الخلوة وأيضا الشرع قد علق تقرر المهر بتحقق الافضاء وقد اشتبه معناه أنه الخلوة أو الجماع فوجب الرجوع الى ما قبل زمان الخلوة ومقتضى ذلك عدم تقرر المهر ثم أكد المنع من استرداد المهر بقوله وأخذن منكم ميثاقا غليظا قال السدي وعكرمة والفراء هو قولكم زوجتك هذه المرأة على ما أخذ الله للنساء على الرجال من امساك بمعروف أو تسريح باحسان ومعلوم أنه اذا ألجأها الى أن بذلت المهر فقد سرحها بالاساءة وقال ابن عباس ومجاهد الميثاق الغليظ كلمة النكاح المعقودة على الصداق واليها أشار في الحديث **(٢٢١)** واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وقال آخرون أخذن منكم بسبب افضاء بعضكم الى بعض ميثاقا غليظا ووصفه بالغلظ لقوته فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج

النوع الخامس من التكاليف المتعلقة بأمور النساء قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم قال ابن عباس وجمهور المفسرين كان أهل الجاهلية يتزوجون بأزواج آبائهم فنهوا عن ذلك وههنا مسئلة خلافية قال أبو حنيفة يحرم على الرجل أن يتزوج بمزنية أبيه وقال الشافعي لا يحرم حجة أبي حنيفة ان النكاح عبارة عن الوطء لقوله حتى تنكح زوجا غيره وبالاتفاق لا يحصل التحليل بمجرد العقد ولقوله وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح أي الوطء لان أهلية العقد حاصلة أبدا ولقوله الزاني لا ينكح الا زانية ولقوله صلى الله عليه وسلم ناكح اليد ملعون فيدخل في الآية المزنية لانها منكوحة أي موطوأة وعورض بالآيات الدالة على ان النكاح هو العقد كقوله وأنكحوا الأيامى منكم فانكحوا ما طاب لكم من النساء وبقوله صلى الله عليه وسلم النكاح سنتي ولا شك أن الوطء من حيث انه وطء ليس سنة له وبقوله ولدت من نكاح لا من سفاح وبأن من حلف في أولاد الزنا إنهم ليسوا من أولاد النكاح لم يحنث سلمنا أن الوطء سمي بالنكاح لكن العقد أيضا مسمى به فلم كان حمل الآية على ما ذكره أولى من حملها على ما ذكرنا مع اجماع المفسرين على ان سبب نزول الآية هو العقد لا الوطء قالوا حقيقة في الوطء مجاز في العقد لانه في اللغة الضم وهذا المعنى حاصل في الوطء لا في العقد وانما أطلق النكاح على العقد اطلاقا لاسم المسبب على السبب والحمل على الحقيقة أولى أو مشترك بينهما ويجوز استعماله في مفهوميه معا فتكون الآية نهيا عن الوطء وعن العقد معا أو لا يجوز استعماله في المفهومين فيكون نهيا عن القدر المشترك بينهما وهو الضم والنهي عن المشترك يكون نهيا عن القسمين فان النهي عن التلوين يكون نهيا عن التسويد والتبييض لا محالة وأجيب بانه خلاف اجماع المفسرين وبأن استعمال اللفظ المشترك في كلا مفهوميه غير جائز وبأن المعنى

آباؤكم من النساء فكل هؤلاء اللواتي سماهن الله تعالى وبين تحريمهن في هذه الآية محرمات غير جائز نكاحهن لمن حرم الله ذلك عليه من الرجال باجماع جميع الامة لا اختلاف بينهم في ذلك الا في أمهات نسائنا اللواتي لم يدخل بهن أزواجهن فان في نكاحهن اختلافا بين بعض المتقدمين من الصحابة اذا بانت الابنة قبل الدخول بها من زوجها هل هن من المبهمات أم هن من المشروط فيهن الدخول ببناتهن فقال جميع أهل العلم متقدمهم ومتأخرهم من المبهمات وحرام على من تزوج امرأة أمها دخل بامرأته التي نكحها أو لم يدخل بها وقالوا شرط الدخول في الربيبة دون الام فأما أم المرأة فمطلقة بالتحريم قالوا ولو جاز أن يكون شرط الدخول في قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فوضع موصولا به قوله وأمهات نسائكم جاز أن يكون الاستثناء في قوله والمحصنات من النساء الا ما ملكت أيمانكم من جميع المحرمات بقوله حرمت عليكم الآية قالوا وفي اجماع الجميع على أن الاستثناء في ذلك انما هو مما وليه من قوله والمحصنات أبين الدلالة على أن الشرط في قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن مما وليه من قوله وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن دون أمهات نسائنا وروي عن بعض المتقدمين انه كان يقول حلال نكاح أمهات نسائنا اللواتي لم ندخل بهن وان حكمهن في ذلك حكم الربائب ذكر من قال ذلك حدثنا محمد بن بشار قال ثنا ابن أبي عدي وعبد الاعلى عن سعيد عن قتادة عن خلاس بن عمرو عن علي رضي الله عنه في رجل تزوج امرأة فطلقها قبل أن يدخل بها أيتزوج أمها قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد بن مسعدة قال ثنا يزيد بن زريع قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن خلاس عن علي رضي الله عنه قال هي بمنزلة الربيبة حدثنا حميد قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد قال ثنا قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت أنه كان يقول اذا ماتت عنده وأخذ ميراثها كره أن يخلف على أمها واذا طلقها قبل أن يدخل بها فان شاء فعل حدثنا ابن بشار قال ثنا يحيى بن سعيد عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن زيد بن ثابت قال اذا طلق الرجل امرأته قبل أن يدخل بها فلا بأس أن يتزوج أمها حدثنا القاسم قال ثنا حجاج قال قال ابن جريج أخبرني عكرمة بن خالد أن مجاهدا قال

الضم لا يتصور في العقد سلمنا ان النكاح بمعنى الوطء ولكن ما في قوله ما نكح لا نسلم أنها موصولة لانها حقيقة في غير العقلاء وانما هي مصدرية والتقدير ولا تنكحوا نكاح آبائكم فان أنكحتهم كانت بغير ولي وشهود وكانت مرفية ومهرية فنهوا عن مثل هذه الانكحة قاله محمد بن جرير الطبري سلمنا ان المراد لا تنكحوا من نكح آباؤكم ولكنا لا نسلم ان من تفيد العموم واذا لم تفد العموم لم تتناول محل النزاع لكن لم قلتم ان النهي للتحريم لا للتنزيه سلمنا ان النهي للتحريم لكن لا نسلم أنه غير صحيح لان النهي عندكم لا يدل على الفساد كما في البيع الفاسد وفي صوم يوم النحر واذا كان منعقدا كان صحيحا ثم انا نستدل على جواز نكاح مزنية الاب بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن نهى عن نكاحهن الى غاية ايمانهن وهذا يقتضي جواز نكاحهن بعد تلك الغاية على الاطلاق مزنية كانت أو غيرها الا ما أخرجه الدليل وهكذا سائر العمومات كقوله وأحل لكم ما وراء ذلكم وكقوله صلى الله عليه وسلم اذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه وقوله زوجوا أبناءكم الاكفاء وبقوله صلى الله عليه وسلم الحرام لا يحرم الحلال ودخول التخصيص فيه عما لو وقع قطرة من الخمر في اناء من الماء فتحرمه لا يمنع من الاستدلال به في غيره وقد ناظر الشافعي محمد بن الحسن في هذه المسئلة فوقع ختم الكلام على قول الشافعي وطء حمدت به ووطء رجمت به فكيف يشتبهان أما قوله تعالى الا ما قد سلف فللمفسرين فيه وجوه أحسنها ما ذكره السيد صاحب حل العقد انه على طريق المعنى فان النهي يدل على المؤاخذة بارتكاب المنهي عنه فكأنه قيل أنتم مؤاخذون بنكاح ما نكح آباؤكم الا ما قد سلف قبل نزول آية التحريم فانه معفو عنه وقال في الكشاف هذا كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم ان تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فانه لا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه كقوله حتى يلج الجمل في سم الخياط وقولهم حتى يبيض القار وقيل استثناء منقطع لانه لا يجوز استثناء الماضي من المستقبل والمعنى لكن ما قد سلف فان الله قد تجاوز عنه وقيل الا بمعنى بعد كقوله لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى أي بعد موتتهم الاولى وقيل الا ما قد سلف فانكم مقرون عليه قالوا انه صلى الله عليه وسلم أقرهم عليهن مدة ثم أمر بمفارقتهن وانما فعل ذلك ليكون صرفهم عن هذه العادة على سبيل التدريج وزيف بعضهم هذا القول وقال ما أقر أحدا على نكاح امرأة أبيه وان كان في الجاهلية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث أبا بردة الى رجل عرس بامرأة أبيه ليقتله ويأخذ ماله انه أي ان هذا النكاح كان قبل النهي فاحشة أعلم الله تعالى ان هذا الفعل كان أبدا ممقوتا عند العرب وهذا النكاح بعد النهي فاحشة في الاسلام لانه كان في علم الله وحكمه موصوفا بهذا الوصف والمقت عبارة عن بغض مقرون باستحقار حصل ذلك بسبب أمر قبيح ارتكبه صاحبه وهو من الله تعالى في حق العبد يدل على غاية الخزي والخسار قال بعضهم مراتب القبح ثلاث في العقول وفي الشرع وفي

له وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم أريد بهما الدخول جميعا قال أبو جعفر والقول الاول أولى بالصواب أعني قول من قال الام من المبهمات لان الله لم يشرط معهن الدخول ببناتهن كما شرط ذلك مع أمهات الربائب مع أن ذلك أيضا اجماع من الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به متفقة عليه وقد روى بذلك أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر غير أن في اسناده نظرا وهو ما حدثنا به المثنى قال ثنا حبان بن موسى قال أخبرنا ابن المبارك قال أخبرنا المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا نكح الرجل المرأة فلا يحل له أن يتزوج أمها دخل بالابنة أم لم يدخل واذا تزوج الام فلم يدخل بها ثم طلقها فان شاء تزوج الابنة قال أبو جعفر وهذا خبر وان كان في اسناده ما فيه فان في اجماع الحجة على صحة القول به مستغنى عن الاستشهاد على صحته بغيره حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج عن ابن جريج قال لعطاء الرجل ينكح المرأة لم يرها ولا يجامعها حتى يطلقها أيحل له أمها قال لا هي مرسلة قلت لعطاء أكان ابن عباس يقرأ وأمهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن قال لا تبرأ قال حجاج قلت لابن جريج ما تبرأ قال كانه قال لالا وأما الربائب فانه جمع ربيبة وهي ابنة امرأة الرجل قيل لها ربيبة لتربيته اياها وانما هي مربوبة صرفت الى ربيبة كما يقال هي قبيلة من مقبولة وقد يقال لزوج المرأة هو ربيب ابن امرأته يعني به هو رابه كما يقال هو جابر وجبير وشاهد وشهيد واختلف أهل التأويل في معنى قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقال بعضهم معنى الدخول في هذا الموضع الجماع ذكر من قال ذلك حدثني المثنى قال ثنا عبد الله بن صالح قال ثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله من نسائكم اللاتي دخلتم بهن والدخول النكاح وقال آخرون الدخول في هذا الموضع هو التجريد ذكر من قال ذلك حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثني حجاج قال قال ابن جريج قلت لعطاء قوله اللاتي دخلتم بهن ما الدخول بهن قال ان تهدى اليه فيكشف ويعس ويجلس بين رجليها قلت أرأيت ان فعل ذلك في بيت أهلها قال هو سواء وحسبه

العادة فالفاحشة اشارة الى القبح العقلي لان زوجة الاب تشبه الام والمقت اشارة الى القبح الشرعي وساء سبيلا اشارة الى القبح العادي وساء فعل ذم وفاعله ضمير مبهم يفسره المنصوب بعده والله تعالى أعلم * التأويل الوراثة الدينية أيضا سبب ونسب فالسبب هو الارادة ولبس خرقة المشايخ والتشبه بهم والنسب هو الصحبة معهم بالتسليم لتصرفات ولايتهم ظاهرا وباطنا مستسلما لاحكام التسليك والتربية ليتولد السالك بالنشأة الثانية من صلب ولايتهم ومن هنا قال صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة من علات أمهاتهم شتى ودينهم واحد وانما يتوارث أهل الدين على قدر تعلقاتهم السببية والنسبية والذكورة والانوثة في الجد والاجتهاد وحسن الاستعداد وبتوارثهم العلوم الدينية واللدنية كقوله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وقول موسى للخضر

هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشدا واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم هي النفوس الامارات بالسوء فاستشهدوا عليهن أربعة منكم أي من خواص العناصر الاربعة التي أنتم منها مركبون وهي التراب ومن خواصه الخسة والذلة والماء ومن خواصه اللين والانوثة والشره والهواء ومن خواصه الحرص والحسد والبخل والشهوة والنار ومن خواصها الكبر والغضب وحب الرياسة فان شهدوا بأن يظهر بعض هذه الصفات من النفوس فأمسكوهن في البيوت في سجن الدنيا وأغلقوا عليهن أبواب [illegible] الحسر حتى تموت النفس [illegible] عن حظوظها دون حقوقها أو يجعل الله لهن سبيلا بانفتاح روزنة القلوب الى عالم الغيب واللذان يأتيانها أي النفس والقالب يأتيان من الفواحش ظاهرا في الاعمال وباطنا في الاحوال والاخلاق فآذوهما ظاهرا بالحدود وباطنا بالرياضات وترك الحظوظ فأعرضوا عنهما باللطف بعد العنف وباليسر بعد العسر بجهالة أي بصفة الجهولية وهي داخلة في الظلومية لان الظلومية تقتضي المعصية والاصرار عليها والجهولية تقتضي المعصية فحسب فالعمل السوء اذا كان مصدره الجهولية فحسب يكون على عقيبه التوبة كما قال ثم يتوبون من قريب أي عقيب المعصية قال عليه السلام أتبع السيئة الحسنة تمحها والحسنة التوبة ويحتمل أن يقال من قريب أي قبل أن يموت القلب بالاصرار فان الله لا يقبل التوبة من قلب ميت لانها تكون اضطرارية باللسان لا اختيارية بالجنان ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم فيه اشارة الى النهي عن التصرف في السفليات التي هي الامهات المتصرف فيها آباؤكم العلوية الا ما قد سلف من التدبير الالهي في ازدواج الارواح لضرورة اكتساب الكمالات فان الركون الى العالم السفلي يوجب مقت الحق والله أعلم

قد حرم ذلك عليه ابنتها قلت تحرم الربيبة ممن يصنع هذا بأمها الا ما يحرم علي من أمتي ان صنعته بامها قال نعم سواء قال عطاء اذا كشف الرجل أمته وجلس بين رجليها أنهاه عن أمها وابنتها * قال أبو جعفر وأولى القولين عندي بالصواب في تأويل ذلك ما قاله ابن عباس من أن معنى الدخول الجماع والنكاح لان ذلك لا يخلو معناه من أحد أمرين اما أن يكون على الظاهر المتعارف من معاني الدخول في الناس وهو الوصول اليها بالخلوة بها أو يكون بمعنى الجماع وفي اجماع الجميع على ان خلوة الرجل بامرأته لا يحرم عليه ابنتها اذا طلقها قبل مسيسها ومباشرتها أو قبل النظر الى فرجها بالشهوة ما يدل على أن معنى ذلك هو الوصول اليها بالجماع واذا كان ذلك كذلك فمعلوم ان الصحيح من التأويل في ذلك ما قلناه وأما قوله فان لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم فانه يقول فان لم تكونوا أيها الناس دخلتم بامهات ربائبكم اللاتي في حجوركم فجامعتموهن حتى طلقتموهن فلا جناح عليكم يقول فلا حرج عليكم في نكاح من كان من ربائبكم كذلك وأما قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم فانه يعني وأزواج أبنائكم الذين من أصلابكم وهي جمع حليلة وهي امرأته وقيل سميت امرأة الرجل حليلته لانها تحل معه في فراش واحد ولا خلاف بين جميع أهل العلم أن حليلة ابن الرجل حرام عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النكاح دخل بها أو لم يدخل بها فان قال قائل فما أنت قائل في حلائل الابناء من الرضاع فان الله تعالى انما حرم حلائل أبنائنا من أصلابنا قيل ان حلائل الأبناء من الرضاع وحلائل الابناء من الاصلاب سواء في التحريم وانما قال وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم لان معناه وحلائل أبنائكم الذين ولدتموهم دون حلائل أبنائكم الذين تبنيتموهم كما حدثنا القاسم قال ثنا الحسين قال ثنا حجاج عن ابن جريج قال قلت لعطاء قوله وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم قال كنا نحدث والله أعلم أنها نزلت في محمد صلى الله عليه وسلم حين نكح امرأة زيد بن حارثة قال المشركون في ذلك فنزلت وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم ونزلت وما جعل أدعياءكم أبناءكم ونزلت ما كان محمد أبا أحد من رجالكم وأما قوله وأن تجمعوا بين الاختين فان معناه وحرم عليكم أن تجمعوا بين الاختين عندكم بنكاح فأن في موضع رفع كأنه قيل والجمع بين الاختين الا ما قد سلف لكن ما قد مضى منكم فان الله كان غفور الذنوب

عباده اذا تابوا اليه منها رحيما بهم فيما كلفهم من الفرائض وخفف عنهم فلم يحملهم فوق طاقتهم
يخبر بذلك جل ثناؤه أنه غفور لمن كان جمع بين الاختين بنكاح
فى جاهليته وقبل تحريمه ذلك اذا اتقى الله تبارك
وتعالى بعد تحريمه ذلك عليه فأطاعه
باجتنابه رحيم به وبغيره من
أهل طاعته من
خلقه

*(تم الجزء الرابع من تفسير ابن جرير الطبرى ويليه الجزء الخامس
أوله القول فى تأويل قوله والمحصنات من النساء)*